

٨٠- استغفر لهم أيها الرسول أو لا تستغفر لهم، فهم ليسوا أهلاً للاستغفار ولا للمغفرة من الله، إن تستغفر لهم سبعين مرة أو أكثر، فإن الله لن يغفر لهم، بل سيعاقبهم، ذلك أي عدم قبول الاستغفار والدعاء لهم، بسبب كفرهم بالله ورسوله، وموتهم على الكفر، والله لا يوفق للخير والهداية القوم المتمردين في الكفر، الخارجين عن الطاعة.

٨١- طرب المتخلفون عن غزوة تبوك بقعودهم بعد رسول الله ﷺ عن الجهاد، وكرهوا الجهاد بالأموال والأنفس في سبيل إعلاء كلمة الله، وقال المنافقون لإخوانهم: لا تخرجوا للجهاد في وقت الحر صيفاً، قل لهم أيها الرسول: نار جهنم أشد حرّاً من حرّ تبوك، فإن فررتم من هذا الحر اليسير، فنار جهنم التي تدخلونها أشد حرارة مما فررتم منه من الحر، لو كانوا يدركون ويفهمون أسرار أوامر الله تعالى.

٨٢- وعاقبة أمر هؤلاء المنافقين أنهم سيضحكون ويفرحون قليلاً في الدنيا يتخلفهم عن الجهاد، ويكون كثير أفي الآخرة، لتلاعيبهم

أَسْتَغْفِرُكُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُكُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ إِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ يَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ يُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تَجْعَلْ أَمْوَالَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ أَيْمَانًا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ بَهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزَمَنَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا نَزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّلَاقِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَحْنُ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾

واستهزأهم بدين الله، جزاء بما اقترفوا من الآثام والمعاصي.

٨٣- فإن ردك الله أيها النبي من تبوك إلى جماعة من المنافقين وهم الذين لم يتوبوا من نفاقهم، وتخلفوا بالمدينة عن الجهاد، فاستأذنونك للخروج معك في غزوة أخرى، فقل لهم: لن تخرجوا معي أبداً للجهاد، ولن تقاتلوا معي أبداً عدواً بأي وضع كان، عقوبة لهم وتحزناً من مفاسدهم، إنكم رضيتم بالقيود في المرة الأولى في غزوة تبوك، فاقعدوا مع المتخلفين عن الخروج من الضعفاء والنساء والأولاد.

٨٤- ولا تصل أيها النبي على أحد من المنافقين مات أبداً، وهي صلاة الجنائز، ولا تقف على قبره للدعاء له، إنهم كفروا بالله ورسوله، وكانوا خارجين عن جادة العدالة والاستقامة، وماتوا على تلك الحال. نزلت بسبب صلاة النبي ﷺ على زعيم المنافقين عبد الله بن أبي، فترك الصلاة على المنافقين بعدئذ.

٨٥- لا تستحسن ما أنعمنا به عليهم من الأموال والأولاد، إنما يريد الله أن تكون سبباً لتعذيبهم في الدنيا بالمصائب والقلق والمتاعب، وتخرج أرواحهم، ويموتوا على الكفر دون التأمل في عواقب الأمور، فيُلْقُونَ في جهنم، وهؤلاء نوع آخر من المنافقين.

٨٦- وإذا نزلت سورة من القرآن أو بعض سورة تأمرهم بالإيمان بالله والجهاد مع رسول الله، استأذنتك ذو الفضل والسعة والمقدرة على الجهاد بالنفس والمال في التخلف عن الجهاد، وقالوا: دعنا نكن مع العاجزين عن القتال المعدورين، كالضعفاء والأولاد والنساء. وهذا دليل على الجبن والذل والهوان.

رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِحَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَاءَ الْمَعَذْرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ فَعَدَّ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِيُحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أُحِمْدُ مَا أَحْمَلُكُمْ عَلَيْهِ تَوْلَوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ ﴿٩٢﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُوكَ وَهُمْ غَائِبُونَ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِحَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٩٣﴾

٨٧- رضوا بأن يبقوا مع النساء اللاتي تخلفن في البيوت، وختم الله على قلوبهم بالكفر، فلم تعد قابلة لتنفيذ الخير إليها، فهم لا يعقلون ولا يعلمون ما في الجهاد من الفضائل، وما في التخلف من النقص والمعايب.

٨٨- لكن الرسول والمؤمنون برسالته جاهدوا بأموالهم وأنفسهم، فاستحقوا الثناء والثواب العظيم، وأولئك لهم الخيرات والمنافع الجسام في الدنيا والآخرة، بالنصر والغنيمة، وجنات الفردوس الأعلى.

٨٩- أعد الله للمؤمنين المجاهدين جنات تجري الأنهار من تحت بساطينها وغرفها، ذلك هو الفوز العظيم الذي لا فوز بعده، وهو الدرجة العالية.

٩٠- وجاء المعتذرون أي بعذر صحيح من الأعراب إلى النبي ﷺ ليأذن لهم في التخلف عن غزوة تبوك، وقعد مناقفو الأعراب عن القتال من غير اعتذار، وهم الذين لم يؤمنوا ولم يصدقوا بالله ورسوله، وإنما كانوا كاذبين في ادعاء الإيمان، سيصيب الذين كفروا من الأعراب الذين اعتذروا بالأعداء الباطلة والذين لم يعتذروا عذاب مؤلم في الدنيا والآخرة. قال مجاهد: هم نفر من غفار أو من غطفان اعتذروا، فلم يعذرهم الله تعالى.

٩١- ليس هناك إثم بترك الجهاد على الضعفاء (وهم الشيوخ العجزة والنساء والصبيان) ولا على المرضى كالزمنى والعمى، ولا على الفقراء الذين لا يجدون نفقة على أنفسهم، إذا أخلصوا لله في إيمانهم به وأقروا بوحدانيته، وبالرسول نبياً فصدقوا بنبوته، وأطاعوهما في الأمر والنهي، ولم يكونوا منافقين، ليس على هؤلاء المحسنين في النصح لله ولرسوله، وهم المعذورون، من إثم ولا مؤاخذه ولا عتاب في التخلف عن الجهاد، والله غفور لهم، رحيم بهم في التوسعة عليهم وعدم تكليفهم ما لا يطيقون. نزلت الآية في أعمى جاء يسأل الرسول ﷺ عن حكم القتال في حقه، فنزلت: ﴿ليس على الضعفاء﴾.

٩٢- ولا إثم على جماعة من الأنصار طلبوا من النبي ص ما يركبونه من الدواب للمشاركة في الجهاد، فلما قلت لهم: لا أجد ما أحملكم عليه من الإبل أو غيرها، انصرفوا ليكون حزنًا؛ لأنهم لم يجدوا ما ينفقون على أنفسهم في الجهاد لفقيرهم، لا عندهم ولا عند غيرهم. نزلت في جماعة البكائين سبعة من الأنصار، قالوا للرسول: احملنا، فقال: والله ما أجد ما أحملكم عليه، فتولوا ولهم بكاء، وعز عليهم أن يحبسوا عن الجهاد، ولا يجدوا نفقة ولا محملاً، فأنزل الله عذرهم.

٩٣- إنما طريق العقوبة والمؤاخذه على الذين يستأذنونك في التخلف عن الجهاد، وهم يملكون المال والقدرة على القتال، رضوا بأن يكونوا مع المتخلفين لعذر كالنساء، وأعيد هذا لزيادة توبيخهم، ووصفهم بأنهم كالنساء، وفي هذا مهانة شديدة عند العرب، وختم الله على قلوبهم فلم يبصروا الحق، وهم لا يعلمون فضائل الجهاد ومخازي التخلف عن لقاء العدو، ولا يدركون المنافع لتقدم على الخسائر.



٩٤- هؤلاء المنافقون المتخلفون سوف يعتذرون إلى المؤمنين في التخلف بعد عودتهم من غزوة تبوك، قل لهم أيها النبي: لا تعتذروا بأبي عذر، فلن نصدقكم؛ لأنه قد أعلمنا الله بالوحي حقيقة أمركم وحالكم، وسيرى الله ورسوله فيما بعد عملكم، أتوبون من النفاق أم تبقون عليه؟! وهذه فرصة للتوبة، ثم ترجعون بعد الموت والبعث إلى الله عالم الغيبيات والحسيات، فيخبركم بأعمالكم، ويجازيكم عليها بالتوبيخ والعقاب. نزلت في ثمانين رجلاً من المنافقين، أمر النبي ﷺ المؤمنين لما رجعوا إلى المدينة بالألاعاب واليهام ولا يكلموهم.

٩٥- سيحلفون بالله لكم لتأكيد أذارهم الباطلة إذا رجعت إليهم ووصلتم من تبوك، لتتركوهم وتصفحوا عنهم، ولا توبخوهم ولتظهروا الرضا عنهم، فاتركوهم واهجروهم من غير توبيخ، ولا تجالسوهم، إنهم خبيثاء قذرون، وأعمالهم نجسة قبيحة، ومصيرهم ومكان إيوائهم النار، جزاء بما اقترفوا من الآثام والخطايا.

٩٦- يحلف هؤلاء المنافقون لكم أيها المؤمنون أيماناً كاذبة لاسترضانكم واستدامة معاملتهم، فإن رضيتهم وعذرتوهم، فإن الله ساخط على القديم المتمردين الخارجين عن طاعته، ولا يفقههم رضاكم.

٩٧- أهل البادية أو البدو العرب أشد كفراً ونفاقاً من كفر ونفاق غيرهم، لقسوة قلوبهم، وغلظ طبائعهم، وجهلهم وبعدهم عن العلم والمدينة، فمن استوطن القرى العربية فهو عربي، ومن سكن البادية فهو أعرابي، وهم أولى أو أخرى بالألاعاب يعرفوا حدود الله من الشرائع والأحكام، لغربتهم عن تعاليم ومواطن الأنبياء، والله عليم بأحوالهم، حكيم في تدبير أمور خلقه. نزلت في أعراب من أسد وغطفان، وفي أعراب حاضري المدينة.

٩٨- وبعض الأعراب المنافقين يعدُّ إنفاقه في سبيل الله غرامة وخسراناً؛ لأنه لا يعتقد بالثواب عليه، وإنما يدفعه رياء وتقية، ويتنظر بكم ما يدور به الزمان من المصائب، فيتخلص من الإنفاق، عليهم مصائب الدهر من الهزيمة والبلاء وما يسوء الإنسان، وهو دعاء مماثل لما ترقبوه بالمسلمين، والله سميع لأقوالهم، عليم بأفعالهم ونواياهم الخبيثة.

٩٩- وهناك نوع ثان من الأعراب مثل جهينة ومزينة، يصدقون بالله وبآخرفته، ويجعل ما ينفقه من ماله في سبيل الله قُرْبَاتٍ يتقرب بها إلى الله تعالى، وللوصول إلى استغفار الرسول ودعائه بالخير له، ألا إن نفقاتهم ودعوات الرسول قرابة لهم مقبولة عند الله تعالى، سيدخلهم الله فسيح جنانه، إن الله غفور للظالمين، رحيم بهم. نزلت في بني مَقْرَن الذين نزلت فيهم: ﴿ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم﴾ [التوبة

يَعْتَدُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَآتَعْتَدُوا
لَنْ تَوْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأَ اللَّهُ مِنَ انْبِعَارِكُمْ وَسِرِّي اللَّهُ
عَمَّاكُمْ وَرَسُولُهُ وَمَنْ تَرُدُّونَ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
فِيئْتِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِالله لَكُمْ إِذَا
انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَنْ نَرْضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسٌ
وَمَا وَهَدُوهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ
لَكُمْ لَنْ نَرْضُوا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ الله لَا يَرْضَى
عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا
وَأَجْدَرُ الْأَيْمَانُ وَاُحُدُودُ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ
وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ
مَا يَنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمْ كَمَا الدَّالُّونَ عَلَيْهِمْ كَذِبًا
الَسَّوْءَ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ
بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يَنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللهِ
وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ
سَيَدْخُلُوهُمْ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنْ اللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٩﴾

١٠٠- والسابقون الأولون إلى الإيمان والهجرة والنصرة والإنفاق من الصحابة المهاجرين والأنصار والتابعون لهم الذين اتبعوا السابقين الأولين في الإيمان ونصرة الدين والطاعة، قبل الله طاعتهم وارتضى أعمالهم ولم يسخط عليهم، ورضوا عن الله بما أفاض عليهم من نعمه وفضله، وأعد لهم جنات تجري من تحت سياتينها وغرفها الأنهار، ماكين فيها على الدوام، ذلك الرضا هو الفوز العظيم الذي لا يعادله فوز آخر. وهذه شهادة من الله للصحابة والتابعين ويشري لهم بالجنة.

١٠١- وبعض الأعراب حول أهل المدينة منافقون: أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، وكذلك بعض أهل المدينة قوم مرونا على النفاق، حتى خفي أمرهم على النبي ﷺ، لا تعلمهم أنت أيها النبي لمهارتهم في النفاق، نحن نعلمهم وسنعرفك بهم، سنعذبهم عذاباً مضاعفاً مرتين: بالفضيحة وكشف نفاقهم وتراكم المصائب، وتعذيبهم عند الموت وفي القبر، ثم يردون في الآخرة إلى عذاب شديد هو عذاب النار في الدرك الأسفل. نزلت في عبد الله بن أبي، وجد بن قيس، ومعتب بن قشيسر، والجلال بن سويد، وأبي عامر الراهب، من قبائل جهينة ومزينة وأشجع وأسلم وغفار من أهل المدينة وما حولها.

وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمَنْ حَوْلَكَ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَعَدْنَاهُمْ فَرَزَتَيْنِ ثُمَّ يَرُدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَسَاتٍ عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ أَنَّهُمْ قَوْمٌ مُّؤْمِنُونَ ﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ مَّوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنْ صَلَّوْنَاكَ سَكَنَ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلْ أَعْمَلُوا مِثْرِيَ اللَّهُ عَالِمُكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسِرِّدُونِ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَالِينَ وَالشَّهَادَةُ قَبِيحَةٌ لِّمَنْ كَفَرَ بِمَا كُتِبَ لَهُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٠٥﴾ وَآخَرُونَ مَرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾

١٠٢- وجماعة آخرون من أهل المدينة تخلفوا عن الجهاد لغير عذر، وأقروا بمعاصيهم، وخطوا عملاً صالحاً لهم: وهو التزام شرائع الإسلام، بعمل سيء: وهو التخلف عن غزوة تبوك، ثم تابوا من هذا الفعل، لعل الله أن يقبل توبتهم، فهم تحت عفوه الله، إن الله غفور لمن تاب، رحيم بمن أحسن وأتاب. نزلت في أبي لبابة وخمسة معه، أو فقوا أنفسهم بسواري المسجد، حتى يطلقهم رسول الله ويعذرهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فاطلقهم النبي ﷺ وعذرهم، فقالوا: يا رسول الله، هذه أموالنا فتصدق بها عنا واستغفر لنا، فقال: «ما أمرت أن أأخذ من أموالكم شيئاً، فأنزل الله تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة﴾ الآية التالية.

١٠٣- خذ أيها النبي من أموال المسلمين صدقة الفرض، تكون سبباً في تطهيرهم من أثر الذنوب، وتُنمِّي في نفوسهم فعل الخير، وادع لهم واستغفر، إن دعاءك واستغفارك سبب لتسكين نفوسهم، والله سميع لاعترافيهم ودعائك لهم. والآية وإن كانت لسبب خاص، فهي عامة لجميع الأموال والناس؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

١٠٤- ألم يعلم هؤلاء التابعون وجميع المؤمنين أن الله يقبل التوبة الصادقة لعباده التائبين، لاستغفائه عن الطاعة وعدم مبالاته بالمعصية، ويتقبل الله الصدقات منهم ويضاعف ثوابها، وأن الله هو كثير القبول للتوبة، كثير الرحمة بالتائبين.

١٠٥- وقل أيها الرسول للتائبين وغيرهم: اعملوا الخير وأخلصوا العمل لله، فسرى الله عملكم خيراً أو شراً، وسرى ذلك أيضاً الرسول والمؤمنون، وسترجعون بعد الموت لعالم كل ما غاب وما حضر، فيخبركم بأعمالكم ويجازيكم عليها.

١٠٦- وجماعة آخرون من المتخلفين مؤجلون لحكم الله فيهم، وهم ثلاثة أجزوا توبتهم، إما أن يعذبهم الله إن بقوا على ما هم عليه، وإما أن يتوب عليهم إن تابوا وأصلحوا وأخلصوا، والله عليم بما في قلوبهم، حكيم في قضائه عليهم. نزلت في كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع، من الأنصار، تخلفوا عن غزوة تبوك كسلاً لا نفاقاً.

١٠٧- ومن منافقي أهل المدينة وهم اثنا عشر بنوا مسجد الضرار أي الإصرار بمسجد قباء، في ضواحي المدينة، لكيد المؤمنين والتأمر عليهم، ولإيجاد الفرقة والاختلاف بين المؤمنين، وانتظاراً لقدم من حارب الله ورسوله من قبل بناء هذا المسجد، وهو أبو عامر الراهب الذي طلب من قيصر الروم مساعدته لقتال المسلمين، وأمر ببناء هذا المسجد، وليحلفن هؤلاء المنافقون أنهم ما أرادوا ببناء المسجد إلا فعل الخير وتسهيل أداء الصلاة على الضعفاء والعجزة ومن يمنعه المطر والحرق، والله يشهد على كذبهم فيما حلفوا. نزلت في بني غنم بن عوف من الخنزرج الذين بنوا مسجد الضرار بأمر أبي عامر الراهب، حسداً لما فعله بنو عمرو بن عوف من الأوس من بناء مسجد قباء، وطلبوا من الرسول ﷺ أن يصلي فيه كما صلى في مسجد قباء، فاعتذر حتى يعود من تبوك، فنزل عليه القرآن بخبر مسجد الضرار، فأمر بهدمه وإحراقه.

١٠٨- لا تصل أبداً أيها الرسول في مسجد المنافقين، إن مسجد قباء الذي أسس على التقوى من أول يوم دخل فيه النبي المدينة مهاجراً، أولى بأن تقوم فيه مصلياً من مسجد الضرار، فيه رجال من الأنصار يحبون أن يتطهروا بالطهارتين الحسية (بالوضوء ونحوه) والمعنوية بإزالة آثار الذنوب، والله يرضى عن المتطهرين المبالغين في الطهارة ويشيهم. نزلت هذه الآية في أهل قباء: ﴿فيه رجال﴾ كانوا يستنجون بالماء، رجالاً ونساءً.

١٠٩- لا يستوي من أسس بنيانه على قاعدة متينة، وهي تقوى الله ورضوانه، ومن بنى مسجداً ضراراً وكفراً، معرضاً للانهدام، على جانب الوادي الذي ينحفر بالماء، المشرف على السقوط، فإذا انهار أو سقط فإمّا ينهار بيانه في قعر جهنم، والله لا يوفق الكافرين المفسدين إلى طريق الحق والسعادة.

١١٠- لا يزال بناء المنافقين مسجد الضرار وهدمه سبباً للشك والخيرة وتزايد النفاق، فإن البناء يجسد طبيعة النفاق والكفر، والهدم يؤدي للتصميم على الكفر ومقت الإسلام وحسرة صدورهم على الدوام، إلى أن يموتوا أو يقتلوا غماً وحزناً، والله عليم بأفعال عباده، حكيم في تدبير خلقه وجزائهم على أعمالهم خيراً أو شراً.

١١١- بعد بيان فضائح المنافقين، أبان الله فضيلة الجهاد، فهو مبادلة على النفوس والأموال بالجنة، فإن الله جعل ثواب المجاهدين هو الجنة، فهم يقاتلون من أجل إعلاء كلمة الله ودينه، فيقتلون الكفار في الحرب أو يستشهدون، وعدهم الله بالجنة وعداً حقاً ثابتاً في كتبه المنزلة: التوراة، والإنجيل، والقرآن، ولا أحد أوفى بالعهد وإنجاز الوعد الصادق من الله الذي لا يخلف الميعاد، فأظهروا السرور أيها المجاهدون بهذا البيع أو المبادلة، فإنه صفقة رابحة، وذلك الفوز بالجنة هو الفوز العظيم الذي لا فوز أعظم منه. نزلت لما بايع سبعون رجلاً من الأنصار رسول الله ص في بيعة العقبة الثانية الكبرى على عبادة الله وحده وترك الشرك به، والدفاع عنه كما يدافعون عن أنفسهم وأموالهم، وكان الثمن هو الجنة، فقالوا: ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل، أي لا ننقض العهد ولا نطلب التراجع عنه.

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفَرِّقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ
وَارْضَاءَ لِلْإِنْسِ حَارِبَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ
إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾
لَا تَقْرَأُ فِيهِ أَبَدًا مَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ
يَوْمٍ أُوْحِيَ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَّهَرُوا
وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَنْ أُسِّسَ بَيْنَهُ عَلَى تَقْوَىٰ
مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بَيْنَهُ عَلَى شَفَا حَرْفٍ
هَارٍ فَأَنهَارٍ يُبْرِقُ فِي تَارِحَتِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْآظِلِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بَيْنُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيصَةً فِي قُلُوبِهِمْ
إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ إِنْ أَلَّفَ
أَسْرَىٰ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ
لَهُمُ الْجَنَّةُ يَفْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَفْقَهُونَ
وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ
مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْسِرُوا بِبَيْعِكُمْ
الَّذِي بَاعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفُوزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾



الَّتِي بَوَّأَهُمُ اللَّهُ لَهَا فِي الْآخِرَةِ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هُمْ يُسَبِّحُونَ
 السَّاجِدُونَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ وَالْمُسْلِمُونَ وَالْمُسْلِمَاتُ
 الْمُنْكَرُ وَالْحَفْظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ
 ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلشَّيْءِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا
 لِلشُّرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهَا
 أَصْحَابُ الْحَيْبِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأبيه
 إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ
 تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ لِلَّهِ
 أَنْ يُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ
 بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ
 وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ
 وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ
 وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ
 مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ
 لَقَدْ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رُءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾

١١٢- هؤلاء المؤمنون المجاهدون الموعدون
 بالجنة هم التائبون من المعاصي، المخلصون العبادة
 لله تعالى، الحامدون الله على كل حال في السراء
 والضراء، المجاهدون أو الصائمون والمفكرون في
 آيات الله، والراكون الساجدون، الأمرين بما أمر
 به الشرع من الإيمان والطاعة والخلق الكريم،
 التاهون عما أنكره الشرع من الكفر والعصيان
 والفواحش، القائمون بحفظ الشرائع والتزام
 الأحكام، وبشر أيها النبي المؤمنين بالجنة، قال ابن
 عباس: من مات على هذه التسع فهو في سبيل الله
 تعالى.

١١٣- ما كان ينبغي للنبي والمؤمنين أن يطلبوا
 المغفرة للمشركين ولو كانوا أقرباء لهم، من بعد ما
 ظهر لهم أنهم أصحاب النار بموتهم على الكفر.
 نزلت في رجل يستغفر لأبويه، وهما
 مشركان. وهي تتضمن تحريم الاستغفار
 للكفار والدعاء لهم بالنجاة والرحمة.

١١٤- لم يكن استغفار إبراهيم عليه السلام
 لأبيه الكافر إلا بناء على وعد سابق وعد به أباه قبل
 أن يتبين أنه من أهل النار ومن أعداء الله، في قوله تعالى: ﴿لَا اسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ [الممتحنة ٦٠/٤] فلما ظهر
 لإبراهيم أن أباه عدو لله بإصراره على الكفر، تبرأ منه وترك الاستغفار له، إن إبراهيم كثير التاؤب والتضرع
 والخضوع لله، صفوح عن الذنوب، صبور على الأذى.

١١٥- وما كان في حكم الله ليعامل قوماً معاملة الضالين ويؤاخذهم ويعاقبهم، بعد أن هداهم للإيمان،
 حتى يبين لهم ما يجب عليهم اتقاؤه من المحرمات، إن الله عليم بكل شيء مما يحدث من استقامة وعصيان،
 ومغفرة وعقاب، فإذا لم يتق الناس ربهم، حكم عليهم بالضلال، واستحقوا الإضلال، ولا إثم ولا مؤاخذة
 عليهم قبل البيان.

١١٦- إن لله ملك السموات والأرض وما بينهما، وله السلطان المطلق عليهما، وليس لكم أيها البشر من
 غير الله أحد يحفظكم ويتولى أموركم، وينصركم في وقت المحنة، ويمنع عنكم الضرر.

١١٧- لقد تاب الله على النبي في الإذن لبعض المنافقين بالتخلف عن الجهاد، وفي الاستغفار لبعض
 المشركين، وتاب أيضاً على المهاجرين والأنصار الذين جاهدوا مع النبي ولم يتخلفوا عنه في وقت الشدة في
 غزوة تبوك، فيما وقعوا فيه من أخطاء وذنوب، من بعد ما كاد يزيغ قلوب بعضهم، إذ هموا بالتخلف عن
 الجهاد في وقت الحر الشديد وقلة الزاد والماء، حتى تقاسم الرجال التمرة، وتعاقب الرجال العشرة على بعير
 واحد، ثم تاب الله عليهم إذ تبتهم على الإيمان الحق، بعد توبتهم الصادقة، إن الله رؤوف رحيم بالتائبين.

١١٨- وتاب الله على الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك كسلاً، لانفاقاً، وهم كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومُرارة بن الربيع، ولم تكن قد قبلت توبتهم في الحال كما قبلت توبة المتخلفين المعذورين، حتى إذا ضاقت عليهم الأرض مع سعتها ورحابها، وضاقت صدورهم من شدة الهم والغم والجفوة، وعلموا أن لا نجاة ولا ملجأ لهم من عذاب الله إلا بالتوبة والاستغفار، ثم وفقهم للتوبة ليكونوا في عداد التائبين المستقيمين، وليداوموا على التوبة، إن الله كثير القبول للتوبة كثير الرحمة بالتائبين. نزلت في شأن هؤلاء الثلاثة، وفيها عبرة وعظة للمؤمنين حيث صدقوا العهد مع الله، وترجعوا عن خطئهم، وأقروا بأن تخلفهم من غير عذر.

١١٩- يا أيها المؤمنون، خافوا الله باتباع أوامره واجتتاب نواهيه، والزموا الصدق في الإيمان قولاً وعملاً.

١٢٠- ما جاز ولا صح لأهل المدينة ومن حولهم من المجاورين من أعراب البادية، كمزينة وجهينة وأشجع أن يتخلفوا عن رسول الله في غزوة تبوك وغيرها، ولا يؤثروا أنفسهم ويحبوا لها الدعة والراحة والمحافظة عليها، ويقدموها على حفظ نفس النبي ﷺ، ذلك النهي عن التخلف بسبب أنهم لا يتعرضون لشيء من العطش والتعب والجوع من أجل رضوان الله وإعلاء دينه وجهاد أعدائه، ولا يدوسون بأقدامهم أو خيولهم مكاناً من أمكنة الكفار التي تغضبهم، ولا ينالون من عدو شيئاً من المال أو القتل أو الأسر، إلا دون لهم في صحائف أعمالهم عملاً حسناً مقبولاً ذا ثواب جزيل، إن الله يحفظ ولا يضيع ثواب المحسنين أعمالهم.

١٢١- ولا ينفقون في سبيل الله نفقة قليلة أو كثيرة، ولا يجتازون وادياً بين جبلين في طريقهم إلا كتب لهم ثوابه الحسن، ليجزيهم الله به أحسن الجزاء.

١٢٢- لا ينبغي للمؤمنين أن ينفروا جميعاً للقتال (وقيل: أن ينفروا لطلب العلم)، ويتركوا المدينة خالية، بل تنفر جماعة من كل قبيلة، وتبقى جماعة أخرى للتفقه في الدين وتعلم علوم الشريعة، وإنذار قومهم إذا عادوا إليهم بتعليمهم ما تعلموه من أحكام الحلال والحرام، ليحذروا عقاب الله، بامتثال أمره ونهيه. نزلت حين كان المؤمنون، لحرصهم على الجهاد، إذا بعث رسول الله ﷺ سرية، خرجوا فيها، وتركوا النبي ﷺ بالمدينة في عدد قليل من الناس.

وَعَلَى الثَلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّمْ يَلْمِجْأَ مِنْ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَن يَخْلِفُوكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَٰلِكُمْ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْغُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كَيْبَ لَهُمْ بِهِ ۖ عَلَّمُ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْحَسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُفْقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِحَجَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ أَحْسَنُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾



يَتَّيِبُهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُوكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلِحُدُودِ
فِيكُمْ غَلْظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ
سُورَةٌ فِيهِمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا
الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا
الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ
وَمَا تَوَّأَوْا وَهُمْ يَكْفُرُونَ ﴿١٢٥﴾ أُولَئِكَ يُفْتَنُونَ
فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾
وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰ لَكُمْ
مِنْ أَحَدٍ شَيْئًا أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ
عَلَيْهِ مَا عَشِيتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ
رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾



١٢٣- يا أيها المؤمنون إذا توافرت شروط القتال ومقتضياته، فابدؤوا بقتال الأقرب فالأقرب إلى ديار الإسلام، من الكفار، وليجدوا في قتالهم شدة وخشونة، وجرأة وصبراً على القتال، واعلموا أن الله مع المتقين بالنصر والحراسة والإعانة.

١٢٤- وإذا أنزلت عليك أيها الرسول سورة قرآنية، فمن المنافقين من يقول لصحبه استهزاء: أيكم زادته هذه السورة إيماناً بالله؟ فأما المؤمنون فزادتهم السورة تصديقاً بالله وبكتابه، وهم يفرحون بتزولها وما اشتملت عليه من المنافع.

١٢٥- وأما المنافقون، فزادتهم السورة المنزلة شكاً وكفراً ونفاقاً إلى نفاقهم، وخبثاً إلى خبثهم، ومانوا على الكفر.

١٢٦- أو لا يرى المنافقون أن الله يختبرهم بالجهاد مع النبي ﷺ كل عام مرة أو مرتين؟ ثم لا يتوبون من نفاقهم، ولا يتعظون من افتضاح أمرهم، ومعاينة انتصار الرسول ﷺ.

١٢٧- وإذا أنزلت سورة تبين مخازي المنافقين وعيوبهم، نظر بعضهم إلى بعض للتأمر على الهروب من مجلسه ﷺ، قائلين: هل يراكم أحد المؤمنين إن هربتم أو تسلتم؟ ثم انصرفوا من المجلس متسللين إلى منازلهم خوف الفضيحة، صرف الله قلوبهم عن الخير والرشد والهداية والإيمان، بسبب أنهم قوم لا يفهمون القرآن فهماً واعياً ومقبولاً، ولا يدركون الحق لعدم تدبرهم.

١٢٨- لقد جاءكم أيها العرب رسول من جنسكم ومنكم، شديد وشاق على نفسه عتتكم، أي تعيبكم ومشقتكم بعذاب الدنيا أو بعذاب الآخرة، حريص على إيمانكم وإبعادكم من النار، كثير الرأفة والرحمة بالمؤمنين، والرأفة أخص من الرحمة، فهي تكون مع الضعف والرقعة، تزيل سبب البلاء، والرحمة فيها إحسان وعطاء.

١٢٩- فإن أعرضوا عن الإيمان برسالتك، فقل أيها الرسول: يكفيني الله ناصرًا ومعينًا، فهو المتفرد بالألوهية، فوُضعت أموري إليه، وهو رب الكرسي الذي هو أعظم المخلوقات، فالعرش مخلوق لا يدري عظمته وحقيقته سوى الله تعالى، نؤمن به على ما جاء في القرآن من غير تشبيه بشيء معروف. وتأوله بعضهم بأنه صاحب الملك والسلطان الذي يُحكّم به على كل شيء، ويُدبّر به كل أمر.

سورة يونس

١- ﴿الر﴾: تنطق ساكنة الآخر كما تنطق سائر الحروف الأبجدية، ألف، لام، را، وهي للتحدي والتثنية على إعجاز القرآن الكريم ما دام مكون الألفاظ من أحرف اللغة التي ينطق بها العرب ويكتبون. تلك الآيات الموحى بها آيات القرآن المحكم فيما تضمنه من حلال وحرام وحدود وأحكام.

٢- أكان إياحوانا إليك القرآن مدعاة لعجب مشركي العرب خاصة؟ وليس في ذلك عجب، فهو إيهام إلى رجل من جنسهم من البشر، وكأنهم يريدون رسولاً من غير جنسهم، ولو كان من الملائكة أو الجن لما تحقق المقصود من الإرسال؛ لأنهم لا يأنسون إليه، وقلنا لهذا الرجل الذي يعرفون صدقه: أن أنذر الناس العصاة بالنار، وبشر المؤمنين بهذا القرآن بأن لهم منزلة رفيعة عند ربهم، ولما سمع الكفار بعض آيات القرآن، قالوا: إن هذا الرجل - أي محمد ﷺ - لساحر واضح ظاهر، قال ابن عباس: لما بعث الله تعالى محمداً ﷺ رسولاً، أنكرت العرب ذلك، أو من أنكروا منهم، فقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً مثل محمد، فأنزل الله عز وجل: ﴿أكان للناس عجباً؟﴾.

٣- أخبرهم أيها النبي بأن ربكم هو الله، الذي أوجد السموات والأرض في أيام ستة، ثم استوى على العرش استواء يليق بعظمته وجلاله، والعرش: مخلوق عظيم يليق به تعالى، لا ندري حقيقته، يدبر أمر الخلائق وحده، ليس لأحد يوم القيامة أن يشفع لأحد إلا بشرطين: إذنه تعالى للشافع، ولا يأذن إلا لمن رضيه، بمقتضى حكمته، وهذا دليل على استقلال الله بالأمر كلها، ذلكم الله وحده ربكم، الذي لا يشاركه أحد في الألوهية والربوبية والتدبير، فاعبدوه وحده، أفلا تتفكرون في أن هذا الخالق المدبر هو الذي يعبد وحده؟!

٤- إلى الله تعالى مصيركم جميعاً أيها الناس يوم القيامة، وإرجاعكم بالبعث والحساب: وعدته تعالى، صادق لن يخلفه، إنه سبحانه يبدأ الخلق (المخلوقات) من التراب، ثم يعيده إلى الحياة بعد الموت للجزاء يوم القيامة، فيثيب المؤمنين الذين عملوا صالح الأعمال بالعدل الذي لا جور فيه، ويكون للكافرين في جهنم شراب شديد الحرارة، وعذاب شديد الألم.

٥- الله جعل الشمس مضبئة، والقمر منوراً، والضياء: ما كان من ذات الشيء، والنور: ما كان حادثاً من غير الذات، ونور القمر مستفاد من ضوء الشمس، وقدّر مسير القمر في منازل هي ثمان وعشرون منزلة، والمنزلة: المسافة التي يقطعها بحركته في يوم وليلة، لتعلموا بذلك حساب الأوقات، فبالشمس تعرف الأيام، وبالقمر تعرف الشهور والأعوام، ما خلق الله السماء والأرض وما بينهما إلا خلقاً متبسّطاً بالحق، لحكمة، لا عبثاً، يبين الآيات الدالة على وحدانيته وقدرته لقوم يتأملون ويتدبرون.

٦- إن في تبدل الليل والنهار طولاً وقصراً، وتعاقبهما بدقة، وما خلق الله في السموات والأرض من مخلوقات لعلامات دالة على وجود الله وقدرته وحدانيته، لقوم يتقون مخالفة سنن الله التكوينية والتشريعية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّسْمِ أَتَيْتُ الْكَلْبَ الْحَكِيمَ ۝ أكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا
أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا
أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صَدَقَ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا
لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ۝ إِنْ رَبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ
مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ عِنْدِهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ إِلَيْهِمْ رُجْعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ
حَقًّا أَنَّهُ يُبْدِئُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ
مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ مَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ ۝ هُوَ الَّذِي
جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا
عَدَدَ اللَّيْلِ وَالنَّجْمَاتُ مَخْلُوقَاتُ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ الْإِبْرَاهِيمُ يُقْضَلُ
الْأَيَّاتِ لِقَوْمٍ يُجْمَلُونَ ۝ إِنْ فِي خَلْقِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝

٧- إن الذين لا يتوقعون لقاءنا خوفاً أو طمعاً لانتكارهم البعث، ورضوا بالمقام في الحياة الدنيا عن الآخرة، وسكنت أنفسهم إليها، وإلى لذائذها، والذين هم تاركو النظر في آياتنا الدالة على وحدانيتنا وقدرتنا، لا يتفكرون فيها.

٨- أولئك مقرّ إقامتهم النار بسبب ما اكتسبوا من الكفر والمعاصي والتكذيب بالآخرة.

٩- إن الذين صدّقوا بالله، وعملوا صالح الأعمال يرشدهم ربهم بسبب إيمانهم إلى الجنة، تجري الأنهار من تحت بساطينهم وغرفهم، في جنات النعيم المطلق والخلود. وهذا مثل التنعم والسعادة في ذلك المقام.

١٠- دعاؤهم في مناجاة ربهم في الجنة: هو تسبيح الله (أي تنزيهه عما لا يليق بعظمته) وتقديسه، وتحييتهم في الجنة من ربهم وملائكته: سلام، وخاتمة دعائهم الذي هو التسبيح قولهم: الحمد لله رب العالمين الذي أنعم علينا بهذه الخاتمة الحميدة من الرضوان والجنة.

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ مَا لَهُمْ مِنَ النَّارِ إِلَّا مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِالْإِيمَةِ النَّجْوَى مِنْ تَحْتِهِمْ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخْرَجَ دَعْوَانَهُمْ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَوْ يَحِثُّ اللَّهُ لِلنَّاسِ لَسَرَّا سِتْرَهُمْ بِالْخَيْرِ لَفَضَى إِلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ فَذَرَّا الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَا الْغُيُوبَ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ صُورَهُ مَرَّ كَأَنْ لَوِ دُعِيَ إِلَى صُرْمَتِهِ كَذَلِكَ زُرِّيْنَا لِلْمُؤْمِنِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْجَائِرِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

١١- ولو يجعل الله للناس الشر أو العقوبة كما يطلبون، كاستعجالهم بالخير والثواب، لهلكوا وماتوا، فترك الذين لا يتوقعون لقاءنا وكفروا بالبعث والحساب يتحIRON ويرددون في تمردهم وكفرهم وتكبرهم ورفضهم الحق، ولا يهتدون إلى صواب.

١٢- وإذا أصاب الكافر الشدة من مرض أو فقر أو خطر، دعانا لإزالة الضر عنه في كل حال من أحواله، مضطجعا لجنبه، أو قاعداً في بيته، أو قائماً على قدمه. وهذا يدل على شدة حيرته وقلقه. فلما أزلنا عنه الضر والجهد الذي نزل به، مضى على طريقته التي كان عليها من الكفر، ونسي حالة الجهد والبلاء، وكأنه لم يدعنا لكشف الضر الذي أصابه، وكما زُرِينُ له الإعراض عند الرخاء، زُرِينُ للمشركين والكفار المتجاوزين الحد الإعراض عن الدعاء، والانشغال بأعمال المعاصي والشهوات.

١٣- ولقد أهلكنا الأمم الماضية من قبلكم يا أهل مكة حينما ظلموا أنفسهم بتكذيب الرسل والانغماس في المعاصي، وجاءتهم رسلهم المرسلون إليهم بالمعجزات والآيات الواضحات الدالة على صدقهم، وما كانوا يؤمنون حقاً برسلهم، مثل ذلك الجزاء وهو إهلاكهم بسبب الكفر وتكذيب الرسل، نجزي القوم الكافرين. وهذا وعيد شديد لكفار مكة وأمثالهم.

١٤- ثم جعلناكم معشر الناس خلفاء من هلكوا لإفسادهم، لننظر كيف تعملون حيثئذ من خير أو شر، فنجازيكم على أعمالكم.



١٥- وإذا تلى على المشركين آيات القرآن المشبهة للتوحيد والمبجلة للمشرك، قال الذين لا يتوقعون لقاءنا المنكرون للمعاد: ائت بغير هذا القرآن جميعه الذي يعيب آلهتنا ويذم الأوثان، أو بدله بنفسك بحيث يتلاءم مع أهدافنا ولا يعيب آلهتنا، قل لهم أيها الرسول: ما يصح وما يحل لي أن أبدله من تلقاء نفسي ويأرادتني؛ لأنه كلام الله ووحيه المنزل، فالله هو الذي يأمر بتبديله، وليس لي إلا تبليغ الوحي به، إني أخاف إن بدلت أمر ربي أو بدلت وحيه عذاب يوم القيامة. وهذا هو الرد الأول على طلب تعديل القرآن أو تبديله، مبتدئاً بأقرب المذكور، ولقصر الرد. قال مجاهد: نزلت في مشركي مكة. وقال الكلبي: نزلت في المستهزئين، قالوا: يا محمد، ائت بقرآن غير هذا، فيه ما نسألك.

١٦- والرد الثاني على طلب الإتيان بغيره، قل لهم أيها الرسول: لو أراد الله ألا أتله عليكم ولا أبلغه لكم، لفعلت، ولو شاء الله ما أعلمكم بالقرآن عن طريقي، فقد مكثت فيكم زمناً طويلاً من قبل نزوله، وهو أربعون سنة، لم تجربوا علي كذباً، ولم تكن عندي قدرة على كلام كهذا، لعدم قراءتي الكتب المنزلة على الرسل، ثم أوحى الله علي هذا الكتاب

الذي عجزتم عن معارضته والإتيان بسورة منه، وأنتم أهل الفصاحة والبلاغة، مما يدل على أنه كلام الله، أفلا تدركون بعقولكم أن هذا القرآن من عند الله، لا من عندي؟!

١٧- لا أحد أشد ظلماً ممن افترى (اختلق) كذباً على الله، وادعى ما لم يقله الله، أو كذب بآياته المنزلة على رسله، إنه لا يفوز المجرمون المفترون على الله بشيء.

١٨- ويعبد المشركون من غير الله الأصنام والأوثان، مما لا يضرهم إن لم يعبدوها، ولا ينفعهم إن عبدوها؛ لأنها جمادات لا تضر ولا تنفع، والحق والعقل يقضيان أن يكون المعبود ذا قدرة على النفع والضرر، ولا فائدة لعبادته إن كان عاجزاً، ويزعمون أن هذه الأصنام والأوثان تشفع لهم عند الله في الآخرة، قل لهم أيها الرسول: أتخبرون الله بما لا يعلم في السماء والأرض؟ لا يعلم الله لنفسه شريكاً ولا شفيعاً، تنزه الله وتعاضم عن أن يكون له شريك في ملكه.

١٩- لم يكن الناس بحسب الفطرة إلا أمة واحدة موحدة الله، مؤمنة به، كلهم على الدين الحق، فاختلّفوا، فصار بعضهم مؤمناً وبعضهم كافراً، ولولا وعد سابق من الله بتأخير العذاب ليوم القيامة، لقضي بينهم في الدنيا، فيما اختلفوا فيه، وأهلك المبطلون ونجّي المؤمنون.

٢٠- ويقول أهل مكة المشركون الذين كأنهم لم يقتنعوا بالآيات المنزلة على رسوله: هلا أنزل على محمد معجزة مادية محسوسة غير القرآن كإحياء الموتى وجعل الجبال ذهباً، وناقعة صالح، وعصا موسى ويده، ومائدة عيسى؟ فقل لهم أيها الرسول: إن نزول الآية غيب، ولا يعلم الغيب إلا الله، فانتظروا نزول ما اقترحتموه، أو العذاب إن لم تؤمنوا، وإظهار الحق على الباطل، إني منتظر معكم القضاء الفصل.

وَأِنَّا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا نَبِّئْتَ قَالِ الَّذِينَ لَا يُرْجُونَ لِقَاءَنَا أَأَنْتَ بَشِيرٌ إِنَّمَا نَعِدُهُمْ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُنذِرَهُمْ مِنْ تَلْقَائِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي أَخِشُّ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِئْتُ فِيكُمْ عُمَرَاءُ مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ قُلْ أَظَلِمَ مَنْ قَرَأَ قُرْآنًا عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُضِلُّ الْعَاجِزِينَ ﴿١٧﴾ وَيَعِدُّونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَوَآءَ شَفَعْنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَشْتَقُونَ أَنَّهُ يَأْتِيَ بِآيَاتٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ لِلنَّاسِ إِلَّا أَنَّمَا وَجِدَتْ وَحِيدَةً فَآخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ فِي مَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٢٠﴾

وَإِذَا ذُوقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ عِصْيَانِهِمْ مَسَّوْنَهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي
 آيَاتِنَا قُلْ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا مَكْرُونٌ ﴿٢١﴾
 هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ
 وَرَبَّرْتُمْ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا جَاءَتْ تَهَارُجٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ
 الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ
 لَهُمُ الدِّينَ لَئِنْ لَمْ نُنْجِبْكُمْ مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾
 فَلَمَّا أَنْجَبَهُمْ إِذَا هُمْ يَبْعَثُونَ فِي الْأَرْضِ بِعِبْرَاتٍ لِيَأْتِيَهُمُ النَّاسُ
 إِنَّمَا بَعَثْنَاهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتْلَعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِيَأْتِيَهُمْ جِعَابٌ
 فَسْتَبْشِرُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ
 أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْطَأَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ
 وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ
 وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيَّهَا أَنزَلْنَا سَيْلًا
 أَوْ تَهَاوُرَاجُفَ لَهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَعْنِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ
 نَقُصُّ عَلَيْكَ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ
 دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾

٢١- وإذا غمرنا الناس وهم الكفار برحمة، أي
 مطر وخصب وسعة، من بعد قحط وجوع إذا لهم
 تدبير خفي وهو الطعن بآياتنا المنزلة للهداية، ولم
 يشكروا النعمة، قل لهم أيها الرسول: الله أعجل
 عقوبة، يجازيكم قبل أن تكيّدوا لكتابه، إن
 الحفظة الملائكة الكاتبين الموكلين بكم يدوتون في
 صحفكم ما تدبرونه في الخفاء، وتجازون عليه.

٢٢- الله الذي يهسي لكم ويمكنكم من الانتقال
 في وسائل السفر في البر والبحر، حتى إذا كنتم في
 السفن وجرت بين فيها بريح ليّنة غير عاصفة توافق
 اتجاه السير، وفرحوا بتلك الريح، جاءتها ريح
 شديدة العصف أو الهبوب والتدمير، وأتاهم الموج
 من كل مكان، وغلب على ظنهم الهلاك وأحاط
 بهم، توجهوا إلى الله بالدعاء لإنجابهم، مخلصين
 المناجاة لله وحده- وهذا دليل على التوجه القطري
 إلى الله، وأن دعاء المضطر ولو كان كافراً مجاب-
 وقالوا في دعائهم: لئن أنجبتنا من هذه الشدائد
 والأخطار والمحنة، لنكونن شاكرين نعمتك
 بالإيمان والتوحيد والطاعة.

٢٣- فلما أنجاهم الله من محتهم، إذا هم
 يسارعون إلى الكفر والفساد والمعصية، وينسون ما عاهدوا الله عليه، بغير حق، أي مبطلين فيه وتمردين، يا
 أيها الناس الذين لم يوفوا بالعهد، وإنما وبال بغيكم وفسادكم على أنفسكم، تتمتعون بالبغي زمن الحياة الدنيا
 فقط، ثم ترجعون بعد الموت ومتاع الدنيا إلى الله يوم القيامة، فنخبركم بعلمكم في الدنيا وتجازيكم عليه. قال
 محمول: ثلاث من كن فيه كن عليه: المكر والبغي والنكث.

٢٤- إنما حال الدنيا في سرعة انقضائها وذهاب نعيمها وزوالها مثل ما على الأرض من أنواع النبات، حيث
 ينزل المطر من السماء، فيختلط النبات بعضه ببعض بسبب الماء، من الحبوب والثمار التي تأكلها الناس،
 والكلأ والأعشاب التي تأكلها الأنعام، فإذا أخذت الأرض لونها الحسن ونضارتها، وتزيّنت بالأزهار الجميلة
 المتنوعة، وظن أصحابها أنهم قادرون على حصادها وجني ثمارها والتمتع بها، أتاهم أمرنا بالهلاك في الليل أو
 النهار، فجعلنا زرعها كالحصود أو المقطوع بالمنجل، كأن لم تكن قائمة بالأمس فيها، مثل ذلك التفصيل
 والبيان، نبين ونوع الآيات الدالة على التوحيد والقدرة وغيرهما، لقوم يتفكرون في تلك الآيات، فيتفنون
 بها.

٢٥- وبعد بيان سرعة زوال الدنيا، رغب الله في الآخرة، حيث ذكر أن الله يدعو إلى الإيمان الموصل إلى
 الجنة، فهي دار السلامة من الآفات، ويوفق من يريد إلى سلوك طريق مستقيم، هو الإقرار بوجود الله
 وتوحيده وطاعة أحكامه وتنفيذ أوامره.

٢٦. للذين أحسنوا بالإيمان والعبادة والأعمال المشوية الحسنى وهي الجنة، وزيادة عليها من النعيم الروحي وهو النظر إلى وجه الله الكريم، ولا يفشى وجوههم غبرة فيها سواد، ولا مذلة، مما يتعرض له أهل النار، أولئك هم أصحاب الجنة، هم فيها مقيمون على الدوام.

٢٧. والذين اقتصروا المعاصي وكفروا بالله، لهم جزاء السيئة بمثلهما فقط، فتجازى السيئة الواحدة بسيئة واحدة، لا زيادة عليها، وتغشاهم المذلة والخزي والهوان، ليس لهم مانع يعصمهم من سخط الله وعذابه، كأنما ألبست وجوههم جزءاً مظلماً من الليل، أولئك الكفار هم أصحاب النار، هم فيها مخلدون أبداً لا يخرجون منها.

٢٨. ويوم نجمع جميع المخلوقين للحسين والمسيئين، ثم نقول للمشركين تقریباً وتوبيخاً: الزموا مكانكم أتمم ومعبوداتكم الآلهة، ففرقنا بين المشركين وشركاتهم، المعبودين والعابدين، فتخاصموا، وقال المعبودون الشركاء للعابدين المشركين: كم تكونوا عابدين لنا حقيقة، وإنما عبدتم أهواءكم وشياطينكم الأمرة بالإشراك، وهذا يتضمن إنكار أمرهم لهم بالعبادة.

٢٩. فكفى الله شاهداً بيننا وبينكم: أننا ما أمرناكم بالعبادة، ولا رضينا بها منكم، إننا كنا غير عالمين بعبادتكم، ولم نشعر بها، ولا طلبناها منكم.

٣٠. هنالك في ذلك الموقف الأخروي في مكان الحشر تختبر كل نفس ما قدمت، أي تجد نتيجة عملها من خير أو شر، وأرجع المشركون إلى جزاء ربهم، دون المعبودات الباطلة، وهو المتولي أمورهم حقيقة، والثابت الدائم الصادق الربوبية، وغاب واختفى وبطل ما كانوا يدعون ويفترون عليه من الآلهة المزيفة، فلا تنفع ولا تشفع.

٣١. قل أيها النبي للمشركين: من يرزقكم من السماء بالمطر، ومن الأرض بالنبات والشمر والمعادن؟ ومن الذي أوجد لكم السمع والأبصار وغيرهما من الحواس، فيملك خلقها وتسويتها على نحو يحصنها ويحفظها من الأفات؟ ومن الذي يخرج الحي من الميت كالنبات من الأرض، والطير من البيضة، والإنسان من النطفة، ويخرج الميت من الحي، كعكس ما ذكر، فيجعل الحي رماداً ميتاً؟ ومن يلي تدبير أمر السماء والأرض بتقديره وقضائه؟ فسيقولون لك: الله هو الفاعل لهذه الأمور، فقل لهم أيها الرسول: أفلا تتقون الله وتخشون فاعل هذه الأفعال، فتؤمنوا به وحده وتخصوه بالعبادة. ويلاحظ أنه أفرد السمع وجمع الأبصار؛ لأن السمع أداة تحصيل العلم من كل جهة للسامع، بخلاف البصر فإن المعلومات لا تحصل إلا بتعدد جهة النظر.

٣٢. فذلکم الفعال لهذه الأشياء هو الله الرب الحقيقي، الثابت الربوبية، لا ما أشركتم معه، فليس بعد عبادة الله التي هي الحق إلا الضلال والانحراف، والكفر والشرك، فكيف تصرفون عن الحق الظاهر وهو الإيمان إلى الضلال مع قيام البرهان؟! مع قيام البرهان؟! مع قيام البرهان؟! مع قيام البرهان!؟

٣٣. كما صرف هؤلاء عن الإيمان بضلالهم، ثبت حكم الله وقضاؤه على الذين خرجوا عن الحق والإيمان إلى الباطل والكفر: أنهم لا يؤمنون أبداً، لإصرارهم على الإعراض عن التأمل في الأدلة والبراهين والمخلوقات.

الَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحَسَنَىٰ وَزِيَادَةً ۖ وَلَا يَرَهُنَّ وَجُوهَهُمْ فَدَرُ
وَلَا ذُلَّهُ أُوْلَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ
كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرَهُمُ ظُهُورُهُمْ ذٰلَهُ مَا لَهُمْ مِنْ لَدُنْ
مِنْ عَاصِمٍ كَأَمْثَلِ الْأَغْشِيَةِ وَجُوهُهُمْ قَطَاطِمٌ مِّنَ اللَّيْلِ ظُلُمًا أُوْلَٰئِكَ
أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جِجَامًا تُمْ
لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانًا كَمَا أَنْشُرْتُمْ وَيَوْمَ نَسْفَعُ بِالنَّارِ نَبْتَهُمْ وَقَالَ
شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنَّا يُعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكُنْ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ غَافِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلَأُونَ كُلُّ نَفْسٍ
مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ وَنَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا
يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَشْنَىٰ بِمَا لَكُمْ
السَّمْعُ وَالْأَبْصَارُ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ
مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدْبِرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَسَلْ أَفَلَا
تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الَّذِي فَمَا ذٰبَعَدَ
الْحَيُّ إِلَّا الْأَضَلُّ فَا تَنْصُرُونَ ﴿٣٢﴾ كَذٰلِكَ حَقَّقَتْ
كَلِمَاتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾

قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ قُلْ اللَّهُ يَبْدَأُ
 الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ فَأَنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ
 يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَنْ يَهْدِيَ إِلَى الْحَقِّ أَحَدٌ
 أَنْ يَبِيعَ أَمِنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ فَأَلْكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾
 وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ
 عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَى مِنْ
 دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ نَصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ
 لَدَرْبٍ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَنُوحًا
 بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعَاؤًا مِنْ أَسْتَعْطَمَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
 ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِعَلَمِهِ وَكَلِمَاتِهِمْ تَأْوِيلُهَا
 كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
 الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمَنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ
 أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٌ وَلَكُمْ عَمَلٌ كُفْرًا
 اللَّهُ يَرِيحُنَّ مِمَّا أَعْمَلْتُمْ وَأَنَا سَبِيحٌ بِمَا أَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمَنْهُمْ مَنْ
 يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصَّمَمَ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾

٣٤- قل أيها الرسول للمشركين: هل من معبوداتكم الأصنام والأوثان وغيرها من يقدر على خلق العالم، ثم يعيده مرة أخرى بالبعث بعد الموت، قل جوابا لا غيره: الله هو المبدئ والمعيد، لا الشركاء، فكيف تصرفون عن الحق إلى الباطل وعن عبادة الله إلى غيره مع قيام الدليل؟

٣٥- قل أيضا: هل من شركائكم المعسوبة والآلهة المزعومة من يرشد إلى الحق والإسلام؟ وإذ لم يجيبوا فقل: الله وحده هو الذي يهدي للحق بما أنزله من الآيات، وإرساله الرسل، وإنزاله الكتب، وخلق الموجودات، أفمن يرشد إلى الحق، وهو الله تعالى أحق أن يقتدي به أم الأحق بالاتباع من لا يهتدي بنفسه إلا أن يهديه غيره؟ فما لكم كيف تحكمون باتخاذ الأصنام ونحوها شركاء لله؟ وأصل ﴿يهدي﴾ يهتدي، فأدغمت التاء في الدال وفتحت الهاء بحركة التاء، أو كسرت لالتقاء الساكنين لاتباع ما بعدها.

٣٦- وما يتبع أكثر المشركين في عبادة الأصنام إلا ظنا مجرد خيال، وهما فاسدا، وهو تقليد الآباء، إن هذا الظن الفاسد لا يفيد شيئا في طلب العلم، ولا يغني عن الحق الأبلج والاعتقاد الصائب، إن الله عليم بأفعالهم، فيجازيهم عليها.

٣٧- وما كان من شأن هذا القرآن وما صح لعاقل أن يكون مكذوبا، وليس من عند الله، ولكن هذا القرآن مصدق لكل ما تقدمه من رسالات الرسل كدعوة إبراهيم وصحفه، والكتب الإلهية كالتوراة والإنجيل والزيور، ومبين ما جاء فيه من الأحكام وغيرها، لا شك فيه أنه من رب العالمين. والمراد بالكتاب: جنسه.

٣٨- بل يقولون: اختلقه محمد، قل أيها النبي: إن كان من فعلي، فأتوا بسورة مماثلة له في البلاغة والفصاحة، فأنتم عرب مثلي، واطلبوا المساعدة على الإتيان بمثله من أي شخص كان أو من ألهتكم شركاء الله، إن كنتم صادقين في ادعائكم أن هذا القرآن مقترى مني.

٣٩- بل إنهم كذبوا بالقرآن قبل أن يفهموا معانيه ويعلموا ما فيه، ولم يطلعوا على تأويله، ولم تتحقق عاقبة ما فيه من الوعيد، كذلك التكذيب بالقرآن، كذب من قبلهم من الأمم رسلهم، فانظر أيها المتأمل كيف كان مصير المكذبين رسلهم، كيف أهلكوا بكفرهم؟

٤٠- ومن أهل مكة المكذبين من يصدق بالقرآن، ومنهم من لا يصدق به في نفسه لفرط غيبائه، أو في المستقبل بموته على الكفر، وربك أعلم بالمعاندن المصيرين على الكفر.

٤١- وإن أصروا على تكذيبك، فقل لهم: لي جزء عملي ولكم جزء عملكم، لا تؤاخذوني بعلمي، ولا تؤاخذكم بعملككم، فلا يؤاخذ أحد بذنوب غيره.

٤٢- ومن هؤلاء المشركين أو الكفار أناس يستمعون إليك أيها النبي إذا قرأت القرآن، وعلمت الشرائع، ولكنهم لا يقبلون كالأصم الذي لا يسمع أصلا، أتستطيع إسماع الصم ولو كانوا لا يعقلون شيئا؟ كلا.

وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَأَنْتَ تَهْدِي أَلَمْ تَهْدِ وَلَوْ كُنَّا لَا يَبْصُرُونَ
 ٤٣ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسُهُمْ
 يَظْلِمُونَ ٤٤ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَحْسَبُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ
 يَنْعَارُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا
 مُهْتَدِينَ ٤٥ وَإِنَّا لَنُرْسِلُكَ بِبَعْضِ الَّذِي تَعْبُدُهُمْ أَوْ نَتَوَقَّعُكَ
 فَاِلْتِمَاسُ مَرْجِعِهِمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ٤٦ وَلِكُلِّ
 أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قَضِيَ بَيْنَهُمُ الْقِسْطُ وَفَهُمْ
 لَا يَظْلَمُونَ ٤٧ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ
 ٤٨ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ
 أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَجِرُونَ مِنِّي وَلَا يَسْتَفِيدُونَ ٤٩
 قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُمْ عِدَائِي أَوْ نَهَارًا مَاذَا اسْتَجِلُّ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ
 ٥٠ أَمْ إِذَا مَا وَقَعَ أَمْنٌ بَيْنَهُمْ أَتَىٰ وَوَقَعَتْ بِهِمْ سَسَجِلُونَ
 ٥١ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ
 إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ٥٢ وَيَسْتَدْعُونَكَ أَحَقُّ
 هُوَ قَوْلِي دَرَيْتُ إِنَّمَا لِحَقِّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ٥٣

٤٣- ومن المشركين من يشاهد فيك دلائل النبوة، ولكن لا يصدقونك، فهل تستطيع أن تهدي العُمى، ولو انضم إلى عدم البصر فقد البصيرة؟ والآية كالتعليل بالتبري والإعراض عنهم، لعدم وجود الاستعداد للفهم والهداية.

٤٤- إن الله لا يعاقب أحداً من غير جُرم، ولكن الناس يظلمون أنفسهم بتعطيل وسائل المعرفة، والتعصب وكرهية الحق.

٤٥- واذكر أيها الرسول يوم يجمع الله الخلاق في موقف واحد يوم القيامة، كأنهم من شدة الهول لم يكتفوا في الدنيا إلا لحظة بمقدار التعارف فيما بينهم، قد خسروا الذين كذبوا بالبعث، وما كانوا مهتدين إلى طريق الرشاد والنجاة من العذاب.

٤٦- وإن نبصرتك أيها النبي بعض ما نعدهم به من العذاب في حياتك بالقتل والأسر، أو نميتك قبل تعذيبهم، فريك عذابهم في الآخرة، وإلينا مصيرهم يوم القيامة، ثم الله مطلع على أفعالهم من الكفر والعداوة والتكذيب، ويجازيهم عليها. والمراد: إخبارهم بأنه لا فائدة لهم من موت النبي ﷺ، ولا يأمنون من كل شر يموت كما يظنون.

٤٧- ولكل أمة من الأمم الماضية رسول يبين لهم

أحكام العقيدة والشريعة، ويشهد عليهم، فإذا حضر رسولهم إلى الموقف ليشهد عليهم، قضي بين الأمة ورسولها بالعدل، وهم لا يظلمون في مجازاتهم على أعمالهم.

٤٨- ويقول المشركون للنبي والمؤمنين: متى هذا الوعد بالعذاب الذي تتوعدنا به إن كنتم صادقين في التوعد؟ يريدون بذلك استبعاد العذاب والاستهزاء به.

٤٩- قل لهم أيها النبي: لا أملك لنفسي تحقيق نفع أو دفع ضرر، فكيف أملك ذلك لغيري؟ ولكن ما شاء الله من ذلك كان، فهو بمشيئته يمكنني من أمر، فكيف أملك لكم إيقاع العذاب؟ لكل أمة وقت محدد للهلاك، فإذا جاء وقت انقضاء آجالهم، فلا يتأخرون عن ذلك الأجل المعين ساعة، ولا يتقدمون عليه ساعة.

٥٠- قل لهم: أخبروني، إن أتاكم عذاب الله الذي تستعجلون به ليلاً أو نهاراً بغتة، فأى فائدة في استعجاله، وما مقتضي للاستعجال، وما نوع العذاب الذي يستعجلونه؟ وهو واقع بهم حتماً، وكله شديد الأكم، لا يلائم الاستعجال.

٥١- هل تستعجلون بالعذاب، ثم إذا وقع أمتم به؟ أفي هذا الوقت تؤمنون حين لا ينفعكم الإيمان، وقد كنتم قبل نزوله تعجلون العذاب تكديباً منكم واستهزاء؟!!

٥٢- ثم يقال للذين ظلموا أنفسهم بالتكذيب: ذوقوا العذاب، لا تجزوا إلا ما كنتم تعملون في الدنيا من المعاصي والكفر.

٥٣- ويطلبون منك حقيقة النبا وهو الخبر أو يستخبرونك: أحق ما تعدنا به من العذاب؟ قل لهم: نعم والله ربي إنه لحق ثابت كائن، ولستم بمعجزتي الله إذا أراد تعذيبكم.



وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا
 التَّمَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَفُتِنَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ
 لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْآيَاتُ
 وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يَجِيءُ
 وَيَمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمْ مَوْعِظَةٌ
 مِنْ رَبِّكَ وَسَمَاءٌ لَمَّا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ
 ﴿٥٧﴾ قُلْ يُفَضِّلُ اللَّهُ وَرَحْمَتَهُ فِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا
 يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ زَيْدٍ فَعَلْتُمْ مِنْهُ
 حَرَامًا وَسَلَّأْتُمْ قُلْ أَلَا إِنَّ اللَّهَ أَدْنَىٰ لَكُمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ
 ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
 إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ
 ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ
 مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا
 يَمُرُّبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا ذُرَّةً فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ
 وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾

٥٤- ولو أن لكل نفس ظالمة بالكفر والضلال، يوم القيامة، جميع ما في الأرض من ثروات وخزائن وأموال، لجعلته فدية من العذاب، ما تُقبل منها، وأخفوا التمامة لما شاهدوه من ألوان العذاب الرهيبة المحيطة بهم من كل جانب، وحكم بين المؤمنين والكافرين بالعدل، وهم لا يُنقصون شيئاً من أعمالهم.

٥٥- وتقريراً لقدوته تعالى على الثواب والعقاب، أبان أن له جميع ما في السموات والأرض ملكاً وخلقاً وعبداً، فلا يملك أحد شيئاً يوم القيامة ليفتدي من العذاب، إلا إن وعد الله بالبعث والجزاء حق كائن لا محالة، ولكن أكثر الناس وهم الكفار لا يعلمون ما فيه صلاحهم وفسادهم حقيقة، وما ينتظرونهم في الآخرة.

٥٦- الله وحده هو الذي يحيي ويميت؛ وإليه تعودون في الآخرة، فيجازيكم على أعمالكم، خيراً أو شراً.

٥٧- يا أيها الناس في مكة وغيرها قد جاءكم موعظة بليغة مؤثرة؛ وهي ما تضمنه القرآن من الوصية بالحق والخير، واجتناب الشر والباطل، بأسلوب ترغيبية وترهيبية، ودواء ناجع لما في

الصدور من العقائد الفاسدة والشكوك، وبيان الحق من الضلال، وإرشاد لما يوصل إلى الجنة، ورحمة من الله تقتضي الإحسان والعطف على المؤمنين، وهي ما في القرآن من أمور ترحم العباد، كالتذكير الدائم بالطاعة، والتحذير من عقاب الآخرة، والترغيب في النعيم الأبدي في الجنة.

٥٨- قل أيها النبي: ليفرح المؤمنون بفضل الله وهو الإسلام وإنزال القرآن، وبرحمته بأن جعلهم من أهل القرآن وأتباع النبي ﷺ، فبذلك الفضل والرحمة يُسرُّوا، وهو خير مما يجمعون من حطام الدنيا.

٥٩- قل يا رسول الله للمشركين: أخبروني عما خلق الله لكم وأوجد من رزق، فجعلتم بعضه حراماً كالبحيرة والسائبة والوصيلة، وبعضه الآخر حلالاً كما ذكر في سورة الأنعام [٦/١٣٨، ١٣٩، ١٤٤] قل: الله أذن لكم بالتحريم والتحليل بوحى من عنده، أم أنكم تكذبون على الله؟

٦٠- وأي شيء ظن الذين يتعمدون الكذب على الله أن يصنع بهم في يوم القيامة، أيحسبون أنه لا يعاقبهم على أعمالهم؟ بل سيجازون بما يفترون، والمراد تهديدهم. والله صاحب الفضل الكبير على الناس حيث أمهلهم في العقاب، ولكن أكثر الناس لا يشكرون هذه النعمة.

٦١- وما تكون يا محمد في شأن من الشؤون كالعبادة أو الدعوة ونحوهما، وما تلو من قرآن أنزله الله عليك، وتخصيصه بالذكر بعد التعميم تفخيم له، ولا تعملون أيها الناس من عمل خير أو شر إلا كنا عليكم رقباء، نراكم ونسمعكم ونحصى عليكم، حين تندفعون وتشرعون فيه من قول أو عمل، وما يغيب عن علم ربك وزن ذرة كنملة أو هباء، مهما كانت صغيرة، سواء كانت في الأرض أو السماء، حتى ولو كانت أصغر من تلك الذرة أو أكبر منها، إلا وقد دوّن في اللوح المحفوظ، فهو الكتاب البين.

٦٢- ألا إن أصفياء الله والمقربين إليه وهم
خلصاء المؤمنين الذين يلتزمون طاعة الله ويجتنبون
معصيته، فوالله بالعمارة والكرامة والتوفيق،
لا خوف عليهم من عذاب الآخرة، ولا يحزنون
على ما فاتهم من الدنيا.

٦٣- وهم المؤمنون حقاً بالله واليوم الآخر،
ويتقون الله بامثال أوامره واجتنب نواهيه.

٦٤- ولهؤلاء الأولياء البشري من الله في الدنيا
بالسعادة والنصر والتمكن في الأرض ما داموا على
شرع الله ودينه، وكذلك الرؤيا الصالحة التي
يرونها، وفي الآخرة الجنة والثواب وتلقي الملائكة
لهم مبشرين بالفوز بالنعيم والتكريم، لا تغيير
لأقوال الله ووعوده، فإنها تتحقق لا محالة، ذلك
هو الفوز العظيم بالجنة والرضوان.

٦٥- ولا يحزنك أيها الرسول إشراك المشركين
وتكذيبهم وطعنهم في الدين وبك، كقولهم:
ساحر أو مجنون أو كاهن كاذب؛ لأن الغلبة
والقوة والقهر لله جميعاً، فهو ناصرك عليهم،
وخاذلهم، وهو سبحانه السميع لأقوالهم، العليم
بنواياهم وأفعالهم ومؤامراتهم.

٦٦- ألا إن الله وحده جميع من في السموات
والأرض من الملائكة والجن والإنس، ملكاً وخلقاً وعبداً، فكيف يعبد المشركون المملوك ويتركون المالك؟
وما يتبع الذين يعبدون من غير الله أصناماً وغيرها شركاء له على الحقيقة، فهم ليسوا بالشركاء فعلاً، والله
مالكهم، ما يتبعون يقيناً، وإنما ظناً فاسداً أنهم شركاء لله، وما هم إلا يكذبون فيما ينسبون إلى الله تعالى،
ويخمنون باطلاً.

٦٧- الله هو الذي جعل لكم الليل محل سكن واطمئنان ليستريح الناس فيه من عناء التعب والكد، والنهار
مضيئاً، تظهر فيه الأشياء والمصالح بوضوح، إن في ذلك لآيات دالة على قدرة الله ووحدانيته، لقوم يسمعون
سماع تدبر واتعاظ، وتفهم وقبول.

٦٨- قال المشركون الذين زعموا أن الملائكة بنات الله، واليهود والنصارى: تبنى الله ولداً، تنزهه وتقدس
عن التبني وعمما يقولون، هو الغني عن ذلك كله؛ لأن الولد للحاجة، والغني المطلق لا حاجة له حتى يتخذ
ولداً، وله كل ما في السموات والأرض، فلا يصح أن يكون له ولد، لأنه لا يجتمع الملك والبنوة والأبوة،
ولأن الكل محتاج إليه، ليس عندكم من حجة أو دليل على ادعائكم، أتقولون على الله قولاً لا حقيقة له،
ولا يصح عقلاً وواقعاً نسبته إليه؟

٦٩- قل أيها النبي: إن الذين يختلفون على الله الكذب بنسبة الولد والشريك إليه، لا يفوزون بالجنة، ولا
ينجون من النار.

٧٠- لهم تمت قليل في الدنيا فقط مدة حياتهم، ثم يرجعون إلى الله بالموت، ثم نذيقهم العذاب الشديد
المؤبد بسبب كفرهم وكذبهم على الله تعالى.

أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَخَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ
اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ
إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَا إِنَّ اللَّهَ
مِنَ فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمُ الَّذِينَ
يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءُ إِنْ يَسْمَعُونَ إِلَّا الظَّنَّ
وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخُصُّونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ
لِتَسْكُنُوا فِيهَا وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَ هُوَ
أَعْلَىٰ كُلِّ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ
مِن سُلْطٰنٍ بِهَذَا أُنۢبِئُوهُ عَلَىٰ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾
قُلْ إِنْ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَىٰ اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يَفْعَلُونَ
﴿٦٩﴾ مَن فِي الدُّنْيَا نَمَّا لِنَا مَرَجُّهُمُ ثُمَّ نَذِيقُهُمُ
الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾

٧١. وَاْتَلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ اِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يٰقَوْمِ اِنِّ كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ قَدَمِي وَتَذَكِرِي بِآيَاتِ اللّٰهِ فَعَسَىٰ اَللّٰهُ تَوَكَّلْتُ فَاَجْعَلُوْا اٰمِرًا وَّسَرَّكَاهُ ثُمَّ لَا يَكُنْ اَمْرًا عَلَيْكُمْ عَمَلًا نُّدَّ اَتَّصَوُّوا اِلَيْكَ وَلَا تَنْظُرُوْنَ ﴿٧١﴾ اِن تَوَلَّيْتُمْ فَاَسْأَلُكُمْ مِنْ اَجْرٍ اِنْ اَجْرِي اِلَّا عَلَى اللّٰهِ وَاُخْرَتُ اَنْ اَكُوْنَ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوْهُ فَجَعَلْنَاهُ مِنْ مَّعْبُوْٓءٍ فِى الْعَالَمِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلِيْفَةً وَاَعْرَفْنَا الَّذِيْنَ كَذَّبُوْا بِآيَاتِنَا فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَكَبِّرِيْنَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَشَّرْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا اِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا فَمَا كَانُوْا يُؤْمِنُوْنَ اِنَّمَا كَذَّبُوْا مِنْ قَبْلُ كَذٰلِكَ نَطْعُ عَلَى قُلُوْبِ الْمُتَكَبِّرِيْنَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَشَّرْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسٰى وَهٰرُونَ اِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاَسْتَكْبَرُوْا وَكَانُوْا قَوْمًا مُّجْرِمِيْنَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ اَلْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوْا اِنَّ هٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِيْنٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسٰى اَنْتُمْ لَوْنٌ لِّقَوْمٍ اٰتٰجَاهُ كُمْ اَسِحْرٌ هٰذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّحْرُوْنَ ﴿٧٧﴾ قَالُوْا اَلْحَقُّ اِنَّا كُنَّا لَمُنٰٓئِمًا وَجَدْنَا عَلَيْهِ اٰبَاءَنَا وَكُنُوْنَ لَكُمْ اَلْكُفْرٰنَ فِى الْاَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِيْنَ ﴿٧٨﴾

٧١. وَاْتَلْ يا محمد على المشركين في مكة خبر نوح حين قال لقومه: يا قوم ان كان عظيم وشق عليكم وجودي فيكم ألف عام إلا خمسين، وقيامي بوعظكم بآيات الله التكوينية والتزييلية، وعزمتي على إيدائي، فقد فوّضت أمري إلى الله وثقت به، فاعزموا عزمًا مؤكدًا متفقين مع شركائكم الذين تعبدونهم من دون الله على أمر تفعلونه بي، ثم لا يكن أمركم مستورًا خفيًا فيه حيرة وتردد، بل ظاهرًا منكشفًا، ثم نقدوا ذلك الأمر الشرابي، ولا تمهلوني ولا تؤخروني، فإنني لست مباليا بكم؛ لأن الله يحميني ويحفظني. وهذا الكلام من نوح لثقتي بنصر ربه.

٧٢. فإن أعرضتم عن دعوتي وتذكيري، فما طلبت منكم أجزاً على تبليغ الرسالة، يوجب نقله عليكم وإعراضكم، ما ثوابي وأجري إلا على الله، سواء أتمتم أو توليتم، وأمرت أن أكون من المنقادين لحكم الله، لا أخالف أمره، ولا أرجو غيره.

٧٣. فأصروا على تكذيبه بعد أن ألزمهم الحجة، فاستحقوا العذاب، فنجيناه من الغرق، ومن آمن وركب معه في السفينة التي صنعها بأمر الله، وعددهم ثمانون، وجعلنا هؤلاء الناجين من الغرق خلفاء في عمارة الأرض وسكنائها بعد المهلكين بالطوفان،

وأعرقنا الكفار المعاندين لنوح المكذبين بآياتنا بالطوفان، فانظر أيها النبي كيف كان مصير المنكرين من نوح المكذبين له، من إهلاكهم، فكذلك تفعل بمن كذب. وهذا تطمين وتسرية عن نفس الرسول ﷺ وتهديد للمشركين.

٧٤. ثم أرسلنا من بعد نوح رسلاً كهود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب إلى أقوامهم، فجازوهم بالمعجزات الدالة على صدقهم في دعواهم، وبالشرائع، فلم يصدقوا بالرسالة، واستمروا على الكفر، ولم يوفقوا للإيمان بسبب تصميمهم السابق على تكذيب الرسل، وكما ختمنا على قلوب أولئك، نختم على قلوب المتجاوزين الحد في الكفر والتكذيب.

٧٥. ثم أرسلنا من بعد الرسل المذكورين موسى وهارون إلى فرعون وقومه، بأدلتنا الدالة على صدقهما أو بالمعجزات وهي الآيات التسع المذكورة في القرآن الكريم، فاستكبروا عن الإيمان بها ولم يقبلوها، وكانوا قوماً آثمين مجرمين يرفضهم دعوة موسى وهارون.

٧٦. فلما جاء فرعون ووجهاء قومه الحق الذي جاء به موسى من عند الله، قالوا: هذا سحر واضح، مكابرة منهم.

٧٧. قال موسى لهم: أنقولون للحق الذي أتاكم: هذا سحر؟ والسحر باطل، ولا يظفر السحرة بخير، ولا ينجون من مكروه.

٧٨. قال فرعون وقومه: أتريد أن تصرفنا عما وجدنا عليه آباءنا وهو عبادة الأصنام، وتفرد مع أخيك بالرياسة بعد طرد رؤسائنا، ويكون الملك والسلطان في أرض مصر لكما، وما نحن بمصدقين برسالتكما، فهم رفضوا الرسالة لأمرين: التمسك بتقليد الآباء، والحرص على الرياسة.

٧٩- وقال فرعون لحاشيته لما رأى آيات موسى من اليد البيضاء والعصا التي تتحول ثعباناً: أحضروا لي كل ساحر حاذق في السحر، لاعتقاده أن ما جاء به موسى من السحر.

٨٠- فلما حضر السحرة قال لهم موسى في ساحة المبارزة: ألقوا ما أنتم ملقون من وسائل السحر وأدواته.

٨١- فلما ألقوا حبالهم وعصيهم، قال لهم موسى: الذي جئتم به هو السحر بذاته، لا ما سماه فرعون سحراً وهو المعجزات، إن الله سيظهر بطلانه، وينصرنني، إن الله لا يثبت ولا يقوي عمل المفسدين، وإنما ييده. وهذا دليل على أن السحر إفساد وتغويه وتخيل.

٨٢- ويظهر الله الحق على الباطل ويثبتته، ويمكن له بأوامره الكونية وقضايه وكلماته في كتبه المنزلة على أنبيائه المشتملة على البراهين، ولو كره المجرمون ذلك.

٨٣- فما آمن برسالة موسى إلا عدد قليل من قومه أولاد بني إسرائيل، مع خوف من فرعون وأشراف قومه، لثلا يتلهم بالتعذيب ليصرفهم عن دينهم، وإن فرعون لمستعل متكبر جبار متسلط

على أرض مصر وأهلها، وإنه لمن المكثرين من الشر والفساد والمتجاوزين الحد في الكفر والضلال وادعاء الربوبية.

٨٤- وقال موسى: يا قوم إن أمنتكم بالله حقاً، فشقوا به واعتمدوا عليه إن كنتم متقادين له، مخلصين له، مدعين لأمره.

٨٥- فقالوا: اعتمدنا على الله وفوضنا أمرنا إليه، ربنا لا نجعلنا موضع فتنة، ولا تسلط علينا القوم الظالمين، فيعذبونا ليردونا عن ديننا.

٨٦- وخلصنا برحمتك من كيد القوم الكافرين: فرعون وقومه.

٨٧- وأوحينا لموسى وأخيه أن اتخذا لقومكما بني إسرائيل بمصر بيوتاً للعبادة، واجعلوا أيها المؤمنون بيوتكم مساجد تصلون فيها سرراً لتأمنا من الخوف، وأقيموا الصلاة وأتموها فيها، حتى لا يؤذيك الكفرة الأعداء، وبشر المؤمنين الصادقين بالنصر في الدنيا، والجنة في الآخرة.

٨٨- وقال موسى: ربنا أعطيت فرعون وجماعته ما يتزين به من ملبوس ومركوب وحلية وأثاث وسلاح وصحة وغير ذلك، وأموالاً كثيرة في الدنيا، ربنا أعطيتهم ذلك لتصير عاقبة أمرهم أن يضلوا عن دينك، ويصرفوا الناس عن الحق، ربنا أهلك أموالهم وأمحقها، واجعل قلوبهم قاسية مطبوعة مختومة لا تقبل الحق، ولا يدخلها الإيمان، حتى يزدادوا طغياناً فيزداد عذابهم، ولا يؤمنوا إلا بعد معاينة العذاب الشديد الألم، فلا ينفعهم الإيمان حيثئذ. قال موسى هذا القول لما يئس من إيمانهم الاختياري. كما طلب نوح عليه السلام ذلك.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُوقُونَ كُلَّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِمُوسَى الْقَوْمَ مَا أَنْتُمْ مَلْقُونُ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ

مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَلَى الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحْيِي اللَّهُ الْخَيْلَ بِكَلِمَةٍ وَلَوْ كَرِهَ الْخَافِرُونَ ﴿٨٢﴾

﴿٨٣﴾ فَأَمَّا مَنْ لَمْ يَرْغَبْ إِلَّا زِينَةً مِنَ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَنْبِتَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ

لَمِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٨٤﴾ وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمِ إِن كُنتُمْ تَمْتَرُونَ بِأَلَلِهِ فَمَا لَهُمْ قَوْمًا أَنْ كُنتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿٨٥﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ وَنَجِّنَا

بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءُوا الْقَوْمَ كَمَا يُبْصِرُونَ وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَصْرُوا بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٨٩﴾

قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمْ فَاَسْتَمِعُوا لَنَا نَبَأَ سَبِيلِ
 الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ وَجَوْرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالنَّحْرِ
 فَاتَّبِعْهُمْ فَرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ بَيْتًا وَعَدُوًّا حَتَّىٰ إِذَا أَذْرَكَ الْفَرْقُ
 قَالَ ءَأَمِنْتُ اللَّهُ لَإِلَهِ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ
 وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَأَلْفَنُ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ
 الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً
 وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي
 إِسْرَائِيلَ مَسَاجِدَ وَبَدَّ قُهُمْ ثَمَانًا أَهْوَىٰ فَفَخَلَفَ مِنْ
 حَآءِ هُمْ الْعِلْمَ أَنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَا كَانُوا
 فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ
 فَسْئَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ
 جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُ مِنَ الْمَشْكُوبِ ﴿٩٤﴾
 وَلَا تَكُ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَكَفَرُوا مِنْ
 أَنْبِيَائِهِ ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ
 وَلَوْ جَاءَهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٦﴾

٨٩- قال الله لموسى وهارون: قد أجيبت دعوتكما، فاثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة والزام الحجة، والتمسك بالدين وأحكامه، إلى وقت مجيء العذاب، ولا تتبعان طريق الجهلة في الاستعجال وعدم الثقة بوعد الله تعالى.

٩٠- وجعلنا بني إسرائيل يتجاوزون البحر بقدرتنا، حتى وصلوا إلى البر سالمين، فلحقهم فرعون ظملاً واعتداء، حتى إذا وصله الفرق، قال: أمنت أنه لا إله إلا الذي أمنت به بنو إسرائيل، وأنا من المستسلمين لله بالعبودية والتوحيد والطاعة. ولكن لم ينفعه هذا الإيمان عند اليأس.

٩١- فرد الله تعالى عليه: الآن تؤمن؟ أي أتؤمن الآن حين مشاهدة الموت، ومن غير اختيار؟ وقد عصيت الله قبل ذلك مدة عمرك، فلم تقر له بالعبودية والطاعة، وكنت من الضالين المضلين عن الإيمان.

٩٢- فالיום نخرجك بجسدك من البحر ليرك بنو إسرائيل وغيرهم، فقفذه البحر ميتاً، حتى شاهده، وتكون لمن يأتي بعدك عبرة يتعظ بها الناس، حتى يحذروا من التكبر وادعاء الربوبية، والتمرد على الله سبحانه، ويعرفوا عبوديتك، وإن كثيراً من الناس عن آياتنا ذات العظة والعبرة لغافلون لا يتأملون ولا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها.

٩٣- ولقد أنزلنا وأسكننا بني إسرائيل بعد هلاك فرعون وجنوده منزل كرامة ومكاناً صالحاً مرضياً في أرض مصر والشام، ورزقناهم من طبيبات الرزق وحلاله، فما اختلفوا في أمر دينهم، بأن آمن بعضهم وكفر بعض، إلا من بعد قراءة التوراة ومعرفة أحكامها، إن ربك يحكم بينهم بحكمه العادل يوم القيامة، فيما اختلفوا فيه، فيميز المحق بالنجاة، من المبطل بالهلاك.

٩٤- فلإن كنت أيها النبي- والمراد به قومه- في شك من حقيقة ما أخبرناك به من القصص- وهذا على سبيل الافتراض- فاسأل الذين يقرؤون الكتاب الإلهي كالتوراة والإنجيل، الذين أسلموا وأمنوا بالقرآن، كعبد الله بن سلام، فإنهم سيخبرونك بأن القرآن كتاب الله حقاً وأنتك رسوله، لقد جاءك الحق الساطع واضحاً لا مرية فيه، من ربك الذي أنزل عليك الوحي، والآيات القاطعة، فلا تكونن من الشاكين المترددين فيه، في صحة ما أنزلنا إليك. قال قتادة: ذكر لنا أنه ﷺ قال: «لا أشك ولا أسأل».

٩٥- ولا تكونن من المكذبين بآيات الله التكوينية والتنزيلية، فتصير من الخاسرين الدنيا والآخرة. وهذا من باب التهيب والتثيب، وتنبه الأمة مبتدأة بقائدها وأسوتها.

٩٦- إن الذين وجبت وثبت عليهم كلمة ربك باستحقاق العذاب، أي قضى عليهم بالعقاب، لإصرارهم على الكفر وموتهم عليه، لا يقع منهم مطلقاً الإيمان بالله إلهاً واحداً.

٩٧- لا يؤمنون، ولو جاءتهم كل معجزة ودليل قاطع على وحدانية الله، من أدلة الخلق والإبداع والتنزيل، حتى يعاينوا العذاب، كما فعل فرعون، وحيث لا يفهمهم الإيمان.

٩٨- فهلا آمنت قسرية من هذه القسرى التي أهلكناها، وصدق أهلها قبل معاينة مقدمات العذاب، ولم يؤخروا الإيمان كما أخر فرعون، فضعهم الإيمان بأن تقبله الله منهم وكشف العذاب عنهم، لكن قوم يونس الوحيدون الذي نضعهم الإيمان، لما آمنوا بحق وإخلاص، في حال الاختيار، عند رؤية أمارة العذاب، ولم يؤخروه إلى وقت حلوله، كشفنا عنهم عذاب الذل والهوان الذي كان يونس قد وعدهم به، ومتعناهم بخيرات الدنيا ومنافعها إلى وقت انقضاء أجالهم الطبيعية. وهذا تنبيه وتحذير لأهل مكة وأمثالهم ليختاروا الإيمان، ويقلعوا عن الكفر.

٩٩- ولو شاء ربك أيها الرسول، لخلق الإيمان، وصدق برسالتك الناس كلهم مجتمعين في وقت واحد، ولكنه سبحانه لم يفعل، ليكون الإيمان عن اختيار، وبمشيئة الله تعالى، فلا بد لكل إيمان وعمل من مشيئة الله، أفانت تجبر الناس على الإيمان بما لم يشأه الله منهم، حتى يكونوا مؤمنين مصدقين برسالتك، فليس ذلك بمقدورك، وما عليك إلا البلاغ.

١٠٠- وما صح وما تم لنفس أن تؤمن إلا بإرادة الله وتوفيقه، فلا يقع شيء في الوجود بغير مشيئة الله،

ولا يتجهد نفسك في هداها، فإنه إلى الله تعالى، ويجعل الله العذاب على الذين لا يتفكرون في آيات الله.

١٠١- قل أيها الرسول للكفار: تفكروا بما في السموات والأرض من عجائب المصنوعات الدالة على وجوده ووحديته وقدرته، ولا تنفع الآيات والبراهين، والرسل المنذرة، في دفع العذاب عن قوم أصروا على الكفر، ولا يتوقع إيمانهم، في علم الله تعالى.

١٠٢- فهل ينتظر هؤلاء المشركون والكفار المعاصرون للنبي ﷺ إلا مثل ما وقع من ألوان العذاب للأمة الكافرة السابقة التي كذبت رسلها، وصمموا على الكفر، فانظروا وعد ربكم، إني معكم من المنتظرين وعد ربي وقضاءه النافذ.

١٠٣- ثم نجينا رسلنا المؤمنين معهم من العذاب، وأهلكنا الأمم الظالمة، وكما أنجينا رسلنا والذين آمنوا بهم، كذلك ننجي حقاً علينا المؤمنين بالنبي محمد ﷺ من عذابنا للكفار.

١٠٤- قل أيها الرسول: يا أيها الناس، إن كنتم في شك من صحة ديني وهو عبادة الله وحده لا شريك له، فاعلموا أنني بريء من أديانكم، فلا أعبد ما تعبدون من الأصنام، ولكن أعبد الذي بيده مآلاتكم وحياتكم، وأمرت أن أكون من المصدقين بكل ما جاء من عند الله.

١٠٥- وأمرت أن أستقيم في الدين وأثبت عليه وأخصه بالعبادة والدعاء، ماثلاً عن الأديان الأخرى إلى دين الإسلام، والأأكون من المشركين بالله إليها آخر، فأهلك.

١٠٦- ونهيت أن أعبد غير الله ما لا ينفع شيئاً إن عبدته، ولا يضر بشيء إن تركته، فإن خالفت ذلك على سبيل الفرض، فإني من الظالمين أنفسهم؛ لأن الشرك أعظم الظلم.

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَفَعَّمَا إِلِمَهَا الْأَقْوَمُ يُؤَسِّسَ لَهَا
ءَامِنُوا كَسَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَسَعْتُهُمْ إِلَى جَهَنَّمَ ۗ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ
كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْفِرُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۗ
وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّحْسَ
عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ قُلْ أَنْظِرُوا مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَمَا تَعْبَىٰ الْأَيْدِ وَأَنْتُمْ دُرُّعٌ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ۗ فَهَلْ
يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ آبَاءِ الَّذِينَ حَلَلُوا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانظُرُوا
إِنِّي مَكْرُومٌ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ۗ ثُمَّ سُخِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا
كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نَجِ الْمُؤْمِنِينَ ۗ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ
إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ
اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۗ وَأَنْ أَمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا يَكُونَنَّ
مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۗ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ
وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ ۗ

وَأَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ بَصُرًا فَلَا كَاشِفَ لَهُ - وَالْأَوَّلُ وَإِنْ يَزِيدُكَ خَيْرًا فَلَا رَادَّ
لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِعَمْرِ بَشَأً مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ
يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَنْبَغِي لِنَفْسِهِ
وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَاتَّبِعْ
مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْرِحْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٠٩﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الرَّكِبِ أَحْكَمَتْ أَيْدِيَهُمْ فُضِّلْتُكَ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴿١٠٧﴾ أَلَا
تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مَنذِيرٌ وَمَنْذِيرٌ ﴿١٠٨﴾ وَأَنْ تَسْتَغْفِرُوا
رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوْبُوا إِلَيْهِ يَتَّبِعْكُمْ مَغْفِرًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجْلِ اسْمِي وَبُرْتُ كُلَّ
ذِي فَضْلٍ فَضْلُهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ
﴿١٠٩﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١١٠﴾ أَلَا إِنَّهُمْ يَأْتُونَ
صُدُورَهُمْ لَيَسْتَفْهِمُونَ مِنْهُ الْآيَاتِ لَيَسْتَفْهِمُونَ نَبَأَهُمْ بِعِلْمٍ
مَا يُبَيِّرُونَ وَمَا يُجَلِّسُونَ إِنَّهُ عَلَيْهِمْ بَدَأَتِ الصُّدُورِ ﴿١١١﴾

١٠٧- وإن يصيبك الله بضر، أي سوء، من مرض أو فقر، فلا رافع له إلا الله الذي أنزله، وإن يردك بخير، أي نعمة وسعادة، فلا دافع لفضله، يصيب بخيره من يريد من عباده، وهو كثير المغفرة وواسع الرحمة بعباده التائبين، فتمرضوا لها بالطاعة، واحذروا المعصية.

١٠٨- قل أيها الرسول: يا أيها الناس من أهل مكة وغيرهم قد جاءكم القرآن والرسول من ربكم، ولم يبق لكم عذر، فمن اهتدى إلى نفسه، ومن ضل وانحرف بالكفر بالقرآن والرسول، فإنما وبال ضلاله على نفسه، ولا قدرة لي على جعلكم مؤمنين، ومنعكم من الكفر، وإنما أنا بشير ونذير.

١٠٩- واتبع أيها النبي ما يوحى إليك من ربك بالامثال والتبليغ، واصبر على دعوتهم وأذاهم، حتى يحكم الله فيهم في الدنيا بالنصر أو القتال، وفي الآخرة بالعذاب، وهو أعدل الحاكمين، فلا يخطئ في حكمه.

سورة هود

فضلها: أخرج الترمذي والحاكم عن ابن عباس قال: قال أبو بكر: يا رسول الله، قد شئت، قال: شيبتني هود، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون ﴿النبأ ٧٨ / ١﴾، و﴿إذا الشمس كورت﴾ [التكوير ٨١ / ١] وهو حديث حسن كما قال الترمذي،

صحيح عند الحاكم. وسئل النبي ﷺ عما شئيه من سورة هود، فقال: قوله تعالى: ﴿فاستقم كما أمرت﴾ [١١٢].

١- الر: للتبنيع والتحدي وإثبات إعجاز القرآن، وكونه من عند الله، القرآن كتاب صارت آياته محكمة متفنة لا نقص فيها ولا نقض لها، كالبناء المحكم، ففي اللفظ بفواصل الآيات، وفي المعنى ببيان القصص والمواظ والأحكام، وفي الزمن بنزولها على فترات بحسب الحاجة والمصلحة. والتفصيل من عند حكيم الصنع والتدبير في أقواله وأفعاله وأحكامه، ومن عند العليم بأحوال الناس ومصالحهم.

٢- ومضمون تفصيل الآيات وإحكامها الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادة غيره، إنني مرسل إليكم من الله، منذر بالعذاب والنار لمن كفر، مبشر بالثواب والجنة لمن أطاع.

٣- وأمركم أن تطلبوا المغفرة من الله لذنوبكم وكفركم، وأن تتوبوا إلى الله وترجعوا إليه بالطاعة، فإن فعلتم ذلك، يمتنعكم في الدنيا بطيب عيش وسعة رزق، إلى وقت مقدر عند الله وهو الموت ونهاية العمر، ويعطي كل محسن ذي عمل صالح جزاء فضله وثوابه في الدنيا والآخرة، وإن تعرضوا عن الهداية، فإنني أخاف عليكم عذاب يوم القيامة، العذاب الشديد.

٤- إلى الله رجوعكم في يوم البعث، وهو القادر على كل شيء، ومنه الثواب والعذاب.

٥- ألا إن بعض الكفار والمنافقين يطوون صدورهم على ما فيها من حقد وحسد وعداوة النبي ﷺ، ليتواروا عن الرسول، ألا إنهم حين يجعلون ثيابهم غطاءً لوجوههم كراهة النظر إليه ﷺ، يعلم الله سرهم وعلانيتهم، إنه سبحانه عليم بالأسرار والضمائر التي توجد في الصدور. نزلت في الكفار، كانوا إذا لقيهم رسول الله ﷺ ثنوا صدورهم (طووها وستروها) وردوا إليه ظهورهم، وغشوا وجوههم بشياهم تباعداً منه وكراهة للقائه. وهم يظنون أن ذلك يخفى عليه وعلى الله عز وجل.



٦- كل ما يدب على الأرض زحفاً أو مشياً، إنساناً أو حيواناً، تكفل الله برزقه تفضلاً ورحمة وإحساناً، ويعلم الله ماواه ومدفنه، أي أماكن الحياة والممات، كل ذلك مثبت ومدون في اللوح المحفوظ.

٧- الله الذي أبداع وأوجد السموات والأرض في مدة ستة أيام، وكان عرشه قبل خلقهما على الماء، والعرش مخلوق عظيم يليق به تعالى، لا نعرف حقيقته، نؤمن به كما ورد من غير تشبيه، ليختبركم أيكم أحسن وأطوع عملاً فيما أمر الله به ونهى عنه، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، ولئن قلت يا محمد: إنكم أيها البشر مبعوثون بعد الموت للحساب والجزاء، قال الكفار: هذا سحر ظاهر باطل، أي كالسحر في الخديعة أو البطلان.

٨- ولئن أخرنا عن المشركين العذاب إلى أجل معلوم (جماعة من الأزمان أو مدة من الزمان) والمعدودة: إشارة للقلّة، ليقولن لك المكذوبون المنافقون استهزاء وإنكاراً: أي شيء يمنع من

التزول؟ فرد الله تعالى بقوله: الا حين يأتيهم العذاب ليس مدفوعاً عنهم، ونزل أو أحاط بهم العذاب الذي كانوا يستعجلون به استهزاء.

٩- ولئن أذقنا الإنسان المؤمن والكافر منة من صحة وأمن أو سعة رزق، ثم سليناها منه، إنه لشديد اليأس من الرحمة، عظيم الكفر بربه ونعمه.

١٠- ولئن أذقناه منة من صحة وسلامة وغنى، بعد ضرر من مرض أو خوف أو فقر أصابه، قال: ذهب الشر عني ولن يعود، وثم ترك شكر النعمة، إنه شديد الفرح بطراً بالنعمة واختاراً بها، شديد الفخر والتكبر على الناس بسبب النعم.

١١- إلا الذين صبروا عند الشدة رضاً بقضاء الله، وعملوا صالح الأعمال في الشدة والرخاء، أولئك المتصفون بالصبر، العاملون بالعمل الصالح، لهم مغفرة لذنوبهم، وثواب عظيم على أعمالهم الحسنة.

١٢- لا تترك أيها الرسول تبليغ بعض ما أنزل الله عليك مما يشير غضب المشركين، وضائق بتبليغه صدرك، مخافة ردهم أو تكذيبهم، واستهزائهم، ومخافة أن يقولوا: هلا أنزل عليه كثر، أو صحبه ملك يصدقه ويؤيد نبوته، ليس عليك إلا الإنذار بالوحي به، لا الإتيان بما اقترحوه، والله رقيب حافظ لكل أمر، فتوكل عليه وثق به، ويجازي جميع الناس على أعمالهم.

وَمِمَّن دَابَّتْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا
وَسُتُودَهَا كُلُّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ
يَبْلُغُونَكَ أَيْحَسُّوا أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ
مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِسْحَارٌ
مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِن أَخْرَأْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى آتَمَّةٍ مُّعَدَّةٍ
لَيَقُولَنَّ مَا يَجِئُهُمْ أَلا يَوْمٌ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ صُرُوفًا عَنْهُمْ
وَخَافَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨﴾ وَلَئِن أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ
مِنَ آيَاتِنَا ثُمَّ نَنزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيُؤَسُّو كَقَوْلِهِ ﴿٩﴾ وَلَئِن
أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضِرَاءٍ مَسْتَهْتِه لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ
السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾
فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ
أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْجَاءٌ مَعَهُ
مَلَكٌ إِنَّا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾

أَمْ يَقُولُونَ أَفَنُفِرُّهُ قُلْ فَأَنزِلْ بَعْشَرَ سَورَةٍ مِثْلِهِ مَنفِرَتٍ
وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾
فَلِمَ تَسْجُبُوا لِلْكَافِرَاتِ مَا أَنْزَلَ بِعَدْلِ اللَّهِ وَأَنْ
لِلَّاهِ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْخَيْرَ الدُّنْيَا
وَزِينَتَهَا يُوفِّ إِلَيْهَا أَعْمَالَهَا فِيهَا وَهَرَفِهَا لَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾
أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ
مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَطِلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ كَانَ
عَلَى بَنِيَّةٍ مِّنْ رَبِّهِ وَيَسْلُوهُ شَاهِدُ مَنَّهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كُتِبَ
مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ
مِنَ الْأَحْزَابِ فَأَلْئِنْ مَوْعِدُهُ فَكَانَكَ فِي مَرْيُومَةَ
إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ لَيْكَ يُعْرَضُونَ
عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ
أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ
اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾

١٣- بل يقول المشركون: اختلق محمد القرآن؟
قل لهم أيها النبي: فأتوا بعشر سور من مثل هذا
القرآن في البلاغة والحسن، مختلقات، فأنتم
فصحاء العرب وعباقرة البيان، وادعوا من قدرتم على
الاستعانة به من البشر من غير الله، ممن تتخذونه
شريكاً لله، إن صدقتكم في ادعائكم أنه من افتراضي
وإدعائي له.

١٤- فإن لم يجيبوا إلى ما دعوتهم إليه من المساعدة
والإتيان بمثله، فاعلموا علم اليقين أيها الناس قاطبة
من المشركين والمؤمنين أن القرآن أنزله الله على
رسوله، مصحوباً بعلم الله وإذنه، فلا يعلمه إلا الله،
ولا يقدر عليه سواه، لإعجازه، وليس افتراء عليه،
واعلموا أيضاً أن لا إله موجود ومعبود بحق إلا الله
تعالى، فهل أنتم بعد هذه الحجة القاطعة على أن
القرآن من عند الله مؤمنون بالله وبالقرآن إن كنتم غير
مسلمين؟!

١٥- من اقتصر على محبة الدنيا وزينتها من متاع
وأثاث ولباس وطيبات، نعطيهم ما يريدونه من الدنيا
وأفياً، وهم في الدنيا لا ينقصون شيئاً من أجورهم
وثمرات أعمالهم. قال مجاهد: هي في الكفرة

وأهل الرياء من المؤمنين. والظاهر أن المراد بها الكفرة، لقوله تعالى بعدها: ﴿ أولئك الذين... ﴾.

١٦- أولئك الذين قصرُوا عملهم على الدنيا ولم يعملوا شيئاً للآخرة، ليس لهم في الدار الآخرة إلا النار، وبطل
ثواب ما صنعوا في الدنيا من خير، وذهب نفعه، وتبدد أثر ما عملوه؛ لأنهم لم يعملوا لوجه الله تعالى.

١٧- أفمن كان في أعماله على هدى وبصيرة وبرهان من الله في اتباع النبي ﷺ والإيمان بالله، كمن يريد الحياة
الدنيا وزينتها؟ ويتبعه ويقوي بيته شاهد له يصدق، وهو القرآن، من الله، ومن قبل القرآن كتاب موسى وهو
التوراة شاهد آخر بشر محمد ﷺ وبأنه رسول الله، وهذا الكتاب المذكور كتاب مؤتم به، متبع في الدين، ونعمة
عظيمة على من أنزله الله عليه وعلى قومه، أولئك المؤيدون بالشاهدين المذكورين يصدقون بالقرآن وبالنبي ﷺ،
ومن يكفر بالقرآن من أهل مكة وغيرهم وأتباع الأديان كلها المتحيزين على مقاومة الإسلام، فالنار مصيره لا محالة،
فلا تك في شك من هذا القرآن، إنه الحق الثابت المنزل من ربك، ولكن أكثر الناس لا يصدقون به، مع توافر الأدلة
القاطعة على تنزيله.

١٨- لا أحد أشد ظلماً ممن اختلق على الله كذباً بنسبة الشريك والولد إليه، من الأصنام والملائكة والبشر، أولئك
المفترون يعرضون على ربهم في الآخرة للحساب على أعمالهم، ويقول الأشهاد وهم الملائكة والأنبياء والعلماء:
هؤلاء المعروضون على الحساب: الذين كذبوا على ربهم في الدنيا، ألا إن لعنة الله على الظالمين أنفسهم بالافتراء.

١٩- وهؤلاء الظالمون هم الذين يمتنعون من دين الله والإيمان به، ويريدون الاعوجاج (الانحراف) لدعوة
الإسلام عن جادة الاستقامة، ويصفونها بذلك تنفيراً عنها، وهم متكرون مكذبون للبعث والحساب في الآخرة.

٢٠- أولئك الكافرون بالآخرة الصادون عن دين الله، ليسوا معجزين الله في الأرض عن عقابهم حتى يفلتوا منه، في الدنيا والآخرة، وليس لهم من غير الله أنصار يمنعون عنهم العذاب، وعذابهم مضاعف يوم القيامة لافتراهم وصددهم عن سبيل الله ووصف الإسلام بالاغوجاج، وأفرطوا في إعراضهم عن الحق، حتى صاروا كأنهم لا يستطيعون السمع والإبصار.

٢١- أولئك الكافرون المذكورون خسروا أنفسهم وضيعوها بالكفر والضلال بدلاً عن الهدى والإيمان، وغاب عنهم ما كانوا يفترون من ادعاء الشركاء الآلهة، وأنها تشفع لهم في الآخرة.

٢٢- حقاً ثابتاً أو لا محالة أنهم في الآخرة هم أكثر الناس خسارة وأشدهم عذاباً.

٢٣- إن الذين صدقوا بالله ورسوله، وعملوا بطاعة الله ومرضاته، وخشعوا وسكنوا الخشية الله، واطمأنوا العدله، وأنابوا إليه بالعبادة والإخلاص، أولئك أصحاب الجنة هم فيها ماكثون على الدوام الأبدي.

أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُجْرِبِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَأَجْرَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِذِي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ إِلَهِي ﴿٢٦﴾ قَالُوا الْمَلَائِكَةُ لَعَنُوا لَكَ وَأَمِنْ قَوْمِهِ مَا نَرِيكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرِيكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِإِدْحَىٰ الرَّأْيِ وَمَا نَرِي لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَحْنُ لَكُمْ كَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَقْرَدَةٌ أَلَمْ يَكُنْ عَلَىٰ يَتِيمٍ مِنْ رَبِّي وَهُوَ الْغَنِيُّ الرَّحِيمُ مِنْ عِنْدِهِ قَعَيْتَ عَلَيْكُمْ أَنْزِلًا مَكْمُومًا وَأَنْتُمْ لَهَا كَاذِبُونَ ﴿٢٧﴾

٢٤- صفة الفريقين: الكفار والمؤمنين، كصفة الأعمى والأصم، لتعامي الكفار عن آيات الله وعدم استماعهم كلام الله، وكصفة البصير والسميع، لتبصر المؤمنين بالقرآن وسماعهم له سماع تدبر وإمعان، لا يستويان حالاً وصفة عند الله، أفلا تتعظون؟

٢٥- ولقد بعثنا في الماضي نوحاً رسولاً إلى قومه، قائلاً لهم: إنني لكم منذر مخوف من الله بالنار إن كفرتم، وأبين لكم طريق النجاة وموجبات العذاب.

٢٦- بالآخرة غير الله وحده لا شريك له، إنني أخاف عليكم عذاب يوم مؤلم في الآخرة، أو في الدنيا بالطوفان.

٢٧- فقال الزعماء الأشراف الكفرة من قومه: لست نبياً لأمر ثلاثة: ١- ما نراك إلا بشراً ماثلاً لنا، فليس لك مزية تستحق النبوة دوننا، ٢- ولم يتبعك إلا أراذل القوم وهم الفقراء الأحماء وأتباع الحرف الدنية، فلا مزية لك علينا، اتبعوك في الرأي ظاهراً من غير بحث ولا تحقق في صحته، ٣- وليس لك ولأتباعك الأراذل فضل تميزون به وتستحقون ما تدعونونه، بل نعتقد أنكم كاذبون فيما تقولون.

٢٨- قال نوح لهم: يا قوم أخبروني إن كنت على برهان من ربي في النبوة يدل على صحتها وصدقها، وليست المساواة في البشرية تمنع النبوة، وخصني ربي بالنبوة والرسالة، فضلاً منه وكرماً، فحفيت عليكم، أنجبركم على قبولها والإيمان بالله، وأنتم كارهون لا تختارونها ولا تأملون فيها؟ فذلك لا يقدر عليه إلا الله، ولا تقدر على ما تريد.



وَيَقُولُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا
بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلْمَعُونَ وَلَكِنِّي أَخَذْتُ قَوْمًا
بِجَهْلُونِ ﴿٢٩﴾ وَيَقُولُ مَنْ يَضُرُّنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ
الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ
لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنْ إِذَا لِمَنِ
الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَدَدْنَا فَأَكْرَمْتَ خَدَانَا
فَأَنبَأْنَا بِمَا كُنَّا نَكْتُمُ مِنَ الْصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا
يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنَا بِمُعْجِزٍ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ
نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ
هُوَ أَكْبَرُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَأَيْنَاهُ
إِنْ أَفْتَرَيْنَاهُ فَعَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِذَا لِمَنِ
الْحُجُوجُ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدَّامِنَ فَلَا تَنْبَسُ
بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٥﴾ وَأَصْحَابُ الْفُلْكِ بِأَعْيُنِنَا
وَوَحِينَا وَلَا تَخْطِبُونِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُخْسَرُونَ ﴿٣٦﴾

٢٩- ويقوم لا أطلب على تبليغ رسالتي أجراً
تؤدونه إلي، فإن ثوابي المأمول على الله وحده،
ولست بمبعث المؤمنين الفقراء أو الضعفاء من
مجلس كما تطلبون، إنهم سيلقون ربهم بالبعث،
فيجازيهم على إيمانهم، ويعاقب من طردهم،
ولكنني أراكم قوماً تجهلون عاقبة أمركم، ومن
جهلهم: احتقارهم الفقراء، وطلب طردهم،
ترفعاً عليهم.

٣٠- ويقوم، من يخلصني من عقاب الله إن
طردتهم احتقاراً لهم، فهم أحق بالتكريم لإيمانهم
بالله، أفلا تتعظون؟

٣١- ولا أقول لكم: عندي خزائن رزق الله
أنفق منها كما أريد، ولا أقول لكم: أنا أعلم الغيب
لأخبركم وأتاكم بما تريدون حتى تكذبوني، وإنما
أنا نذير مبين، ولا أقول لكم: إنني ملك، بل أنا
بشر مثلكم، ولا أقول للذين تحقروهم وفقيرهم:
لن يؤتيهم الله خيراً، بل قد أتاهم الخير وهو
الإيمان، ويجازيهم في الآخرة خيراً مما أتاكم في
الدنيا، الله أعلم بما في قلوبهم من الإيمان
والإخلاص، فيحاسبهم عليه، إنني إن قلت ذلك
فأنا من الظالمين أنفسهم.

٣٢- قال القوم: يا نوح قد حاججتنا، فأكثرت وأتيت بمختلف أنواعه، فأتنا بما تعدنا به من العذاب الذي
تخوفنا به، إن كنت صادقاً في ادعاء النبوة.

٣٣- قال نوح لهم: إنما يأتيكم بالعذاب الله، إن شاء تعجيله لكم أو تأجيله، وما أنتم بمعجزتي الله بالإفلات
من عقابه.

٣٤- ولا ينفعكم نصحي بتجنب أسباب عقاب الله، إن أردت نصحكم؛ لأنكم ترفضون النصيحة، إن
كان الله يريد إضلالكم عن سبيل الرشاد، والمراد نتيجة الضلال، وهو أن يعذبكم ويهلككم، هو الله ربكم
الخالق والمتصرف فيكم بإرادته، هداية أو إغواء، وإليه المصير في الآخرة، ليجازيكم على أعمالكم.

٣٥- بل يقول كفار مكة: اختلق محمد القرآن ومنه قصة نوح، قل: إن اختلقته من عندي، فعلي عقوبة
ذنبي العظيم وجزاء كسبي، وأنا بريء من إجرامكم بنسبة الافتراء إلي.

٣٦- وأوحى الله سبحانه إلى نوح بعد دعائه على قومه بالهلاك والدمار: أنه لن يؤمن أحد من قومك بعد
الآن إلا من سبق إيمانه من قبل، فلا تحزن حزناً باستكانة بما فعلوا، من تكذيب وإيذاء. والآية تبيس له من
إيمانهم، لترتاح نفسه.

٣٧- واعمل السفينة برأى منا، وحفظ لك، ووحى بكيفية الصنع كما أرشدنا داود لصنع الدروع، ولا
تطلب مني العفو في الدين كفروا، إنهم مغرورون جميعاً بالطوفان.

٣٨- وقام يصنع نوح السفينة، وكلما مر عليه جماعة من وجهاء قومه، سخروا منه، وهزئوا به؛ لأنه كان يعملها في بركة بعيدة عن الماء، ويقولون له: صرت نجاراً بعدما كنت نبياً، قال نوح: إن تهزؤوا بنا الآن، فلإننا نهزؤوا بكم في المستقبل عند الغرق، كما تهزؤون منا اليوم.

٣٩- فسوف تعلمون من منا الذي يأتيه عذاب يذله ويفضحه، وينزل عليه في الآخرة عذاب دائم، وهو عذاب النار.

٤٠- حتى إذا جاء أمرنا بالإهلاك، وفار الماء من تنور الخبز الذي جعل علامة بدء الطوفان، قلنا لنوح: احمل في السفينة من كل صنف من الحيوانات الأرضية زوجين اثنين: ذكراً وأنثى، واحمل أهلك وهم امرأتهم وبنوه ونساؤهم، إلا من تقدم عليه الحكم منهم بالإهلاك والإغراق، واحمل من آمن معك من قومك، وما آمن معه إلا عدد قليل، هم ثمانون إنساناً، منهم ثلاثة من بنيه، وهم سام وحام ويافت وزوجاتهم.

وَيَصْنَعُ الْفُلَّ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ
إِنْ سَخِرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا نَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ سَوْفَ
تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ
ثَقِيلٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ
فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ
الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ
ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ حَمِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤٢﴾
وَمِنْ تَجْرِي بِهِيَ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَتَادِي نُوحَ ابْنَهُ وَكَانَ
فِي مَعْرِلٍ يُبَيِّنُ أَرْكَبَ مَعْنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٣﴾
قَالَ سَتَدِينُنِي وَإِلَىٰ جِبِلٍّ بَعْضُهُنَّ مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ
أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ
الْمُعْرِضِينَ ﴿٤٤﴾ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَكُلِّمَاءَ أَقْلَامِي
وَنِيصِصِ الْمَاءَ وَفُصِّصِ الْأَمْرَ وَاسْتَوَتْ عَلَىٰ الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا
لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٥﴾ وَتَادِي نُوحَ رَبُّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي
مِنَ اهْتَلَىٰ وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٦﴾

٤١- وقال نوح لمن حملهم معه: اركبوا في السفينة باسم الله جريئتها ورسوها بعده، إن ربي لغفور للذنوب، رحيم بالثائبين.

٤٢- والسفينة تجري بنوح والمؤمنين وسط أمواج كالجبال، ونادى نوح ابنه (كنعان) الذي لم يؤمن، وكان في مكان منزول عن أبيه وقربائه: يا بني اركب معنا في السفينة، ولا تكن مع الكافرين خارج السفينة، فإنهم هالكون.

٤٣- قال الابن لأبيه: سألجأ إلى جبل عال يحفظني ويمعني من الماء، قال الوالد: لا مانع اليوم من قضاء الله وعذابه، إلا من رحم الله فهو يعصمه، وهم الراكبون في السفينة، وحجب الموج بين نوح وابنه، فتعذر خلاصه، فكان من جملة المعرقلين.

٤٤- وقال الله للأرض بعد هلاك قوم نوح: يا أرض ابلعي ماءك فوراً، ويا سماء أمسكي عن المطر، وجفت الماء، وتم أمر هلاك قوم نوح الكفار، وإنجاء المؤمنين، واستوت السفينة على جبل الجودي بالجزيرة قرب الموصل، وقيل: هلاكاً للقوم الظالمين أنفسهم، وهذه آية في إيجازها وبيان مشاهد المأساة في غاية البلاغة والفصاحة، مما لا يستطيع أحد من علماء البيان واللغة الإتيان بمثلها، مما يدل على أنها كلام الله تعالى.

٤٥- ودعا نوح ربه مستعظفاً قائلاً: إن ابني من أهلي، وقد وعدتني بنجاتهم، ووعدك الثابت لا يخلف، وأنت أعلم الحاكمين وأعدلهم.

قَالَ يَنْبُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ
 مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ
 ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ
 وَإِلَّا تَعْفُ عَنِّي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَنْبُوحُ
 أَمْ يَطْمِئِنُّ بِسَلَامٍ فَإِنَّكَ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأَمَّا
 سَمْعُومَةُ فَتَمَّ بِسَهْوٍ مِمَّا عَذَابَ الْآلِيبِ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ
 الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ
 مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلصَّابِرِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَىٰ عَادِ
 أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ عِندَهُ
 إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا
 إِنْ أَنْجَرْتُمُ الْإِلْعَاقَ الَّذِي فِطَرْتُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾
 وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ
 عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا
 مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ
 بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾

٤٦ - قال الله له: يا نوح إن ابنك كنعان ليس من أهلِكَ الناجين؛ لأنه لم يؤمن بك، إنه صاحب عمل سيء لكفره وتكذيبه، فهو لشدة فجوره جعل كأنه العمل السيء، كما يقال للشير: إنه الشر نفسه، أي صاحب الشر، فلا تطلب ما لا علم لك به، إذ لو كان في علمي أنه مؤمن لأنجيته، إني أحذرك أن تكون أحد الجاهلين، بسؤالك ما لا تعلم.

٤٧ - أجاب نوح بقوله، حينما علم أن سؤاله ناشئ عن وهم، لم يتفق مع مرضاة الله: إني أستجير بك أن أطلب منك ما لا علم لي بصحته أو جوازه، وإن لم تغفر لي ما فرط مني من السؤال، وترحمني بالتوبة والإحسان، أكن من الخاسرين في عمالي.

٤٨ - قيل لنوح: يا نوح انزل من السفينة إلى الأرض بسلامة من المكاره وأمن، ونعم وخيرات عليك، وعلى جماعات من ذرية من معك في السفينة، وسيكون أم من نسلهم، تمتعهم في الدنيا بزخارفها إلى يوم القيامة، ثم يصيبهم منافي الآخرة عذاب شديد الألم، والمراد بهم الكفار من ذرية من معه.

٤٩ - تلك قصة نوح من أخبار الغيب نقصها عليك بالوحي، ما كنت تعلمها أنت، ولا يعلمها قومك على هذا النحو من البيان الدقيق، فاصبر أيها الرسول على التبليغ وأذى قومك، كما صبر نوح، إن العاقبة المحمودة في الدنيا بالنصر، وفي الآخرة بالفوز، للذين يتقون الله، ويخشونه، ويؤمنون بالرسول، ويتقون الشرك والمعاصي.

٥٠ - وأرسلنا إلى قبيلة عاد في الأحقاف باليمن أخاهم في القبيلة والنسب هوداً عليه السلام، واحداً منهم، قال: يا قوم، اعبدوا الله وحده، ليس لكم إله غيره، ما أنتم في عبادة الأوثان إلا قوم كاذبون على الله باتخاذكم شركاء لله، وشفعاء عنده.

٥١ - يا قوم، لا أطلب منكم على تبليغ الرسالة الإلهية عوضاً مالياً، ما ثوابي إلا على الذي خلقتني على الفطرة السليمة - فطرة التوحيد لله، أي إنه مخلص لهم في النصيحة، أفلا تفكرون تفكيراً صحيحاً لمعرفة الحق الذي جئت به.

٥٢ - يا قوم، استغفروا ربكم من الشرك والذنوب، ثم أخلصوا التوبة من الشرك، وأخلصوا العبادة لله، يرسل المطر عليكم كثيراً غزيراً، ويزدكم قوة مع قوتكم بالمال والولد، ولا تعرضوا عن دعوتي، حال كونكم مشركين.

٥٣ - قال القوم: يا هود ما أتيتنا بحجة واضحة أو معجزة لنقر لك بالنبوة، ولسنا بتاركي عبادة آلهتنا، من أجل قولك، ولسنا نحن بمصدقين بنبوتك.

٥٤- ما نقول في شأنك إلا أنه أصابك بعض آلهتنا
بجنون، لسببك إياها وصلدك عنها، فأنت تهذي
وتخرف، قال هود: أشهد الله على نفسي وأشهدوا
أنتم أني بريء مما تشركون مما اتخذتموه شركاء الله
تعالى.

٥٥- إني بريء من جميع الأصنام والأنداد مما
تشركون به من غير الله، فدير والي كل ما تستطيعون
من أنواع الكيد، أنتم وآلهتكم التي تزعمون أنها ضارة
بي، ثم لا تمهلوني طرفة عين، بل عاجلونني
بالإضرار. وهذا التحدي من هود بمحاولة إيقاع
الأذى والإهلاك أعظم معجزة له، فهو شخص
واحد، وهم جمع كبير طغاة.

٥٦- إني فوضت أمري إلى الله ربي وربكم، فهو
يعصمني من كيدكم، مهما بذلتم من محاولات
الإضرار، ما من دابة تدب على الأرض إلا وهو مالك
لها وقاهرها ويخضعها لما يريد لها، فلا نفع ولا ضرر
إلا بإذنه، إن ربي على منهج الحق والعدل فلا
يسلطكم علي، ولا يمكنكم من ظلمي، ولن
يضيئني.

٥٧- فإن تعرضوا وتولوا عن دعوتي وتصموا
على الكفر، فإني أبلغتكم رسالة ربي، وقامت عليكم

الحجة، وحق عليكم العذاب، ويهلككم ويأتي بقوم سواكم في دياركم هم أطوع منكم يوحّدونه ويعبدونه، ولا
تضرّونه بشيء إطلاقاً بإعراضكم، إن ربي رقيب على كل شيء عالم بكل ما تعملون، فهو يحفظني من أي سوء.

٥٨- ولما جاء أمرنا، أي عذابنا بإهلاك عاد، نجينا هوداً ومن آمن معه، برحمة كائنة منا، ونجيناهم من عذاب
شديد مُتناهٍ في الشدة.

٥٩- وتلك عاد الذين أهلكتناهم، فانظروا آثارهم في الأرض، إنهم كفروا بآيات الله الدالة على وحدانيته،
وأنكروا المعجزات، وخالفوا الرسول هوداً. عبر بالرسول عن واحد؛ لأن تكذيب رسول واحد تكذيب لجميع الرسل
- وأطاع القوم أمر كل متكبر، طاغ لا يقبل الحق ولا يدعن له.

٦٠- وجعل الله اللعنة (الطرد من الرحمة) ملازمة لهم لا تفارقهم في الدنيا، وتلحقهم أيضاً يوم القيامة حتى
توقعهم في العذاب، إلا إن عادوا كفروا بربهم، وجحدوا نعمته، ألا هلاكاً لهم وإبعاداً من رحمة الله تعالى.

٦١- وأرسلنا إلى ثمود في الحجر بين المدينة والشام أخاهم في القبيلة والنسب صالحاً، قال: يا قوم اعبدوا الله
وحده، ليس لكم إله غيره، هو ابتداء خلقكم وتكوينكم من الأرض، بخلق أبيكم آدم من تراب، وجعلكم عمّار
الأرض ببناء المساكن وغرس الشجر، فاستغفروه من ذنوبكم ومن الشرك، ثم ارجعوا إلى عبادته واهجروا
الذنوب، إن ربي قريب الرحمة من خلقه الطائعين، قريب من إجابة الدعاء.

٦٢- قالوا: يا صالح قد كنت مرجواً لك السيادة علينا، نتفع برأيك قبل ادعائك النبوة، أنتهانا عن عبدة الأوثان
التي كان يعبدها الآباء، ونحن في شك من التوحيد والتبري من الأوثان، شك موقع في الريبة أي سوء الظن
والقلق النفسي!؟

إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ
وَأَشْهَدُ أَيُّ بَرِيٍّ مِمَّا تَشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَيَكِيدُونِي
جَمِيعًا ثُمَّ لَا يَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ
دَابَّةٍ إِلَّا هُمْ آخِذٌ بِأَصْنَافِهَا إِنْ رَّبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾
فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبغَضْنَاكُمْ مَا أَرْسَلْنَا بِهِ إِلَيْكُمْ وَرَسُولٌ مِنْ رَبِّي
قَوْمًا غَيْرُكَ وَلَا تَنْصُرُونَهُ سَيِّئًا إِنْ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ
﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا
وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادُ جَبَّارِينَ
رَبَّهُمْ وَعَصَاؤِ رُسُلِهِ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأَتَّبَعُوا
فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ رَبِّهِمْ وَاللَّعْنَةُ الْإِنِّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا
بَعْدُ لَعَادُ قَوْمٍ هُودٍ ﴿٦٠﴾ وَلِكُمْ عَذَابٌ حَادٍ وَأَخَاهُ صَالِحًا قَالَ يَوْمَ
أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ
فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا
لَصَلِحَ فَكُذِّبَتْ فِتْنًا مَّرْجُومًا قُلْ هَذَا أَشْهَدَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ
آبَاؤَنَا وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾



قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَءَاتَيْنَا مِنْهُ
 رَحْمَةً فَمَنْ يَضُرُّنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ هَضَبْتُمْ فَمَا تَزِيدُونِي
 غَيْرَ تَحْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ
 فَذُرُّوهُا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءِ
 مَا خَذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَفَعَرُّوهَا فَالْتَمَعُوا
 فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ آيَاتٍ أُولَٰئِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْدُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا
 جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَتِنَا وَمِنْ
 خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ
 ظَلَمُوا الصَّيْثَةَ فَاصْبُوهَا فِي دِيَارِهِمْ حَشِيبِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَنَّهُمْ يَمْنُونُ
 فِيهَا إِلَّا إِنْ تَمُودًا كَفَرُوا وَارْتَبَعُوا لَأَعْدَاءِ التَّمُودِ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ
 جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ
 قَالَتْ إِنَّ جَاءَ بِعَجَلٍ حِينٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ أَن يُدْبِرُهُمْ لَا تَصِلُ
 إِلَيْهِ نَكَرَهُمْ وَأَوَّجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْزَنْ
 إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحَكَتْ
 فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِهِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾

٦٣- قال صالح: يا قوم فكروا وأخبروني إن كنت على يقين وبصيرة وبرهان صحيح من ربي أني على الحق، وآتاني النبوة، فمن يمنعني من عذاب الله إن خالفت أمره، وعصيته في تبليغ رسالته ومنع الإشراف به؟ فما تطلبون مني باتباعكم غير تضليل وإيقاع في الخسران.

٦٤- يا قوم، هذه ناقة الله، جعلها لكم حجة على صدقي، ومعجزة ظاهرة، فاتركوها في الأرض تأكل من المراعي، ولا تتعرضوا لها بسوء من قتل أو أذى، فياخذكم عذاب عاجل قريب الوقوع إن عقرتموها، وهو ثلاثة أيام.

٦٥- فقتلوا بسيف أو نحوه، فقال لهم صالح: عيشوا في منازلكم ثلاثة أيام، ثم تهلكون، ذلك وعد صادق غير مكذوب فيه.

٦٦- فلما جاء أمرنا بإهلاك قبيلة تمود، نجينا صالحاً ومن آمن معه من الهلاك، برحمة سابغة، ونجيناهم من ذل وهوان يوم القيامة، إن ربك يا صالح هو القوي القادر على كل شيء، الغالب على كل شيء، قاهر الأعداء.

٦٧- وأخذ الظالمين أنفسهم بالكفر صيحة شديدة من السماء، أو صاعقة أحدثت رجفة في القلوب، وصعق بها الكافرون، فأصبحوا في ديارهم ساقطين على وجوههم هالكين موتى.

٦٨- كأنهم لم يقيموا ولم يوجدوا في ديارهم قبل ذلك، إلا إن تمود كفروا بربهم، ألا هلاكاً وطراداً من رحمة الله لثمود.

٦٩- ولقد جاءت الملائكة إبراهيم يبشرونه بإسحاق ولداً، قالوا: سلاماً عليك، قال: سلام عليكم، فما غاب طويلاً أو أبطأ إبراهيم حتى جاء بعجل مشوي على الحجارة المحماة بالنار، وهو أطيب الشواء.

٧٠- فلما شاهد أيديهم لا تمتد إلى العجل أو الطعام الذي قدمه لهم، ولا يأكلون منه، استنكر ذلك منهم، وظن أنهم يريدون شراً، كما هي العادة، وأحس في نفسه خوفاً وقرعاً، قالوا له: لا تخف منا، فنحن ملائكة أرسلنا لتعذيب قوم لوط.

٧١- وكانت امرأته سارة قائمة وراء السترة تسمع محاورتهم وتخدم الملائكة، فضحكت الضحك المعروف، بزوال الخوف، فبشرتها على لسان الملائكة بولادة إسحاق، ووبئناها من بعد إسحاق حفيداً وهو يعقوب.

٧٢- قالت امرأته: يا عجبا أو دهشة، كيف ألد وأنا عجوز فوق التسعين عاماً، وهذا زوجي حال كونه شيخاً كبيراً بلغ مئة عام، إن هذا الخبر المبشر به لشيء عجيب أن يأتي الولد من شخصين هرمين، وذلك كله بحسب العادة الشائعة، لا بالنظر للقدر الإلهية.

٧٣- قالت الملائكة: لا تتعجبي من قدرة الله وقضائه وحكمته، فأنت من بيت النبوة، لا يخفى عليك أن هذا من مقدورات الله تعالى، فإن رحمة الله الواسعة ونعمه الكثيرة عليكم يا أهل بيت النبوة- بيت إبراهيم، إن الله محمود الأفعال، كثير الخير والإحسان، ذو المدد والرفعة.

٧٤- فلما ذهب الخوف عن إبراهيم حين علم بأنهم ملائكة، وأتته البشري بإسحاق، أخذ يجادل رسلنا في شأن قوم لوط، طالباً تأخير العذاب عنهم، لعلهم يؤمنون.

٧٥- إن إبراهيم كثير الحلم، لا يتعجل في طلب العقاب، كثير التأوه والتضرع إلى الله، والخوف من الله وعلى الناس، الراجع إلى ربه في كل أموره.

٧٦- قالت الملائكة: يا إبراهيم، أعرض عن هذا الجدال في أمر حسم فيه القضاء، إنه قد أتى أمر ربك بعذابهم، وهو أعلم بحالهم، وبآتيهم عذاب غير

قَالَتْ يَوٰلَيْئِآءَ الْدُوۡءَاۗءِ عَجُوۡزٌ وَهٰذَا بَعْلِي شَيْخًا اِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيۡبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوۡا اَتَّخِیۡنَ مِنْ اَمْرِ اللّٰهِ رَحْمَةً وَّ بَرَکٰتٍ عَلَیۡكُمْ اَهْلَ الْبٰیۡتِ اِنَّهٗ حَمِیۡدٌ مُّجِیۡدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ اِبْرٰهٖمَ الرُّوۡعُ وَجَآءَہٗ الْبَشْرِیۡ جٰدِلُنَا فِیۡ قَوْمِ لُوۡطٍ ﴿٧٤﴾ اِنَّ اِبْرٰهٖمَ لَمٰلِیۡمٌ اَوْہٗ مُنِیۡبٌ ﴿٧٥﴾ یٰۤاِبْرٰهٖمُ اَعْرِضْ عَنۡ هٰذَا اِنَّہٗ قَدْ جَآءَ اَمْرٌ رَّبِّکَ وَاِنَّہٗمَ لَیَبۡہِمۡ عَذَابٌ غَیۡرُ مَرۡدُوۡدٍ ﴿٧٦﴾ وَکَمَا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوۡطًا سِیۡءَ بَیۡہٖمُ وَضَاقَ بِہِمۡ ذَرَعًا وَّقَالَ هٰذَا یَوْمٌ عَصِیۡبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَہٗ قَوْمُهٗ بِہِ عَوۡنَیۡہٖ وَاِیۡہٗ مِنْ قَبۡلِ کَانُوۡا یَعۡلَمُوۡنَ السَّیۡئَاتِ قَالِیۡ یَقُوۡمُوۡہٗ هٰۤؤُلَآءِ بَنَاتٰی هُنَّ اَطۡہَرُ لَکُمۡ فَاتَّقُوۡا اللّٰهَ وَلَا تَخۡزُوۡنَ فِیۡ ضَیۡقِیۡ اَلِیۡسَ مِنْکُمْ رَجُلٌ رَّشِیۡدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوۡا لَقَدۡ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِیۡ بَنَاتِکَ مِنْ حَیۡثُ وَاِنَّکَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِیۡدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوۡ اِنۡ یَّکُمۡ قُوۡةٌ اَوْہٗ اَوْحٰی اِلَیَّ رُکۡنٍ شَدِیۡدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوۡا یٰلُوۡطُ اِنَّا رَسُلُ رَبِّکَ لَنۡ یُّصَلِّیۡنَا اِلَیۡکَ فَاَسْرِ بِاَمۡلِکَ یَقۡطَعُ مِنَ اللَّیۡلِ وَلَا یَلۡتَفِتْ مِنْکُمۡ اَحَدٌ اِلَّا اَمَرَّاۤنَکَ اِنَّہٗ مُصِیۡبُہَا مَاۤ اَصَابَہُمۡ اِنَّ مَوۡعِدَہٗمُ الصُّبۡحُ اَلِیۡسَ الصُّبۡحُ بِقَرِیۡبٍ ﴿٨١﴾

مصروف ولا مدفوع عنهم بجدال أو دعاء أو غير ذلك.

٧٧- ولما جاءت الملائكة لوطاً في صورة شبان حسان، بعد أن خرجوا من عند إبراهيم، وكان بين إبراهيم وقرى لوط فراسخ، ساء مجيئهم وحزن بسببهم، وضاق صدره غماً برؤيتهم في تلك الصورة، خوفاً عليهم من قومه الفسقة الشذاذ بارتكاب فاحشة اللواط، وقال في نفسه: هذا يوم شديد الأذى والمكاره والمتاعب.

٧٨- وجاءه قومه يسرعون إليه إسراعاً مع رعدة، لتعاطي الفاحشة مع الأضياف، وكانت عادتهم من قبل إتيان الرجال، قال لهم لوط: هؤلاء بناتي من نساء الأمة فتزوجوهن؛ لأن نبي القوم أب للمؤمنين به، هن أحل وأنزه، فاتقوا الله بترك الفاحشة وخوف عقابه، ولا تفضحوني في أضيافي، أليس منكم رجل ذورشد وعقل يهتدي إلى الحق ويمتنع من القبيح، وينهى عن المنكر؟!

٧٩- قالوا: لقد علمت يا لوط ما لنا في البنات من شهوة ولا حاجة، وإنك لتعلم ما نريد من إتيان الرجال، وترك النساء.

٨٠- قال لوط لهم: لو كان عندي قوة وقدرة لدفعتمكم، أو لو وجدت معيماً وناصراً أو ألجأ إلى عشيرة قوية تمنعني منكم، لقاوتمكم فيما تريدون من الأضياف.

٨١- قالت الملائكة الرسل: يا لوط إنا ملائكة أرسلنا الله لإهلاك القوم، لن يمسوك بسوء، فاخرج مع أهلك بساعة مظلمة أو بجزء من الليل، ولا يلتفت منكم أحد وراءه، إلا امرأتك لا تخرج معك، إنه مصيبها ما أصاب القوم من العذاب، إن موعد هلاكهم الصبح حيث تسكن النفوس فيه ويجتمعون، أليس وقت الصبح ساعة العذاب قريباً؟!

٨٢. فلما جاء أمرنا بوقوع العذاب، جعلنا قري قوم لوط عاليها سافلها، إذ خسفنا بهم الأرض، وأنزلنا عليهم حجارة كثيرة من الطين المتحجر، المتتابع والمتراكم بعضه فوق بعض.

٨٣. وهذه الحجارة لها علامة خاصة للعذاب، معلومة عند ربك في خزائنه، خاصة بهم لا تصيب غيرهم، وليست هذه الحجارة أو قري قوم لوط من الكافرين أهل مكة وأمثالهم ببعيدة، يمرون عليها في طريقهم إلى الشام، وهذا وعيد لكل ظالم.

٨٤. وأرسلنا إلى أهل مدين (مدينة قرب معان في الأردن) أخاهم في النسب شعيباً عليه السلام الذي كان يسمى خطيب الأنبياء لقوة حجته وبيانه وحسن إقناعه قومه، قال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده لا شريك له، ليس لكم إله معبود بحق غيره، ولا تنقصوا المكيال والميزان في البيع والقرض ونحوهما، إني أراكم بشروء وسعة في الرزق، تغنيكم عن النقص، فإيفاء الكيل عدل، وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط بالناس جميعاً لما فيه من الأهوال، لا يفلت منه أحد.

فَلَمَّا جَاءَ أَمْرًا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ تَنْصُرُونَ ﴿٨٢﴾ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَعِيدَةٌ ﴿٨٣﴾ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُ شُعَيْبًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَمُؤِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِمُحَيِّطٍ ﴿٨٤﴾ قَالُوا يَشْعُوبُ أَسْلَوْنَاكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يُعْبَدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَمِيلُ الرَّشِيدُ ﴿٨٥﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُمْ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَدُّنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَ لَكُمْ إِلَّآ مَا أَنْتُمْ كُفَّارُونَ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فإِنَّ عَلَيْكُمْ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٦﴾

٨٥. ولا يكفي الامتناع عن النقص، بل يلزمهم السعي في الإيفاء، ولو بزيادة لا بد منها، فأتموا الكيل والوزن بالعدل والتسوية، دون زيادة في الأخذ، ونقص في العطاء، ولا تنقصوا الناس من حقوقهم شيئاً، غشاً أو خديعة أو غضباً، ولا تفسدوا في الأرض، أو تكثروا الفساد، أو تداوموا على الفساد.

٨٦. ما ييقنه الله لكم من الرزق الحلال الباقي بعد إيفاء الحقوق بالعدل، أفضل وأبرك لكم من الكسب الحرام، إن كنتم مصدقين بالله وبالْحَسَابِ؛ لأن المؤمن هو الذي يتنفع بالتذكير.

٨٧. قال القوم ساخرين مستهزئين: أصلاتك تأمرك بترك ما كان يعبد آباؤنا من الأصنام والأوثان، أو بترك ما كنا نفعل بأموالنا حسبما نشاء بحسب المصلحة، بالزيادة والنقص، تنصرف فيها بما نرضاه، إنك أنت المعروف بسعة الحلم، العاقل المتاني، شديد الرشد، أي الهداية، الراسخ فيها؟! وهذا على سبيل الاستهزاء.

٨٨. قال: يا قوم، أخبروني إن كنت على بصيرة وبرهان قاطع من ربي فيما أدعوكم إليه، ورزقي الرزق الكثير الطيب، فهل يعقل أن أخالف أمر الله ونهيه؟ وليس من المعقول ولا من شأني أن أنهاركم عن شيء ثم أرتكبه أو أفعل خلافه، ما أريد إلا الإصلاح بالعدل قدر استطاعتي، وما توفيتي لإصابة الحق والصواب إلا بعون الله تعالى، عليه اعتمدت في جميع أموري، وإليه أرجع في كل أمر.

وَيَقُولُ لَا يُحِبُّ مَنَّا كُفْرًا شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ
 قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمَ لُوطٍ مِّنكُمْ بِبَعِيدٍ
 ﴿٨٩﴾ وَأَسْتَغْفِرُ لَكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَرَحِيمٌ
 وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا يَسْمِعُ مَا نَنقُصُكَ كَيْدًا إِنَّمَا تَقُولُ
 وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْمُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَكَأ
 نْتَ عَلَيْنَا بِغِيبٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَقُولُونَ حَقًّا لَّعَلَّكُمْ
 تَمِنَ اللَّهُ وَاتَّخَذَ مَوْهًا وَوَدَّ أَنْ يَظْهَرَ بَيِّنَاتٌ لِّرَبِّكُمْ لَعَلَّكُمْ
 تَعْلَمُونَ ﴿٩٢﴾ وَيَقُولُونَ آمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَسَىٰ أَسُوفُ
 تَعْلَمُونَ مِّنْ آيَاتِهِ عَذَابٌ يُجْزِي بِهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَابُوا
 إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا مِّنَ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ
 فَأَصْحَابُ فِي دِيَارِهِمْ جَبَشِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لُّوَيْعًا
 فِيهَا الْأَبْعَدُ الْمَدِينِ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدْ
 أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
 وَمَلَأِيهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾

٨٩- ويا قوم، لا يحملنكم عدائي وخلافي
 الشديد على تكذبي، فيصيبكم عذاب مثل ما
 أصاب قوم نوح من الغرق، أو قوم هود من الريح
 الصرصر الباردة، أو قوم صالح من الرجفة
 وخسف الأرض بهم، وليس هلاك قوم لوط منكم
 يبعيد خبرهم ومكانهم وزمانهم عنكم، أفلا
 تتعظون؟

٩٠- واستغفروا ربكم من ذنوبكم، ثم توبوا
 إليه عن معاصيكم السابقة، إن ربي واسع الرحمة
 بالتائبين، كثير المحبة لهم، فاعل بهم اللطف
 والإحسان، كما يفعل الصديق الودود بمن يوده.

٩١- قال القوم: يا شعيب، ما نفهم كثيراً بما
 تقول لنا من الغيبات، كما نفهم الأمور المشاهدة،
 وإننا لترك ضعيفاً لا قوة لك على مقاومتنا والدفاع
 عن نفسك، ولولا عشيرتك القرية التي تتقوى بها
 لرجمناك أي قتلناك بالحجارة، وما أنت علينا بكرم
 عن الرجم.

٩٢- قال شعيب لهم: يا قوم أعشيرتي أعز
 عليكم من الله؟ لأن الاستهانة بنبي الله استهانة بالله

عز وجل، وجعلتم أمر الله وأمر نبيه مهماً كالملقى خلف الظهر، إن ربي عليم بأحوالكم وأعمالكم،
 فيجازيكم عليها.

٩٣- ويا قوم، اعملوا غاية إمكانكم وما في وسعكم من الكفر والتكذيب، إني عامل بما أمرني به ربي،
 وعلى حسب إكثاري، سوف تعلمون عاقبة الشرك وإضرار الناس، ومن يأتيه عذاب يهينه ويذله، ومن هو
 كاذب مني ومنكم، وانتظروا وعيد ربكم بالعذاب، إني منتظر وعد ربي بالرحمة.

٩٤- ولما جاء أمرنا بإهلاكهم، نجينا شعيباً والمؤمنين معه من العذاب، بسبب رحمتنا، وأخذت الذين
 ظلموا أنفسهم بالشرك الصيحة أو الرجفة المهلكة، فأصبحوا في ديارهم ميتين.

٩٥- كأن لم يقيموا فيها، ألا هلاكاً للمدين، كما هلكت ثمود من قبلهم، وكان هلاك القومين بالصيحة،
 غير أن صيحة ثمود كانت من تحتهم، وصيحة مدين كانت من فوقهم.

٩٦- ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وهي التوراة أو الآيات التسع كما ذكر في سورة الإسراء (١٧/١٠١) المبينة
 في سورة الأعراف (٧/١٣٣)، وبالمعجزات الظاهرة، أو البراهين القوية الواضحة.

٩٧- أرسلناه إلى فرعون وزعماء قومه، فاتبعوا أمر فرعون بالكفر وأعرضوا عن موسى، وما شأن فرعون
 بذئ رشده وهدى، فليس فيه رشده قط، بل هو في ضلال محض.

يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْدَدَهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ الْوَرْدُ
 الْمُرْوَدُ ﴿٩٨﴾ وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بئس
 الرِّقْدُ الْمُرْوَدُ ﴿٩٩﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْهَا
 قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا
 أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا
 جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُهُمْ عِتْرَتَيْبٌ ﴿١٠١﴾ وَكَذَلِكَ أَخْذُ
 رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ
 يَجْمَعُ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُوحِرُ إِلَّا
 لِأَجْلِ مَعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَاتُكَلِّمُنَّ نَفْسٌ إِلَّا بِذَاتِ نَفْسِهَا
 شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَمْ يَكُنْ فِيهَا
 زَيْفٌ وَشَيْقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ
 وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾
 وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
 السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْدُوفٍ ﴿١٠٨﴾

٩٨ - يتقدم فرعون قومه إلى عذاب النار يوم
 القيامة، فأدخلهم نار جهنم، بئس المورد الذي وردوه
 ودخلوه؛ لأن المورد المائي يرده الناس عادة لإطفاء حر
 العطش، والنار عكس ذلك.

٩٩ - وأتبع الله فرعون وكبار قومه بعد هلاكهم
 بالبحر طرداً وبعداً عن الرحمة في الدنيا، وأتبعهم
 طرداً ولعنة أخرى يوم القيامة من أهل المحشر، بئس
 العطاء المعطى أو العون المعان، وسميت اللعنة عطاء
 تهكماً، كما سمي الزقوم نزلاً في الصافات [٦٢].

١٠٠ - ذلك الذي قصه الله عليك أيها النبي في هذه
 السورة من أخبار الأمم السابقة التي أهلكتنا أهلها بسبب
 الكفر والتكذيب، من تلك القرى ما يزال قائماً باقياً
 أثره، ومنها خراب هالك لا أثر له، كالزراع القائم على
 ساقه، والذي حصد.

١٠١ - وما ظلمناهم بإهلاكهم من غير ذنب،
 ولكن ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي، فما نفعتهم
 آلهتهم أي أوثانهم التي يعبدونها من غير الله، من
 شيء من العذاب، فلم تدفعه عنهم، بل ضررتهم، لما
 جاء أمر ربك بعذابهم، وما زادتهم أصنامهم التي
 يعبدونها غير الهلاك والخسران.

١٠٢ - ومثل ذلك الأخذ بالعذاب عقوبة ربك إذا

عاقب أهل القرى وهم ظالمون بالذنوب، إن عقابه للكافرين موجه مؤلم بشدة فاقته لا يرحى الخلاص منه.

١٠٣ - إن في ذلك المذكور من القصص المتعلقة بأخبار السابقين وإهلاكهم لعبرة وعظة لمن خاف عذاب الآخرة
 الشديد، ذلك يوم القيامة، يجمع له الناس للحساب والجزاء، وذلك يوم يشهده جميع الخلائق.

١٠٤ - وما نؤخر مجيء يوم القيامة إلا لزمان معين عند الله، معلوم بالعدد.

١٠٥ - يوم يجيء ذلك اليوم والجزاء لا تتكلم نفس بحجة إلا بإذن ربها، فمن الناس شقي بكفره وهم أصحاب
 النار، ومنهم سعيد بإيمانه وهم أصحاب الجنة.

١٠٦ - فأما الذين شقوا بكفرهم وعصيانهم في علم الله تعالى، فهم في النار مستقرون، لهم فيها صوت شديد
 أثناء الزفير (إخراج النفس) والشهيق (أخذ النفس) من شدة ألم صدورهم، وضيق نفوسهم.

١٠٧ - وهم ماكثون إلى الأبد في النار مدة دوام السموات والأرض في الدنيا، وهذا التعبير يراد به التأبيد في
 كلام العرب على سبيل التمثيل، فهو كناية عن تأبيد الخلود، ويتم ذلك بمشيئة الله التي لا سلطان لأحد عليها، فهو
 سبحانه الفعال لما يريد، ومن مشيئته ألا يخلد عصاة المؤمنين في النار، إن الله يفعل في الدنيا والآخرة ما يشاء، فلا
 اعتراض لأحد.

١٠٨ - وأما الذين سعدوا بإيمانهم وعملهم الصالح في علم الله وتوفيقه، فهم مقيمون في الجنة أبداً، ما بقيت
 السموات والأرض، وهو تعبير يفيد التأبيد في استعمالات كلام العرب، ويتم ذلك بمشيئة الله التي لا سلطان
 لمخلوق عليها، ومن مشيئته إكرامهم بما هو أكبر من ذلك، يعطيهم ربه عطاء غير مقطوع، وإنما هو ممتد إلى الأبد،
 وكل ذلك لا يمنع تفاوت الناس في درجات النار ودرجات الجنان، فيجازي الله كل عامل بما يعمل.



١٠٩- فلا تكن أيها النبي في شك في بطلان ما يعبد هؤلاء المشركون، فلا نفع في أصنامهم، ومصيرهم كمن سبقهم من الكفار إلى النار، وهم في عبادتهم للأصنام مقلدون لأبائهم المتقدمين، وإن الله تعالى لمعطيهم حظهم المستحق من العذاب كاملاً تاماً غير منقوص منه شيء.

١١٠- ولقد أعطينا موسى كتاب التوراة، فاختلف فيه قومه بين مصدق ومكذب، فأمن به قوم، وكفر به قوم، كما فعل مشركو مكة، ولولا قضاء الله السابق بتأخير العذاب إلى يوم القيامة، لفضي أي حكم بين قومك أو بين قوم موسى في الدنيا فيما اختلفوا فيه، فعجل لهم العقاب، وأهلك الطغاة في الدنيا، وإن كفار مكة أو المكذبين بالتوراة، لفي شك في كتابهم المنزل، موقع في الرية والحيرة.

١١١- وإن كل فريق من المختلفين: المصدقين والمكذبين إلا ليلتقى يوم الحساب جزاء عمله تاماً وافياً، من خير أو شر، إن الله عالم بأعمال العباد ظاهرها وباطنها، لا يخفي عليه شيء.

١١٢- فاستقم أيها النبي على العمل بأمر ربك والدعوة إليه، وداوم على الاستقامة كما أمرك الله به ونهاك عنه، وليستقم أيضاً معك من تاب من الشرك

فَلَا تَكُ فِي مَرِيضَةٍ تَمَا يَبُذُّ هَؤُلَاءِ مَا يَبُذُّونَ إِلَّا مَا يَعْبُدُ
 ءَابَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوفُونَ نَصِيبُهُمْ عَمْرٍ مَنقُوصٌ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ
 ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَآخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ
 مِن رَّبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾
 وَإِنَّا لَكُلِّ شَيْءٍ لُّوفُونَ رَبِّكَ أَعْمَلَهُمْ أَنَّهُ يَمَّا يَعْلَمُونَ خَيْرٌ ﴿١١١﴾
 فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ
 بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا نَسَكُمُ
 النَّارَ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ
 لَا تُنصِرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَمَّا الصَّلَاةُ فَطَرَفُ النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ
 اللَّيْلِ إِنْ أَحْسَنْتَ يُذْهِبْنَ أَلْسِنَاتِكَ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّكْرَيْنِ ﴿١١٤﴾
 وَأَصْبِحْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُصْبِحُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾
 فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بِنْتَيْنِ يَهُونَ عَنِ الْفَسَادِ
 فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُنَّ وَأَتَّعِ الَّذِينَ
 ظَلَمُوا مَا أُنزِلُوا فِيهِ وَكَانُوا نُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ
 رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصَلِحِينَ ﴿١١٧﴾

وأم برسالتك، والتزم هديك، ولا تتجاوزوا حد الاعتدال في الأوامر والنواهي، أي لا ترتكبوا المعاصي، إنه سبحانه بصير بأعمالكم، فمجازيكم عليها.

١١٣- ولا تميلوا أدنى ميل أيها المؤمنون إلى الظالمين الكافرين بأن ترضوا بما هم عليه، أو تشاركوهم في أعمالهم، فتصيبكم النار بسبب الميل إليهم، وليس لكم من غير الله من أعوان وأنصار لإنقاذكم من النار، ثم لا تجدون من ينصركم عند الله تعالى لمنع العذاب عنكم.

١١٤- وأقم الصلاة في الغداة والعشي، صباحاً ومساءً، والمراد صلاة الصبح والعصر ومعها الظهر، وفي مدة من الليل مطلقاً، وذلك يشمل المغرب والعشاء، إن فعل الحسنات ومنها الصلوات الخمس يذهبن، أي يكفرن صغائر الذنوب، وأما الكبائر فلا بد لها من التوبة، ورأي بعضهم أن السيئات على العموم تكفرها الحسنات، ذلك الحكم عظة للمتعتين.

١١٥- واصبر على الصلاة والاستقامة وترك الطغيان والركون إلى الظالمين، فإن الله يوفي المحسنين أجورهم. والآية تشمل الصبر على جميع الطاعات، وترك جميع المعاصي.

١١٦- فهلا كان من الأمم التي أهلكتها أصحاب رأي وعقل ودين ينهون عن الفساد في الأرض من الشرور والمنكرات، لكن قليلاً من أنجينا منهم من العذاب، وهم المؤمنون برسالات الأنبياء كانوا يؤدونها هذه المهمة، فأنجيناهم، واتباع الذين ظلموا أنفسهم ما أنعموا فيه من الشهوات والملاذ، وآثروها على أعمال الآخرة، وكانوا باتباع شهواتهم مجرمين.

١١٧- وما كان ربك ليهلك أهل القرى بظلم منه لهم، وهم مصلحون أعمالهم الدينية والدنيوية من الإيمان والمعاملات الاجتماعية.

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرُونَ مُخْتَلِفِينَ ۗ إِلَّا مَن رَّزَقْنَاكَ وَإِنَّكَ لَكَلِمَةٌ رَّابِعَةٌ ۗ وَمِنَ الْجِبْتِ أَرْسَلْنَا نُوحًا مِّنْ أُمَّةٍ مِّنَ النَّاسِ أَعْجَبِينَ ۗ وَلَا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَبَّأْتُ بِهِيَ قَوْمًا كَ فِي هَذِهِ أُنْحَىٰ وَمَوْعِظَةً وَذِكْرًا لِّلْمُؤْمِنِينَ ۗ وَقُلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ كَمَا تَبْتَكِمُ ۗ أَنْتُمْ وَالنَّاطِقُونَ ۗ إِنَّا نَسْطَرُّوهُنَّ ۗ وَبَلَّغْنَا عِيبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۗ وَمَا رَبُّكَ بِفَعْلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۗ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الرَّتِّكَ أَيُّكَ الْكَلْبِ الْمُبِينِ ۗ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۗ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ۗ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ۗ

١١٨- ولو شاء ربك لجعل الناس لجملة للناس كلهم على دين واحد، ولكنه أراد أن يكونوا مختارين لتحقيق مبدأ العدل في الثواب والعقاب، ولا يزالون بعد ترك الاختيار لهم مختلفين في الحق بسبب اتباع الأهواء.

١١٩- ولا يزالون مختلفين إلا من رحم الله، فهداهم بفضلهم إلى الدين الحق، ولتحقق هذه الإرادة غير الجبرية خلقهم مختارين، وكذلك خلقهم لرحمته، وثبت قضاء الله وأمره أنه يملأ جهنم بسبب الكفر والمعصية من الجن والإنس منهما أجمعين لا من أحدهما.

١٢٠- وكل نبأ نقص عليك أيها النبي من أنباء الرسل، من أجل تثبيت قلبك على أداء الرسالة وعلى تحمل الأذى، وجاءك في هذه السورة المتضمنة بعض قصص الأنبياء وأدلة الإيمان ما هو حق ثابت من ربك، وعظة وتذكير للمؤمنين أهل الحق بحسن العاقبة.

١٢١- وقل أيها النبي للذين لا يؤمنون بهذا الحق ورسالة الإنقاذ: اعملوا ما يمكنكم عمله من الشر في حقي بحسب منهجكم، إنا عاملون بمنهجنا ودعوتنا إلى الخير.

١٢٢- وانتظروا عاقبة أمركم ومصير كفركم وتكذيبكم، إنا منتظرون تحقيق هذا المصير.

١٢٣- والله وحده علم جميع ما غاب عن الناس في السموات والأرض، وإليه مرجع جميع الأمور يوم القيامة، فيجازي كل واحد بعمله، فاعبد ربك وحده ومن معك من المؤمنين، وفوض أمرك إلى الله في جميع أمورك، فإنه كافيك، وليس يخفى على الله كل ما تعملون من خير أو شر، بل هو عالم به، ومجازٍ عليه.

سورة يوسف

سمى الله تعالى هذه السورة أحسن القصص، وآيات للسائلين، وعبرة لأولي الألباب، وتصديق الكتب السماوية السابقة. سبب نزولها: أن كفار مكة لقي بعضهم اليهود، وتباحثوا في شأن محمد ﷺ، فقال لهم اليهود: سلوه، لم انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر، وعن قصة يوسف، فنزلت.

١- ﴿الر﴾ ألف لام راء: إشارة لإعجاز القرآن وتحدي العرب بمعارضته ما دام مكوناً من حروف اللغة العربية التي لهم فيها أفانين البيان وسحر الفصاحة والبلاغة، تلك الآيات في هذه السورة هي من آيات القرآن الظاهر في أنه من عند الله.

٢- إنا أنزلنا هذا القرآن بلغة العرب، لكي تعلموا معانيه، وتفهموا ما فيه، لبناء شخصية الفرد والجماعة.

٣- نحن نقص عليك أيها النبي أحسن القصص (الأخبار) عن الأمم الماضية، بإيحاتنا إليك هذا القرآن المحكم، وإن كنت من قبل الوحي لا تعلم شيئاً عن هذه القصة وغيرها من قصص القرآن، وسميت هذه السورة أحسن القصص، لما فيها من العبر والعظات، وسيرة الأنبياء والصالحين والملائكة والملوك والمماليك والتجار والرجال والنساء، ولأن كل من ذكر فيها كان من السعداء، قال ابن عباس: قالوا: يا رسول الله، لو قصصت علينا؟ فنزلت: ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص...﴾ [٣].

٤- أذكر حين قال يوسف لأبيه يعقوب عليهما السلام: يا أبت (بإبدال ياء المتكلم تاء في نداء الأب أو الأم) إني رأيت في المنام أحد عشر كوكباً (أي إخوته) والشمس والقمر (أي أباه وأمه) رأيتهم ساجدين لي، وصفوا بصفة العلاء، بسبب السجود الذي هو سجود تحية لا سجود عبادة.



قَالَ يَبْنِي لَا تَقْضُصْ رُءُوكَ عَلَيَّ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا
 إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ
 رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُنَبِّئُكَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ
 وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ
 وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ
 وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلنَّاسِ الَّذِينَ ءَاتُوا الْيُوسُفَ وَأَخُوهُ
 أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِيسَامَا وَمِنْ عَصَبَةٍ إِنَّ أَبَانَا لَوِصَلِّ مُبِينٌ ﴿٧﴾
 أَتَقُولُوا يُونُسَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَبْحِلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ
 وَكَوْنُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٨﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا
 يُوسُفَ وَالْقَوْهَ فِي غَيْبَتِ اللَّحْبِ لِنَقْطَهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ
 إِنْ كُنْتُمْ قَاعِلِينَ ﴿٩﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْتِنَا عَلَىٰ يُوسُفَ
 وَإِنَّا لَهُ لَنُحْصِنُونَ ﴿١٠﴾ أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَكْتُمُ وَيَكْتُمُ
 وَإِنَّا لَهُ لَنُحْظِنُونَ ﴿١١﴾ قَالَ إِنْ يَحْضُرْ أَنْ تَدْهُوُوا بِهِ
 وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّنْبُ وَأَنْزِعَنَّهُ عَيْنًا قَالُوا
 لَنْ نَأْكُلَهُ الذَّنْبُ وَمَنْ عَصَبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَسِرُونَ ﴿١٢﴾

٥- قال يعقوب بن إسحاق: يا بني، لا تخبر إخوتك بالرؤيا لئلا يحسدوك، ويدبروا لك تدبيراً خفياً قد يضرك، فإن الشيطان للإنسان عدو ظاهر العداوة، ومهمته إيقاع الفتنة بين الناس.

٦- ومثل ذلك الاختيار والاصطفاء يختارك ربك ويصطفيك على سائر العباد، لمهمة عظيمة، ويعلمك تعبير الرؤيا: وهو الإخبار بما يزول إليه الشيء في الوجود، ويتم نعمته عليك بالنبوة والملك، وفي ذلك خير الدنيا والآخرة، ويتمها على ذرية يعقوب، كما أتمها بالنبوة على جدك: إبراهيم، إذ نجَّاه الله من النار، واتخذته خليلاً، وجعله نبياً رسولاً، وإسحاق الذي جعله أيضاً نبياً رسولاً، إن ربك عليم بمن كان أهلاً للاصطفاء، حكيم في صنعه وتدييره، يضع الشيء في موضعه الصحيح. وكلمة ﴿آل﴾ لا تستعمل إلا في أتباع العظيم والعظماء.

٧- لقد كان في قصة أو خبر يوسف وإخوته عبر وعظات للسائلين عن قصصهم، وبراهين وعلامات دالة على صدق نبوة محمد ﷺ للسائلين (المفسرين) له من اليهود عن قصة يوسف، كما تقدم بيانه، ودلائل أيضاً على قدرة الله تعالى وحكمته ولطفه بعباده الذين يختارهم للنبوة.

٨- إنها عبرة حين قال إخوة يوسف (وهم أحد عشر) لأبيهم: قسماً كيوسف وأخوه بنيامين شقيقه من أمه أحب إلى أبينا منا كلنا، ونحن جماعة قوية تقدر على خدمته، إن أبانا لفي خطأ واضح في الرأي بإيثار يوسف وأخيه بالمحبة دوننا.

٩- قال أكثر الإخوة: اقتلوا يوسف أو القوه في أرض بعيدة عن أبيه وعن العمران، يصفُ ويخلص لكم توجه أبيكم ومحبته، وتكونوا من بعد هذا الفعل بالقتل أو الإبعاد قوماً صالحين مع أبيكم وفي أمور دينكم ودنياكم، بالبعد عن القلق النفسي والغيرة والحسد، والتفات الأب إليكم وحدكم.

١٠- قال أحد الإخوة وهو يهوذا: لا تقتلوا يوسف، والقوه في قعر البئر الذي يغرب عن رؤية البصر، إن كنتم فاعلين به شيئاً بقصد الإبعاد عن أبيه، فهم إذن غير أنبياء.

١١- قال الإخوة بعد اتفاقهم على الإبعاد: يا أبانا ما لك لا تأتمنا على يوسف وتخاف عليه منا، وإننا له لناصحون: نشفق عليه ونريد له الخير.

١٢- أرسله معنا غداً إلى البرية أثناء خروجنا للمرعى، ينشط ويأكل من الفاكهة والزرع، ويلعب بالسهم والمسابقة المباحة، وإننا لحافظون عليه من أن يناله مكروه، والبعد عن إضراره.

١٣- قال يعقوب لهم: إنني أحزن لغيبه يوسف بذهابه معكم وفراقه إلي، وأخاف أن يفترسه الذئب الكاسر، وأنتم عنه لاهون مشغولون باللعب ونحوه.

١٤- قالوا لأبيهم: والله لئن أكله الذئب، ونحن جماعة قوية، إننا لعاجزون ضعفاء مستحقون لوصف الحسارة.

١٥- فلما ذهب الإخوة ييوسف، وعزموا عزماً أكيداً أن يلقوه في قعر البئر، وألهمنا ييوسف بعد إلقائه في البئر، حال صغره وله سبع عشرة سنة أو نحوها، تأنيساً له، لتُخبرن إخوتك بما فعلوه معك، أو بصنيعهم هذا، وهم لا يشعرون بأنك أنت ييوسف، كما سيأتي في الآية [٨٩].

١٦- ورجعوا إلى أبيهم ليلاً وقت المساء متباكين، ليستروا فعلتهم وكذبهم، ويوهموأ أباهم أنهم صادقون.

١٧- قالوا: يا أبانا، إنا ذهبنا نتسابق في العدو أو الرمي أو ركوب الخيل، وتركتنا ييوسف عند ثيابنا وأمتعتنا ليحرسها، فأكله الذئب حال بعدنا عنه، ولست بمصلق لنا، ولو كنا عنك صادقين، لسوء ظنك بنا واتهامك لنا وشدة محبتك ليوسف.

١٨- وجاؤوا على قميص ييوسف بدم مكذوب فيه، غير دم ييوسف، فلما رآه يعقوب، قال لهم لما علم بكذبهم: لم يأكل الذئب ييوسف، بل زينت لكم أنفسكم أمراً شنيعاً منكراً فعلتموه بأخيكم، فصبر جميل: وهو ما لا شكوى فيه إلى أحد ولا جزع، وأطلب العون من الله على ما تذكرون من أمر ييوسف، وتكذبون.

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾
وَجَاءَ وَآبَاهُمُ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءَهُ وَعَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَكَّارَةٌ فَاسْتَلُوا وَارِدَهُمْ فَادَّكُوا دَلْوَهُ قَالِ يَشْرِي هَذَا عَلَمٌ وَأَسْرُوهُ بَضْعَةً وَأَلَّهِ عَلَيْهِمْ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّالِمِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَا مَرْأَةَ لِي أَكْرَمُ مَثْوًى مِنْ عَسَى أَنْ يَفْعَلْنَا أَوْ تَسْتَخِذَنَا وَلَبَّأْ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ رَءَاهُ أَنبِيَاءَهُ حُكَّامًا وَعُلَمَاءًا وَكَذَلِكَ نُخْرِجُ الْحَسَنِينَ ﴿٢٢﴾

١٩- ومر بالبئر قوم مسافرون من مدين في بلاد الشام إلى مصر، فأرسلوا واردهم: وهو الذي يرد الماء ليستقي لقومه، فألقى دلوه في البئر لئتمتلى، فتعلق ييوسف بالحبل، فلما رآه الوارد قال: يا فرحتا (يقال عند السرور مقال: يا حسرتا عند الجزع) هذا غلام، وأخفوا أمره عن الرفاق، حال كونهم جاعليه متاعاً للتجارة، يباع ويشترى كالرفيق، والله عليم بعملهم، لم يخف عليه إسرارهم، وما نزل ييوسف من المحنة، وصار كالسلة للبيع والشراء.

٢٠- وباعه الرفقة المسافرون بمصر بثمن مبخوس ناقص عن ثمن مثله، بدراهم قليلة، وكانوا في ييوسف من الراغبين عنه، غير المباينين ببقائه معهم.

٢١- وقال مشتره عزيز مصر، وزير الملك على خزائن المال، لامرأته: أحسني إقامته معنا، وأحسني تمهده بحوائجه ومصالحه، عسى أن يفيدنا إذا كبر، فيقوم ببعض الأعمال، أو نتبناه فنجعله ولدنا لنا لو سامته وجماله وأمارات ذكائه، وكما نجيانه من القتل والبئر، جعلنا له في مصر مكانة ومنزلة رفيعة حتى صار وزير ماليتها، لنملكه ونعلمه تعبير الرؤيا وتفسيرها، والله لا يعجزه شيء، تقع الأمور بحسب إرادته، ولو دبر الناس خلاف ذلك، ولكن أكثر الناس وهم المشركون لا يعلمون أن الله غالب على أمره، قادر على تنفيذ مراده، بيده الأمر كله.

٢٢- ولما بلغ أشده: وهو غاية القوة الجسدية والعقلية، وكمال الرشد، من ثلاثين إلى أربعين، أعطيناه النبوة والحكمة وهي العلم المؤيد بالعمل أو معرفة أسرار الأشياء، وعلم الدين وتأويل الرؤيا والأحاديث، ومثل هذا الجزاء الذي جزيناه به، نجزي المحسنين لأنفسهم بطاعة الله تعالى.

٢٣- وراودته زليخا امرأة العزيز التي هو في بيتها عن نفسه، والمرادة: المطالبة برفق ولين وخداع، وطلبت منه أن يواقعها، وأحكمت إغلاق الأبواب، وقالت له: هلم وأقبل، تهيأت لك، قال لها: أعوذ بالله وأتحصن من الجهل والفسق، مما دعوتني إليه، كيف أفعل ذلك، والحال إن زوجك سيدي (قطفير) أحسن مقامي وأكرمني، وجعلني مؤتمناً على أموره، فلا أخونه، إنه لا يفلح الظالمون الذين يقابلون الإحسان بالإساءة. وقيل: إن الضمير لله تعالى، فإنه أحسن إقامتي في بلد الغربية.

٢٤- ولقد مال كل واحد منهما إلى الآخر بمقتضى الطبيعة البشرية، لكنها كانت مصرة تريد الوقوع، وهو لا يريد الإيقاع، لولا وجود النبوة وتذكره عهد الله ومراقبته بالطاعة للخالطها، مثل ذلك التثبيت ورؤية برهان الله للتذكر، لنصرف عنه خيانة العزيز في أهله، ونصرف عنه فاحشة الزنى، إنه من عبادنا الذين استخلصهم واجتباهم لرسالته وطاعته، أي طهرهم من النقائص.

٢٥- وتسابقا إلى الباب، يوسف يريد الفرار والخروج، وامرأة العزيز تريد أن تمنعه، وشقت قميصه من خلف أثناء هربه منها، ووجدت زوجها عند الباب، قالت محتالة مستترة على نفسها مخافة الاتهام بالفجور: ما جزء من أراد بزوجتك فاحشة، إلا السجن أو التعذيب الشديد الألم بالجلد انتقاماً منه؟

٢٦- قال يوسف دفاعاً عن نفسه: هي طلبت مني ذلك ولم أرد بها سوءاً، وشهد طفل في المهدي من آثارها، أنطقه الله، كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ في ذكر من تكلم بالمهد، ومنهم شاهد يوسف، فقال: إن كان قميصه شقاً أو قطع من أمام، فصدقت في قولها، وهو من الكاذبين في قوله، وعند طائفة كبيرة من المفسرين أن الشاهد لم يكن طفلاً وإنما رجل كبير هو ابن عمها.

٢٧- وإن كان قميصه شقاً من خلف، فكذبت في ادعائها عليه، وهو من الصادقين في دعواه عليها.

٢٨- فلما رأى العزيز زوجته أن ثوب يوسف شق من خلف، برآه، وقال لزوجته: إن هذا الأمر المختلف فيه من تدبير النساء ومكرهن، إن مكركن أيها النساء عظيم، أي أشد دهاء وتأثيراً في النفس. والكيد: المكر والحيلة.

٢٩- وتابع العزيز قوله: يوسف أعرض عن هذا الأمر واكتمه ولا تتحدث به، واستغفري أيتها المرأة لذنبك الذي وقع منك، إنك كنت بسببه من الأثمين.

٣٠- وقال جماعة من نسوة مدينة مصر لما شاع الخبر: امرأة العزيز تراود غلامها المملوك عن نفسه، طالبة منه الموافقة، وهو ممتنع عنها، قد دخل حبه شغاف قلبها، أي غلافه، إننا لنهاه بهذا الفعل في خطأ واضح. واسم المرأة: زليخا، والعزيز: لقب وزير ملك مصر.

وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْت لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأَ بَرَهْنَ رَبَّهُ كَذَلِكَ لَنَصْرَفَ عَنْهُ الشُّوْءَ وَالْفِتْنَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيْتَا سَيْدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جِئْتِي مِنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُجِنَّ أَوْعَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ سَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَتْهُ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ أَنْ كِيدَنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفَرَ لِذَنْبِكُ أَنْكِ كُنْتَ مِنَ الْفَاطِحِينَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٠﴾



فَلَمَّا سَمِعَتْ مَكْرَهِنَ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكِنًا
وَأَاتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا
رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا
بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا آيَاتُكَ كَرِيمًا ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي
فِيهِ وَلَقَدْ رُودِدْتُ عَنْ نَفْسِي فَأَسْحَمَ وَلَئِن لَّرُفِعَ لَمَّا أُنزِلُ
لِلْحَيِّثُ وَلَئِكُنَّ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ
مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ
وَإَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ
إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ تَوَدَّأَلْهَمُنَّ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِ
السِّجْنِ حَتَّىٰ يَمِينُ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَسْبَأُ قَالَ
أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أُحْمَلُ
فَوْقَ رَأْسِ جَبْرًا تَأْكُلُ الظُّبُرَ مِنْهُ نَبَأَ ابْنِهِ آتًا تَرَكَ
مِنَ الْحَسَنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَا بُنَيَّ كُلَّا طَعَامٌ مِّنْ رَّبِّكَ إِنَّ لَآيَاتِكُمْ
فِي هَذَا بَلَاءً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٣٧﴾ قَالَتَا يَا رَبَّنَا إِنَّكَ لَمَّا
قَوْلًا لِّأَيُّمُونُ بِاللَّهِ وَهُوَ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٨﴾

٣١- فلما سمعت امرأة العزيز باغتيالها وتدبيرهن الخفي أو نقدهن - وسمي مكرًا؛ لأنهن لم يقصدن الغيرة على الفضيلة، وإنما قصدن إخراجها حتى تطرده، ويستأثرن به - دعتهن إلى وليمة ليعذرنها وتوقعهن فيما وقعت به، وهيات لهن وسائل في مجالس يتكثن عليها، وقال ابن عباس: التكاؤ: هو فاكهة الأرنج، وأعطت كل واحدة منهن سكينًا لتقطع طعام، وقالت ليوسف: اخرج عليهن، فلما رأينه أعظمته، وراعهن حسنه، حتى اضطربن، وجرحن أيديهن بالسكاكين، وقلن بقصد التعجب من جماله: تنزيهاً لله عن العجز، وتعجباً من قدرته على خلق مثله، ما هذا الفتى بشراً؛ لأن جماله الفائق لم يعهد في البشر، ما هذا إلا ملك كريم، لما في الطبع أن الملائكة راعوا الحسن بارعو الجمال.

٣٢- قالت امرأة العزيز حيثئذ: فهذا هو الفتى الذي عيرتني في حبي له، ولقد راودته عن نفسه، فامتنع امتناعاً شديداً، ولئن لم يفعل ما أمره به، ليحبسن في السجن، وليصيرن من الأذلاء المهانين بسلب النعمة والتعرض للإهانة.

٣٣- قال يوسف مناجياً ربه تعالى: ياربُّ

دخول السجن الذي هددتني به هذه المرأة، أرغب إلي مما يدعونني إليه من المعصية، وإن لم تصرف عني مكرهن واحتيالهن، أمل إليهن وأوافقهن على مرادهن، وأكن حيثئذ من فئة الجهال السفهاء الذين يتورطون بالمنكرات عن طيش. وهذا لجوء إلى الله تعالى عند اشتداد البلاء وتعاطم الفتنة.

٣٤- فأجاب الله دعاءه ولطف به، وعصمه من المعصية، وأذهب عنه مكرهن، إنه سبحانه سميع الدعاء، عليم بحال المنتجي إليه.

٣٥- ثم ظهر لعزير مصر وجماعته المستشارين، من بعد رؤية العلامات الدالة على براءة يوسف، ليحبسن يوسف في السجن إلى مدة غير معلومة، لينقطع كلام الناس.

٣٦- ودخل مع يوسف السجن غلامان آخران للملك: الساقى والخباز، فرأياه يفسر الرؤيا، فحاولا اختباره، فقال أحدهما وهو الساقى: إني رأيت في المنام أني أعصر عنباً لصنع خمر منه، وقال الآخر وهو الخباز إني رأيت في المنام أني أحمل خبزاً تتناول الطير منه، أخبرنا بتأويل رؤيانا، إنا نراك يا يوسف من الذين يحسنون تعبير الرؤيا، ويحسنون معاملة الناس.

٣٧- قال يوسف: تعلمان أنه لا يأتيكما طعام إلى السجن من جهة الملك إلا أخبرتكما بما هيته ونوعه قبل مجيئه، ذلكما التأويل والإخبار بالغيبيات، مما علمني ربي بالوحي والإلهام، لا بالكهانة والتنجيم، إني تركت دين قوم كفروا بالله واليوم الآخر، وهو ملة ملك مصر وغيره.

٣٨- واتبعت دين آبائي، أي أجدادي: إبراهيم وإسحاق ويعقوب. سماهم آباء لترغيب صاحبيه في الإيمان بالله. ما صح لنا أن نشرك بالله شريكاً في عبادته، أي شيء كان الشريك صنماً أو ملكاً، ذلك التوحيد والإيمان من أفضال الله ومكارمه علينا، وعلى الناس كافة، ولكن أكثر الناس لا يشكرون الله على أفضاله ونعمه.

٣٩- يا صاحبي في السجن، هل الأرياب المتعددون في ذواتهم وصفاتهم خير للعبادة، وهم لا يضررون ولا ينفعون، أم الله الواحد المتفرد بالالوهية المعبود بحق الغالب لكل شيء، النافذ القدرة؟!.

٤٠- ماتعبدون من غير الله من الأصنام والأوثان إلا مجرد أسماء لا حقيقة لها، سميتوها آلهة أنتم وآباؤكم من تلقاء أنفسكم، لكونها جمادات لا تسمع ولا تبصر، ولا تضر ولا تنفع، ما أنزل الله ولا أوحى لعبادتها من حجة وبرهان، ما الحكم النافذ في كل شيء إلا الله وحده، ذلك هو الدين المستقيم الثابت، ولكن أكثر الناس وهم

وَأَتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِذِ هُمْ وَاصِحُونَ وَيَعْقُوبُ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرِ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَصْحَبِي إِلَيْهِمْ أَزْوَاجٌ مُنْفَرِقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَقْبَلُوا إِلَّا آيَاتُهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقَيْمُ وَلَكِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَصْحَبِي إِلَيْهِمْ أَزْوَاجٌ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤١﴾ فَصَلِّبْ مَا كُلُّ الطَّيْرِ مِنْ رَأْسِهِ قَضَى الْأَمْرَ الَّذِي فِيهِ سَتْمَبَانٍ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٣﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعَ سُبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رَأْيِي إِنْ كُنْتُمْ لِلرَّيِّبِينَ تَعْبُرُونَ ﴿٤٤﴾ قَالُوا أَصَعَبُكَ أَحْلَمٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ ﴿٤٥﴾

الكفار لا يعلمون ذلك كله.

٤١- يا صاحبي في السجن، هذا تأويل رؤياكما: أما أحدكما وهو الساقى فسيعود إلى ما كان عليه، ويخرج من السجن، ويسقى سيده الملك خمراً، وأما الآخر وهو الخباز فيصلب، ويبقى مصلوباً، حتى تأكل الطير من رأسه، فقالوا: كذبنا وما رأينا شيئاً، فقال يوسف: فرغ من الأمر الذي سألتما عنه، صدقتما أم كذبتما.

٤٢- وقال يوسف للذي توقع نجاته وهو الساقى: اذكر صفاتي التي شاهدتها عند سيلك الملك، وذكّرني متى رجعت إليه، لينصفني ويطلق سراحي، فأنساه الشيطان تذكير الملك بيوسف، فبقي يوسف في السجن بضع سنين: من الثلاث إلى التسع.

٤٣- وقال ملك مصر الأكبر الذي كان العزيز وزيراً له: إني رأيت في المنام سبع بقرات يتلعهن سبع بقرات ضعاف مهزائل، وسبع سنابل خضر معقودة الحب، التوت عليها حتى غلبتها سبع آخر يابسات، يا أيها الأشراف من الحكماء والعلماء: أخبروني بتعبير ومعنى هذه الرؤيا، إن كنتم تعرفون تعبيرها وتفسيرها.

٤٤- قال الملأ: هذه الرؤيا أخلاط أحلام أي خواطر وخيالات كاذبة، ولسنا بتأويل المنامات الباطلة بعالمين، فلا تأويل لها عندنا.

وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنْتِكُمْ
بِنَاوِيلِهِ فَأَرْسَلُونِي ٤٥ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي
سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عَجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ
خُضْرٍ وَأُخْرَىٰ سَبْتًا لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ
٤٦ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُّوهُ
فِي سُنبُلِهِ ٤٧ الْآفِلَاتُ أَلَمَّا أَتَى الْكُلُونَ ٤٨ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ
ذَلِكَ سَبْعُ شِدَادٍ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا خَصَّصْتُمْ
٤٩ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ
يَصْعُرُونَ ٥٠ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أُنَوتُنِي بِهٖ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ
قَالَ أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَالُ النَّسُوتِ ٥١ الَّتِي قَطَعْتَ
أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَافٍ بِهِنَّ عَالِمٌ ٥٢ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ
إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلَّمْنَا عَلَيْهِ
مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ إِنَّكِ لَكُنَّ حَصْحَصَ الْحَقِّ أَنَا
رَاوَدْتُهُنَّ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصِّدِّيقِينَ ٥٣ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي
لَمْ أَخْنُفْ بِالْعَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ ٥٤

٤٥ - وقال الذي نجا من الغلامين من العقوبة وهو الساقى، وتذكر يوسف بعد مدة من الزمان: أنا أخبركم بتأويل هذا المنام بسؤال عالم بالتأويل، فأرسلوني إلى يوسف في السجن، لأقص عليه الرؤيا، فيخبرني بتأويلها.

٤٦ - يا يوسف الكثير الصدق: أخبرنا عن رؤيا من رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع ضعاف، وسبع سنبلات خضر تلثوي عليها سبع آخر يابسات، رآها الملك في منامه، لعلي أرجع إلى الناس: الملك وأصحابه، لعلمهم يعلمون تأويل هذه الرؤيا، ويعلمون فضلك ومزنتك في العلم، فتخرج من السجن.

٤٧ - قال يوسف: ازرعوا الأراضي سبع سنين متوالية متتابعة على عادتكم المستمرة، وهي تأويل السبع البقرات السمان، والسبع السنبلات الخضر، فما حصدتم في كل عام، فاتركوا المحصول في سنبله أي عيدانه، لتلا يأكله السوس، إلا قليلاً مما يخصص للأكل في تلك السنين، فادرسوه.

٤٨ - ثم يأتي من بعد تلك السنين الخصبية سبع سنين مجذبة صعبة، وهي تأويل السبع العجاف الضعاف، يأكل أهلها ما ادخرتم لأجلهن - وأسند الأكل للسنين للمبالغة - إلا قليلاً مما تحرزون وتدخرون للبذار للزرع القادم.

٤٩ - ثم يأتي من بعد هذه السنين المجذبة عام فيه يغاث الناس بالمطر، ويأتي الفرج الإلهي بفيضان النيل لاعتماد زراعتهم عليه، لا على المطر، وفيه يعصرون ما يقبل العصر كالعنب والزيتون والسمسم، وكل ذلك من تعليم الله تعالى.

٥٠ - وقال الملك لمن حوله بعدما جاءه الرسول بتعبير الرؤيا وسمع عن أفضال يوسف: اتنوني بيوسف لأستمع منه، فلما جاء رسول الملك يدعو يوسف إلى مقابلة الملك، قال يوسف قاصداً إظهار براءته: أرجع إلى سيدك، فاطلب منه أن يسأل: ما حقيقة حال النسوة اللاتي قطعن أيديهن وما سبب ذلك؟ إن ربي تعالى عالم بما صنعن وبما أضمرن ومكرن؟

٥١ - قال الملك للنسوة اللاتي اجتمعن مع امرأة العزيز: ما شأنكن وما قضيتكن حين راودتن يوسف عن نفسه، هل وجدتن منه ميلاً لا يمكن؟ قلن: معاذ الله أن يكون يوسف متهماً، وهذا تعجب من شدة عفته، ما علمنا عليه من ذنب، قالت امرأة العزيز: الآن ظهر الحق جلياً، أنا التي راودت يوسف عن نفسه، وإنه لصادق في تبرئة نفسه.

٥٢ - قال يوسف: فعلت ذلك وطلبت التحقق في الأمر والبراءة قبل مغادرة السجن، ليعلم العزيز أنني لم أخنه في أهله وهو غائب عني، وأن الله لا يسدد ولا ينفذ ولا يوفق الخائنين في تدبيرهم الخفي، هذا تفسير الزمخشري. ورأى أبو حيان أن هذا القول من المرأة، لتظهر أنها لم تسع لسمة يوسف وعفته في غيبته.

٥٣- وتابع يوسف كلامه (على التفسير الأول): وما أبرئ نفسي من الخطأ والزلل، إن شأن النفس كثيرة الأمر باتباع الهوى والشهوة، إلا ما رحم ربي من النفوس فعصمها من الوقوع في المعصية، إن ربي كثير المغفرة للمستغفرين، واسع الرحمة بالتائبين الصالحين. وعلى التفسير الثاني لأبي حيان: إن هذا من تمة كلام امرأة العزيز، متصل بما قبله: ﴿الآن حصحص الحق﴾ [٥١].

٥٤- وقال ملك مصر: اتنوني بيوسف من السجن أجعله خالصاً لنفسي، من خاصتي وأهل مشورتي، فلما كلم الملك يوسف وشاهد منه الرشيد والفظنة والذكاء والبراءة، قال له: إنك اليوم ذو مكانة ومنزلة، مؤتمن على كل شيء.

٥٥- قال يوسف للملك: اجعلني والياً على خزانة أموال أرض مصر، إني أحسن الحفاظ على مصالحها وضابط لها، وذو علم بأمرها.

٥٦- وكانعانا على يوسف بالخلّاص من السجن، جعلنا له مكانة في أرض مصر، بالتصرف في شؤونها، كما يتصرف الرجل في منزله، وهذا يدل على جواز تولي الأعمال للسلطان الجائر أو الكافر إذا تمكن من القيام بالحق، نرحم من نشاء في الدنيا

والآخرة، ولا نضيق ثواب المحسنين، بل نوفيهم أجورهم كاملة غير منقوصة.

٥٧- وكثواب الآخرة أفضل وأعظم من ثواب الدنيا بسبب دوامه، للمؤمنين بالله ورسوله، وخافوا الله، وتجنّبوا الشرك والفواحش، وحذروا العقاب، فأطاعوا ربهم.

٥٨- وجاء إخوة يوسف وهم أحد عشر إلبنيامين، من أرض كنعان- فلسطين إلى مصر ليمتاروا ويشترى الطعام (الحبوب) بعد إصابتهم بالقمح، فدخلوا على يوسف، فعرّفهم أنهم إخوته، وهم جاهلون به؛ لأنهم فارقه صبيّاً مرافقاً.

٥٩- ولما أعطاهم ما طلبوا من الميرة وأوفى لهم الكيل من القمح، قال لهم: اتنوني بأخ لكم وهو بنيامين أخو يوسف الشقيق في المرة القادمة لأعلم صدقكم فيما قلتم، ألا ترون أنني أتم الكيل، وأنا خير المضيفين في هذه البلاد.

٦٠- فإن لم تأتونني به، فلا ميرة لكم عندي ولا أبيعكم الطعام، ولا تقربوا ببلادي.

٦١- قالوا: سنجتهد في طلبه من أبيه، وإنا لفاعلون ذلك لا نتوانى.

٦٢- وقال يوسف لعلمانه الكياليين: اجعلوا ثمن ما أتوا به من الطعام، في أوعيتهم، لكي يعرفوها ويعرفوا حق رتعا، فيطمعوا في العودة، إذا رجعوا إلى أهلهم فوجدوها فيها، لعلهم يرجعون إلينا، فتكون معرفتهم ذلك داعية لهم للرجوع.

٦٣- فلما عادوا من سفرهم إلى أبيهم، قالوا: يا أبانا حُكم بمنع كيل الطعام منا في المستقبل إن لم ترسل معنا أخانا بنيامين، نتمكن به من اكتيال ما نحتاج إليه، فأرسله معنا، لنحصل على الطعام، وإنا حافظون له من أن يناله مكروه.

﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنْ أَلْفَسْتُ لَأَمَانَةَ بِالشُّعْرِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنْ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٥٣) وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَنْتُونِي بِهِ إِسْتَحْضَاهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَلِكَ مَكَانَ يُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَا جَبْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٨﴾ وَكَانَ جَمْرُهُمْ جَمْرًا زَهْرًا قَالَ أَتَنْتُونِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِنْ آبَائِكُمُ الْأَتْرُونَ أَنِّي أَوْفَى الْكَيْلِ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِنْ لَوَأْتُونِي بِهِ فَلا كَيْلَ لَّكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِي ﴿٦٠﴾ فَالُوا اسْتَرُودَ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِضَيْفِيهِ اجْعَلُوا بِضْعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانًا نَكْتَلُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦٣﴾

قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا آمَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ
 فَاللَّهُ خَبِيرٌ فَحَفَظُوا وَهُوَ رَحِيمٌ ٦٤ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَخَّرُوا مُنْتَهُمُ
 وَجَدُوا بِصُعُوبَةٍ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ فَكَلَّمُوا يَا أَبَانَا
 مَا نَبِيٌّ هَذِهِ بَصُعُوبَةٌ رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَبِيٌّ أَهْلَكَ
 وَحَفَظْنَا أَخَانَا وَزَادَ كُلُّ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ لِّسَيِّدٍ ﴿٦٥﴾ قَالَ
 لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِن اللَّهِ لَئِنِّي بِهِ إِلَّا
 أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّاءُ أَوْهَ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ
 وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ بَيْنِي وَأَبِي لَأُدْخِلَنَّ مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ
 أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أَعْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ وَإِنَّا نَحْكُمُ إِلَّا
 بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴿٦٧﴾
 وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمَا مَأْكَانًا غَنَىٰ عَنْهُمُ مَن
 اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَالْإِحَاجَةُ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ فَضَلَّهَا وَإِنَّهُ
 لَذُو عِلْمٍ لَمَّا أُنشِئَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
 ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ أَوْحَىٰ إِلَيْهِ آخَاهُ قَالَ إِنِّي
 أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ ﴿٦٩﴾

٦٤- قال يعقوب لأبنائه: هل ائتمنكم على أخيكم بنيامين إلا كما ائتمنتمكم على أخيه يوسف في الماضي حين ذهبتم به إلى البرية ولم تعودوا به؟ وهذا تصریح منه بالخوف من خيانتهم في الحالتين، فالله خير حافظ له أثق به وأتوكل عليه، وهو سبحانه أرحم الرحماء بي، يرحم كبري وتعلقني بولدي، وأرجو أن يرده علي، ويجمع الشمل.

٦٥- ولما فتحوا أوعية طعامهم، وجدوا فيها ثمن الطعام قدر ذلك إليهم، قالوا: يا أبانا، ما الذي نطلبه أكثر من هذا الإكرام، من إعطاء الغلال وإعادة الثمن؟ هذه نقودنا رُدَّتْ إلينا بفضل الله، ونجلب الميرة (الطعام) ونحفظ أخانا في الذهب والإياب، ونزاد مكيل بعير بوجود أخينا بنيامين معنا، ذلك المكيل الزائد من الخسب سهل الحصول عليه، والعطاء على الملك، لسخائه وتوافر الغلال لديه.

٦٦- قال يعقوب لأولاده: لن أرسل بنيامين معكم، حتى تعطوني عهداً مؤكداً بالحلف بالله عليه لتردنه إلي، إلا أن يغلب عليكم عدو،

وتعرضوا للهلاك، فتهلكوا دونه، فتعذرون عندي، فلما أعطوه عهدهم بما طلب وتنفذ ما أمر باليمين، قال يعقوب: الله على ما نقول من طلب الميثاق والإتيان بالأخ شهيد رقيب مطلع، يعاقب من نقض العهد وحث في اليمين.

٦٧- وقال يعقوب يوصي أبنائه: يا أولادي لا تدخلوا مصر من باب واحد، خوفاً من الضرر أو الحسد أو إصابة العين، وادخلوا من أبواب متفرقة، كيلا تلتفتوا الأنظار إليكم، وما أدفع عنكم بوصيتي هذه أو تديري شيئاً من قضاء الله وقدره عليكم، ما الحكم إلا لله وحده، عليه اعتمدت، وبه وثقت، لردكم إلي جميعاً بسلام، وعليه فليعتمد المؤمنون المفوضون إليه في جميع أمورهم.

٦٨- ولما دخل أبناء يعقوب من الأبواب المتفرقة، ما كان يفيد عنهم ذلك الدخول من قضاء الله عليهم شيئاً، فإنه سبحانه قدر أخذ يوسف أخاه بنيامين زيادة في المصائب، ولكن حاجة في نفسه: وهي شفقتهم عليهم وحرصه على سلامتهم، أظهرها لهم ووصاهم بها، وقد نفذوا الوصية، وقضاء الله فوق كل تدبير، وإن يعقوب عالم بما علمناه نحن الإله إياه، ومن تعاليمه: أن الحذر لا يمنع القدر، وأن العين لا تضر إلا بإذن الله، ولكن أكثر الناس، وهم الكفار لا يعلمون سر القدر، وأن التوكل والاعتماد على الله لا يمنع الأخذ بالأسباب وأخذ الحذر والتعقل.

٦٩- ولما دخلوا على يوسف، ضم إليه أخاه في غفلة منهم، وقال له سراً: أنا أخوك يوسف، فلا تخزن بما كانوا يعملون معنا في الماضي، من الحسد، وأمره ألا يخبرهم بهذا.

٧٠- فلما زودهم بالطعام، جعل خُفية وعاء السقاية والكيل الذي هو الصواع أو الكيال في وعاء طعام أخيه بنيامين الذي اشتراه من مصر، ثم نادى مناد قبل المغادرة: يا أصحاب القافلة (العيير المحملة المركوبة) إنكم لصوص سارقون.

٧١- قال إخوة يوسف، وهم مقبلون على المنادي من أتباع الملك: ماذا تفقدون من الأشياء؟

٧٢- قالوا لهم في الجواب: نفتقد صاع الملك الذي يباع به وهو السقاية، ولمن جاء بالصاع بنفسه حمل بغير، وأنا به كفيل، أي بحمل البعير (الجمال). ويعاد الضمير للصواع مذكراً ومؤنثاً.

٧٣- قال أبناء يعقوب: بالله إنكم معشر يوسف وأصحابه تعلمون يقيناً من خلال مرتي المجيء السابقتين أننا ما أتينا بلادكم لنعصي الله في أرضكم، ونحن أبرياء لسنا بسارقين.

٧٤- قال المنادي وأصحابه: فما جزاء السارق عندكم في شرعكم إن كنتم كاذبين في ادعاء البراءة من السرقة؟

٧٥- قال أبناء يعقوب: جزاء السارق للصواع:

أخذ الرجل الذي يوجد الصواع في رحله عبداً رقيقاً للمسروق منه، فهو جزاؤه العادل، بمثل ذلك الجزاء نجزي السارقين في شريعتنا- شريعة يعقوب.

٧٦- فبدأ المفتش يوسف بتفتيش أوعية الإخوة العشرة قبل وعاء أخيه بنيامين دفعاً للتهمة، وحبكاً للحيلة المدبرة، ثم استخرج الصواع من وعاء بنيامين أخيه، مثل ذلك ألهمنا يوسف هذا التدبير الخفي ليأخذ أخاه، فلولا ذلك ما كان ليستبقي أخاه في شريعة الملك التي كان عليها، والتي تكفي بضرب السارق وتغريمه ضعف قيمة المسروق، إلا في حال مشيئة الله وإذنه ووجهه، نرفع بالعلم والحكمة منازل من نشاء من عبادنا، وفوق كل عالم أعلم منه وأرفع منزلة، حتى ينتهي العلم المطلق إلى الله تعالى.

٧٧- قال إخوة يوسف بدافع الحقد والكراهة في أنفسهم: إن يسرق بنيامين أخونا من أبنائنا الصواع، فقد سرق أخ شقيق له من قبل، وهو يوسف، قيل في الروايات المنحولة: إنه في صغره أخذ صنماً من ذهب لجدته أبي أمه، فكسره وألقاه في الطريق، تغييراً للمنكر، فأخفى يوسف هذه التهمة في نفسه، ولم يُظهر لهم تأثيره منها، وقال في نفسه: أنتم شر موضعاً عند الله ممن اتهمتموه بالسرقة، وهو بريء، لخياتكم أخاكم وظلمكم له، والله أعلم بحقيقة ما تقولون وتكذبون، وما تزعمون من نسبة السرقة إلى يوسف.

٧٨- قال إخوة يوسف مسترحمين: يا أيها العزيز، إن له أباً شيخاً كبيراً في السن هرمأً، يحبه حباً شديداً، ويتسلى به عن ولده الهالك، ويحزنه فراقه، فخذ أحدنا عبداً غيره مكانه، إننا نراك من المحسنين في أفعالك إلينا وإلى الناس كافة، فأنم إحسانك بهذا المطلب. والخطاب بصفة العزيز دليل على أن يوسف بمرتبة وزير.

فَلَمَّا حَمَّرُوهُمْ بِجِذَاهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رِجْلِ أَخِيهِ ثُمَّ
أَدْنَى مَوْزَنَ أَيُّهَا الْعَيْبَرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾ فَأَلَوْا وَقَبِلُوا
عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ ﴿٧١﴾ فَأَلَوْا تَفْقَدُ صُوعَ الْمَلِكِ
وَلَمَّا جَاءَ بِرِجْلِ مِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ فَأَلَوْا تَأَلَّوْهُ
لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا خِيسُ النَّفْسِ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ
﴿٧٣﴾ فَأَلَوْا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ فَأَلَوْا
جَزَاؤُهُ مِنْ وَجَدَ فِي رِحْلِهِ فهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نُجْزِي الظَّالِمِينَ
﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيْنَهُمْ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهُمْ مِنْ وَعَاءِ
أَخِيهِ كَذَلِكَ كَذَبْنَا لِيُؤْسِفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ
فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ
وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ ﴿٧٦﴾ ﴿٧٧﴾ فَأَلَوْا إِنْ يَسْرِقُ
فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَنَا مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ
وَلَمْ يَبْدِهَا لَهُمْ قَالَ اللَّهُ سَرَّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا صِفُونَ
﴿٧٨﴾ فَأَلَوْا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَنَا أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا
فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٩﴾



قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عَنْهُ إِذْنَا إِذًا الظَّالِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطُتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذُنَ لِي أَبِي أَوْ يحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ارْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسَمِعِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبِرْ جَمِيلًا عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَقَوْلِي عَنْهُمْ وَقَالَ يَا سَفِي عَلَىٰ يُوسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَاطِمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتُونََّا نَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرْصًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بِنِيِّ وَحَزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾

٧٩- قال يوسف : نلجأ إلى الله من أن نأخذ أحداً إلا الذي وجدنا متاعنا (الصواع) عنده ، وهو بنيامين ، طبقاً لشريعتكم ، إننا لظالمون إن أخذنا غيره مكانه .

٨٠- فلما يتسوا ياساً شديداً من يوسف وإجابته إليهم ، انفردوا متاجين سراً فيما بينهم ، قال كبيرهم سناً : روبيل أو يهوذا ، أو كبيرهم في الرأي : وهو شمعون ، ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم عهداً موثقاً من الله بحفظ أخيكم ، وقد سبق لكم من قبل هذا تفريطكم في يوسف ، وحشتم بوعدكم ، فلن أفارق أرض مصر وأرجع إلى أرض كنعان ، حتى يأذن لي أبي بالعودة إليه ، أو يتصرف الله في أمري ، ويخلص أخي ، وهو سبحانه عدل الحاكمين ؛ لأنه لا يحكم إلا بالحق والعدل .

٨١- ارجعوا إلى أبيكم وحدكم ، فقولوا له : إن ابنك سرق صواع الملك ، فاستعبد بحسب شريعتنا ، وما شهدنا عليه بالسرقه إلا بما شاهدناه

من استخراج الصواع من رحله ، وما كنا عالمين بما غاب عنا ، فلم ندر أنه سرق .

٨٢- واسأل أهل القرية- أهل مصر ، وأصحاب الإبل (القافلة) التي رجعتنا معها إلى بلادنا وهم قوم من كنعان ، وإننا لصادقون في قولنا الذي أخبرناك به عن بنيامين .

٨٣- قال يعقوب لهم : لم أصدقكم ، وزينت لكم أنفسكم أمراً معيناً فعلتموه ، كما حدث في سابقة يوسف ، فصبري صبر جميل : وهو الذي لا جنح ولا شكوى فيه لأحد إلا الله تعالى ، لعل الله أن يأتيني بيوسف وأخويه جميعاً ، إنه عليم بحالي وحزني ، حكيم في صنعه .

٨٤- وأعرض يعقوب عن أولاده تاركاً خطابهم ، وقال : يا حزني على يوسف ، وغطت عينيه غشاوة بيضاء حتى كاد لا يبصر ، لشدة بكائه وحزنه على غياب أولاده الثلاثة ، فهو مملوء غيظاً وحزناً ، مغموم مكروب .

٨٥- قال أولاد يعقوب لأبيهم : والله لا تزال تذكر يوسف تفجعاً عليه ونأسفاً لفراقه ، حتى تكون مريضاً مشرفاً على الهلاك ، أو تكون من الموتى ، أي إما قريباً من الهلاك أو تهلك فعلاً .

٨٦- قال لهم يعقوب : إنما أشكو أعظم غمي وأصعبه وحزني إلى الله ، لا إلى غيره ، فهو الذي تنفع الشكوى إليه ، فاتركوني وشكائتي ومعاناتي ، وأعلم من فضل الله وصنعه ، ولطفه ورحمته ما لا تعلمون ، فإنه لا يخيب من دعاه . والبث : الغم الكثير ، والحزن : ألم في النفس من شدة الغم .

٨٧- تابع يعقوب قائلاً: يا أولادي، اذهبوا إلى مصر، فابحثوا واطلبوا خبر يوسف وأخيه، ولا تقنطوا من رحمة الله بتفريخ كربنا وهمنا، إنه لا يقنط من رحمة الله إلا القوم الجاحدون لفضله وقدرته ولطفه. والروح: كل ما يهتز الإنسان بوجوده ويستمتع به.

٨٨- فلما دخل أولاد يعقوب على يوسف، قالوا: يا أيها العزيز أصابنا وأهلنا الضر، أي شدة الجوع والحاجة والمرض من القحط، وجننا بدراهم رديئة، فاتم لنا الكيل، وتفضل علينا بالمسامحة عن رداءة بضاعتنا (نقودنا) إن الله يثيب المتفضلين أحسن الجزاء.

٨٩- قال يوسف لهم توبيحاً بعدما رأى جهدهم وضيقهم: هل تذكرون ما فعلتم بيوسف من الضرب والبيع والاحتقار وغير ذلك، وما فعلتم بأخيه بما الحقتم به من الذل والإهانة، وفرقتم بينه وبين أخيه، حين كنتم جاهلين بقب ذلك وعاقبته.

٩٠- قالوا متذكرين نبرات صوته، متنبئين لما

قال في الآية السابقة، على طريق التعجب: أئنك أنت يوسف حقاً؟ قال: أنا يوسف، وهذا أخي الشقيق بنيامين، قد تفضل الله علينا وأنعم بالاجتماع والسلامة والكرامة، إنه من يخف الله، ويصبر على البلايا والمحن، فإن الله لا يضيع ثواب المحسنين الذين جمعوا بين التقوى والصبر، بل يجزيهم خير الجزاء.

٩١- قالوا له: والله لقد اختارك الله وفضلك علينا، والحال أننا كنا مذنبين بما فعلنا معك، آمين بما ارتكبنا والخطأى: الأثم الذي يتعمد الخطيئة، والمخطئ: الذي يريد الصواب فيخطئه.

٩٢- قال يوسف: لا تعبير ولا لوم أو تأنيب عليكم اليوم، فقد سامحتكم وعفوت عنكم، بالاعتراف بالذنب، يغفر الله لكم ذنوبكم، وهو سبحانه أرحم الراحمين بمن تاب وأناب، يغفر الصغائر والكبائر.

٩٣- اذهبوا بقميصي هذا الذي كان علي، فألقوه على وجه أبي يعقوب، فمتى يشم رائحتي، يرجع إليه بصره، وعودوا إلي بأهلكم أجمعين، من غير استثناء أحد.

٩٤- ولما انطلقت القافلة وفارقت أرض مصر متجهة إلى الشام، قال يعقوب أبوهم لمن حوله: إني لأشتم أو أحس برائحة يوسف، لولا أن تسبونني إلى القنذ: وهو فساد الرأي وضعف العقل، وتهموني بالخرق: ذهاب العقل من الشيخ الهرم.

٩٥- قالوا له: والله إنك لفي خطئك القديم الذي كنت عليه، بإفراطك في حبه، وتوقع لقاءه.

يَبْنِي أَذْهَبُوا فَحَسَسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ أَنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلُنَا النَّضْرَ وَجِنَّا بِيضْعَةٍ مَرْجَدَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَصَدِّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُصْذِقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفَ قَالَ أَنَا يُوسُفَ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مِنْ يَتِّقُ وَيَصْبِرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَأَلَّفَهُ لَقَدْ أَتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِيئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ تَعِيفُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفِئِدُونِي ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَأَلَّفَهُ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾

٩٦- وحينما جاء البشير من مصر وهو يهوذا حاملاً قميص يوسف، ومبشراً بسلامته مع أخيه، التي القميص على وجه يعقوب، فعاد مبصراً من شدة الفرح، وقال يعقوب لأولاده عندئذ: ألم أقل لكم: إني لأجد ربح يوسف، وإني أعلم من الله ما لا تعلمون: وهو ما قلته سابقاً: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ، وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [٨٦] وهو أن الله سيرد علي يوسف وأخاه ويجمع الشمل.

٩٧- قال أولاد يعقوب: يا أبانا، اطلب من الله أن يغفر لنا سيئاتنا التي ارتكبتها، إنا كنا مذنبين.

٩٨- قال يعقوب: سوف أدعو الله لكم بالمغفرة في وقت مناسب، وهو وقت السحر، حيث يستجاب الدعاء، ولم يبادر بالدعاء للتنبية إلى سوء فعلهم، والتحقق من إجابة دعائه شفقة على أولاده.

٩٩- فرحل يعقوب عليه السلام بأهله أجمعين، وساروا حتى أتوا مصر، ودخلوا على يوسف عليه السلام، فضم إلى مسكنه أبويه (أباه وأمه أو خالته) وعانقهما وقال: ادخلوا مصر آمنين إن شاء الله عما تكرهون.

١٠٠- وأجلس أبويه معه على سرير الملك، تكريماً لهما واحتراماً، وسجد له الأيوان والإخوة الأحد عشر سجود انحناء وتحية وتكرمة له، لا سجود عبادة، ولا وضع جبهة على الأرض، فإن ذلك كان تحيتهم في زمانهم، وجائزاً في شريعتهم، وقال يوسف: يا أبت، هذا تأويل رؤياي السابقة، أي مآلها وعاقبتها، قد جعلها ربي حقيقة واقعة، وقد أفاض علي اللطف والإحسان حين أخرجني من السجن وأظهر براءتي، ولم يقل: من الجب (البئر) تكرماً، لثلا يخجل إخوته في وقت الجمع والصفاء، وجاء بكم من البادية، وهي أرض كنعان بالشام، من بعد أن وسوس الشيطان بالشر، وأفسد بيني وبين أخوتي، إن ربي رفيق بعباده، لطيف التدبير بدقة، وإيصال الخير يسر وسهولة لما يشاء ويريد، وإنه تعالى هو العليم بخلقه وبما يحقق المصالح، الحكيم في صنعه وتدبيره.

فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَازْدَدَ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كَانَّا خَاطِبِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ أَوْحَىٰ إِلَيْهِ أَبُوهُ وَقَالَ ادْخُلُوا مَعِيَ ۖ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبُوهُ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبْتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا لِرَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ الْدُنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ تَوْفَىٰ مَسْئَلِيَ وَالْحَقِّنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَا أَكْثَرَ النَّاسَ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

١٠١- ثم دعا يوسف ربه، مقراً بأفضله، شاكرًا أنعمه عليه، بقوله: رب قد آتيتني بعض الملك، وهو ملك مصر، وهو مما يوجب الحمد والشكر، وعلمتني من تفسير أخبار الرؤيا، يا خالق ومبدع السموات والأرض، أنت ناصرِي ومتولي أمرِي في الدنيا والآخرة، اجعلني في حياتي كلها مسلماً منقاداً لك، حتى أموت على الإسلام، وألحقني بال صالحين من الأنبياء من آبائي وغيرهم، لأظفر بثوابهم ودرجاتهم عندك.

١٠٢- ذلك المذكور من قصة يوسف من أخبار الغيب، نوحيه إليك أيها النبي، لتخبر به قومك، وما كنت حاضرًا مع إخوة يوسف حين عزموا على إلقائه في البئر، وهم يكرهون به ويتآمرون عليه، وذلك من تعليم الله لك. وهذا دليل على صدق الإخبار بالغيبيات.

١٠٣- وليس أكثر الناس- ولو حرصت أيها الرسول على هدايتهم- بمصدقين دعوتك، إلا من رحم الله، لتصميمهم على الكفر.



١٠٤- وما تطلب أيها النبي على تبليغ القرآن وتلاوته أجرأ تأخذه، ما القرآن إلا تذكير وعظة للعالمين من إنس وجن .

١٠٥- وكم من آية، أي كثير من الآيات الدالة على وجود الله وتوحيده وكمال قدرته في أنحاء السموات والأرض، يشاهدونها غير متأملين بها، ولا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها .

١٠٦- لا يصلق أكثر الناس بالله، إلا وهم مشركون بالله، يعبدون معه غيره، أي حيث يقرون بوجوده وخالقيته، لكنهم يشبثون له شركاء معه في الخضوع والعبادة، والتذلل له، والتقرب إليه بالذبايح .

١٠٧- أفامن أولئك المشركون أن تعمهم داهية من العذاب الإلهي- والغاشية: ما يغمرهم من العذاب- أو تأتيهم القيامة فجأة، وهم لا يشعرون بوقت إتيانها .

١٠٨- قل أيها النبي: هذه الدعوة والطريقة هي

طريقتي وستي، أَدْعُو إِلَيْهَا عَلَى حُجَّةٍ وَاضِحَةٍ وَيَقِينُ، أَنَا وَمَنْ آمَنَ بِرِسَالَتِي وَاهْتَدَى بِهَدْيِي، وَلَسْتَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ .

١٠٩- وما أرسلنا من قبلك أيها الرسول إلا رجالاً لا ملائكة، نوحى إليهم بالرسالة لهداية الناس مثلك، من أهل المدن لا بدوا رحلاً، أفلم يسافر المشركون في أرض الله، فينظروا مصائر ومصارع الأمم المكذبة الماضية، فيعتبروا بهم، والآخرة بما فيها من خلود ونعيم مطلق خير من الدنيا الفانية، للذين يتقون الله بالطاعة واجتباب المعصية، أفلا تتفكرون في الأسباب والنتائج فتؤمنوا؟! .

١١٠- حتى إذا يشك الرسل من إيمان قومهم، وأيقنوا أن قومهم ظنوا أن الرسل قد أخلفوا ما وعدوا به من النصر، أتاهاهم نصرنا فجأة، فنجى الله من العذاب من شاء من عباده وهم النبي والمؤمنون، ولا يرد عذابنا عن القوم المشركين الذين كذبوا الرسل .

١١١- لقد كان في قصص الرسل عبرة وعظة لذوي العقول السليمة، ما كان هذا القرآن كلاماً يختلق، ولكنه جاء مصدقاً لما قبله من الكتب، وتبيين كل شيء، من أحكام العقيدة والدين والشريعة، وهدى من الضلالة وإلى كل خير، ورحمة يُنال بها خير الدارين، لقوم يصدقون به؛ وخصوا بالذكر لانتفاعهم به دون غيرهم .

وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾
وَكَايِن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ أَكْذَرُ بِهِ اللَّهُ إِلَّا وَهُمْ مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَتَىٰ أَنَّهُمْ السَّاعَةَ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ فَلِذَٰلِكَ سَبَّلْنَا لَهُمْ دَعْوًا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسُجِّنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرًا مِنَّا فِيهِمْ مِنْ شَرِّ مَا كَانُوا يُشْرِكُونَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

سورة الرعد



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْمُرْتَدَّةِ الْكُنُوزِ وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ
 وَلَكِنْ كَرِهَ النَّاسُ لِأُفْمُونٍ ۝ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ
 عَمَدٍ وَنَهَا أَسْمَانِيَّ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي
 لِأَجَلٍ مُسَمًّى يَدَّبَّرَ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ۝
 وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِوْاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ
 جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
 يُفَكِّرُونَ ۝ وَفِي الْأَرْضِ قَطْعُ شَجَوْرَاتٍ وَجَنَّتْ مِنْ أَعْيَابِ
 وَزَرْعٍ وَخَيْلٍ صِنُونٍ وَعَيْرِ صِنُونٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَيَقْبَلُ
 بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
 ۝ وَإِنْ تَحِبَّ فَجَبُّ قَوْمٍ أَمْ دَاكَا تَرَابًا إِيَّانَا لَنْ حَلِقُ
 جَدِيدٌ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ وَأُولَئِكَ الْأَعْلَى
 فِي أَعْتَابِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝

١- المرء الف، لام، ميم، راء: حروف للدلالة على إعجاز القرآن للإنس والجن، وأنه حق من عند الله، من طريق تحدي العرب بمجاراته ومعارضته، ما دام مكوناً من حروف لغتهم العربية، آيات هذه السورة وغيرها آيات القرآن، والذي أنزل إليك أيها الرسول من ربك بالوحي هو الحق الذي لا شك فيه، ولكن أكثر الناس لا يصدقون بأنه من عند الله، لعدم تأملهم وإمعان نظرهم.

٢- الله وحده هو الذي رفع السموات قائمات من غير أعمدة تستند إليها، ثم اعتلى على العرش الذي هو من أعظم المخلوقات اعتلاء يليق به، لا ندري كيفيته، ونؤمن بأنه حق، بلا تكيف ولا تشبيه، وبلا تأويل ولا تعطيل، وذلك الشمس والقمر لمنافع العباد ومصالحهم، كل من الشمس والقمر يجري في فلكه إلى وقت معلوم: وهو فناء الدنيا، وقيام القيامة، بصرف الأمر على وجه

الحكمة، يبين الآيات الدالة على قدرته وتوحيده، لتوقنوا يا أهل مكة وأمالكم وتحققوا كمال قدرة الله على البعث والحساب.

٣- والله الذي بسط الأرض طولاً وعرضاً لتيسير العيش عليها والانتفاع بمنافعها، ولا ينافي ذلك كرويتها بذاتها لتباعد أطرافها، وخلق فيها جيالاً ثوابت، وأنهاراً تتدفق بالمياه، وخلق فيها من كل الثمار زوجين: ذكراً وأنثى للتلاقح، وصنفين متقابلين كالحلو والحامض، والأسود والأبيض، والصغير والكبير، يغطي الليل بظلمته ضوء النهار فيطمسه، إن في ذلك المذكور لدلالات على وحدانية الله تعالى، لقوم يتأملون، فيدركون وجود الله وتوحيده.

٤- وفي الأرض بقاع وأجزاء متلاصقات، ولكنها مختلفة النباتات والزرور والخصوبة ونوعية التربة، ويساتين عنب وزروع، ونخلات يجمعها أصل واحد، وتشعب فروعها، أو أصناف متماثلات وغير متماثلات، وكل من الزروع والأشجار يسقى بماء واحد، وتتفاضل فيما يؤكل من ثمرها شكلاً وطعماً، ولوناً ورائحة، وقدراً وزمناً، إن في ذلك المذكور لدلالات على قدرة الله تعالى لقوم يتفكرون في عظمة الخالق، فيؤمنون به.

٥- وإن تتعجب أيها النبي من تكذيب الكفار لك وعبادة الأوثان، فالأعجب منه تكذيبهم بالبعث وإنكارهم له، وقولهم: أيمن بعثنا مرة أخرى بعد أن صرنا تراباً مفتتاً؟ أولئك المنكرون للبعث هم الذين جحدوا بقدرة ربهم، وأولئك الذين يقيدون بالقيود في أعناقهم، وأولئك أهل النار الماكثون فيها على الدوام.



٦- ويستعجلك المشركون المكذبون بالعقوبة قبل وقوعها بإنزال العقوبة المهلكة، وقد مضت من قبلهم عقوبات أمثالهم من المكذبين، فمالهم لا يعتبرون بهم؟ وإن ربك أيها النبي لذو ستر عظيم للذنوب، وإن ربك يعاقب الكفار المتمردين عقاباً شديداً. والمثلاث: العقوبات التي تماثل الذنب.

٧- ويقول الكفار العتاة: هلا أنزل على محمد من ربه معجزة حسية أخرى تدل على صدقه ونبوته، فردّ الله عليهم: إنما أنت أيها الرسول مخوف بالنار من عصي الله، وليس عليك إتيان الآيات، ولكل قوم نبي أو رسول يهديهم ويرشدهم إلى طريق النجاة.

٨- الله يعلم ما تحمل كل أنثى في رحمها من أنواع الأجنة وصفاتها وأحوالها وأعمارها، وغير ذلك، وما تنقص الأرحام بخروج الأولاد ومدة الحمل ونقص الأعضاء وظهور الحيض، وما تمرّ به الأجنة من أطوار النمو يوماً فيوماً، وكل شيء عند الله بقدر محدد ونسبة ثابتة معلومة. ومعرفة البشر نوع الخين ذكراً أو أنثى بالتحليل الكيميائي أو بالأشعة مثلاً، لا يخل باختصاص الله تعالى بمعرفة شؤون أخرى للحمل. وتغيض وتزداد أي تنقص وتزيده الأرحام للجنين.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسِّيئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَعْرِفَةٍ لِّلسَّائِسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ٦ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ٧ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامَ وَمَا تَزِدُّهُنَّ مِنْ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِإِعْدَارٍ ٨ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُعْجَلِ ٩ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِأُتْبُلٍ وَسَّارِبٍ بِالنَّهَارِ ١٠ لَهُ مَعْقِبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرَ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ آلٍ ١١ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ حَوَافٍ وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ١٢ وَيُرْسِلُ الرِّعْدَ بِحُمُلِهِ وَالْمَلَائِكَةَ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحِمَالِ ١٣

٩- الله تعالى هو العالم بالحسيات الحاضرة

والغيبات غير المرئية، والعظيم الشأن، المستعلي على كل شيء بقدرته وقهره.

١٠- يستوي في علم الله تعالى من أخفى القول في نفسه ومن جهر به، من خير أو شر، ومن هو مستتر في ظلمة الليل، وظاهر بارز بالنهار، يسير في سره، أي طريقه.

١١- لكل إنسان ملائكة تتعاقب في حفظه ورعايته، وهم الملائكة الحفظة، يحفظونه بأمر الله وإعانتة، لا أن يردوا أمر الله، فإذا جاء القدر تخلوا عنه، ويحسون عليه أعماله من خير وشر، إن الله لا يغير ما يقوم من نعمة أو عافية، حتى يغيروا ما بأنفسهم من الطاعة والخير إلى المعصية والشر، وإذا أراد الله بقوم عذاباً أو هلاكاً، فلا ردّ له، وليس لهم من غير الله من ناصر يلي أمرهم، فيجلب لهم الخير، ويدفع عنهم الشر.

١٢- الله الذي يريكم البرق (الشرارة الضوئية في السماء بسبب تصادم الأجرام السماوية) للتخويف من الصواعق، والطمع في المطر، وينشئ السحب الكثيفة المثقلة بالماء.

١٣- وينزه الله تعالى الرعد (الصوت المسموع خلال السحاب بسبب احتكاك الأجرام السماوية) بحمد الله سبحانه، أي أن صوت الرعد يدل على خضوع السحاب وكل شيء لله وتنزيهه الله عما لا يليق به، والملائكة يستحون (ينزهون) من هيبته وجلاله، ويرسل الله الصواعق المحرقة (الشهب المنقضة من الأجرام السماوية) فيهلك الله بها من يشاء، وكفار مكة ونحوهم يجادلون في قدرة الله على البعث وفي الوجدانية، والله شديد القوة وأخذ الأعداء بالعقوبة. نزلت في شأن رجل من فراعنة العرب أرسل النبي ﷺ إليه رجلاً يدعوهم إلى رسول الله ثلاث مرات، فأبى وقال: وما الله؟ فأرسل الله عليه في المرة الثالثة صاعقة ذهبت بقحف رأسه.

١٤- لله تعالى الدعاء الصحيح؛ لأنه وحده القادر على إجابة الداعي، والذين يعبدون الأصنام والأوثان من غير الله ويدعونها لا يستجيبون لهم بشيء مما يطلبونه منهم، إلا استجابة كاستجابة الماء لمن بسط كفيه إليه من بعيد، يطلب منه أن يأتيه، ليصل فاه، وما الماء يبالح وأصل إلى فم الداعي أبداً، وليس دعاء الكفار وعبادتهم ألهتهم إلا في ضياع وخسران.

١٥- والله يخضع جميع من في السموات والأرض، طائعين وهم المؤمنون وقت الرخاء وغيره، وكارهين وهم الكفار وقت الشدة والضيقة، وتخضع أيضاً أحييتهم تبعاً لخضوع أصحابها في أول النهار، وما بعد العصر إلى الغروب، وخص هذان الوقتان بالذكر لازدياد ظهور الظلال فيهما.

١٦- قل أيها النبي للمشركين من قومك: من خالق السموات والأرض ومتولي أمرهما؟ فإن لم يجيبوا، فلا جواب إلا أن تقول: الله الخالق، قل لهم: فكيف اتخذتم من غيره أصناماً تعبدونها، لا تقدر على جلب النفع لكم أو دفع الضر عنكم، وتركتم مالك السموات والأرض؟ قل لهم: هل يتساوى الكافر الجاهل والمؤمن البصير العالم، وهل تتساوى ظلمات الكفر والإيمان؟ لا، بل أجعل المشركون شركاء لله،

لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ شَيْءٌ إِلَّا كَنُيُوسٍ كُفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِلَغِيهِ وَمَا دَعَا الْكَاهِنِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾ وَبَلِّغْهُمْ نَبَأَ الْسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوَّعًا وَكَرْهًا وَظَلِّمُهُم بِالْغَدْرِ وَالْأَصَالِ ﴿١٥﴾ قُلْ مَنْ رَزَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَفَلَا تَحْتَسِبُونَ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا خَلْقَهُ فَتَشْبِهُ الْخَالِقَ عَلَيْهِمْ قُلْ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقَدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ أَنْبَاءٌ حَلِيَّةٌ أَوْ مَسْجُودٌ يُسَلَّمُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبُطْلَ فَأَمَّا الزُّبَدُ الْمَلْبُوبُ فَجُفَاءً وَأَمَّا مَا يَبْعَثُ النَّاسُ فِيكَ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلرَّبِّمْ الْخَيْرِ وَالَّذِينَ لَا يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٨﴾

خلقوا كما خلق الله، فاستحقوا العبادة كما استحقها؟ فلم يتمكنوا من تمييز الخلقين، قل لهم: الله وحده خالق كل شيء، وهو المتوحد بالالوهية، الغالب على كل شيء.

١٧- أنزل الله من السحاب مطراً فسال (جرى) ماء الأودية بقدر حجم الوادي واتساعه قلة وكثرة، فرفع واحتمل بقوة السيل فيما جرف معه غثاء وרגوة طافية عالية فوق الماء، وبعض المعادن التي يوقدون عليها ليصهرها في النار من فلزات الحديد والذهب والفضة وغيرها، بقصد طلب الزينة واتخاذها حلية وهي الذهب والفضة، أو من أجل اتخاذها أمتعة وهي الحديد والنحاس ونحوهما، يتفجع بها كالأواني إذا أقيمت وآلات الحرب والزراعة والمصانع، لها زيد مثل زيد السيل، أي للمعادن زيد أيضاً، وهو خبث هذه الفلزات المعدنية، مثل ذلك المذكور مثل الحق والباطل وأهل كل منهما، فأما الزبد الطافي فيزول باطلاً مرمياً به، وأما ما ينفع الناس منهما من الماء والمعادن فيبقى في الأرض زماناً، ويتفجع به أهلها، ومثل ذلك المذكور بين الله الأمثال لإيضاح الشبهات. والمراد: أن الله تعالى بعد بيان خطأ الكفار في الآية المتقدمة (١٤) وما بعدها في اتخاذ آلهة لا تضر ولا تنفع، ضرب مثلين لثبات الحق وهو الإيمان بالقرآن، وزوال الباطل وهو الكفر، والباطل كالزبد فوق الماء يذهب ويتبدد، والحق يبقى كالماء والمعدن الصافي اللذين يبقيان في الأرض، فيتفجع بهما الناس. والمثلان أحدهما ريفي وهو الماء والزرع، والآخر مدني وهو صناعة المعادن. وقوله ﴿ومما﴾ خبر ابتداء، والمبتدأ ﴿زيد﴾ ومثله: نعت لزيد.

١٨- المثوبة الحسنة وهي الجنة للذين استجابوا للربهم بالإيمان والطاعة، والذين لم يطيعوا الله ورسوله لا ينفعهم في الآخرة الفداء بجميع ما في الدنيا، وضيع ما فيها، أولئك الذين لم يطيعوا الله وماتوا وهم كفار لهم سوء العذاب في الآخرة، ومسكنهم جهنم، وبئس المستقر الذي يستقرون فيه.





١٩- هل من يعلم فيؤمن ويستجيب كالحمزة، يعلم أن ما أنزله الله إلى رسوله هو الحق الثابت الصحيح، كمن لا يعلم كأي جهل وهو أعمى القلب والبصيرة ولا يؤمن؟ لا يستويك ولا يتشابهان، إنما يتعظ أصحاب العقول الراجحة.

٢٠- وأولو العقول هم الذين يوفون بعهد الله ويعهد العباد، فيقومون بما فرضه الله عليهم، وينفذون معاهداتهم مع الآخرين، ولا ينقضون بنود الموائيق والعهود التي التزموها. والميثاق: العهد المؤكد.

٢١- وهم أيضاً الذين يصلون ما أمر الله بوصله وهو صلة الأرحام وغيرها، ويخافون وعيد ربهم فلا يعصونه، ويخشون خطر الحساب، فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا.

٢٢- وهم كذلك الذين صبروا على طاعة الله، وعلى أقدار الله، وترك المعاصي، بقصد طلب رضا ربهم، لا لأغراض دنيوية أخرى من فخر أو سمعة وغيرها، وأدوا الصلاة في أوقاتها، وأنفقوا في طاعة الله مما رزقهم الله، فادأوا الزكاة وغيرها، سرا وجهراً، ويدفعون الإساءة بالإحسان، أولئك المتصفون بالصفات المذكورة لهم العاقبة المحمودة في الدار الآخرة، وهي الجنات.

٢٣- تلك العاقبة الحميدة هي جنات إقامة وخلود،

ومعهم من كان ممن صلح من الآباء والأمهات والأزواج والذرية الأولاد، وإن لم يكونوا في درجاتهم في التقوى والصلاح، تكريماً لهم وإناساً ببقاء أحببتهم وإقرار أعينهم وسرورهم، وتدخل الملائكة من جميع أبواب الجنة ومنازل السكنى للتهنئة والتحية، قائلين لهم ما يأتي:

٢٤- يقولون لهم: سلام عليكم، سلمتم من الآفات ودامت سلامتكم، بسبب صبركم على الطاعة والتقوى، وعن المعاصي، فنعمت الجنة عقابكم وداراً لكم أيها الأبرار.

٢٥- والذين ينقضون بنود عهد الله بعد إيمانه ومعاهدته على الطاعة، ويقطعون ما أمر الله بوصله كصلة الأرحام، ويفسدون في الأرض بالكفر والظلم والمعاصي وإثارة الفتن، أولئك لهم الطرد والإبعاد من رحمة الله، ولهم عذاب النار، والعاقبة السيئة في الآخرة.

٢٦- الله يوسع الرزق لمن يشاء، ويضيق الرزق على من يشاء من خلقه، والبسط لا يدل على الكرامة، والقبض لا يدل على الإهانة، وفرح أهل مكة فرح بطر بما بسط لهم في الدنيا، وجهلوا ما عند الله، وما الحياة الدنيا في جنب الآخرة إلا متعة قليلة لا تدوم.

٢٧- ويقول كفار مكة: هلا أنزل على محمد معجزة حسية كعصا موسى ويده وناقية صالح، قل لهم أيها النبي: إن الله يضل من يشاء إضلاله، لأنه عاند وتمرد، فلا تفيده الآيات شيئاً، ويرشد إلى دينه وإلى الحق من تاب، وأقلع عما كان عليه، وترك العناد.

٢٨- والذين أنابوا هم الذين آمنوا بالله وبما أنزل، وتسكن وتستأنس بذكر الله بتوحيده وتذكر وعده، ألا بتوحيد الله ووعده والتأمل في مخلوقاته وصنعه، وتذكر قدرته تسكن قلوب المؤمنين.

﴿فَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَا هُوَ أَعْمَىٰ نَسَا يَذْكُرُ أَوْلِيَ الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ أَلَسَيْتُمْ أَزْوَاجًا لِلَّذِينَ كَفَرْتُمْ إِنَّكُمْ وَرَثَتُهُمْ مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْعَذَابُ وَاللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴿٢٣﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ﴿٢٤﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٥﴾﴾

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ
 مَآبٍ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ
 لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ فَلَهِمْ
 رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَآبٍ ﴿٣٠﴾
 وَلَوْ أَنَّ قَوْمًا عَصَيْتَ بِهِ الْجِبَالَ أَوْ قَطَعْتَ بِهِ الْأَرْضَ
 أَوْ كَلِمَةً بِالْحَقِّ بَلَّ اللَّهُ الْأَمْرَ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِ الْبَشَرُ إِلَّا
 أَن لَّوَيْسَاءُ اللَّهُ لَهْدَىٰ لِنَاسٍ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا
 تُصِيدُهُمْ عَمَّا صَعَوْا قَارِعَةً أَوْ تَحُلُّ قَرْيَةً مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ
 وَعَدَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلِفُ الْمِعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ اسْتَهْزَىٰ
 بِرُسُلِ مَن قَبْلِكَ فَمَا تَلِيتُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ
 كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ
 وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبَهُمْ قَدْ تَسَوَّاهُمْ لِنُفُوسِهِمْ فِي الْأَرْضِ
 أَمْ يَبْظَاهِرُونَ الْقَوْلَ بَل زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَضُدٌّ لِّعَيْنِ
 السَّبِيلِ وَمَن يَضِلَّ لِمَا هَدَىٰ اللَّهُ فَما لَهُ مِن هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ عَذَابٌ فِي
 الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَعَذَابٌ الْأٰخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّن لَّهِ مِن وَّاقٍ ﴿٣٤﴾

٢٩- الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم الحياة الطيبة والسرور، وحسن المرجع في الآخرة.

٣٠- مثل إرسال الرسل السابقين، أرسلناك في جماعة من الناس، مضت من قبلها جماعات، لتقرأ عليهم القرآن الذي أوحينا به إليك، وهم يجحدون باسم الرحمن، فينكرون وجود هذا الاسم لله تعالى، ولا يشكرون نعمه، قل لهم أيها النبي: الرحمن هوري، أي خالقي ومدبر أمري، لا إله في الوجود غيره، ولا مستحق للعبادة سواه، عليه اعتمدت في جميع أموري وناصرتي، وإليه وحده مرجعي في الآخرة وتوختي.

٣١- القرآن نفسه هو المعجزة أو الآية لو تعقلوا، فلو فرض أن هناك قرآناً أو كلاماً تسيّر به الجبال عن أماكن استقرارها بإذنه وتلاوته، أو قطعت وشققت به الأرض، فكانت سهولاً وعيوناً وأنهاراً، أو صار به الموتى أحياء بقراءته عليهم، لكان هذا القرآن، ولما آمن به أهل مكة عندما شاهدوا منه ما ذكر، بل لله الأمر جميعاً، فهو القادر وحده على إنزال الآيات، ولو شاء أن يؤمنوا لآمنوا، سواء أنزل ما اقترحوا أم لم ينزل،

أفلم يعلم المؤمنون ويتحققوا أن لو يشاء الله، لهدى الناس جميعاً إلى الإيمان، ولو من غير مشاهدة آيات ومعجزات، ولا يزال كفار مكة تصيبهم بما صنعوا من الكفر وتكذيب الرسول داهية تقرع قلوبهم، من قتل وأسرو قحط، أو تحل القارعة قرب ديارهم، فيملؤهم الخوف والفرع منها، حتى يحيق مصداق وعد الله الذي وعده به وهو النصر عليهم وفتح مكة أو قيام القيامة، إن الله لا يخلف الميعاد على الإطلاق، لا امتناع الكذب في كلامه.

٣٢- وكما استهزئ بك أيها الرسول من المشركين، استهزئ برسل سابقين من أقوامهم، حين دعوهم إلى الإيمان، فاصبر على أذاهم، فأمهلت الكافرين مدة للتوبة، ثم أخذتهم بالعذاب الشديد، فكيف كان عقابي لهم على الكفر والاستهزاء؟!

٣٣- هل يتساوى من هو رقيب على كل نفس، وعالم بما كسبت من خير أو شر، ومن ليس كذلك من الأصنام والأوثان التي لا تضر ولا تنفع؟ وقد جعلوا لله شركاء في العبادة، قل لهم أيها النبي: سمؤهم له من هم، والمراد أنهم لا حقيقة لهم، بل أتخبرون الله بشركاء لا يعلمهم في الأرض ولا في السماء، بل أتصفونهم بالشركاء بقول ظاهري فقط، باطل لا أصل ولا حقيقة له فهو كالتخيل؟ بل زَيْنٌ للكفار كفرهم وكذبهم وافتراؤهم على الله، وصرّفوا عن الهداية والإيمان، ومن يجعله الله ضالاً عن الحق والهدى بسبب علمه السابق بضلاله وكفره، فليس له أحد يهديه.

٣٤- لهؤلاء الكفرة عذاب في الدنيا بالقتل والأسر، ولعذاب الآخر أشد وأنكى منه، وما لهم من عذاب الله من مانع ولا دافع ولا عاصم.



٣٥- صفة الجنة العجيبة الشأن التي وعد بها المتقون: أنها تجري من تحت بساطتها الأنهار، ثمارها دائمة لا تنقطع، وظلها دائم كذلك لا يزول، تلك الجنة عاقبة الذين اتقوا الله، بالتزام أوامره، واجتناب نواهيه، وعاقبة الكافرين بالله النار، لا غير.

٣٦- والمسلمون من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه من مؤمني اليهود، وهم ثمانون رجلاً يفرحون بما أنزل إليك أيها النبي من القرآن، وأهل الكتاب الذين تحزبوا على النبي ﷺ من اليهود وساعدوا المشركين، مثل كعب بن الأشرف اليهودي وأصحابه، من ينكر بعض القرآن، مثل نسخه لشرائعهم وكل ما يخالف ما افتروه كادعاء نبوة المسيح لله، قل لهم أيها النبي: إنما أمرت أن أعبد الله وحده، ولا أشرك به أحداً غيره في عبادته، إلى الله أدمعوا الناس لا إلى غيره، وإلى وحده مصيري ومرجمي.

٣٧- ومثل هذا الإنزال المشتغل على أصول الدين، أنزلنا القرآن على أصول الشريعة وفروعها، للحكم بين الناس في الوقائع والقضايا بالحكمة والعدل، حكماً قاطعاً لا يبدل، فاصلاً بين الحق والباطل، بلسان العرب ليسهل فهمه وحفظه، كما أنزلنا الكتب على الرسل بلغات أقوامهم، ولئن اتبعت

مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا دَامَ وَظَلْمَا يُنَالِكُ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾
وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ الْكِتَابِ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَخْرَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَ هُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ لَدُنِي وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَاتٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٍ ﴿٣٨﴾ تَعْبُوهَا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنشِئُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ مَا نَرَيْتَكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ وَسَوْفَ يَنْفِكُ قَلْبًا مِمَّا عَلَيْكَ الْإِبْلَغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوْ لَوْ رَوُوا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَمْ نُعَاقِبْ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْتُمُ كُلُّ نَفْسٍ وَسِعَ عِلْمُهُ الْكُفْرَ لِمَنْ عُقْبَى النَّارِ ﴿٤٢﴾

فرضاً أهواء قومك الكفار فيما يدعونك إليه من ملتهم، كالصلاة إلى قبلتهم، بعدما جاؤك من تعليم الله إياك، ليس لك من الله من صديق ناصر ينصرك، ولا مانع يقيك من عذابه أو يمنع العقاب عنك.

٣٨- ولقد أرسلنا رسلاً بشراً من قبلك مثلك أيها النبي، وجعلنا لهم أزواجاً من النساء، وذرية توالدوا (أولاداً) كما هي لك، وما صح لرسول أن يأتي بمعجزة حسية من نفسه إلا بأمر الله وإرادته ومشيبته، لكل حادث كتاب معين، ولكل أمر مقضي أجل محدد. والمراد بالكتاب هنا: الشيء المكتوب، أي معجزة تناسب زمن الرسول المرسل.

٣٩- ينسخ الله أحياناً ما يشاء من الأحكام، ويبقي ما يشاء من الأحكام بمقتضى الحكمة والمصلحة وملائمات الزمان، وعنده تعالى أصل الكتب، وهو اللوح المحفوظ الذي لا تبديل فيه ولا تغيير.

٤٠- وإن أرى نيك بعض ما نعدهم به من العذاب في حياتك، أو توفيك قبل تعذيبهم، فما عليك إلا تبليغ الأحكام، وعلينا محاسبتهم على أعمالهم ومجازاتهم إذا صاروا إلينا.

٤١- أولم ير أو يعلم أهل مكة وغيرهم أننا نتقص من جوانب الأرض التي يعيشون فيها بتخريبها وإهلاك أصحابها، أو بفتح بعضها على المسلمين، والله يحكم بما يشاء، لا متابع ولا ناقض مبطل لحكمه، والله يحاسب الناس عما قريب في الآخرة، على وجه السرعة.

٤٢- وقد مكر الكفار الذين من قبلهم من الأمم بأنبيائهم، والمكر: التدبير الخفي، فله التدبير المطلق، لا يؤبه بتدبير دون تدبيره، ولا يخيب تدبيره أبداً، وأما مكر غير الله فلا يضر إلا صاحبه، يعلم الله جميع ما تكسب كل نفس، فيعد جزاءها، وسيعلم كل كافر لمن العاقبة المحمودة في الدار الآخرة، لهم أم للمؤمنين!!

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ
شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿١٧﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّكِبِ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِخُضْرِجِ النَّاسِ مِنَ الظَّالِمِ
إِلَى التَّوْبِ يَا ذُنَّ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ اللَّهُ
الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَيُؤْتِي الْمَالَ كَيْفَ يَشَاءُ
مَنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحْسِبُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى
الْآخِرَةِ وَبُصُودُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَعْبُدُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ
فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُلٍ إِلَّا لِيُبَيِّنَ
قَوْلَهُمْ لَيْسَ لَهُمْ فِضْلٌ مِنْ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُدًى مَنْ يَشَاءُ
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا
أَنْ أُنزِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظَّالِمِ إِلَى التَّوْبِ وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِنَا
أَلَمْ يَأْنِ فِي ذَلِكَ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

٤٣- ويقول الكفار: لست يا محمد رسولا
مرسلا من الله إلى الناس، قل لهم: كفى بالله
شاهداً على صدقي بيني وبينكم، فهو يعلم صحة
رسالتي، وكذلك المطلع على علم أهل الكتاب من
مؤمني اليهود والنصارى يشهد أيضاً بصدق دعوتي
ورسالتي، لما علموا صدقه من كتبهم.

سورة إبراهيم

١- ﴿الر﴾: ألف، لام، را، للتنبيه والتعدي
وإثبات إعجاز القرآن، كما تقدم في أمثاله، هذا
كتاب وهو القرآن أنزلناه إليك أيها النبي، لتخرج
الناس به من ظلمات الكفر والجهل والضلالة إلى
نور الإيمان والعلم والهداية، بأمر ربهم وتوفيقه
وتيسيره، إلى طريق القوي، الغالب في ملكه،
القاهر لعباده، المحمود على كل حال، المستحق
للحمد لكثرة نعمه، وقوله: ﴿إلى صراط﴾ بيان
للنور المتقدم ذكره.

٢- الإله الذي له جميع ما في السموات
والأرض ملكاً وخلقاً وتصريفاً وتديراً وتعبداً،
وهلاك وعذاب للمتكبرين وجود الله أو الذين عبدوا غيره، من عذاب شديد صاروا إليه يوم القيامة، أي
يولولون من شدة العذاب.

٣- العذاب للكفار الذين يختارون أو يؤثرون الحياة الدنيا على حياة الآخرة الدائمة، ويمنعون الناس عن
الإيمان والدخول في الإسلام، ويطلبون ملّة الإسلام اعوجاجاً وزيفاً وانحرافاً عن الحق، لموافقة أهوائهم،
أولئك الكفار المذكورون في خطأ بعيد عن الحق والصواب.

٤- ما أرسلنا رسولاً من الأمم السابقة إلا متكلماً بلغة قومه الذين بعث فيهم، ليفهموا عنه شرع الله تعالى،
وليبين لهم ما أتى به من الشريعة، ويكون المضل والهادي بعد هذا البيان هو الله عز وجل، وهو سبحانه القوي
في ملكه، الحكيم في صنعه، فلا يهدي ولا يضل إلا للحكمة. وليس الإضلال والهداية أمراً جبرياً، وإنما
الإضلال يكون بسبب التمادي في الكفر والعناد، والهداية بالتوفيق والرعاية.

٥- ولقد أرسلنا موسى مصحوباً بالمعجزات والآيات التسع إلى فرعون وملئه، وقلنا له في مضمون
الرسالة: أخرج بني إسرائيل في ملك فرعون من ظلمات الكفر والجهل، إلى نور الإيمان والعلم، وذكّرهم
بالوقائع الجسام التي مرت على أم الأنبياء السابقين، وكيف نجح المؤمنون وهلك الكافرون؟ إن في ذلك التذكير
بأيام الله لدلالات واضحات على التوحيد وكمال القدرة، وعبرة وعظة، لكل كثير الصبر على المحن والبلاء
والطاعة، كثير الشكر للنعم.

٦- واذكر أيها الرسول حين قال موسى لقومه:
تذكروا نعمة الله عليكم حين أنجاهم من آل فرعون
بإغراق فرعون وجنوده، يذيقونكم العذاب السيء
الشديد، وهو استعبادكم واشتغالكم بالأعمال
الشاقة، ويذبّحون أبناءكم المولودين، ويتركون
البنات أحياء للخدمة والإذلال مع أمن شرهن
وسرعة فناء نسلكم، وفي ذلكم المذكور من
أفعالهم ابتلاء عظيم وامتحان وفتنة من ربكم.

٧- واذكروا يا بني إسرائيل حين أعلن ربكم
إعلاناً عاماً مؤكداً وأخبركم فقال: لئن شكرتم
نعمتي بالتوحيد والطاعة لأزيدنكم نعمة أخرى
تفضلاً مني، ولئن جحدتم ذلك وعصيتم أمري
لأعذبنكم، إن عذابي شديد لمن كفر وعصى.

٨- وقال موسى: إن تمجدوا نعمة الله تعالى
أنتم وجميع البشرية، فإن الله لغني عن خلقه وعن
شكركم لا يحتاج إليه، مستحق للحمد في ذاته
لكثرة إنعامه على الناس، محمود على كل حال في
صنعه بهم.

وَإِذ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ
مِنَ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدَّبِّحُونَ
أَبْنَاءَكُمْ وَاسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ
مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ
لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝ وَقَالَ
مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرًا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأِنَّ اللَّهَ
لَعَنِي حَمِيدٌ ۝ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ
قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ
جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي
أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْنَا بِهِ وَإِنَّا
لَفِي شَكٍّ مِّمَّا نَدْعُونَكَ إِلَيْهِ مُرِيبٌ ۝ قَالَتْ
رُسُلُهُمْ أَوَى اللَّهُ شَيْئًا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ
مُّسَمًّى قَالُوا إِنَّا أَشْرَقْنَا بِمِثْلَانَا تَرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا
عَمَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَنُوتَ إِسْلَامًا مُّبِينًا ۝

٩- وأضاف موسى قائلاً: ألم يصلحكم خبر الذين مضوا من الأمم المكذبة، من قوم نوح وعاد
وثمود، والذين جاؤوا من بعدهم من الأقسام، لا يحصي عددهم إلا الله تعالى، فعصوا أيديهم غيظاً مما
جاءت به الرسل من العقائد والشرائع، أي سمعوا الحديث عنها ولم يقبلوها، وقالوا: لقد كفرنا بما أرسلتم
به في زعمكم، ونحن في شك في موقع في الريبة والقلق والحيرة، مما تدعوننا إليه من الإيمان بالله وحده وترك ما
سواه، فهو أمر غير متيقن.

١٠- قالت لهم رسلهم: أفي وحدانية الله تعالى شك؟ أي لا شك في توحيده لظهور ذلك ووضوحه، وهو
سبحانه خالق السموات والأرض ومبدعهما على أكمل نظام، ولا على مثال سابق، يدعوكم إلى عبادته
وطاعته والإيمان به وتوحيده ليغفر لكم بعض ذنوبكم وهي حقوق الله لا حقوق العباد، فلا تغفروا إلا بمسامحة
أصحابها، ويؤخركم بلا عذاب كلي إلى انتهاء أجالكم العادية، قالوا لهم: ما أنتم إلا بشر مثلنا، ولستم
ملائكة، فلا فضل لكم علينا، تريدون أن تصرفونا عما كان يعبد آباؤنا من الأصنام، فإن كنتم صادقين، فأتونا
بحجة واضحة قوية على صدقكم وصحة ادعائكم النبوة. وهذا تعنت فإنهم جاؤوهم بمعجزات واضحة
كثيرة.



١١- قالت لهم رسلهم: ما نحن إلا بشر مثلكم في الخلق والطبع كما قاتم، ولكن الله يفضل على من يشاء منهم بالنبوة، وما ينبغي لنا وليس في استطاعتنا أن نأتيكم بحجة أو معجزة إلا بمشيئة الله وقدرته وأمره، وعلى الله وحده فليعتمد المؤمنون، وليثقوا به في جميع أمورهم.

١٢- ولا عذر لنا في ألا نتوكل على الله، ولا مانع لنا من ذلك، والحال أنه قد أرشدنا إلى طريق رحمته والنجاة من عذابه، ولسوف نصبر على أذاكم وتكذيبكم، وسينصرنا الله عليكم، وعلى الله وحده فليثبت المتوكلون ثباتاً ناشئاً من إيمانهم، ويفوضوا أمورهم إليه.

١٣- وقال بعض الكفار المتمردين العتاة لرسولهم: لنخرجنكم من ديارنا، أولتصيرن وتعودن في ملتنا الموروثه، والملة: الدين والشريعة، فاختاروا أحد الأمرين، فأوحى الله إلى الرسل في تلك الحال: لنهلكن الكافرين الطغاة.

١٤- ولنسكننكم ديار هؤلاء الكفار الذين توعدوكم، من بعد إهلاكهم، ذلك الموحى به،

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَنُحْيِي بِهِ الْبَشَرَ فَنَنْبِئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾
وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدانا سُبُلًا وَلَنْ نَحْزَنَ عَلَى مَاءٍ أَذِينَا وَنَحْنُ بِاللَّهِ فَاوْتِئْنَا بِتَمِيمٍ ﴿١٢﴾
وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ دِيَارِنَا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِيْنَا فَاوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهَلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنَسُكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَأَسْتَفْتُوا وَخَافَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ جَهَنَّمَ وَيَسْقَى مِنَ مَاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ بَجْرَعِهِمْ وَلَا يَكَادُ لِيُسْفَعَهُ وَيَأْتِيَهُ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُمْ بِمُعْتَدِينَ ﴿١٧﴾ وَذَٰلِكَ عَذَابُ عُظَيِّطٍ ﴿١٨﴾ مِثْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٩﴾

وهو إهلاك الظالمين وإسكان المؤمنين لمن خاف موقفه يوم الحساب، وخاف وعيدي بالعذاب لمن يخالف أمري. والمقام هنا كناية عن الذات الأقدس على سبيل التعظيم، كما في قوله تعالى: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ [الرحمن ٥٥/٤٦].

١٥- واستنصر الرسل بالله على أعدائهم، وخسر وهلك كل متعظم متكبر عن طاعة الله، معاند للحق مخالف له.

١٦- وجهنم أمامه وفي انتظاره ليصلاها ويدخلها يوم القيامة، بعد إهلاكه في الدنيا، ويسقى فيها من الصديد الذي يسيل من أجساد أهل النار، مختلطاً بالقيح والدم.

١٧- يتكلف شربه مرة بعد مرة بالشدة والقهر، لإطفاء عطشه، ولا يكاد يتلعه، بل يغص به، وتأتيه أسباب الموت من كل جهة، ولكنه لا يموت، فيستريح من الشدائد والآلام، وبعد ذلك العذاب عذاب قوي متصل وشديد غير منقطع.

١٨- الصفة العجيبة لأعمال الكفار الصالحة كصلة الرحم والصدقة وفعل الخير في عدم الانتفاع بها في الآخرة كرماد (أثر نار) عصفت به الريح ونسفته، في يوم شديد العواصف، لا يقدر الكفار على شيء مما كسبوا (عملوا في الدنيا) من تلك الأعمال في الدنيا، ولا يرون لها أثراً في الآخرة، ذلك الضلال مع توهمهم أنهم محسنون: هو الضلال البعيد عن النفع، والحق، والخسران والهلاك الذي لا يعوض.

١٩- ألم تعلم أيها المخاطب أن الله خلق السموات والأرض للاستدلال بهما على كمال قدرته، بالحكمة والوجه الصحيح الذي يحق أن يخلقهما عليه، إن يشأ يعدمكم، ويأتي بمخلوقات جديدة مكانكم أطلع وخيراً منكم.

٢٠- وليس ذلك بممتنع أو متعسر على الله، فإنه تعالى قادر لذاته على كل شيء، بكلمة ﴿كن فيكون﴾ [البقرة ٢/١١٧ ومواضع أخرى من السور].

٢١- وظهرت الخلائق جميعاً من قبورهم يوم القيامة في أرض متسعة، وهي المحشر، فقال الأتباع ضعفاء الرأي والفكر للقادة المستكبرين الأقوياء: إنا كنا أتباعاً لكم في الدنيا في شأن الكفر والتكذيب للرسول، فهل أنتم دافعون عنا بعض الشيء أو كله من عذاب الله؟ قال المستكبرون: لو هدانا الله للإيمان، لهديتناكم إليه، يستوي علينا الجزع أو التبرم والصبر، ليس لنا من منجى ومهرب من العذاب.

أَوَلَمْ نَرَأَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۗ
إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَاكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لُكُوفًا لِّمَا كُنَّا فَعَلْنَا فَمَهَلْ أَنْتُمْ مُنْعُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۗ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءَ عَلَيْنَا أَعْرَضْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنَ مَحْصِنٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَئِن لَّمْ يَاقُضِ الْأَمْرُ بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَدَّكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَا تَلُمُوا أَنْفُسَكُمْ ۗ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنَا بِمُصْرِخِي إِيَّاكُمْ فَرَفَرْتُ بَمَا أَشْرَكُومَن مِّن قَبْلِ ۗ إِنِّي أَتَّظَلِمِينَ لِمَن عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿٢٢﴾ وَأَدْخِلِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ يُحْيَوْنَ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾

٢٢- وقال الشيطان (إبليس) لأتباعه في الآخرة، لما أحكم الأمر وتُفُذ وفرغ منه، ودخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار: إن الله وعدكم وعداً حقاً أنجزه بالبعث والحساب ومجازاة المحسن والمسيء، ووعدتكم وعداً باطلاً: وهو ألا بعث ولا حساب، فأخلفتكم وعدي، ولم يكن لي تسلط وقدرة عليكم، لكن دعوتكم إلى الكفر والعصيان، فأسرعتم إجابتي وطاعتي، فلا تلوُموني على إغرائي وتوريطي، وخلف وعدي، ولوموا أنفسكم على إجابتي وإطاعتي، ولم تطيعوا ريبكم لما دعاكم إليه من الحق، ما أنا اليوم بمغيثكم مما وقعتم فيه من العذاب، وما أنتم تتمكنون من إغائتي وإنقاذي، إنني كفرت اليوم بإشراككم إياي مع الله، من قبل في الدنيا، إن الكافرين المشركين لهم عذاب مؤلم.

٢٣- وأدخل الله المؤمنين بالله، الذين عملوا الأعمال الصالحة التي أمر الله بها، جنات تجري من تحت بساطينها الأنهار، خالدين فيها خلوداً دائماً، بأمر ربهم ومشيتته، تحييتهم فيها على الدوام من الله وملائكته: سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار.

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ صَرَّبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَلِمَةً طَيِّبَةً
 أَصْلَهَا ثَابِتٌ وَوَعْمَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تَوَقَّى أَكْثَرَهَا كُلُّ حِينٍ
 يَا ذُنُوبَكُمْ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ
 ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثِلَتْ
 مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَأْكُومًا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ تَبَيَّنَ اللَّهُ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ
 اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
 بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ
 يَصْلَوْنَهَا وَيَنْسَوْنَ الْفَرَاقَ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا
 عَنْ سَبِيلِهِ فَمَلَّغُوا فَيُنَادُونَ مَنْ مَعَهُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾ فَلْيُ
 عِبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا يَعْمُوا الصَّلَاةَ وَيَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
 سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴿٣١﴾
 اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ
 مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ
 الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْآنْهَارَ ﴿٣٢﴾

٢٤- ألم تعلم أيها المخاطب كيف ضرب الله مثلاً أي وضعه الموضوع اللائق به، شبه فيه الكلمة الطيبة وهي كلمة الإسلام: لا إله إلا الله، وكل ما يدل على الحق والخير والفضيلة، بالشجرة الطيبة، أصلها راسخ في الأرض، وأعلها مرتفع في السماء، وهكذا كلمة التوحيد والدعوة إلى القرآن راسخة في قلب المؤمن.

٢٥- تعطي ثمرها كل وقت بإرادة خالقها ومشيتها، وبين الله الأمثال للناس ليتعظوا ويفهموا، فيؤمنوا ويعملوا. وهذا مظهر من مظاهر تصوير المعاني في القرآن الكريم بصور المحسوسات.

٢٦- والكلمة الخبيثة وهي كلمة الكفر وكل ما يدعو إلى الشر والضر، كالشجرة الخبيثة وهي شجرة الخنظل التي استؤصلت واقتلعت من أصلها فوق الأرض بسبب قرب جذورها من سطح الأرض، ليس لها استقرار، ولم يبق منها شيء. وكذلك كلمة الكفر والشر نهايتها إلى الفناء.

٢٧- ثبت الله المؤمنين بالقول الثابت الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم، وهو الكلمة الطيبة المتقدمة: كلمة الشهادة وكل كلمة حق، يشبههم في الدنيا وقت سؤال القبر، وفي يوم القيامة، فلا يتلثمون إذا سئلوا عن معتقدهم في موقف الحساب وعند رؤيتهم أهوال الحشر، ويضل الله الكفار عن حجتهم، فلا يهتدون إلى الحق والجواب الصحيح، بل يقولون: لا ندري، ويفعل الله ما يشاء من تثبيت بعض الناس، وإضلال آخرين، من غير اعتراض عليه.

٢٨- ألم تنظر إلى من بدلوا شكر نعمته كفرًا، وهم قادة الكفار والمشركون، بتكذيبهم برسالة محمد ﷺ وشريعته، وأنزلوا قومهم الذين شايعوا في الكفر دار الهلاك، وهي جهنم، بأن أعدوا لهم أسباب دخول النار، فدخلوها جميعاً. وهذا تعجيب من حالهم.

٢٩- يدخلون جهنم ويقاسون حرها، ونس المجر جهنم.

٣٠- وجعلوا لله شركاء ونظراء في الربوبية واستحقاق العبادات، ليقوموا قومهم في الضلال عن التوحيد ودين الإسلام، قل لهم أيها المشركون: تمتعوا بشهواتكم وإضلال غيركم، فمردكم ومرجعكم إلى النار ليس لكم سواها.

٣١- قل أيها النبي لعبادي الذين آمنوا بالله واليوم الآخر: أقيموا الصلاة المفروضة، على وجهها الأكمل، وأنفقوا وقت السر ووقت العلانية بالصدقات والزكوات، من قبل مجيء يوم القيامة الذي لا فداء فيه، ولا مصادقة خليل تنفع.

٣٢- وأدلة قدرة الله ووجوده ووحدانيته كثيرة، منها: أن الله أوجد السموات والأرض، وأنزل من السحاب مطراً، فأخرج بذلك الماء من الثمرات والغلال رزقاً تعيشون به أيها الناس، وذلك وأعد لكم السفن لتجري في البحر بكم للانتفاع والركوب والتصرف، بإذن الله ومشيته، وذلك لكم الأنهار للمتعة والزراعة والركوب وتوليد الكهرباء وغير ذلك من المنافع.



٣٣- وأوجد لكم الشمس والقمر دائمين
للاتفاح والاستضاء بضوءهما، متعاقبين عليكم
ليلاً نهاراً، لما يحقق مصالحكم، لمعرفة السنين
والحساب، وأوجد لكم أيضاً الليل للراحة،
والنهار للعمل وابتغاء فضل الله بالتجارة والزراعة
والصناعة وغير ذلك.

٣٤- وأعطاكم الله من كل ما طلبتموه بلسان
الحال أو المقال، ومالم تطلبوه، وإن تعددوا نعم
الله التي أنعم بها عليكم، لا تستطيعوا إحصاء
عددتها، ولا شكرها على النحو المطلوب، إن
الإنسان ظالم لنفسه بترك شكر النعمة، شديد
الكفران والجحود لنعم الله، لا يؤدي واجب
الشكر عليها.

٣٥- واذكر أيها النبي حين قول إبراهيم ودعائه:
رب اجعل بلد مكة آمناً دائماً لمن فيها من البشر
والشجر والصيد، وأبعدني وأبنائي عن عبادة
الأصنام التي لا تقصر ولا تنفع.

٣٦- يارب، إن الأصنام تسببت، مع كونها
جمادات، لضلال كثير من الناس، فمن تبعتني في

الإسلام والتوحيد وترك عبادة الأوثان، فإنه من أهل ديني، ومن خالفني ولم يدخل في ديني، فإنك كثير
المغفرة لمن تاب، رحيم بمن أناب وأصلح. وهذا الدعاء شفاعة في العصاة غير المشركين والكفار، وفتح باب
الأمل والتوبة لمن يريد تدارك تقصيره.

٣٧- ربنا إني أسكنت إسماعيل وأمه هاجر بواد لا زرع فيه، هو وادي مكة، عند بيتك وهو الكعبة الذي
حرمت التهاون به وانتهاك حرمة ومقامه، أسكنتهم به ودعوتك ليقموا الصلاة فيه، فاجعل قلوب بعض
الناس قميل إليهم، وتسرع إليهم شوقاً وحباً، وارزقهم من مختلف الثمرات بالإنبات أو الجلب، ليشكروا
نعمتك التي أنعمت بها عليهم.

٣٨- ربنا إنك تعلم ما نسر وما نعلن أو ما نكتم ونظهر، ولا يخفى على الله شيء في الأرض والسماء،
فكل شيء تطلع عليه.

٣٩- الشكر والحمد لله الذي رزقني حال الكبر ولدين هما إسماعيل وإسحاق، إن ربي كثير السماع للدعاء
الصادر عن صدق وإخلاص وإيمان.

٤٠- رب اجعلني مواظباً على الصلاة، واجعل من ذريتي من يؤدي الصلاة على الوجه الأكمل، ربنا
واقبل دعائي وتضرعي.

٤١- ربنا اغفر لي كل ما قصرت فيه نحوك، واغفر لوالدي. وهذا قبل أن يعلم بعداوتهم الله تعالى- يوم
يوجد الحساب ويتحقق.

وَتَحْرَمَكُمُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ دَائِبِينَ وَتَحْرَمَكُمُ اللَّيْلُ
وَالنَّهَارُ ﴿٣٣﴾ وَوَأَنكُرُكُمْ كُلَّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ
اللَّهِ لَا تُحْصَوْنَ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ قَالَ
إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ
الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنِّي أَخْلَصْتُكَ مِنَ النَّاسِ فَمَنْ
يَتَّبِعُنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَمُودٌ رَحِيمٌ ﴿٣٦﴾
رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ
عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً
مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ
يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى
عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ
إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْ بَيْنِي وَبَيْنَ الصَّلَاةِ
وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي
وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ
 لِيَوْمٍ تَجُوعُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ مُطْعِمِينَ مُقْنِعِينَ رُءُوسِهِمْ
 لَا يَرُدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفَهُمْ وَأَنفُسُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرْنَا لِنَاسٍ يَوْمَ
 يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ
 نَحْتَدْعُوكَ وَنَتَّبِعَ الرَّسُولَ لَوْ لَوْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِن قَبْلِ
 مَا لَكُم مِّن رَّوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَتُمْ فِي مَسْجِدِ الَّذِينَ ظَلَمُوا
 أَنفُسَهُمْ وَبَيْنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ
 ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا وَمَكَرَهُمُ اللَّهُ مَكْرَهُمْ وَإِن كَان مَكْرَهُمْ
 لَنُذِلَّ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلَّفًا وَعَدُو رَسُولِهِ
 إِذْ اللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ
 وَالسَّمَوَاتُ وَبُرُوزًا لِلَّهِ الْوَحِيدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَرَوَى الْحَجْرَ مِنْ
 يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّبِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَّابُهُمْ مِّن فِطْرَانٍ وَتَعَسَّى
 وَجْهُهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُل نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ
 اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَذَا بَالِغُ النَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ
 وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ الْوَحِيدِ وَلِيُنذِرُوا أُولَ الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾

٤٢- ولا تظنن أيها الرسول أن الله غافل عن استحقاق الظالمين الكافرين من أهل مكة وغيرهم للعذاب، بسبب مقاومة دعوتك وإيذائك والصد عن دينك، إنما يؤخر جزاءهم وعذابهم ليوم ترتفع فيه أبصارهم، فلا تقر في أماكنها، لهول ما ترى في ذلك اليوم.

٤٣- وتراهم مسرعين إلى الداعي في ذل وانكسار، رافعي رؤوسهم إلى السماء، ناظرين نظرة فزع وذل، غير ملتفتين إلى شيء، لا ترجع إليهم أبصارهم، بل تبقى عيونهم شاخصة دائما في هذا الوقت، وتتوقف أجفانهم عن الحركة، بسبب الأحوال، وقلوبهم خالية من العقل والفهم، لشدة فزعهم ودهشتهم، كالهواء، أي الخلاء الذي لا شيء فيه.

٤٤- وخوف أيها النبي الكفار وحذرهم يوم يأتيهم العذاب يوم القيامة، فيقول الذين ظلموا أنفسهم بالكفر: ربنا أهملنا وأخر العذاب عنا إلى وقت معلوم غير بعيد، وردنا إلى الدنيا نتدارك تقصيرنا، ونجيب دعوتك بالتوحيد، وتتبع الرسل الذين أرسلتهم فيما بلغوا من الشرائع، فيقال لهم توبيعا: أو لم تكونوا حلفتكم من قبل في الدنيا أنكم مخلدون فيها، غير مفارقين لها، وأنه لا بعث ولا حساب.

٤٥- وسكتتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي كعاد وثمود، وعلمتم كيف عذبناهم وأهلكناهم بذنوبهم، فلم تنزجروا، وبيئنا لكم الأمثال والعبر في القرآن، فلم تعتبروا ولم تنتظروا بذلك كله، ولم تدركوا أنكم مثلهم في الكفر والعذاب.

٤٦- وقد دبر كفار مكة تديبرهم الخفي، وبدلوا غاية جهدهم لإبطال الحق، وإثبات الباطل، وعند الله العلم بمكرهم وجزاؤه، فهو قادر على إبطاله، وإن كان مكرهم من العظم والشدة والحيث يكاد يزيل الجبال عن أماكنها.

٤٧- فلا تظنن أيها الرسول أن الله مخلف وعده الذي وعد به الرسل بالنصر والتأييد، إن الله غالب قاهر لا يعجزه شيء، قادر على الانتقام لأوليائه من أعدائه.

٤٨- ويكون الانتقام يوم تتبدل الأرض غير هذه الأرض، وتتبدل السموات غير السموات، وخرجوا وظهروا من القبور، خاشعين لله الواحد الذي قهر كل شيء بقدرته.

٤٩- وتبصر الكافرين حينئذ يوم القيامة مشدودين مع بعض أو مقيدين بالقيود والأغلال، ومربوطا كل واحد مع شيطانه الذي أغواه، والأصفاذ: قيود الحديد التي توضع في الأيدي والأرجل.

٥٠- قمصانهم من قطران (أسود متن) تطلى به جلودهم، وتعلو النار وجوههم وتحرق أجسادهم.

٥١- برزوا من قبورهم ليجزي الله كل نفس ما كسبت في الدنيا من خير أو شر، إن الله سريع الحساب، يحاسب جميع الخلق، في قدر نصف يوم.

٥٢- هذا القرآن أنزله الله لتبليغ جميع الناس أحكام الشريعة والعقيدة، ولتخويفهم وعظمتهم، ولإعلامهم أن الله إله واحد لا شريك له، ولا معبود سواه، وليتعض أصحاب العقول السليمة التي تعقل وتدرك.

سورة الحجر



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّسَلِكْ ءَايَتِ الْكُتُبِ وَرُءُءِ اِنْمِيْنِ ﴿١﴾ ذُبَا يُوْدُ اَلَّذِيْنَ
 كَفَرُوْا لَوْ كَانُوْا مُسْلِمِيْنَ ﴿٢﴾ ذُرْهُرًا كَلُوْا وَيَتَمَعُوْا وَيُلِهِيْهُمُ
 اَلْاَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُوْنَ ﴿٣﴾ وَمَا اَهْلَكَا مِنْ قَرْيَةٍ اِلَّا وَاَسَا
 كِنَا بٌ مَّعْلُوْمٌ ﴿٤﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ اُمَّةٍ اَجَلَهَا وَمَا يَسْتَسْخِرُوْنَ ﴿٥﴾
 وَقَالُوْا يَا أَيُّهَا الَّذِيْ نَزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ اِنَّا لَنَجْزِيْكَ
 لَوْ مَا نَأْتِيْنَا بِالْمَلٰٓئِكَةِ اِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ ﴿٦﴾ مَا نُنزِّلُ الْمَلٰٓئِكَةَ
 اِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوْا اِلَّا مُنظَرِيْنَ ﴿٧﴾ اِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَاِنَّا لَهٗ
 لَحٰفِظُوْنَ ﴿٨﴾ وَلَقَدْ اَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيْخِ الْاَوَّلِيْنَ ﴿٩﴾
 وَمَا يَأْتِيْهِمْ مِنْ رَّسُوْلٍ اِلَّا كَانُوْا بِسِتْهٰزٍ وَّوْنَ ﴿١٠﴾ كَذٰلِكَ نَسْلُكُ
 فِي قُلُوْبِ الْفٰجِرِيْنَ ﴿١١﴾ لَآ يُؤْمِنُوْنَ بِهٖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْاَوَّلِيْنَ
 ﴿١٢﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ بَابًا مِنَ السَّمَآءِ فَظَلُّوْا فِيْهِ يَعْزُبُوْنَ ﴿١٣﴾
 لَقَالُوْا اِنَّمَا سَكَّرَتْ اَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُوْرُوْنَ ﴿١٤﴾

- ١- ﴿الر﴾: ألف، لام، واو، تقدم بيان المراد منها، تلك آيات هذه السورة آيات الكتاب الكامل في كل شيء، والقرآن الواضح التام البيان. جمع بين الاسمين، وعطف كلمة ﴿قرآن﴾ على ﴿الكتاب﴾ من قبيل عطف الصفة على الموصوف. وتكثير كلمة ﴿قرآن﴾ للتفخيم.
- ٢- وكثيراً ما يتمنى الكفار في الآخرة حينما ينكشف لهم الأمر أن لو كانوا في الدنيا مسلمين خاضعين متقادين لله، مؤمنين بالقرآن. وربما: استعملت هنا في الكثير، والغالب استعمالها في القليل.
- ٣- اتركهم أيها النبي على ما هم عليه من الاشتغال بالأكل والتمتع بدنياهم، وإلهاء الأمل بطول العمر وغيره عن الإيمان واتباعك، فسوف يعلمون عاقبة أمرهم، وسوء صنيعهم إذا عاينوا الجزاء الأخروي. وهذا تهديد لهم.
- ٤- وما أهلكنا أهل قرية (بلد) من القرى، إلا ولها أجل محدود لإهلاكها، أجل مقدر، وأمر مكتوب في اللوح المحفوظ لا بد من حصوله.
- ٥- لا يتقدم هلاك أمة قبل مجيء أجلها ولا يتأخر عنه، فلا يغتروا بالإمهال. وتذكير فعل ﴿يستأخرون﴾ العائد على ﴿أمة﴾ للحمل على المعنى.
- ٦- وقال المشركون استهزاء وسخرية وتهكماً: يا أيها الذي نزل عليه القرآن، إنك لمنجون في ادعائك.
- ٧- هلا تأتينا بالملائكة ليشهدوا على صدقك وأنك رسول الله حقاً، إن كنت صادقاً في دعواك أو قولك: إنك نبي، وإن هذا القرآن من عند الله تعالى.
- ٨- رد الله عليهم بقوله: ما ننزل الملائكة للعذاب والإهلاك وغير ذلك إلا بمقتضى الحكمة الإلهية، فهو تنزيل مقترن بالحق، وما كانوا حين نزول الملائكة بالعذاب مؤخرين لحظة واحدة، أي لو نزلنا الملائكة لوجدوا بالعقاب.
- ٩- إنني أنا الله الذي نزلت القرآن، وإنني له لحافظ من التحريف والتبديل، والزيادة والنقص. وهذا رد لإنكارهم واستهزائهم.
- ١٠- ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك في الأمم الماضية والجماعات السالفة وسائر الفرق.
- ١١- وما يأتي رسول شيعته للدعوة إلى توحيد الله وطاعته إلا كانوا به يستهزئون. وهذا للتسرية عن ههوم وأحزان النبي.
- ١٢- مثل إدخالنا التكذيب والكفر والاستهزاء في قلوب أولئك الأولين، ندخله في قلوب المشركين من قومك، لقساوتهم.
- ١٣- لا يؤمنون أو لا يصدقون بالقرآن ولا بالنبي، وقد مضت سنة الله فيهم من الإذلال والإهلاك بتكذيب أنبيائهم. وهؤلاء مثلهم، والكلام تحذير لكفار مكة.
- ١٤- ولو فتحننا على هؤلاء المشركين باباً من السماء، ومكناهم من الصعود إليه، فصاروا يصعدون إلى السماء.
- ١٥- لقال هؤلاء الكفار لفرط عنادهم: إنما منعت أبصارنا عن الإبصار، بل نحن قوم مسحنا محمد بذلك. والمراد التأكيد منهم على أن ما يرونه لا حقيقة له، بل هو باطل خيل إليهم بنوع من السحر.

١٦- ولقد جعلنا في السماء منازل للنجوم والكواكب، ومنازل الكواكب السيارة اثنا عشر المشهورة، وزينا السماء بالكواكب للناظرين.

١٧- وحفظنا السماء من كل شيطان مرجوم بالحجارة، مطرود مبعد، من أن تسمع شيئاً من الوحي وغيره.

١٨- حفظناها بالشهب، لكن من استمع مستخفياً، فإن الشهب النارية الظاهرة لكل مبصر تتبعه وتحرقه. والشهاب: شعلة من نار.

١٩- والأرض بسطناها لتمكين الحياة المستقرة فيها، وجعلنا فيها جبالاً ثابتة لئلا تتحرك بأهلها، وأنبثنا في الأرض من كل شيء من النباتات، مقدر معلوم.

٢٠- وجعلنا لكم في الأرض كل ما يعاش به من غذاء وشراب ولباس ومسكن، وجعلنا معاش أيضاً لمن لا ترزقونهم من العيال والخدم والدواب، وإنما الله هو الرازق للجميع.

٢١- وما من شيء من الأرزاق والمنافع إلا عندنا خزائن رزقه، ونحن قادرون على إيجاده من العدم، وما نسمح بإنزاله إلا بمقدار معلوم، بحسب حاجة العباد إليه، ويمقتضى الحكمة.

٢٢- وأرسلنا الرياح لواقع للسحاب فتملؤه ببخار الماء فيصير ماء، ولواقع للأشجار والأزهار، فجعلنا المطر سقياً لكم ولزراعكم ومواشيكم وغسل الأرض وتنظيف الجو والبيئة، ولستم خازنين لخزائنه في الآبار والعيون والغدران.

٢٣- وبيدنا الإحياء والإماتة، ونحن نرث الأرض ومن عليها، فالبقاء لنا بعد فناء الخلق، نرث جميع الخلق والكون.

٢٤- ونحن نعلم بكل من تقدم وولادة وموتاً، ومن تأخر فيهما، نعلم من مات من ولادة آدم ومن سيوجد من الأجيال.

٢٥- وإن ربك أيها النبي هو وحده المتولي لحشرهم وجمعهم يوم القيامة، ثم لحسابهم جزائهم، إنه حكيم في صنعه، عليم بخلقهم.

٢٦- ولقد خلقنا آدم الإنسان الأول من طين يابس يصلصل، أي يظهر صوتاً إذا نُقِر عليه أو حرك، ومن طين أسود.

٢٧- وخلق أبا الجن إبليس من قبل خلق آدم من لهب النار الشديدة الحرا، التي تنفذ في المسام، الخالية من الدخان.

٢٨- واذكر أيها النبي حين قال ربك للملائكة: إني سأخلق بشراً من طين يابس أسود متغير.

٢٩- فإذا أتممت خلقته وكملت أجزاءه، ونفخت فيه من روحي، فصار حياً، فاسجدوا له. والروح: شيء نوراني عجيب من خلق الله تعالى. أضاف تعالى الروح إلى نفسه إضافة خلق إلى خالق، وهو تشریف لآدم.

٣٠- فسجد لآدم كل الملائكة مجتمعين.

٣١- لكن إبليس امتنع من السجود، تعالياً بأنه خير من آدم، وتكبراً بسبب خلقه من نار، وآدم من طين.

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَرَازِبَاتٍ لِلظُّلُمِينَ ﴿١٦﴾ وَحِفْظًا
مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّرْجُومٍ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا أَسْرَفُ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ
مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِيسًا وَأَنْبَثْنَا فِيهَا
مِن كُلِّ شَيْءٍ وَمَوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشًا وَمَنْ
لَسَدَلُهُ يُرْزَقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ أَلْعَدْنَا خَازِنًا وَمَا
نُرَاهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاحٍ فَأَنْزَلْنَا
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾
وَأَنَّا لَخُنُّنُ شَيْءٍ وَنُخِيبُ وَنَخُنُّ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَوَلَقَدْ عَلَّمْنَا
الْمَسْقُودِ مِينَكُمْ وَوَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمَسْتَخْفِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنْ رَبُّكَ
هُوَ يُخْشِرُهُ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَوَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ
صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَأَنْجَاكَ خَلْقَنَاهُ مِنْ قَبْلِ
تَارِ السُّمُورِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ
صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ
رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾

٣٢- قال الله تعالى: يا إبليس، ما منعك أن تكون من الساجدين لآدم؟

٣٣- قال إبليس: لا ينبغي لي أن أسجد لبشر خلقته من طين يابس، وأسود متغير الرائحة، مريداً بذلك أن التراب أخس العناصر، وهو مخلوق من نار أشرف العناصر، والأرقى لا يسجد للأدنى.

٣٤- قال الله تعالى: فأخرج من الجنة، فإنك ملعون مطرود من رحمتي، لعصيانك أمري.

٣٥- وعليك الطرد والإبعاد من رحمة الله بنحو دائم مستمر إلى يوم القيامة والحساب.

٣٦- قال إبليس: رب، فأخزني ولا تمتني إلى اليوم الذي يبعث فيه الناس من القبور.

٣٧- قال الله تعالى: فإنك من المؤخرين هلاكهم. حدوته في علم الناس، وهو يوم القيامة.

٣٩- قال إبليس: بسبب إغوائك وإضلالك لي، أقسم بعزتك لأزين لبنى آدم المعاصي في الدنيا، ولا ضللتهم أجمعين.

٤٠- إلا عبادك المؤمنين المطهرين من النقائص، الذين استخلصتهم لطاعتك.

٤١- قال الله تعالى: إن حفظ العباد المخلصين من الإغواء حق علي أن أراعيه، ولا سلطان لك عليهم.

٤٢- إن عبادي المخلصين ليس لك تسلط عليهم بالوسوسة، أما القهر والإكراه على العصيان فليس في قدرتك، لكن من اتبعك من العصاة والكافرين الواقعين في الضلال، فإنهم يتأثرون بإغوائك.

٤٣- وإن جهنم لموعده المتبعين لك، الفؤاء أجمعين.

٤٤- لجهنم سبعة أبواب، يدخل أهلها منها، وكانت سبعة لكثرة أهلها، لكل باب من أتباع إبليس الغواة قدر معلوم مخصص له.

٤٥- إن الذين اتقوا ربهم وتجنبوا الكفر والفواحش في بساتين خضراء، وأنهار جارية. نزلت في سلمان الفارسي الذي تقطع قلبه، وفر هارباً ثلاثة أيام من الخوف، لا يعقل، حينما سمع آية ﴿وإن جهنم لموعدهم أجمعين﴾ [٤٣].

٤٦- يقال للمتقين: ادخلوا الجنة سالمين من المخاوف والآفات، آمنين من كل فزع ومكروه.

٤٧- وأخرجنا ما في صدور أهل الجنة من حقد وعداوة وحسد، حال كونهم إخواناً متحابين، يتقابلون على أسرة: مجالس رفيعة. نزلت في أبي بكر وعمر، لنزع غل الجاهلية الذي كان بين بني هاشم وبني عدي وبني تميم.

٤٨- لا يصيب التعب أهل الجنة، ولا يخرجون منها أبداً، بل هم خالدون فيها.

٤٩- أخبر أيها النبي عبادي المخطئين أنني أنا الكثير المغفرة لذنوبهم، الكثير الرحمة بهم إذا تابوا.

٥٠- وأن عذابي لمن خالف أمري وتجراً على معصيتي هو العذاب المؤلم، فليخافوا عقابي.

٥١- وأخبر أيها النبي عبادي بقصة ضيوف إبراهيم الخليل، وهم الملائكة الاثنا عشر، منهم جبريل، حيث اجتمع له في أمرهم الرجاء والخوف، ليعتبروا بذلك.



إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَمًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا
 لَا تَوْحَلْ إِنَّا نَبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشِّرْتُمُونِي عَلَى
 أَنْ نَسِيَ الْكِبَرِيَّةَ فَبَشِّرُونِي ﴿٥٤﴾ قَالُوا بَشِّرْكَ بِالْحَيِّ فَلَا
 تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَنْ يَقْطَعُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا
 الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَاحْطَبْكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا
 إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ آيَةُ آلِ لُوطٍ إِنَّا لَنَجُوهُ
 أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا أَمْرًا لَكَ وَقَدَرْنَا أَن نَّهْلِكَ الْغَافِلِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ
 آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا
 بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا
 لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَنْشُرْ بِأَهْلِكَ يَقْطَعُ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ
 وَلَا يَلْبِثْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَفَضِيلًا
 إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرُ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْحِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَاءَ
 أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَرَفِيُّ فَلَا
 تَنْصَحُونَ ﴿٦٨﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوْ لَوْ أَنَّكَ
 عَنْ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَؤُلَاءِ بِسَائِقٍ إِن كُنْتُمْ قَلِيلِينَ ﴿٧١﴾

٥٢- حين دخلوا على إبراهيم، فسلموا عليه، فقال لهم بعد تقديم الضيافة: إننا فزعون خائفون منكم، بسبب الدخول علينا من غير استئذان.

٥٣- قالوا له: لا تخف، إننا نبشرك بولادة غلام كثير العلم، وهو إسحاق.

٥٤- قال إبراهيم: أتبشرونني بالولد حال الهرم والشيخوخة، فبأي شيء تبشرونني؟! وهو استفهام تعجب بمقتضى العادة المألوفة، لا بالنظر لقدرة الله تعالى.

٥٥- قالت الملائكة: بشرك بالامر المحقق المتيقن الذي لا شك فيه، فلا تكن من اليائسين من رحمة الله بوجود الولد حال الكبر.

٥٦- قال إبراهيم: لا يياس من رحمة الله إلا القوم الضالون عن طريق الحق والصواب، الكافرون الذين لا يعرفون كمال قدرة الله وسعة رحمته، فلم يكن تعجبي بسبب القنوط، وإنما بسبب الكبر عادة.

٥٧- قال إبراهيم: فما أمركم الخطير أو شأنكم وحالكم أيها المرسلون غير هذه البشارة؟

٥٨- قالوا له: إننا أرسلنا من الله إلى قوم كافرين، هم قوم لوط لإهلاكهم.

٥٩- إلا آل لوط الذين آمنوا برسالته، إننا لننجوهم ومنقذوهم أجمعين من الهلاك لإيمانهم.

٦٠- إلا امرأة لوط قضينا وحكمتنا بأنها من الباقيين في العذاب لكفرها.

٦١- فلما أتت الملائكة المرسلون قوم لوط.

٦٢- قال لوط: إنكم قوم لا أعرفكم، فلستم بمعرفين لنا.

٦٣- قالت الملائكة: لا تخف، بل جئناك بالعذاب الذي كانوا يشكون فيه.

٦٤- وأتيناك بالامر والخبر المحقق الثابت، وإننا لصادقون في قولنا.

٦٥- فأخرج مع أهلك وأتباعك بجزء من الليل، وامش خلفهم لحثهم على الإسراع، ولتلا يتخلف منهم أحد، ولا يلتفت منكم أحد وراه، فيرى فداحة العذاب، وسيروا إلى المكان الذي أمركم الله بالاتجاه إليه، وهو الشام.

٦٦- وأوحينا إلى لوط ذلك الأمر المقضي فيه وهو إهلاك قومه، وآخر من يبقى منهم يهلك وقت الصبح، أي أنهم هالكون جميعاً.

٦٧- وجاء قوم لوط أهل مدينة سدوم، مستبشرين بأضياف لوط الحسان، بقصد ارتكاب الفاحشة بهم.

٦٨- فقال لهم لوط: إن هؤلاء أضيافي الذين يحتاجون إلى التكرم، فلا توقعوني في العار والخزي بالإساءة لهم.

٦٩- وخافوا الله وتجنبوا ارتكاب الفاحشة، ولا تلحقوا بي الذل والهوان بقصدكم إياهم.

٧٠- قال قومه: أو لم تنهك يا لوط عن التكلم في شأن أحد من الناس إذا قصدناه بشهوة؟ فإنهم يتعرضون لكل غريب، وكان لوط يمنعهم عنه بقدر وسعته.

٧١- قال لهم لوط: هؤلاء بناتي تزوجهن حلالاً إن كنتم تريدون قضاء الشهوة، ولا تسيئوا لأضيافي.

٧٢- قسماً بحياتك، أي حياتك يا لوط أوبيا محمد، إنهم في غوايتهم يترددون .
 ٧٣- فأخذتهم صيحة الملك عند خسف ديارهم- والصيحة: الصوت الشديد المزعج- وقت الشروق .
 ٧٤- خسفنا بهم الأرض، بأن جعلنا عاليها سافلها، وقلبتا مدينتهم بمن فيها، وأنزلنا عليها حجارة من طين متحجر .
 ٧٥- إن في ذلك العذاب النازل بقوم لوط لدلالات على قدرة الله وتوحيده، وعبراً وعظات، للناظرين المتفكرين .
 ٧٦- وإن قرى قوم لوط على طريق قومك قريش إلى الشام، يراها المسافرون بنحو ثابت .
 ٧٧- إن في ذلك العذاب لعبرة للمؤمنين بالله .
 ٧٨- وقد كان أصحاب الأيكة (الغيضة: وهي مجتمع الشجر الكثير الملتف على بعضه، بين ساحل البحر الأحمر ومدين) وهم قوم شعيب قوماً ظالمين بتكذيبهم شعبياً وكفرهم بالله وحده .
 ٧٩- فأهلكناهم بعذاب يوم الظلة، وإن ديار قوم لوط، ومسكن قوم شعيب لبطريق واضح .
 ٨٠- ولقد كذب الرسل أصحاب الحجر وهم ثمود، والحجر: وادي بين المدينة والشام، والتكذيب

لَمَرُّكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُسْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمْ سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَاتَّقِنَا مِنْهُمُ وَإِنَّهُمَا لِيَآمِرٌ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَاهُمُ الْيَتِيمَ الْكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا يُحِبُّونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُصِيبِينَ ﴿٨٣﴾ فَأَعْرَضُوا عَنْهَا وَكَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآيَةٌ فَاصِّحْ أَصْحَابَ الْجَبَلِ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَلِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمِ ﴿٨٧﴾ لَا تَدْعُنَّ عَيْنِيكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفَضْنَا حَنَاحَ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾

لصالح عليه السلام، والتعبير بالرسول عن الرسول؛ لأن تكذيب رسول تكذيب لباقي الرسل .
 ٨١- وآتيناهم ثمود آياتنا الدالة على صدق رسولنا، المنزلة على صالح؛ ومنها الناقة، فكانوا معرضين عنها .
 ٨٢- أي وكانوا يقبون الجبال، وينون فيها منازل يحسبون أنها تحميهم من العذاب .
 ٨٣- فأخذتهم صيحة العذاب الشديد وقت الصباح .
 ٨٤- فما دفع عنهم العذاب ما كانوا يكسبون من الأموال وما ينحتون من بناء البيوت والحصون في الجبال .
 ٨٥- وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما من المخلوقات والجمادات إلا بما يتفق مع الحق الثابت الدائم، وإن القيامة لكائنة حتماً لا محالة، فاعف أيها النبي عن قومك عفواً حسناً، لا عتاب معه، ولا جزع فيه .
 ٨٦- إن ربك أيها النبي هو خالق كل شيء، والعليم بكل شيء من أفعال خلقه .
 ٨٧- ولقد آتيناك أيها الرسول سبع آيات تثني وتكرر في كل ركعة، وهي الفاتحة، والقرآن العظيم فيما اشتمل عليه، وهو عطف عام على خاص، والكل على الجزء .
 ٨٨- لا تنظر نظرة راغب متمن إلى ما متعنا به أصنافاً من الكفار والمشركين بمتع الدنيا وزخارفها، ولا تحزن عليهم إذا لم يؤمنوا، وتواضع برفق ولين للمؤمنين .
 ٨٩- وقل: إني أنا المخوف من عذاب الله كل من عصى الله ورسوله، الموضح كل ما يتعرضون له من عذاب .
 ٩٠- أنزلنا عليك القرآن كما أنزلنا كتاباً على اليهود والنصارى الذين قسموا القرآن إلى حق وباطل، فأمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض أو أنزلتكم ما أنزلنا على المقتسمين من العذاب يوم بدر وهم الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم لينفروا الناس عن الإيمان بالرسول ﷺ، والظاهر لي هذا الرأي .

الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿١١﴾ قَوْلِكَ لَسَعْنَاَهُمْ أَجْمَعِينَ
 ﴿١٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿١٣﴾ فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرَضُ عَنِ
 الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ إِنَّا كُنْهِكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ
 يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسُوفَ يُعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ عَلِمَ
 أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿١٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ
 مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿١٩﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 إِنَّا أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ
 ﴿١﴾ يَنْزِلُ الْمَلَكُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
 أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونَ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ
 مِنْ نَفْثَةٍ فَإِنَّا هُوَ حَصِيدٌ مُبِينٌ ﴿٤﴾ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا
 لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾

٩١- الذين جعلوا القرآن أجزاء متفرقة، بعضه حق موافق للتوراة والإنجيل، وبعضه باطل مخالف لهما، أو قسمه المشركون أجزاء بعضه شعر، وبعضه سحر، وبعضه كهانة ونحو ذلك، والراجح الرأي الثاني.

٩٢، ٩٣- قسماً بريك أيها النبي لتسالن هؤلاء الكفرة يوم القيامة عما فعلوا من المعاصي، وعملوا في الدنيا من أعمال يؤاخذون عنها، من كفر وتكذيب. وهو سؤال توبيخ وتقرير.

٩٤- فاجهر أيها النبي بدعوتك إلى التوحيد، وبلغ ما أنزل إليك من ربك، ولا تبال بالمشركين. لم يزل النبي ﷺ مستخفياً بالدعوة، حتى نزلت هذه الآية، فخرج هو وأصحابه معلناً.

٩٥- إنا كفييناك شر المستهزين من المشركين المكين وهم خمسة من رؤساء مكة: الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن الطلب، والأسود بن عبيد يغوث، والحارث بن الطلائع، كضاهم الله بالإهلاك جميعاً في يوم واحد.

٩٦- المستهزين الذين يشركون مع الله إلهاً آخر، فسوف يعلمون عاقبة أمرهم في الدارين. نزلت في أولئك المستهزين بالنبي ﷺ الذين غمزوا به. وهذا وعيد لهم بالمجازاة على استهزائهم وشركهم في الآخرة.

٩٧- وتالله لقد نعلم أنك أيها النبي تتضايق بما يرميك به المشركون من السحر والجنون والكهانة والكذب.

٩٨- فنزه ربك عما لا يليق به تنزيهاً مقروناً بالتحميد، وكن من المصلين، فإن الصلاة تفرج الكرب وتذهب الهموم.
 ٩٩- ودوام على عبادة ربك حتى يأتيك الموت، وسمي باليقين لأنه أمر حتمي.

سورة النحل

١- قرب ودنا الأمر الموعود به وهو نصر النبي ص وتعذيب الكافرين، فلا تتعجلوه فإنه آت حتماً، تنزه الله وتعظيمه وتقديسه عن نسبة الشريك له من الأوثان والأصنام. كان المشركون يستعجلون قيام الساعة، أو الإهلاك، ويقولون: إن صح ما يقوله، فالأصنام تشفع لنا، وتخلصنا منه، فنزلت.

٢- ينزل الله جبريل من الملائكة بالوحي من قرآن وغيره، وهذا الوحي من أمر وإرادة الله وحده، على من يشاء من عباده، بأن أنذروا بالعذاب، وبلغوا أنه لا إله يعبد بحق إلا الله وحده، فخافوا عذابي إن عبدتم غيره وخالفتم أمري.

٣- خلق الله السموات والأرض بقدرته، خلقاً ملازماً للحق، لا باطلاً وعبثاً، تعظيم الله عن الشريك في ملكه.

٤- خلق الله الإنسان من نطفة هي ماء الرجل، فإذا هو شديد الخصومة والجدل وظاهر الخصام والإنكار للبعث والجزاء.

٥- وخلق الأنعام (الإبل والبقر والغنم) لكم، فيها ما تستدفنون به لدفع البرد والحر من الكساء والرداء بأشعارها وأصوافها وأوبارها، ومنافع كثيرة من النسل والدر والركوب، وتأكلون من لحومها وشحومها.

٦- ولكم في الأنعام تجمل وتزين في أعين الناس، حين الرواح بالعشي والمساء من المرعى، وحين الإخراج صباحاً للمرعى.

٧- وتحمل أحمالكم الثقيلة إلى بلد بعيد، لا تصلون إليه إلا بمشقة وإرهاق نفس، إن ربكم لكثير الرأفة والرحمة بكم حيث خلقها لكم.

٨- وخلق لكم الخيل والبغال والحمير لتركبوها عليها وتحملوا أمتعتكم عليها، وجعلها لتتزينوا بها زينة في وقت الرخاء، ويخلق لكم ما لا تعلمون من الأشياء العجيبة الغريبة، مثل وسائل النقل ووسائل الفضاء الحديثة، من السيارات والطائرات والقطارات وسفن الفضاء والصواريخ الجبارة.

٩- وعلى الله بيان الطريق المستقيم إلى الخير ببسر وسهولة، ومن الطرق طريق حائد عن الاستقامة لا يوصل إلى الهداية، ولو شاء الله لهداكم أجمعين إلى الطريق الصحيح، ولكن اقتضت حكمته ترك حرية الاختيار لكم، ليظهر دور الإنسان وجهده وجهاده.

وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَوْنَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَجْمَلُ
أَنْفُسُكُمْ إِلَىٰ بِلَادِكُمْ تُرْجَوْنَ بِهَا فِيهِ الْإِبْتِيقُ وَالْأَنْفُسُ إِتْرَ
رَبِّكُمْ لَرَوْفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا
وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَىٰ اللَّهُ قُصْدُ السَّبِيلِ
وَمِنْهَا جَابِرٌ وَنُوشَاءٌ لِّهَدْيِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي
أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجْرٌ
فِيهِ تُسْجُونَ ﴿١٠﴾ بَنَيْتُ لَكُمْ فِي الزَّرْعِ وَالزَّيْتُونِ
وَالْخَيْلِ وَالْإِبْرَةِ وَالْأَنْعَابِ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرْنَا لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأْنَاكُمْ فِي الْأَرْضِ
مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ
﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا الْبَحْرَ لِنَأْكُلَ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا
وَنَسَخَّرْجُوا مِنْهُ حَلِيَةً نَلْبَسُوهَا وَتَرَىٰ الْفُلْكَ
مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِيَبْتَلُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾

١٠- الله الذي أنزل من السحاب مطراً، لكم منه شراب عذب تشربونه أنتم ومواشيكم، ولكم منه شجر: وهو كل ما له ساق حتى المراعي، فيه ترعون مواشيكم.

١١- بنيت لكم بالماء الزرع والزيتون والنخيل والعنب ومن جميع أصناف ثمار الفاكهة وبقية الثمار النافعة، إن في ذلك الإنزال والابتات آية عظيمة دالة على وحدانية الله وقدرته، لقوم يتفكرون في صنعه.

١٢- وصير لكم الليل والنهار نافعين، وهما لمنافعكم، والشمس والقمر والنجوم مذلللات بإرادته، إن في ذلك التسخير آيات وعلامات دالة على القدرة الإلهية والوحدانية، لقوم يتأملون بعقولهم في هذه العلامات.

١٣- وخلق وسخر لكم جميع المخلوقات الأرضية على اختلاف ألوانها وأنواعها من حيوان ونبات وجماد، إن في ذلك الاختلاف آية واضحة لقوم يتذكرون نعم الله، فيعتبرون ويشكرون.

١٤- وهو سبحانه الذي ذلل البحر للركوب والاصطياد والغوص فيه، ولتأكلوا منه اللحم الطري وهو السمك، وتسخر جوا منه حلية للباس والزينة، وهي اللؤلؤ والمرجان، وترى السفن جوارى في البحر، تمخر الماء، أي تشقه بجريها فيه، مقبلة مدبرة، ولتطلبوا الرزق بالالتجار وغيره من فضل الله، ولتشكروا الله على هذه النعم، وتعرفوا حقها.

وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَالَمَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَهِرْمَتُهُمْ ذُرُوعًا وَآمِنًا يُخَلِّقُ كَمَنْ لَّا يُخَلِّقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٦﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَأَنْحَسُوهَا إِنَّا اللَّهُ لَنَعْلَمُ رَجِيمٌ ﴿١٧﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَسْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢٠﴾ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْكِرُونَ ﴿٢١﴾ لَاجِرٌ أَنَّهُ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُشْكِرِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمَ مَاذَا أُنزِلَ رَيْبُكُمْ قَالَوا أَسْطِيرَ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٣﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِن أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِيدُونَ ﴿٢٤﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ بُلِيغٌ مِّنَ الْقَوَائِدِ فَحَذَّرَهُمْ السَّفْهَ مِمَّن فَوْقَهُمْ وَأَنَّهُمُ الْعَذَابُ لَمَنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾

١٥- وألقى الله في الأرض جبسا لا ثوابت لثلا تضطرب بكم، وفجر فيها أنهاراً، وأوجد فيها طرقاً مختلفة مدللة لعبورها في الأسفار، والاهتداء بها إلى المقاصد والبلدان.

١٦- وجعل في الأرض أمارات ومعالم في النهار تدل السائر على الطرقات كالجبال والسهول والوديان، وجعل النجوم والكواكب أمارات للاهتداء بها في الليل، إلى الطرق والقبلة مثلاً.

١٧- أفمن يخلق هذه المخلوقات العظيمة المختلفة كمن لا يخلق كالأصنام، أفلا تتذكرون قدرة الله وتعظون، وتذركون وجوده ووحدانيته فتؤمنون؟ أي لا تسووا بين القادر على الخلق وهو الله، والعاجز عن خلق أي شيء مهما صغر.

١٨- وإن تعدوا نعم الله الكثيرة عليكم لا تضبطوها، فضلاً عن أداء حق شكرها، إن الله واسع المغفرة للذنوب والتقصير عن شكر النعمة، رحيم بالعباد حيث أوجد النعم لهم، وإن لم يشكروه عليها.

١٩- والله يعلم كل ما تخفون وما تظهرون من عقائد ونيات وضمائر وأعمال، وهو وعيد على الشرك وخبائث الأفعال.

٢٠- والأصنام الألهة التي يعبدونها المشركون غير الله

لا يتمكنون من خلق شيء من المخلوقات، وهم مخلوقون مصنوعون بأيدي الكفار من أحجار وأخشاب وغيرها. وهذه موازنة تؤكد مضمون الآية السابقة [١٧]. وصفهم بصفة العقلاء في زعم العابدين.

٢١- إنهم جمادات ميتة لا روح فيها، وما تشعر هذه الجمادات متى يبعث عبدهم من الكفار؟

٢٢- إلهكم المعبود بحق معشر الناس إله واحد لا شريك له، فالذين لا يصدقون بالآخرة قلوبهم جاحدة للوحدانية، أعماها العناد والأهواء، وهم مستعلون عن قبول الحق والإيمان.

٢٣- حقاً، إن الله يعلم ما يخفون من ضمائر ونوايا، وما يعلنون من أقوال وأفعال، فيجازيهم بذلك، إنه تعالى يعاقب التكبرين عن توحيد الله وغيرهم.

٢٤- وإذا قيل للمشركين: ماذا أنزل ريبكم على رسوله محمد ﷺ؟ قالوا: أكاذيب وأباطيل الغابرين القدماء، يتحدث بها الناس عن مضي.

٢٥- وتكون عاقبة تكذيبهم بالقرآن وإدعائهم أنه مجرد أساطير أن يتحملوا ذنوبهم بسبب هذا القول وغيره، لم يكفر منها شيء، لعدم إسلامهم، ويتحملوا أيضاً بعض ذنوب الذين أضلهم؛ لأنهم دعواهم إلى الضلال، فاتبعوهم، وهم يضلون الناس جاهلين الآثام المترتبة على فعلهم، الأيس ما يحملون من أوزار وآثام.

٢٦- قد دبر في الخفاء الذين كانوا من قبل كفار مكة تدبيراً خائباً، وهو عمرو بن كنعان الذي بنى برجاً عظيماً ببابل، ليصعد إلى السماء، فيقاتل أهلها، فأهلكه الله وأفناه، وهدمه بالريح والزلزلة من الأساس، فسقط عليه وعلى قومه البناء، وجاءهم العذاب (الهلاك) من حيث لا يشعرون به ولا يتوقعون. وهذا وعيد للكفار المعاصرين للنبي ﷺ ولأمثالهم بأن مكرهم سيعود عليهم وباله.



٢٧. ثم يوم القيامة يذللهم ويعذبهم بالنار، ويقول لهم توبيحاً: أين شركائي من الآلهة المزعومة الذين كنتم تخاصمون وتنازعون الأنبياء والمؤمنين فيهم؟ قال الذين أوتوا العلم من الأنبياء والمؤمنين: إن الذل والفضيحة يوم القيامة، والعذاب واقع على الكافرين وحدهم لا محالة.

٢٨. الذين تقبض الملائكة أرواحهم، حالة كونهم ظالمي أنفسهم بالكفر، فانقادوا واستسلموا عند الموت، وأقروا بربوبية الله، وقالوا كذباً: ما كنا نعمل شيئاً من كفر أو شرك وعدوان، فتجيهم الملائكة: بلى، إن الله عليم بما كنتم تعملون السوء، ولا ينفعكم هذا الكذب، والله يجازيكم على عملكم.

٢٩. ثم يقال لهم عند الموت: ليدخل كل فريق بابَه المعد له إلى جهنم، خالدين فيها إلى الأبد، فبئس مكان إقامة المتكبرين عن الإيمان والطاعة: جهنم.

٣٠. وقيل للمؤمنين الذين اتقوا ربهم وتجنبوا الشرك: ماذا أنزل ربكم على رسوله؟ قالوا: أنزل

الله عليه خيراً عميماً في الدنيا والآخرة، وهو القرآن العظيم، للمحسنين الذين أحسنوا بالإيمان والعمل الصالح حياة طيبة في الدنيا ومثوبة حسنة، ومثوبة الآخرة بالجنة والرضوان خير وأفضل مما أوتوه في الدنيا، ونعم دار الآخرة دارهم. وقوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ هو من جملة قولهم الذي أنزله الله، أو من كلام الله تعالى، وهو وعد للمتقين جزاء قولهم وإيمانهم. والقاتل: وفود بعض القبائل المحيطة بمكة.

٣١. ودار المتقين: هي جنات إقامة دائمة يدخلونها، تجري الأنهار من تحت بساطينها وغرفها، لهم فيها صفاً أكل ما يشاؤون من أنواع المشتبهات، مثل هذا الجزاء يجزي الله الذين التزموا الأوامر واجتنبوا النواهي.

٣٢. الذين تقبض الملائكة أرواحهم طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر والمعاصي، يقول الملائكة لهم مطمئناً عند الموت: سلام (أمان) عليكم، ادخلوا الجنة بعملكم الصالح، أي وبرحمته تعالى، كما جاء في الحديث الصحيح. والعمل عدل، والرحمة فضل.

٣٣. ما ينتظر هؤلاء الكفار إلا إتيان ملائكة الموت لقبض أرواحهم، أو إتيان أمر الله بالعذاب الدنيوي الذي يستأصلهم أو يوم القيامة المشتمل على العذاب، مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب، فعل الذين من قبلهم من الأمم، وما ظلمهم الله بالتعذيب، ولكنهم ظلموا أنفسهم بالكفر والعصيان.

٣٤. فأصابهم جزاء أعمالهم السيئة، ونزل وأحاط بهم العذاب الذي استهزؤوا به، وأنكروا وقوعه.

ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِبُهُمْ وَيَقُولُ أَيُّ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَشْتَقُونَ فِيهِمْ قَالِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كَأَنَّهُمْ لَبَّى إِنْ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِمْ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلْ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلِدَارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يُجْزَى اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ نَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ نَكِيرٌ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَنَّهُمْ أَنَّهُمْ وَلَكِنْ كَذَّبُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٤﴾

وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ سَاءَ اللَّهُ مَا عَبْدَنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ
 نَحْنُ وَلَا آبَاءُ آبَائِنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَكَذَلِكَ فَعَلَ
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾
 وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا
 الطُّغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ
 الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ
 عِقَابُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِنْ تَحَرَّضَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ
 لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ
 جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ بَلِيٍّ وَعَدَّ عَلَيْهِ حَقًّا
 وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لَيْسَ لَهُمْ الَّذِي يُجْلِفُونَ
 فِيهِ وَيُلَعِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا
 قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾
 وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَنْتَهُمْ
 فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجِرَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ
 ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾

٣٥- وقال المشركون من أهل مكة استهزاء وتعتاً وإبطالاً لبعثة النبي والتكليف: لو شاء الله ألا نعبد غيره من الأصنام والأوثان؛ ما عبدنا ذلك، نحن وآباؤنا السابقون، ولا حرمتنا من غيره شيئاً من الأنعام كالسواحب والحيات، فأشركنا وتحررنا بمشيئة الله، فهو راض به، فأجابهم الله: مثل ذلك، فعل السابقون بالإشراك وتكذيب الرسل، فما على الرسل إلا الإيلاء البين الواضح لرسالة الله، وليس عليهم تحقيق الهداية.

٣٦- ولقد أرسلنا في كل أمة من الأمم السابقة رسولا يقول لهم: اعبدوا الله وحده، واتركوا كل معبود دون الله كالشيطان والكاهن والصنم والداعي إلى الضلال، فمن الناس من وفقهم الله للإيمان والعمل الصالح، ومنهم من وجبت عليه الضلالة في علم الله، فلم يؤمن باختياره دون أن يمنعه مانع، وأصر على الكفر والعناد، فامشوا في الأرض متأملين، وانظروا مصير المكذبين السابقين عند مشاهدة آثارهم كعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين.

٣٧- إن تحرص أيها النبي على هداية قومك المشركين، فإن الله لا يوفق ولا يرشد من كان ضالاً في علم الله، وهو من حقت عليه الضلالة، وليس لهم أنصار يتقدونهم من العذاب.

٣٨- وأقسم المشركون بالله أيماناً مغلظة هي متهى اجتهدهم في تأكيد اليمين أنه لا يبعث الله الموتى، بلى يبعثهم، وعد الله ذلك وعداً حقاً، ولكن أكثر الناس وهم الكفار ومنهم أهل مكة لا يعلمون أنهم مبعوثون.

٣٩- يبعثهم ليوضح لهم الأمر المختلف فيه بينهم وبين المؤمنين من أمر الدين كالبعث والثواب والعقاب والجنة والنار، ويعرف الكافرون المنكروين البعث أنهم كانوا كاذبين في إنكار البعث.

٤٠- إنما قولنا في الخلق لشيء إذا أردنا إيجاداه: أن نقول له: ﴿كن فيكون﴾ [البقرة ٢/١١٧] ومواقع أخرى، سواء البدء والإعادة.

٤١- والذين تركوا الديار والأموال من أجل رضوان الله، ونصر دين الله، من بعد ما عذبوا وأوذوا من المشركين، ننزلهم في الدنيا مساكن حسنة. والمراد هنا المدينة المنورة. وثواب الآخرة على أعمالهم الحسنة وهو الجنة أعظم، لو علم الظلمة الكفار بذلك. وفي هذا ترغيب في الهجرة من مكة إلى المدينة حينما كانت فرساً في صدر الإسلام؛ لأنه بالهجرة قوي الإسلام.

٤٢- أولئك المهاجرون الذين صبروا على أذى المشركين، واعتمدوا على ربهم في أمورهم كلها.

٤٣- وما أرسلنا رسلاً من قبلك أيها الرسول إلا رجالاً لا ملائكة، فاسألوا أيها المشركون المعترضون على بشرية الرسل العلماء بكتب الله السابقة كالتوراة والإنجيل، إن كنتم لا تعلمون ذلك أن جميع الرسل بشر.

٤٤- أرسلناهم بالمعجزات الدالة على صدق نبوتهم وبالكتب الإلهية المشتملة على الشرائع والتكاليف، وأنزلنا إليك أيها الرسول القرآن لتبين للناس ما أنزل الله من أسرار التشريع وأحكامه والوعد والوعيد، ويتفكروا ويتأملوا فيما جاء فيه، فيعرفوا الحقائق ويعتبروا.

٤٥- أفأمن الذين دبروا التدابير الخفية التي تسوء عاقبتها كإيذاء الرسول ﷺ وأصحابه ومحاولة إبطال الإسلام والصد عن دعوة الله: أن يخسف الله بهم الأرض كما خسف بقارون، أو يجيئهم العذاب فجأة، من حيث لا يتوقعون، من جهة لا تخطر ببالهم، كما فعل بقوم لوط، وكما أهلك المشركين في بدر.

٤٦- أو يأخذهم بالعذاب في سفرهم للتجارة ونحوها، فما هم بفاتنين الله بالهرب، ولا مفلتين من عقابه، ولا ممتنعين.

٤٧- أو يأخذهم مع خوف وحذر من الهلاك، وتقص أموالهم شيئاً فشيئاً، فإن ربكم لرؤوف رحيم حيث لم يعاجلهم بالعقوبة.

٤٨- أو لم ينظر الكفار نظرة تأمل إلى ما خلق الله من شيء ذي ظل كجبل وشجر ونحوهما، تميل ظلاله من جانب إلى جانب أو ترجع وتتقل من اليمين والشمال، منقادة لحكم الله وتسخيره، وهم أي الظلال خاضعون منقادون لما يراد منهم.

٤٩- والله يخضع وينقاد جميع ما في السموات والأرض، من الدواب التي تدب على الأرض، والملائكة الساجدون العابدون، وهم لا يتكبرون عن طاعته وعبادته والسجود له.

٥٠- يخاف الملائكة من ربهم الذي هو عال عليهم بالقهر والغلبة، ويطيعون الله في كل ما يأمرهم به.

٥١- وقال الله ناهياً عن الشرك: لا تتخلوا إلهين، كالثنوية الذين يقولون بإله النور وإله الظلمة، إنما إله واحد لا شريك له، فحافوني وحدي دون غيري، واحذروا عذابي.

٥٢- والله سبحانه جميع ما في السموات والأرض ملكاً وخلقاً وتصرفاً، وله الطاعة والإخلاص دائماً لازماً، أنخافون غير الله الذي لا يضر ولا ينفع!؟

٥٣- وليس بكم من نعمة دينية أو دنيوية إلا من الله وحده، ثم إذا أصابكم الضر من مرض وفقر وحاجة فإليه تتضرعون في كشفه.

٥٤- ثم إذا رفع الله الضر (الشدة والبلاء) عنكم، إذا فريق منكم وهم الكفار، يشركون مع ربهم إلهاً آخر في العبادة، حيث يقابلون النعمة بالنعمة، والشكر بالشرك بالله، وينسون المنعم المنقذ.

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيَ إِلَيْهِمْ فَتَلَوْنَ أَهْلَ
الْذِكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِالنَّبِيِّ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا
إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ
﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ
الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾
أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَاهُمْ مُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى
تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ
اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَّبِعُونَ ظِلَّهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ
ذَكُورٌ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ سُبْحَانَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ
وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ
وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴿٥١﴾ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا
إِلَٰهَيْنَ آخِيْنَ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَآرِهْبُونَ ﴿٥٢﴾ وَلَهُ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الَّذِينَ وَاصِبًا أَفَعَيَّرُوا اللَّهَ يُنْفُونَ ﴿٥٣﴾
وَمَا كُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضَّرْفُ لِيُتَّخِذُوا
إِذَا كُفِتْ الضَّرْفُ عَنْكُمْ إِذَا فَرِقَ بَيْنَكُمْ مِنْ رَبِّهِمْ يَشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾



لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ
لَنَا آيَاتِنَا نَصيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ نَالَةً لَّنُسْأَلَنَ عَنْهَا أَن نَشْرَفَ
تَقْدِرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِقَاءَ رَبِّهِمْ أَجَلًا ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَاطِمٌ
﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ أَيَسْكَرُ عَلَىٰ
هُونٍ أَمْ يَرْدِيهِ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّمِوتِ وَبِاللَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ لَوَّعْنَا لَعَذَابُ اللَّهِ النَّاسِ يَطَّلِعُ عَلَيْهِم مَّا تَرَكُ عَلَيْهِم مِّن
ذَاتِهِ وَلَكِنْ يُؤَخَّرُونَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فإِذَا جَاءَ أَجْلَهُمْ لَأَسْتَحْرِزُونَ
سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ
أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذْبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لِأَجْرٍ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ
مُفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ نَالَهُمْ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ قُرْآنًا لَّهُمْ
أَشْيَطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَهَوَوْا لِآيَاتِهِم نُسُورًا وَهُمْ عَدَاؤُكَ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾
وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي
اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾

٥٥- وتكون عاقبة هؤلاء الذين تقصر عواثم
أشركوا الكفر بما آتيناهم من النعمة، فاستمتعوا
بعبادة الأصنام، فسوف تعلمون عاقبة أمركم وما
يحل بكم من العذاب، وهذا على سبيل التهديد
والوعيد.

٥٦- ويجعل المشركون لألهتهم التي لا علم
لها؛ لأنها جمادات أو شياطين، جزءاً مما رزقناهم
من الزروع والأنعام، والله لتسألن سؤال توبيخ عما
كنتم تكذبون على الله من أنه أمركم بذلكم.

٥٧- ويجعل بعض المشركين لله البنات، وهم
خزاعة وكنانة القائلون: الملائكة بنات الله، تنزه الله
عما ينسبه إليه هؤلاء من الولد والشريك،
ويجعلون لأنفسهم ما يشتهون من البنين.

٥٨- وإذا بُشِّرَ أحد المشركين بولادة أنثى، صار
وجوه متغيراً بالغم والكآبة وهو ممتلىء غيظاً
وحقدًا.

٥٩- يختفي حياء وخجلاً من وجه قومه، من
سوء البشارة أو الخبر الذي بلغه، أيتركه محبوساً
بلا قتل، بهوان وذل، أم يخفيه في التراب ويثده،

ألا قبح ما يفعلون، وبئس الحكم حكمهم هذا، بنسبة البنات إلى الله تعالى.

٦٠- للكفار صفة السوء القبيحة، والسوء: كل ما يسوء، وهي وأد البنات والمغالة في حب البنين الذكور
لحاجتهم إليهم في الحروب وشؤون الحياة، والله وحده الصفة العليا، وهي الكمال المطلق والاستغناء عن كل
ما عدها، وهو القوي في ملكه، القاهر، الكامل القدرة، المتصف بكمال الحكمة في صنعه وخلقه وتدييره.

٦١- ولو يعاقب الله فوراً الناس الكفار أو جميع العصاة بالشرك والمعاصي، ما ترك على الأرض كل شيء
يدب، يهلك الظالمين، ولكن اقتضت حكمة الله إمهالهم وتأخير عقابهم إلى وقت محدد هو وقت عذابهم،
فإذا حق عليهم العذاب أو انتهى أجل حياتهم لا يتأخرون ساعة عنه ولا يتقدمون.

٦٢- وينسبون إلى الله ما يكرهون لأنفسهم من البنات، ويكذبون مدعين أن لهم الخصلة الحسنى، وهي
الجنة، حقاً أن لهم النار، وأنهم متروكون في النار أو مقدمون قبل غيرهم، معجلون إليها.

٦٣- والله لقد أرسلنا رسلاً إلى أم قبلك، فحسن لهم الشيطان أعمالهم القبيحة السيئة، فهو متولي
أمورهم وناصرهم ومساعدهم، في الدنيا، ولهم عذاب مؤلم جداً.

٦٤- وما أنزلنا عليك أيها النبي القرآن إلا لتبين للناس ما اختلفوا فيه من أمر الدين، كالتوحيد والقدر
وأحوال المعاد، وأمر الأحكام من حلال وحرام، وهدايا إلى النور، ورحمة لقوم يصدقون بالله ويكتبه
ويرسله، ويعملون بأمره.

٦٥- والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآية لقوم يسمعون ﴿٦٥﴾ وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونهم من بين فئتين ودمرنا ما أصابنا بعد للشربين ﴿٦٦﴾ ومن ثمرة النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً إن في ذلك لآية لقوم يعقلون ﴿٦٧﴾ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر وما تعرشون ﴿٦٨﴾ ثم كلي من كل الثمرات فأسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراباً مختلفاً ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يفتكرون ﴿٦٩﴾ والله خلقكم ثم يتوفاكم ثم يرثكم من برد إلى أزداب العمر لكن لا يعلم بعد علم شيئاً إن الله عليم قدير ﴿٧٠﴾ والله فصل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برأى رزقهم على ما ملكت أيديهم فهم فيه سواء أفبغمة الله يتخذون ﴿٧١﴾

٦٦- وإن لكم في أنواع الأنعام (الإبل والبقر والغنم) اعتباراً وعظة، نسقيكم مما في بطون هذه الأنعام- وذكر الضمير العائد عليها باعتبار إرادة الجنس، كتذكير كلمة «هذا» [في الأنعام ٦/ ٧٨] العائدة إلى «الشمس» مراداً بها الكوكب- نسقيكم حلياً صافياً من بين الدم والقدر، لذيقاً للشارب، سهل البلع والهضم لا يغص به شارب.

٦٧- وتتخذون من ثمار النخيل والعنب خمراً مسكراً- وهذا تعريض بتحريم الخمر قبل التحريم القاطع- ورزقاً حلالاً يأكله طازجاً أو يابساً كالزبيب والتمر، أو غير متخمر كالبدبس والحل، إن في ذلك المذكور لدليلاً على قدرة الله تعالى لقوم يتدبرون وينظرون في آيات الكون.

٦٨- وألهمهم وعلمهم ريك النحل اتخاذ البيوت

والمساكن في كهوف وكوى الجبال، وتجويف الشجر، وعرائش المباني التي يبينها الناس تحت شجر الكرم أو لسقف البيت، وهي الخلايا المبنية من الطين أو الخشب أو غيرها.

٦٩- وألهم النحل أن تأكل من الأزهار والأثمار، سالكة داخلية مسالك في الذهاب والإياب إلى الخلايا مذلة بتيسير الله، لامتصاص الزهر والشم، وتحويل الرحيق بقدرة الله عسلاً طيباً، ويخرج العسل من بطون النحل مختلف الألوان: أبيض أو أصفر أو أحمر بحسب نوع الزهر، فيه شفاء للناس من المرض بإذن الله، كأمراض الهضم البلغمية، إن في ذلك المذكور من أمر النحل وصنعه العسل والبيوت الخلايا للدليلاً واضحاً على قدرة الله لقوم يتأملون في عجائب مخلوقات الله تعالى.

٧٠- ومن دلائل قدرة الله تعالى: إيجادكم من العدم، ثم إمامتكم عند انتهاء آجالكم، ومنكم من يتعرض لأخس العمر وأردته بالخرف وضعف العقل والحواس في حال الهرم، حتى يصير فاقد الذاكرة، لا يعلم شيئاً من العلوم، إن الله عليم بخلقهم، قدير على ما يشاء.

٧١- والله أوجد تفاضلاً في الرزق بين الناس، فمنهم الغني والفقير والمالك والمملوك، لحكمة بالغة يعلمها الله بحسب ما يحقق مصلحة الإنسان، فلا يرضى الأغنياء الملاك أن يعطوا رزقهم أو أموالهم للفقراء والمماليك، فيصير الجميع من الأسياد والأتباع متساوين مشتركين في هذا الرزق، فكيف يجعلون بعض ممالك الله أو عبده شركاء لله وهم لا يرضون ذلك لأنفسهم؟ وكيف يكفرون بنعمة الله حيث يجعلون لله شركاء؟ لأن من أثبت لله شريكاً، فقد نسب إليه بعض النعم والخيرات.

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِجَعَلْ لَكُمْ مِنْ أَوْجَاعِكُمْ بَيْنَ
وَحَفْدَةٍ وَرِزْقِكُمْ مِنَ الظَّالِمَاتِ أَفِي الْبَطْلِ يُؤْمِنُونَ وَيَعْبُدُ اللَّهَ
مُرِيكُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ
رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا
تَضُرُّوهُ اللَّهُ الْأَمْثَالُ إِنْ اللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾
ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ
ذَرَفْتَهُ مِنْ آرِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ
يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ
مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكُرُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى
مَوْلَاهُ أَيْمَانًا يُوجِبُهُ لَأَيَاتٍ بِحَجْرِ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ
بِأَمْرٍ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَاللَّهُ عَزِيزٌ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَنَفْثِ النَّصْرِ
أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنْ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ
مِنْ بَطُونَ أَمْثَلِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ سَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمْ
السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾

٧٢- والله تعالى جعل لكم زوجات من جنسكم، وجعل لكم من زوجاتكم أولاداً، وأولاد أولاد وهم الحفدة، ورزقكم من طيبات الرزق التي تتلذذون بها، أتصدقون بالباطل وهو أن الأصنام تضر وتنفع، وأنها تنفع عند الله؟ وتمجدون نعمة الله الجليلة، فتنسبونها إلى الصنم أو الوثن؟

٧٣- ويعبد هؤلاء المشركون معبودات من غير الله وهم الأصنام والأوثان، ما لا يجلب لهم رزقاً من السموات والأرض، وإن كان شيئاً قليلاً، ولا يقدر في المستقبل على التصرف بشيء. وكلمة «شيئاً» بدل من «رزقاً». والمعنى: أي رزق مهما كان قليلاً.

٧٤- فلا تجعلوا الله أمثالاً من الأنداد والشركاء، إن الله يعلم الحقائق وأنه الإله الواحد وأنتم لا تعلمون ذلك بسبب جهلكم.

٧٥- مثلكم أيها المشركون في إشراركم الأوثان والأصنام في العبادة مع الله، كمثل من سوى بين عبد مملوك لسيده، عاجز عن التصرف، وبين مالك حر التصرف في ملكه وماله، ينفق منه كيف يشاء، ويتصرف فيه كيف يريد، سرراً وعلانية، الأول مثل الصنم العاجز، والثاني مثل الإله القادر، فكيف

يتساوى العاجز مع القادر؟ فلا يستوي الرب الخالق الرازق، وجمادات الأصنام التي لا تضر ولا تنفع، الحمد لله على ظهور الحق، بل أكثر المشركين لا يعلمون الفرق، ويجب أن تعلموا أنه لا يستحق الشكر والثناء إلا الله وحده.

٧٦- ولكم مثل آخر أوضح مما قبله أيها المشركون، يوضح الفرق بين الله، والوثن المعبود من دون الله، وهو مثل رجلين: أحدهما أحرس لا ينطق بخير، ولا يقدر على شيء متعلق بنفسه أو بغيره، لعجزه عن الوعي والإدراك، وهو ثقيل على وليه وقريبه، حيثما يرسله، لا يرجع بفائدة؛ لأنه عاجز عن التصرف، هل يستوي هذا بهذه الأوصاف، مع رجل آخر كامل المواهب والحواس، ينفع نفسه و غيره، يأمر بالعدل بين الناس، وهو في ذاته على طريق واضح؟ والمقصود بيان انعدام المساواة بين الله سبحانه القادر على كل شيء، وبين الأصنام العاجزة عن كل شيء. نزلت الآية [٧٥] في رجل من قريش وعبدته، ونزلت الآية [٧٦] في عثمان ومولى له كافر كان يكره الإسلام ويأباه.

٧٧- والله علم ما غاب في السموات والأرض، يختص بذلك دون مشاركة أحد، وما أمر القيامة من الغيبات في سرعة وقوعها إلا مثل لمح البصر في السرعة والسهولة وأقرب من ذلك، فالله قادر على الإتيان بها بكلمة «كن فيكون» [البقرة ٢/١١٧] ومواقع في سور أخرى [إن الله تام القدرة على كل شيء، ومنها القيامة. والآية جمعت بين كمال العلم لله وكمال القدرة.

٧٨- ومن مقدوراته تعالى: أنه سبحانه أخرجكم من الأرحام في بطون الأمهات أطفالاً لا علم لكم بشيء، وأوجد فيكم وسائل العلم والإدراك وهي السمع والبصر والقلوب، لتؤمنوا بالخالق عن يقين وعلم تام، وتشكروا الله على نعمه باستعمال كل عضو من أعضائكم فيما خلق له من الخير.



٧٩- ألم ينظر هؤلاء المنكرون لوجود الله إلى الطيور مذلات للطيران في الجو أو الفضاء بين السماء والأرض بواسطة الأجنحة والذيل، ما يسكنهن في الجو إلا الله بقدرته العجيبة، إن في ذلك التسخير للدلالات على وحدانية الله وقدرته، لقوم يصدقون بالله وكتبه ورسله؛ لأنهم المتفعلون بها.

٨٠- والله جعل لكم من بيوتكم (منازل لكم) مسكناً تستكون فيها، وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً هي الخيام وبيوت الأعراب في البداية، يخف عليكم حملها في الأسفار، أو تجودونها خفيفة للحمل والنقل في الرحلات، يوم سفركم أو انتقالكم من موضع إلى موضع طلباً للمرعى والماء، ومن أصوافها من الغنم وأوبارها من الإبل، وأشعارها من المعز: قرش البيت الذي يفرس في المنازل، ومتاع اللبس والتجارة الذي يتمتع ويتفجع به، إلى مدة من الزمان تبلى بعدها، فهي لصلابتها تبقى مدة مديدة.

٨١- والله جعل لكم مما خلق من البيوت والشجر والغمام مظلات تستظلون بها من حر الشمس، وجعل لكم من الجبال ما يستكن فيه من كهف أو غار أو سرب أو نفق، تستترون فيه من الحر والبرد والمطر، وجعل لكم قمصاناً وثياباً من الصوف والقطن والكتان وغيرها، تدفع عنكم ضرر الحر والبرد، ودروعاً تقيكم الشدة من الطعن والضرب والرمي في الحرب، وكإتمام هذه النعم المتقدمة هنا، يتم الله نعمته عليكم في الدنيا بخلق ما تحتاجون إليه، لتخلصوا لله العبادة والطاعة، وتوحدوه، وتؤمنوا به.

٨٢- فإن أعرضوا عن الدخول في الإسلام، فأما عليك التبليغ الواضح لما يوحى إليك، وليس عليك غيره.

٨٣- يعرف الكفار والمشركون نعمة الله وهي بعثة الرسول محمد ﷺ ثم ينكرون نبوته جهلاً وعناداً، قولاً وفعلاً، حيث يزعمون الشفاعة لها ويعبدونها، وأكثرهم الجاحلون المعاندون. نزلت هذه الآية في أعرابي أتى النبي ﷺ فقراً عليه الآيات السابقة [٨٠ - ٨١] فقال: نعم، ثم ولئى وأدبر ولم يسلم.

٨٤- واذكر أيها الرسول حين نبعث من كل جماعة شاهداً عليهم هو نبيهم، يشهد لمن آمن بالإيمان، وعلى من كفر بالكفر والجحود والتكذيب، ثم لا يسمح للكفار في الاعتذار ليعتدروا، ولا يطلب منهم العتبي، أي إزالة أسباب العتب، والرجوع إلى ما يرضي الله، بالعودة إلى الدنيا.

٨٥- وإذا رأى الذين كفروا العذاب يوم القيامة، فلا يخفف عنهم ذلك العذاب بالاعتذار، ولا هم يجهلون ويؤخرون إذا رأوه.

٨٦- وإذا رأى المشركون شركاءهم أو معبوداتهم من الأصنام والأوثان والشياطين وغيرهم، يوم القيامة، قالوا: هؤلاء شركاؤنا الذين كنا نعبدهم من دونك، ومرادهم: إحالة الذنب عليهم، والادعاء بأنهم هم الذين طلبوا منهم ذلك، فقالت الآلهة المزعومة لهم: إنكم كاذبون في اتهمنا، بل الذنب ذنبكم، ولم نطلب منكم عبادتنا.

أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَأْنَا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يَمُكِّرُونَهَا وَآكُرُهُمُ الْكَرِيمُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَارَةٌ الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابُ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَارَةٌ الَّذِينَ اشْرَكُوا شَرَكَاءُ هُمْ قَالُوا رَبُّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾

٨٧- واستسلم المشركون لله وحكمه يوم القيامة، وخضعوا لعزته، وغاب وذهب عنهم ما كانوا يفترون من أن آلهتهم ينصرونهم ويشفعون لهم ويدفعون عنهم العذاب.

٨٨- الذين كفروا بالإسلام، ومنعوا الناس عن الدخول في الدين الحق، زادهم الله عذاباً يوم القيامة من أجل صدهم، فوق العذاب المستحق بكفرهم، بسبب إفسادهم في الأرض وهو منعهم الناس عن الإيمان.

٨٩- واذكر أيها النبي حين نبعت من كل أمة شاهداً عليهم من جنسهم، وهو نبيهم، وجئنا بك أيها الرسول شاهداً على قومك وبقية الأمم، بأنك بلّغت الرسالة، وأعيد ذلك هنا لتهديد كفار قريش بأن الشهادة تكون عليهم، وليس لهم، ولتريخهم على تكذيبهم رسول الله، ونزلنا عليك القرآن بيانا مفصلاً لكل شيء يحتاج إليه الناس من أحكام الدين والشريعة، وهدى من الضلالة، وسبب رحمة ونجاة لمن آمن، وبشرى بالجنة للمسلمين المتقادين لشريعة الله تعالى.

وَأَلْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلْمَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْزُونَ ﴿٨٧﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زَادَهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ نِسْئًا أَكْبَلَ سَخًى وَوَهْدَى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرٍ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِبْرَاهِيمَ ذِي الْقُرْبَى وَسَخًى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْأَبْيَ يُعْظَمُ لَكُمْ لَعَاكِرُ نَنْكُرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَرْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَكَنَّتُمْ تَخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبُلُوكُمْ اللَّهُ بِذُنُوبِكُمْ وَلَئِنَّكُمْ لَكُمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخَلِّفُونَ ﴿٩٢﴾

٩٠- إن الله يأمر الناس جميعاً بالإنصاف والاعتدال في الأمور كلها، ومقابلة الخير بأحسن منه، والشر بالعمو والصفح، وإعطاء القرابة حقهم من الصلة والبر بهم، وينهى عن كل شيء قبيح قولاً أو فعلاً كالغيبة والنميمة، والزنى والبخل، وعن كل ما ينكره الشرع بالنهي عنه، ويستقبحه العقل السليم: وهو جميع المعاصي، وعن الظلم والاعتداء، يذكركم الله بأحكامه لتتعظوا فتعملوا بما أمر، وتجتنبوا ما نهى عنه. وهي أجمع آية في كتاب الله للخير والشر.

٩١- ووقوا بالعهود التي التزمتوها مع الله ومع الناس من الوعود والعقود والبيعة وغيرها، ولا تنقضوا الأيمان بعد توثيقها، وقد جعلتم الله عليكم شاهداً وراقباً بالوفاء، إن الله يعلم ما تفعلون من وفاء ونقض، فيجازيكم به. نزلت في مبايعة من عاهد النبي ﷺ على الإسلام.

٩٢- ولا تكونوا معشر المؤمنين في نقض العهود مثل المرأة الحمقاء المجنونة التي نقضت ما غزلته من بعد إحكام غزلها وإبرامه، فجعلته منقوضاً محلولاً كما كان قبل الغزل، حال كونكم متخذين أيمانكم على الوفاء بالعهد مكرراً وخديعة لغيركم وتغريراً بهم، تتظاهرون باحترام العهد، وتضمرون النقض والميل لغيرهم لأنهم أقوى وأغنى، إنما يختيركم الله بالوفاء بالعهد، وليوضحن الله لكم يوم القيامة ما كنتم تختلفون فيه في الدنيا، من حق وباطل، وموازنة القوى، والتأثر بالمصالح المادية الموقوتة. نزلت لضرب المثل بامرأة حمقاء من أهل مكة هي سعيدة الأصدية، كانت تجمع الشعر والليف، فتغزله ثم تنقضه.



٩٣- ولو شاء الله لجعلكم على دين واحد، ولكن ترككم تختارون الطريق، فمنكم المؤمن ومنكم الكافر، وجعل الله بحسب سنته العامة ناساً للشقاوة والضلال والفساد، وهم الذين لم يأخذوا بأسباب الهدى، وجعل ناساً آخرين للسعادة والهداية للحق، وهم من اهتدوا بآيات الله، وعلى هذا النحو خلق الله الضلال والهدى، وسيقع السؤال عن أعمالكم التي اكتسبتموها في الدنيا.

٩٤- ولا تتخذوا إيمانكم المحلوفة وهي أيمان البيعة أسلوباً للخديعة والتفجير، ثم تلجسوا إلى الغدر والنقض، وتعرضوا للعذاب في الدنيا، بصدودكم عن الوفاء بالعهد واقتداء غيركم بكم في هذا النقض، ولكم عذاب عظيم وهو عذاب الآخرة. ويلاحظ أن النبي عن النقض في آية سابقة [٩١] لبيان الباعث على النقض، وهذه الآية لبيان النتيجة وهي زلة القدم واستحقاق العذاب.

٩٥- ولا تستبدلوا بعهد الله وبيعة رسوله على العمل بشرعه عوضاً سيراً، بأن تنقضوه لأجله، فمتاع الدنيا قليل مهما كثر، إن ما عند الله من جزاء الوفاء بالعهد وهو النصر والغنيمة في الدنيا، والنعم في الجنة هو خير لكم وأفضل من عطاء الدنيا، إن كنتم من أهل العلم والتميز، فلا تنقضوا العهد.

٩٦- ما عندكم من خير الدنيا ومتاعها يزول ويفنى

مهما كثر، وما عند الله من نعم الآخرة فهو باق دائم لا يفنى، ولنجزين الذين صبروا على الوفاء بالعهد ثوابهم بجزء أحسن من أعمالهم، بسبب صبرهم على تنفيذ مقتضى عهدهم مع النبي.

٩٧- من عمل عملاً صالحاً في دنياه، سواء أكان ذكراً أم أنثى، وهو مؤمن إيماناً صحيحاً، فلنجعلنه يعيش حياة طيبة في الدنيا بالرزق الحلال والرضا والاطمئنان، ولنجزينهم ثوابهم في الآخرة بأحسن مما عملوا من طاعات في الدنيا.

٩٨- فإذا أردت قراءة القرآن، فاجأ إلى الله لحمايتك من وساوس الشيطان في القراءة، الشيطان المطرود من رحمة الله، بأن تقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

٩٩- إنه ليس للشيطان تسلط وقهر بالإغواء على المؤمنين الذين يفوضون أمورهم إلى الله في كل شيء.

١٠٠- إنما تسلط الشيطان بالإغواء على الذين يتولونه بطاعته في وساوسه، والذين هم بسبب وسوسته مشركون بالله.

١٠١- وإذا جعلنا آية محل آية أخرى بنسخها، كنسخ آية التوراة في استقبال بيت المقدس بآية استقبال الكعبة، على وفق الحكمة الإلهية والمصلحة الدنيوية أو الدنيوية، والله أعلم بما ينزل من الآيات، قال المشركون للنبي ﷺ: إنما أنت كذاب، تتقول ذلك من عنك، ولم يقله الله، بل أكشروهم لا يعلمون حكمة النسخ والتبديل. نزلت حين قال المشركون: إن محمداً سحر أصحابه، يأمرهم اليوم بأمر، وينهاهم عنه غداً، أو يأتيهم بما هو أهون عليهم، وما هو إلا مفترى، يقول من تلقاء نفسه، فأنزل الله تعالى هذه الآية والتي بعدها.

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۗ وَلِنُسَخِّنَ عَنْكُمْ قُرْآنَ قَدَمِ بَعْدَ وَلَا تَحْتَدُوا وَآيَاتِكُمْ دَخَلًا بِسَبْكُمْ قُرْآنَ قَدَمِ بَعْدَ ثُبُونًا وَأَنْذَرُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٣﴾ وَلَا تَنْشُرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ تَمَنَّا قَلِيلًا إِنَّا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ نَعْمُونَ ﴿٩٤﴾ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٥﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِمَّنْ ذَكَرْنَا يُنْزِلْهُ فَمَا يَسْتَعِذُّ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٦﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٧﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿٩٨﴾ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ ۗ لَئِنْ كُنْتُمْ هَلَّا يَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾

قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا
 وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا
 يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَبِي وَهَذَا
 لِّسَانُ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ
 لَا يَهْدِيهِمْ اللَّهُ وَهُمْ وَعَسَىٰ عَذَابُ الْآلِئِينَ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَغْتَبِى الْكَذِبَ
 الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١٠٥﴾ مَنْ
 كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ
 بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرٌ فَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ
 مِنْ اللَّهِ وَهُمْ وَعَسَىٰ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَلِكَ أَنَّهُمْ اسْتَحْبَوْا
 الْخَيْرَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
 الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَعَنَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ
 وَسَمِعَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾
 لَأَجْرًا أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ نَعْرَانَ
 رَبِّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا قُنُوا ثُمَّ جَاءَهُمْ
 وَصَرُوا وَإِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾

١٠٢- قل أيها النبي: نزل جبريل المطهر من الأنداس عليه السلام القرآن العظيم تنزيلاً من عند الله، ملازماً للحق الذي لا خطأ فيه، وبالْحِكْمَةِ الْمُقْتَضِيَةِ لَهُ، لِيُثَبِّتَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْإِيمَانِ، وَهَادِياً لِلنَّاسِ مِنَ الضَّلَالِ، وَيُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ بِالْحَقِّ وَالرِّضْوَانِ الْإِلَهِيِّ. وَالْقُدُسِ: الطَّهْرِ، وَالرَّادِ هُنَا الطَّاهِرِ.

١٠٣- ونعلم علماً تاماً أن المشركين يقولون: إنما يعلم محمداً القرآن بشر من بني آدم، وهو غلام الفاكه بن الغيرة، واسمه جبر، وكان نصرانياً رومياً من صقلية، يصنع السيوف، فأسلم، فردَّ الله عليهم: لغة الذين يميلون وينسبون أو يشيرون إليه أعجمية، وهذا القرآن بلغة عربية ذات بيان وفصاحة، فكيف تزعمون أن عربياً يعلمه أعجمي غير عربي؟!

١٠٤- إن الذين لا يصدقون آيات الله القرآنية لا يفقههم الله للإيمان، ولهم عذاب مؤلم في الآخرة.

١٠٥- إنما يختلق الكذب على الله ورسوله الذين لا يصدقون آيات الله، وأولئك هم الكاذبون فعلاً في اتهامهم غيرهم بالكذب، فكيف يتهمون الرسول بالكذب، وهو رأس المؤمنين؟!

١٠٦- من ارتد عن الإسلام من بعد إيمانه به باستثناء

المكروه الذي نطق بالكفر، وقلبه مطمئن بالإيمان بالله ورسوله، وانشرح صدره بالكفر فرضي به واطمأن إليه، فعليه غضب الله، وله العذاب العظيم في نار جهنم. والإكراه على الكفر يكون بسبب التهديد بالقتل أو الأذى والضرب، سواء كان الأمر المكروه عليه قولاً، أو فعلاً كالسجود لغير الله. وحصر الشافعي وجماعة الرخصة في القول فقط. نزلت في شأن عمار بن ياسر الذي عذبه المشركون وأجبروه على سب النبي ﷺ، وذكر آلهتهم بخير، ثم أقر أمام النبي بأنه مطمئن بالإيمان.

١٠٧- ذلك الكفر بعد الإيمان، والعذاب العظيم بسبب إيثارهم الدنيا على الآخرة، وحبهم الحياة الدنيوية حباً شديداً أعماهم عن حب ما ينجي من عذاب الآخرة، ولأن الله لا يوفق للإيمان القوم الكافرين.

١٠٨- أولئك الذين كفروا بعد الإيمان هم الذين ختم الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم، فلا ينفذ الإيمان إلى قلوبهم، ولا يسمعون سماع تفهم وتدبر، ولا يبصرون آيات الحق وطريق النجاة، وأولئك هم الغافلون عن عذاب الله الشديد.

١٠٩- حقاً إنهم في الآخرة هم أشد الناس خساراً.

١١٠- ثم إن ربك أيها النبي لكثير المغفرة والرحمة لأولئك الذين هاجروا من ديارهم إلى دار الإسلام ابتغاء مرضاة الله، من بعد تعرضهم لمحاولات فتنه الكفار ليأهم عن دينهم، وتعليبهم لهم، ثم إنهم جاهدوا في سبيل الله، وصبروا على الجهاد وتكاليف الشرع، إن هؤلاء مغفور لهم لا يؤاخذون على ما أكرهوا عليه. نزلت في جماعة من المستضعفين، وهم عمار، وصهيب، وأبو فكيهة، وبلال، وعامر بن فهيرة وقوم من المسلمين، عذبهم أهل مكة، حتى صاروا لا يدرون ما يقولون.



١١١- واذكر أيها الرسول حين يأتي كل إنسان يجادل عن نفسه لينجو من العذاب، يوم القيامة، لايهمه شأن غيره، ويعطى كل امرئ جزاء ما عمل، ولا يظلم أحد، ولا ينقصون أجورهم شيئاً.

١١٢- جعل الله مثلاً لكل قوم أنعم الله عليهم، فأبطرتهم النعمة، فكفروا، وهم غير أهل مكة- في رأي الرازي- كانت بلدتهم آمنة من الاعتداءات، مطمئنة مستقرة، لا يخاف أهلها ولا يضايقهم شيء، يأتيها رزقها واسعاً كثيراً، من كل جهة، فكفر أهلها بنعم الله التي أنعم بها عليهم، فوقعوا جميعاً في الجوع والحرمان، والفزع والهلع، واشتد ألمهم، بسبب كفرهم وجحودهم النعم، حيث لم يشكروا ربهم، ونسوا فضله، ولجؤوا لغيره. وهذا المثل عبرة لكل قرية.

١١٣- ولقد جاء أهل مكة رسول من جنسهم يعرفونه حق المعرفة، فكذبوه فيما أتى به، فأحرق بهم العذاب من الله: وهو الجوع والخوف، وهم ظالمون لأنفسهم بتعريضها للعذاب الدائم.

١١٤- فكلوا أيها المؤمنون من رزق الله الذي جعله لكم حلالاً طيباً، وامتنعوا عن الخبائث كالميتة والدم، واشكروا نعمة الله عليكم بطاعته، إن كنتم تعبدونه وحده، وتخلصون العبادة لله سبحانه.

١١٥- إنما حرم الله عليكم أكل الميتة التي تموت من غير ذبح شرعي إلا السمك والجراد، والدم المسفوح السائل غير الكبد والطحال، ولحم الخنزير وشحمه، وما ذبح لغير الله، فمن اضطر لتناول شيء من هذه المحرمات بسبب الجوع الشديد أو العطش أو الغصة، غير متعمد تناوله، ولا متجاوز حد الضرورة، فإن الله غفور لمن أكل مضطراً، رحيم به، فلا يؤاخذة على ما فعل.

١١٦- لا تحرموا أيها الناس ولا تتحللوا بمجرد قول باللسان من غير دليل، فتقولوا: هذا حلال وهذا حرام لما لم يحله الله ولم يحرمه، لتنسبوا إلى الله الكذب، إن الذين يختلقون الكذب على الله لا يفوزون بالمطلوب.

١١٧- لهم تمتع قليل زائل في الدنيا، ولهم عذاب مؤلم شديد في الآخرة.

١١٨- ولقد حرمتنا على اليهود خاصة دون غيرهم ما قصصنا عليك من قبل في سورة الأنعام [١٤٦/٦] من الأطعمة التي حرمها الله في التوراة، وما ظلمناهم بتحريم ذلك، ولكن كانوا ظالمين لأنفسهم بارتكابهم المعاصي الموجبة للتحريم، فكان التحريم عقوبة لهم.

يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ مَّجْدُلَةٌ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوْفَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ وَهِيَ لَا يَظْلُمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رِزْقًا تَيْنًا كُلَّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكَلِمَاتٌ نَّوْأَىٰ رِزْقِكُمْ أَنَّ اللَّهَ حَلَّالٌ طَيِّبٌ وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا كَفَرْنَا بِهِ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿١١٦﴾ عَلَى الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ نِصْفَ الَّذِي كَفَرُوا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حُرْمًا مَّا قُصِّصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلٍ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمَلُوا الشُّرُوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ
ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾
إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَوْ يَرَى الْكَافِرِينَ
﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ آخِذًا بِوَعْدِهِ الْإِلَهِي صِرَاطٍ
سُّبْقِيَةٍ ﴿١٢١﴾ وَهُوَ الْبَيْتُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَإِنَّهُ فِي
الْآخِرَةِ لِمَنْ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أُوحِيَ إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ
إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جَعَلَ
السَّبْتَ عَلَى الَّذِينَ ائْتَمَرُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَخَدِيمٌ بَيْنَهُمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ
رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَكُمْ رِيبًا لِي
هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَاقَبْتُمْ بِهِ
وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ
إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَلُوعٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ
﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

١١٩- ثم إن ربك أيها النبي غفار للذين ارتكبوا الشرك والمعصية، مع جهلهم العاقبة، ثم تابوا من بعد علمهم السيء، وأصلحوا أعمالهم الفاسدة ونياتهم الخبيثة، إن ربك لكثير المغفرة للتائبين من الذنوب والخطايا، رحيم بهم، فلا يؤاخذهم على ما قبل التوبة.

١٢٠- إن إبراهيم كان رجلاً جامعاً للخير، عالماً بالشرائع، كالأمة والجماعة؛ لاتصافه بأوصاف كثيرة، وكان مطيعاً لله قائماً بأمره، ممتثلًا بخوف الله، وكان مائلاً عن الأديان الباطلة إلى الدين الحق، مؤمناً بالله وحده، ولم يكن من المشركين.

١٢١- وكان إبراهيم عليه السلام شاكرًا لنعم الله القليلة والكثيرة، اختاره ربه للنبوة، وهداه إلى طريق قوم هو التوحيد والإسلام.

١٢٢- وآتينا إبراهيم في الدنيا حسنة: هي محبة جميع أهل الأديان له، والشأن الحسن عليه، وإنه في الآخرة من الذين لهم الدرجات العليا في الجنة.

١٢٣- ثم أوحينا إليك أيها النبي: أن اتبع ملة إبراهيم في التوحيد والدعوة إليه برفق، مائلاً عن كل دين آخر إلى الدين الحق وعبادة الله وحده، ولم يكن من المشركين بل كان قدوة الموحدين، خلافاً لما يدعي مشركو قريش أنهم على ملته.

١٢٤- إنما جعل أو فرض تعظيم يوم السبت واحترامه وترك العمل فيه والتفرغ للعبادة على الذين اختلفوا في إبراهيم أنه يهودي أو نصراني: وهم اليهود والنصارى، أو اختلفوا في السبت، وهم اليهود الذين زعموا أنه من شرائع إبراهيم، فرد الله عليهم بأنه ليس من ملة إبراهيم، وإن ربك أيها النبي ليحكم بين المختلفين فيه يوم القيامة فيما اختلفوا فيه، فيجازي كل واحد بما يستحق ثواباً وعقاباً.

١٢٥- ادع الناس أيها النبي إلى دين الله الحق وهو الإسلام بالمقالة المحكمة المبينة للحق، أي بالدليل الواضح المزيل للشبهة، وبالموعظة النافعة، والقول المستحسن الرقيق غير المنفر، وجادلهم أي حاورهم بأحسن طرق المجادلة من الرفق واللين، والمنطق السليم، إن ربك هو أعلم بمن انحرف عن سبيل الإيمان، وهو أعلم بمن اهتدى وأبصر الحق، وأجاب دعوتك ورسالتك.

١٢٦- وإن أردتم العقاب معشر المسلمين، فعاقبوا بمثل الفعل والجنابة، ولئن صبرتم وتركتم العقاب، فالصبر خير كله من الانتقام. نزلت حينما استشهد الحمزة في أحد ومثل به، فقال النبي ﷺ: (لأمثلن بسبعين منهم مكانك، فكفر النبي عن يمينه، ولم ينتقم. وقوله: ﴿عوقبتم به﴾ أي اعتدي عليكم به، من قبيل تسمية السبب باسم مسببه ونتيجته، مثل: أمطرت السماء زرعاً، أي ماء تسبب في إنبات الزرع.

١٢٧- واصبر أيها النبي على الأذى في سبيل دعوتك، وما صبرك إلا بتوفيق الله وتشيته، ولا تحزن على إعراض الكفار عن دعوتك، ولا يضق صدرك من مكرهم لك، فإن الله ناصرك عليهم.

١٢٨- إن الله مع المتقين المعاصي والمحرمات بالعون والتأييد، ومع المحسنين في أداء الطاعات.

سورة الإسراء



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 سُجِّنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لِنَا لِمَنِ السُّجْدُ الْحَكْرَامِ إِلَى
 التَّسْبِيحِ الْأَقْصَى الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ مَاءِ الْيَمِينِ أَنَّهُ
 هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءِذْ نُنَادِي مُوسَى الْكَتِّبْ وَجَعَلْنَاهُ
 هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ لِيَلْتَمَثِلُوا حِوَالَةَ الْكَلْبِ وَكَيْلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةً
 مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَصَدَقْنَا آلَ
 إِبْرَاهِيمَ إِذْ نَادَى فِي الْكَلْبِ لِنُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مِثْرَيْنِ وَلَنَعْلَمَنَّ
 عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ
 عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَأَسْوَأُوا خَلْلَ الدِّيَارِ وَكَانَ
 وَعْدًا مَفْعُولًا ﴿٥﴾ فَرَدَدْنَا لَكُمْ الْكُرْةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ
 وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرِ نَجْفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ
 أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْا وَجُرْهُمُكُمْ وَلِيَدْخُلُوا
 السُّجْدَ كَمَا دَخَلُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾

فضلها: أخرج أحمد والترمذي والنسائي وغيرهم عن عائشة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ كان يقرأ كل ليلة بني إسرائيل والزُّمَر». وتسمى أيضاً سورة بني إسرائيل، وهي من المتقدّمات في النزول في مكة.

١- تنزه الله عما لا يليق به من صفات العجز والنقص، الذي سار بعبد محمد ﷺ بالجسد والروح في جزء من الليل، قبل الهجرة بسنة، من دار أم هانئ بجوار المسجد الحرام - والمسجد الحرام يطلق على مكة، أو الحرم المكي - إلى مسجد بيت المقدس، الذي باركنا حوله بالشمس والزروع والأنهار، وجعله مهبط الملائكة، ومقر الأنبياء، لئريه من أدلة قدرتنا الباهرة وعجائب الخلق، إنه السميع لأقوال عباده، البصير بأفعالهم. ووصف الله نبيه هنا وفي مقام الوحي بالعبودية تشريفاً له وتكريماً وإيضاحاً، حيث اجتمع بالأنبياء، وعرج إلى السماء. وقد ذكر رسول الله ﷺ لقريش الإسراء به وتكذيبهم له، فأنزل الله ذلك تصديقا له.

٢- وآتيناهم موسى التوراة، وجعلنا ذلك الكتاب

هادياً لبني إسرائيل من الظلمات إلى النور، ولئلا تتخذوا رياءً غيري تفوضون إليه أموركم.

٣- لا تتخذوا من دوني وكيلاً يا ذرية من حملنا في السفينة مع نوح لإنجابهم من الغرق، إن نوحاً كان عبداً كثير الشكر، وحمد الله تعالى في جميع أحواله.

٤- وأعلمنا وأخبرنا بني إسرائيل في التوراة أنكم تفسدون في أرض فلسطين - الأرض المقدسة التي بها المسجد الأقصى مرتين من الإفساد: أولاها - مخالفة أحكام التوراة وقتل أشعياء، وثانيتهما - قتل زكريا ويحيى والعزم على قتل عيسى، ولتستكبرن عن طاعة الله تعالى استكباراً عظيماً، وتستعلنن على الناس بالسلطان والظلم.

٥- فإذا جاء وعد أولى مرتي الفساد ووعد العقاب عليها، بعثنا عليكم عباداً لنا أصحاب قوة في الحرب والبطش، وهم وثنيون من بابل بالعراق وهم: بُحْتَنَصْرُ وجنوده، دخلوا وترددوا وسط دياركم لطلبكم وقتلكم وسيبكم، واستباحوا حرمتكم، وكان وعد عقابكم نافذاً واقعاً لا بد منه.

٦- ثم عند توبتكم أعدنا لكم الدولة والغلبة، وأمددناكم بأموال وبينين بعد النهب والسبي، وجعلناكم أكثر عدداً منهم.

٧- إن أحسنتم أفعالكم وأقوالكم بطاعة ربكم، أحسنتم لأنفسكم؛ لأن ثواب ذلك لكم، وإن أسأتم بالفساد والعصيان، فعلى أنفسكم وبالإساءة، فإذا جاء وقت المرة الآخرة من مرتي الإفساد في الأرض، بعثناهم ليجعلوا آثار الإساءة والذل والكتابة ظاهرة فيكم، أي ليلحقوا بكم الذل والأذى والشرف، وليدخلوا مسجد بيت المقدس ويخربوه، كما دخلوه في المرة الأولى، وليدمروا ويهلكوا ما غلبوا عليه من بلادكم تدميراً شديداً.

عَسَىٰ رَبِّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عَدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ
 حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أَن يَهْدِي لِلَّذِي هُوَ قَوْمٌ وَبَشِيرٌ
 الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾
 وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾
 وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالْشُرْدَاءِ وَالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾
 وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ لِّمَن نَّهَىٰ آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ
 النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّمَن لَّبَثُوا أَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِنَعْلَمَ أَعْدَادَ
 آلَيْسِينَ وَالْحِسَابِ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَلْتُهُ نَفْسِيًّا ﴿١٢﴾ وَكُلُّ
 إِنْسَانٍ أَزْمَنُهُ طَرْفَةٌ فِي عَقْبِهِ وَنُخْرِجُهُ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ كِتَابًا
 يَلْقَاهُ مَشْوُورًا ﴿١٣﴾ أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَوَيْتِ نَفْسِكَ أَيَوْمَ عَلَيْكَ
 حِسَابًا ﴿١٤﴾ مَن هَدَيْتُ فَأَمَّا يَهْدِي نَفْسِي وَمَن ضَلَّ فَأَمَّا
 يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا نُزِرُ وَإِزْرَهُ وَزُرَّ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَدِّينَ حَتَّىٰ بَعَثَ
 رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نَّهْلِكَ قَرْيَةً أَمْرًا مِّنْهَا فَفَسَقُوا فِيهَا
 فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَا تَمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَوَيْتُ أَهْلَكَا مِنَ الْقُرُونِ
 مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَوَيْتُ بِرَبِّكَ بِذُنُوبٍ عِمَادٍ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

٨- وقلنا في الكتاب: عسى ربكم أن يرحمكم إن تبتم وأطعتم بعد انتقامه منكم في المرة الثانية، وإن عدتم مرة أخرى للفساد، عدنا إلى العقوبة، وجعلنا جهنم للكفار محبساً وسجنأ، لا يقدر على الخروج منها أبداً. والحصير: مكان الحبس والتضييق.

٩- إن هذا القرآن يرشد لأقوم الطرق والحالات: وهي توحيد الله والإيمان والإسلام، ويشتر المؤمن برسالة التوحيد، الذين يعملون صالح الأعمال التي أمر الله بها أن لهم ثواباً عظيماً، يشترهم بيسارتين: ثوابهم، وعقاب أعدائهم، وهو ما يأتي في الآية التالية.

١٠- وأن الذين لا يؤمنون بالقيامة وما فيها من حساب، أعددنا لهم عذاباً شديداً الأليم، وهو عذاب النار.

١١- ويدعو الإنسان على نفسه وأهله بالشر أو الضر عند الضجر أو الغضب كدعائه بالخير لنفسه ولأهله، كطلب الجاه والمال والعافية، وكان الإنسان متعجلاً في الأمور.

١٢- وجعلنا الليل والنهار علامتين دالتين على

كمال القدرة والحكمة والوحدانية، فجعلنا آية الليل محوطة مظلمة لا نور فيها للراحة والسكن، وجعلنا آية النهار مضيئة لإبصار الأشياء فيها، لتطلبوا في النهار رزقاً ومعاشاً من فضل الله، ولتعلموا بتعاقبهما عدد السنوات، وحساب الشهور والأيام، وكل شيء من أمر الدنيا والدين بيننا وبيننا واضحاً.

١٣- وكل إنسان أزمنه عمله من خير أو شر لزوم الطوق في العتق، أي أعماله ملازمة له، ونخرج له يوم القيامة صحيفة عمله، مفتوحة أمامه غير مطوية، تشتمل على أعماله الصالحة والسيئة.

١٤- ويقال له ولو كان أمياً: أقرأ كتابك (صحيفتك) الذي فيه جميع أعمالك مدونة، كفى بنفسك اليوم محاسباً وشاهداً على أعمالك.

١٥- من اهتدى إلى الحق والإيمان، فثواب اهتدائه له، ومن انحرف عن طريق الحق والإسلام فإثمته على نفسه، ولا يحمل إنسان ذنب إنسان آخر، وإنما يتحمل ذنب نفسه فقط، ولم تكن بمقتضى عدل الله معذنين أحداً على الغيبيات والتعدييات، حتى نرسل لقومه رسولاً يبين لهم ما يجب عليهم، وما لهم من حقوق. نزلت الإشارة في الهدى إلى أبي سلمة بن عبد الأسود، وفي الضلال إلى الوليد بن المغيرة.

١٦- وإذا أردنا إهلاك أهل قرية أشد إجرامهم، أمرنا بالطاعة والخير المتعمين فيهم وهم القادة والمتسلطون وأصحاب الثروة، فخرجوا عن أمرنا، فوجب عليهم العذاب، فأهلكناهم إهلاكاً شديداً وخربنا ديارهم.

١٧- وكثيراً من الأم الكافرة السابقة كعاد وثمود من بعد نوح أهلكناهم لكفرهم وتكذيبهم الرسل، وحسبك أيها النبي أن الله عالم بذنوب عباده، مطلع عليها، مبصر بها لا يخفى عليه شيء.

١٨- من كان يريد بعمله الدنيا وحدها ومتاعها السابق على الآخرة، عجلنا له في الدنيا ما نشاء نحن لمن نريد التسعجيل له منهم، لا ما يشاؤه المرید، ثم جعلنا له في الآخرة بسبب تركه العمل لها جهنم يدخلها ملوماً عقوباً، مطروداً من رحمة الله تعالى .

١٩- ومن أراد بعمله الآخرة، وعمل لها العمل المطلوب من الطاعات، وهو مؤمن إيماناً صحيحاً لا شرك فيه ولا تكذيب، فأولئك الجامعون للشروط الثلاثة، كان عملهم مشكوراً عند الله تعالى، أي مقبولاً عنده ومثاباً عليه .

٢٠- كلاً من الفريقين نعطي ونيسر مرة بعد أخرى، من رزق ربك بمحض التفضل، وما كان رزق ربك وفضله ممنوعاً عن أحد يستحقه .

٢١- انظر أيها الإنسان بعين الاعتبار كيف فضلنا بعضهم على بعض في الرزق والقوة والصحة والجاه والحكمة بالغة لا تتركها العقول العادية، ودرجات التفاضل في الآخرة أعظم، وأكثر وأعلى تفضيلاً من تفاضل الدنيا، فيلزم الاعتناء بالآخرة أكثر .

٢٢- لا تجعل أيها الإنسان في عبادتك مع الله الهماً آخر مشاركاً له، فتصير مذموماً من الله وملائكته وصاحبي عبادته، مغلوباً خائباً لا ناصر لك، يخذلك

مَنْ كَانَ يُرِيدًا لِعَاجِلِ عَمَلِهِ لِيُفِيهَا مَا أَنشَاءَ لِمَنْ يُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لِرِجْسِهِمْ مَصَلَاتًا مَدْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كَلَّا يَذَّهَبُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَتَجْعَلَ لِمَنْ يَلْتَمِسُهَا آخِرَ فِقْقَعٍ مَدْمُومًا تَخَذُولًا ﴿٢٢﴾ وَضَعْنَا رُبُّكَ لِأَتَقَدَّرَ إِلَّا أَيْتَاهُ وَيَا الْوَالِدِينَ إِحْسِنَّا إِنَّمَا يَتْلَعْنَ عِنْدَكَ الْكِبْرَ أَحَدُهُمْ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَوْفٍ وَلَا نَنْهَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ رَحْمَهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَادِقِينَ فَإِنَّكَ تَكُونُ لِلرَّاهِبِينَ عَفْوَرًا ﴿٢٥﴾ وَآيَاتِ الْقُرْآنِ حَقُّهُ وَالْمَسْكِينِ وَالرَّسُولِ وَالسَّبِيلِ وَلَا يُبْدِ رَبُّنَا كُفْرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كُفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِنَّمَا تَعْرِضُ عَنْهُمْ أِنْبَاءً رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهُمَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَنَسُورًا ﴿٢٨﴾

الله تعالى .

٢٣- وأمر ربك أمراً قطعياً وحكم بالآخرة بالناس إلا الله وحده، وبأن تحسنوا للوالدين إحساناً شاملاً، إن بلغ في رعايتك وكفالتك أحد الوالدين أو كلاهما، فلا تؤذهما بأدنى أذى كقول كلمة «أف» التي تدل على التصجر والثقل، ولا تزرجهما بغلظة، وقل لهما قولاً جميلاً ليناً .

٢٤- وأظهر لهما التذلل والتواضع، لفرط رحمتك بهما، وقل : يا رب ارحمهما واعطف عليهما كما رحمتني ويرياني حال الصغرى .

٢٥- ربكم أعلم بما في ضمائرهم من الإخلاص وغيره في الطاعة، إن تكونوا طائعين لله قاصدين للصلاح، ووقع منكم هفوة في حقهما مثلاً، ثم تبتهم، فإن الله كثير المغفرة للذنوب التوايين الراجعين إلى طاعته .

٢٦- وأعط ذا القرابة حقه من البر والصلة، وأعط المحتاج حقه من الزكاة، والمنقطع في سفره، وتصدق عليهم عند الحاجة من صدقة النفل، ولا تنفق المال في غير موضعه المطلوب شرعاً، وهو مجاوزة الحد المستحسن شرعاً في الإنفاق من الحلال، والإنفاق في غير الحق . نزلت في الوصية بهؤلاء .

٢٧- إن المبذرين قرناء الشياطين؛ لأن الإسراف من إغراء الشيطان، وكان الشيطان شديد الكفر لنعم ربه .

٢٨- وإن أعرضت لضرورة عن هؤلاء المذكورين من ذوي القرابة والمسكين وابن السبيل، حياءً من الرد، لطلب رزق تنتظره، فتعطيهم منه، فقل لهم قولاً سهلاً ليناً، بأن تعدهم بالمعطاء في المستقبل . نزلت في كل من كان يسأل النبي ﷺ من المساكين .

وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ
 مَلُومًا مَّحْضُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ
 كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً
 إِمَّا يَكُنْ رِزْقُهُمْ وَإِنَّمَا كُنَّ الْقُلُوبُ كَانَتْ خَطَا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا
 تَقْرُبُوا الزَّوْجِيَّاتِ أَنْهَرُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا
 النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا
 لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلْيَسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا
 تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا
 بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا بِالْعَيْلِ إِذَا كَلَّمْتُمْ
 وَزَوْجًا بِالْقِسْطِ اسْتَنْقِذْ ذَلِكَ خَيْرًا وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾
 وَلَا تَنْفُ مَالَكَ سِوَاكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ
 كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَحْسَبِ فِي الْأَرْضِ حِجَابًا لَكَ لَنْ تَحْفَرِ
 الْأَرْضُ وَلَنْ يَبْلُغَ الْجِبَالُ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سِيئَةً عِنْدَ رَبِّكَ
 مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ
 مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْفَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا ﴿٣٩﴾

٢٩- لا تمسك يديك عن الإنفاق كمن ربطت يده إلى عنقه، أي لا تكن بخيلًا، ولا تتوسع في الإنفاق إلى حد الإسراف، فتصير ملومًا عند الله وعند الناس، نادماً مغموماً. قال النبي ﷺ لعائشة: أنفق ما على ظهر كفي، قالت: إذن لا يبقى شيء، فأنزل الله ﴿ولا تجعل يدك...﴾.

٣٠- إن ربك يوسع الرزق لمن يشاء، ويضيقه على من يشاء، لحكمة ترجع إلى صالح العباد، إنه سبحانه كان وما زال عالماً بكل شيء، فيرزق عباده على حسب مصالحهم.

٣١- ولا تقتلوا أولادكم خوف الفقر، كما كان يفعل بعض الجاهليين، نحن نرزق الأولاد ونرزقكم، ولستم أنتم الرازقين، وقدم هنا رزق الأبناء؛ لأن القتل خشية الفقر بسببهم، وفي الأنعام قدم رزق الآباء؛ لأن القتل بسبب فقر الآباء، إن قتلهم كان إثماً كبيراً: عظيماً.

٣٢- ولا تقربوا الزنى ومقدماته؛ إنه كان فعلة قبيحة بالغة القبح، ويشس طريقاً هو؛ لأنه يؤدي إلى النار، وإلى اختلاط الأنساب، والوقوع في الأمراض الخطيرة، والاعتداء على الأعراض.

٣٣- ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الاعتداء عليها بسبب عصمة الدين أو العهد لإقتلاب حق، كالردة، وزنى المحصن، والقصاص من القاتل عمداً عدواناً،

ومن قتل عدواناً من غير سبب شرعي، فقد جعلنا لأقرب ورثته سلطة على القاتل: إن شاء قتل بإشراف الحاكم وقضائه، وإن شاء عفا، وإن شاء أخذ الدية، فلا يتجاوز الحد المشروع بقتل غير القاتل أو قتل أكثر من واحد أو التمثيل بالقاتل وتعديبه، إنه أي الولي كان مؤيداً معاناً من الله، ومن الحاكم يتمكن من القصاص العادل.

٣٤- ولا تقربوا مال اليتيم بالإتلاف أو الإفساد إلا بالطريقة الحسنى من حفظ وتنمية وإنفاق منه على اليتيم، مستمرين على هذا النحو حتى يبلغ اليتيم رشده: وهو تمام العقل وحسن التصرف، وأوفوا بالعهود: تكاليف الله، والمعاهدات مع الناس إلا بمسوغ النقص، فإن صاحب العهد مسؤول عن احترامه وتنفيذه.

٣٥- وأموا الكيل إذا كَلَّمْتُمْ، وزنوا بالميزان المعتدل الذي لا جور فيه، وإيفاء الكيل والوزن خير لكم وأفضل في الدنيا بتوفير حسن السمعة وترغيب المعاملة، وأحسن عاقبة ومآلاً في الآخرة.

٣٦- ولا تنبغ ما لا علم لك به، ولا تتدخل فيما لا يعنك، إنك مسؤول عند الله يوم القيامة عما تستعمل به أدوات السمع والبصر والقلب، في الخير أو في الشر، فهذه الأعضاء أمانة عندك.

٣٧- ولا تمش في الأرض مشية تكبر وتفاخر، إنك لن تثقب الأرض حتى تبلغ آخرها بكبرك، ولن تصل إلى الجبال بتطاولك. وفي هذا تهكم بالمخال، وحذله عن التعالي.

٣٨- كل المذكور من النواهي، كان المنهي عنه من الصفات مكروهاً عند الله، غير راض به، ويعاقب عليه.

٣٩- تلك التكاليف وهي خمسة وعشرون من الأوامر والنواهي من جملة ما أوحى الله إليك أيها النبي من الأحكام المحكمة والخير والموعظة، ولا تجعل مع الله إلهاً آخر في العبادة، فيكون شريكاً مرفوضاً، تلتقي في جهنم موبخاً مطروداً من رحمة الله. والحكمة في الأصل: معرفة الحق لذاته، والمراد هنا أن هذه الأحكام: من الآيات المرشدة للحكمة.

٥٠. قُلْ لَهُمْ أَيُّهَا النَّبِيُّ: كُونُوا أَيُّ شَيْءٍ، فَلَوْ كُنْتُمْ
 حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا، لِأَعَادِكُمْ اللَّهُ كَمَا بَدَأَكُمْ.
 ٥١. أَوْ كُونُوا خَلْقًا آخَرَ مِمَّا تَسْتَعِدُّ عَقُولُكُمْ قَوْلَهُ
 لِلْحَيَاةِ، مِمَّا هُوَ أَصْلَبُ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْحَدِيدِ، فَإِنَّهُ
 يَحْيِيكُمْ وَيُعْثِقُكُمْ، فَسَيَقُولُونَ: مَنْ الَّذِي يَعِدُنَا إِلَى
 الْحَيَاةِ؟ قُلْ لَهُمْ: سَيُعِيدُكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ فِي الْمَرَّةِ
 الْأُولَى، وَلَمْ تَكُونُوا شَيْئًا، فَسَيُحَرِّكُونَ إِلَى جِهَتِكَ
 رُؤُوسَهُمْ اسْتِهْزَاءً وَتَعْجِبًا، وَيَقُولُونَ: مَتَى هَذَا
 الْبَعْثُ؟ قُلْ لَهُمْ: لَعَلَّهُ يَكُونُ قَرِيبًا وَقَوْعُهُ، وَكُلُّ آتٍ
 قَرِيبٌ.
 ٥٢. يَوْمَ يناديكم ربكم من القبور على لسان
 إسرئيل، فتجيبون الداعي حامدين الله تعالى على
 كمال قدرته، وتحسبون أنكم لم تمكثوا في قبوركم إلا
 زمنًا قليلًا، أولم تبقوا في مدة حياتكم إلا فترة
 قصيرة، بسبب الأحوال التي تشاهدونها يوم القيامة.
 ٥٣. وقُلْ أَيُّهَا النَّبِيُّ لِعِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ: قُولُوا عِنْدَ
 حِوَارِ الْمُشْرِكِينَ الْكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ وَالْعِبَارَةَ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ
 مِنْ غَيْرِهَا بِالرَّفْقِ وَاللِّينِ، لِاسْتِمَاتَتِهِمْ إِلَى الْإِيمَانِ؛
 لِأَنَّ الْمَخَاشِنَةَ مَنْفِرَةً عَنِ الْإِجَابَةِ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَفْسُدُ
 بَيْنَهُمْ بِالْوَسْوَسَةِ، إِنَّ الشَّيْطَانَ عَدُوٌّ ظَاهِرُ الْعِدَاةِ
 لِلْإِنْسَانِ. أَفْرَطَ الْمُشْرِكُونَ فِي إِيْذَانَتِهِمْ رَسُولَ اللَّهِ
 ﷺ، فَانزَلَتْ.

٥٤. ربكم أعلم بكم أيها المشركون، إن يشأ يوفقكم للإيمان، وإن يشأ يمتكم على الكفر ويعذبكم تعذيبًا، وما
 أرسلناك أيها النبي عليهم موكلاً في منعهم من الكفر، وإجبارهم على الإيمان.

٥٥. وربك أعلم بأحوال جميع الموجودين في السموات والأرض، فيختار منهم من يشاء للنبوّة، ولقد فضلنا
 بعض الأنبياء على بعض بمزايا، كاتخاذ إبراهيم خليلًا، وموسى كليمًا، وجعل عيسى كلمة الله وروحه، وسليمان
 ذا ملك عظيم، وتخصيص محمد بالإسراء والمعراج ومغفرة ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وجعله خاتم النبيين،
 وأعطينا داود الزبور.

٥٦. قُلْ أَيُّهَا النَّبِيُّ لِلْمُشْرِكِينَ: ادعوا الذين توهمتم أنهم آلهة، وكذبتم في ذلك، من غير الله كالملائكة وعيسى
 وعزير وغيرهم من العقلاء، أما الأصنام فأبطل الله ألوهيتهم في آيات أخرى، وانتظروا منهم العون أو المدد، فلا
 يقدرُونَ إِزَالَةَ الضَّرِّ كَالْفَقْرِ وَالْمَرَضِ عَنْكُمْ، وَلَا تَحْوِيلَهُ عَنْكُمْ لِغَيْرِكُمْ، لِعَجْزِهِمُ الْمَطْلُوقِ. قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: كَانَ
 نَاسٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعْبُدُونَ نَاسًا مِنَ الْجِنِّ، فَاسْلَمَ الْجِنِّيُّونَ، وَاسْتَمْسَكَ الْآخَرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ، فَانزَلَتْ هَذِهِ
 الْآيَةُ.

٥٧. أولئك الذين يعبدهم المشركون ويتخذونهم آلهة من دون الله كالملائكة والمسيح يطلبون ما يقربهم إلى الله
 بالطاعة والعبادة، ويطلب القرية الذي هو أقرب منهم إلى الله، فكيف بحال الأبعد؟ ويرجون رحمة ربهم،
 ويخافون عذابه كغيرهم من سائر العباد، فكيف تزعمون أنهم آلهة؟ إن عذاب ربك يحذرهُ كل أحد.

٥٨. وما من أهل قرية (بلد) ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي إلا سيهلكون قبل يوم القيامة: إما بموت، وإما
 بعذاب شديد يستأصلهم بالقتل أو غيره، كان ذلك الإهلاك والتعذيب مدونًا مكتوبًا في اللوح المحفوظ.

٥٩. وما معنا من الإتيان بالمعجزات المادية المحسوسة التي طلبها كفار مكة إلا علمنا بأنهم سيكذبون بها كما كذب بها السابقون، فاستحقوا الإهلاك العام بمقتضى سنتنا، ونحن لا نريد إفناءهم؛ لأنه قد يؤمن بعضهم، وأتينا قبيلة ثمود قوم صالح الناقة آية بينة واضحة على قدرتنا وصدق صالح عليه السلام، فظلموا أنفسهم بالكفر بها، وعقروها، فأهلكناهم، وما نرسل المعجزات مع الرسل إلا تخويفاً للمكذبن، لتعلمهم يتعظون فيؤمنون. قال ابن عباس: سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً، وأن ينحى عنهم الجمال، فيزرعوا، فقيل له: إن شئت أن كفرتم أهلكتهم، كما أهلكت من قبلهم، قال: بل أستأني بهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

٦٠. واذكر أيها النبي حين قلنا لك: إن ربك أحاط بالناس علماً وقدرة، فهم في قبضته وتحت قدرته، فبلغهم الرسالة، وما جعلنا الرؤيا التي أريناك عيناً ليلة الإسراء، وهي مشاهدة آيات الله وعجائبه كما في صدر السورة: ﴿لنريه من آياتنا﴾ [١] وما جعلنا شجرة الزقوم الملعون أكلها التي تثبت في أصل الجحيم دون احتراق إلا اختباراً لأهل مكة وامتحاناً لهم، ونخوفهم بها

وَمَا مَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ
وَمَا لَنَا نَعُودَ النَّاقَةَ مُصْرَعَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ
الَّتِي نَتَخَوُّ بِهَا ٥٩ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا
جَعَلْنَا آيَةَ يَأْتِيكَ أَزْيَقًا لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ
فِي الْقُرْءَانِ وَنَخُوفُهُمْ مَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ٦٠
وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ
قَالَ أَ سَجِدُ لِمَنْ خَلَقْتِ طِينًا ٦١ قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي
كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَنْ أُوخِّرَنِي إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِأَخْنِيكَنْ ذَرِيَّتَهُ
إِلَّا قَلِيلًا ٦٢ قَالَ أَذَهَبَ فَمَنْ يَتَّبِعُكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ
جَهَنَّمَ جَزَاءُ مَنْ جَزَأَهُ مَوْجُودًا ٦٣ وَأَسْتَغْرِزُ مَنْ أَسْطَعْتُ
مِنْهُمْ بَصُوتِكَ وَأَحْبَبْتُ عَلَيْهِمْ بَيْعِيكَ وَوَجَّهْتُ وَجْهَكَ وَسَارَكُمُ
فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَيْدُهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ السُّطْنُ إِلَّا
عُرُودًا ٦٤ إِنْ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى
بِرَبِّكَ وَكِيلًا ٦٥ رَبِّكُمْ الَّذِي يُرْسِي لَكُمْ الْفَلَكَ
فِي الْبَحْرِ لِيُنَبِّئُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّه كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ٦٦

وبالآيات، فما يزيدهم تخويفنا وإرسال الآيات إلا زيادة وتعرداً في الكفر. أصبح الرسول ﷺ يوماً مهموماً، فقيل له: ما لك يا رسول الله؟ لا تهتم، فإنها رؤيا تنالهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وما جعلنا الرؤيا﴾. وقال أبو جهل وغيره: زعم صاحبكم أن نار جهنم تحرق الحجر، ثم يقول: ينبت فيها الشجر. وزعم أن شجرة الزقوم: هي طعام الشريد باللين، فنزلت ﴿والشجرة..﴾.

٦١. واذكر حين قلنا للملائكة: اسجدوا لآدم سجود تحية وتكريم بالانحناء، فسجدوا جميعاً إلا إبليس أبى وقال: أسجد للمخلوق من طين؟! و ﴿خلقت طيناً﴾ معناه خلقته من طين.

٦٢. قال إبليس: أخبرني يا رب عن هذا الذي فضلته علي، لم فضلته، وأنا أكرم منه؟ أي لا أعرف سبباً لهذا التكريم، لئن أهملتي إلى يوم القيامة لأستولين عليهم بالإغواء والإضلال، إلا قليلاً منهم ممن عصمتهم، فلا سلطة لي عليهم.

٦٣. قال الله: امض لشأنك، فمن أطاعك منهم، فإن جهنم جزاؤك وجزاؤهم جزاء وأفرأ كاملاً.

٦٤. واستخف بصوتك وإغرائك ووسوستك من استطعت من ذرية آدم داعياً لهم إلى المعاصي، وصح عليهم بشدة، مستعيناً بجنودك الفرسان والمشاة الراجلين، وشاركتهم في الأموال بإنفاقها في الحرام، والأولاد بتحصيلهم بالزنى، وتشجيعهم على وأد البنات، وعذمتهم بالأبعث ولا جزاء وغير ذلك من الوعود الباطلة والأمانى الكاذبة كشفاعة الأصنام، وما يعدهم الشيطان إلا وعداً باطلاً خادعاً.

٦٥. ليس لك على عبادي الصلحاء المخلصين يا إبليس سلطة وقدرة على إغوائهم، كفى بربك حافظاً لهم منك.

٦٦. ربكم الله وحده الذي يجري، ويسير لكم السفن في البحر، لتطلبوا الرزق من فضله تعالى بالتجارة والسعي، إنه كان بكم كثير الرحمة بالإنعام عليكم، والاهتداء لمصالح دنياكم.

٦٧- وإذا تعرضتم لشدة أو لحوف الغرق في البحر، غاب عن خاطركم وذهب عنكم من تعبدون من الآلهة، فلا تدعونه، وإنما تدعون الله وحده؛ لأنكم تعلمون أنكم في شدة لا يكشفها إلا الله، ولا تنفعكم الأصنام ونحوها، فلما نجّاكم من الغرق، ووصلتم إلى البر، أعرضتم عن الإيمان بوحانية الله، وعدتم إلى دعاء أصنامكم، وكان الإنسان الكافر جحوداً للنعم.

٦٨- أنجوت من الغرق فأمنتم الخسف الأرضي في البر: بأن تنهار الأرض من تحتكم، أو يرسل عليكم ريحاً شديدة مهلكة حاصبة، ترمي بالحصباء، أي الحصى والحجارة الصغيرة، ثم لا تجدوا لكم حافظاً وناصرًا يمنع العذاب عنكم.

٦٩- أم أنتم أن يعيدكم في البحر مرة أخرى لأغراض مماثلة أو طارئة، فيرسل عليكم ريحاً شديدة تقصف السفن، أي تحطمها وتكسرها، فيغرقكم بسبب كفركم، ثم لا تجدوا لكم علينا تابعاً يطالبنا بالثأر.

٧٠- ولقد فضلنا بني آدم بحسن الخلقة وميزناهم بالعقل والتمييز والعلم والفهم، وحملناهم في البر على الدواب وغيرها من المراكب، وفي البحر على السفن، ورزقناهم من لذائذ المأكول والمشارب،

وفضلناهم على كثير من المخلوقات أي غير الملائكة تفضيلاً كبيراً، والمراد تفضيل الجنس.

٧١- واذكر يوم ندعو يوم القيامة كل أمة بمن اتصوا به من نبي أو كتاب منزل عليهم، ونعطي كل إنسان كتاب أعماله، فمن أعطي كتابه من المدعوين يمينه، وهم السعداء، فأولئك يقرؤون كتابهم الذي أعطوه فرحين، ولا يتقصون شيئاً من الثواب على أعمالهم. والقetil: الخيط المستطيل في شق التواة، يضرب به المثل للقلقة والتفاهة.

٧٢- ومن كان في هذه الدنيا أعمى البصيرة أو القلب، فهو في الآخرة أعمى البصر، لا يهتدي إلى طريق النجاة، وأبعد طريقاً عنه.

٧٣- وإن قاربوا أن يوقعوك في الفتنة: وهي المحنة الشديدة، ويخدعوك بظنهم، بمجاملتهم في دينهم، ولكنه عليه السلام معصوم محفوظ عن الفتنة، ليصرفوك عن الذي أوحينا إليك من أحكام الأوامر والنواهي والوعد والوعيد، لو فعلت ذلك واتبعت أهواءهم لاتخذوك صديقاً مخلصاً. نزلت في جماعة من قريش كآبي جهل وأمينة ابن خلف، قالوا يا محمد، تعال تمسح بآلهتنا، وندخل معك في دينك، وكان يحب إسلام قومه، فأنزل الله هذه الآية.

٧٤- ولولا أن ثبتناك على الحق بالعصمة، لقد قاربت أن تميل إليهم ميلاً قليلاً، لشدة احتياليهم وإلحاحهم، ولكن أدركتك عصمتنا، فامتنعت من أدنى ميل إليهم.

٧٥- لو قاربت مجاراتهم في أهوائهم، لأذقناك ضعف عذاب الدنيا وضعف عذاب الآخرة، أي مثلي ما يعذب به غيرك في الدنيا والآخرة، ثم لا تجد لك ناصرًا يمنع العذاب عنك.

وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ يَدْعُونَ إِلَّا آيَاهُ فَلَمَّا نَجَّكُمُ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخَسِّفَ بِكُرْحَابِ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لِكُورِكُمْ كَيْلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيَغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْهَا بِرَبِّعًا ﴿٦٩﴾ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَرْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِيمَانِهِمْ فَمَنْ أَوْتَى كُتُبَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كُتُبَهُمْ وَلَا يَظُنُّونَ فِيهَا فِتْنًا ﴿٧١﴾ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَصْلُ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَةً وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدَّتْ تَرْتِكُنَّ آلِهَتَهُمْ شَتَّىٰ فَلْيَلِئًا ﴿٧٤﴾ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضَعْفَ الْحَيَاةِ وَضَعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُكَ عَلَيْنَا نَصْرًا ﴿٧٥﴾



وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ
خَلْقَكَ الْأَلْفِيلَ ﴿٧٦﴾ سِتَّةَ مِثْقَاتٍ مِمَّا قَدْ رُسِلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا
نُحَدِّثُكَ حَتَّى نَحْمِلَ الْوِزْلَ ﴿٧٧﴾ أَوْ الصَّلَاةَ إِذْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقُبُ
الْبَلَىٰ وَوَرَىٰ أَنْ الْقُرْآنَ فَرَىٰ أَنْ الْقُرْآنَ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنْ أَلْسِنِ
فَهَجْدٍ بِهِ نَاقِلَةٌ لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَنَّ رَبُّكَ مَعَهُمَا جُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُلْ
رَبِّ دَخَلْتَنِي مِنْ مَدْحَلٍ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مِنْ مَخْرَجٍ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ
لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَى الْبَاطِلُ إِنْ الْبَاطِلُ
كَانَ زُهُوفًا ﴿٨١﴾ وَيُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ
وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ
وَنَآيَبَاتِنَا بِهِ وَإِذَا سَأَلَ الشُّرَكَاءَ الشَّرْكَانَ يُوَسَّوْا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ بِعَمَلِهِ سَاقِلَةٌ
فَرِحَ أَكْمَلُ مِمَّنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَسَيُؤَنِّقُكَ عَنِ الرُّوحِ قُلْ
الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَإِنْ شِئْنَا
لَنَنْهَيْنَ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَآتِيَنَّكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكَيْلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً
مِّنْ رَبِّكَ إِنْ فَضَّلْنَاكَ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ أَجْمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ
أَنْ أَوْعَيْتَ هَذَا الْقُرْآنَ لِأَيَّامٍ مَّعْتَدَةٍ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لَبْغًا لِّبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٧﴾

٧٦- وإن قاربوا أن يزعموك أيها النبي، لإخراجك من أرض مكة، ولكن منعهم الله من ذلك، ولو أخرجوك، لا يكون بعدك إلا زمناً قليلاً، ثم يهلكون. قال اليهود للنبي ﷺ: إن كنت نبياً فالحق بالشام أرض الحشر، وأرض الأنبياء، فغزا غزوة تبوك- يريد الشام- فلما بلغ تبوك، أنزل الله هذه الآية، وأمره بالرجوع إلى المدينة.

٧٧- سُئِنَا المقررة: إهلاك الأمم السابقة الذين أخرجوا رسلهم من ديارهم، وهي سُئِنَا بك كمن قبلك، ولا تحمد تغييراً أو تبديلاً لستنا.

٧٨- أتم الصلاة- صلاة الظهر- لزوال الشمس عن كبد السماء، وميلها عن وسط السماء إلى جهة الغرب، ثم أتم صلاتي المغرب والعشاء عند مجيء ظلمة الليل، ثم أتم صلاة الفجر (الصبح) إن صلاة الفجر وما فيها من قرآن تشهدا ملائكة الليل وملائكة النهار.

٧٩- وفي جزء من الليل وهو الثلث الأخير منه، صل أيها النبي صلاة التهجد بعد النوم، فريضة زائدة لك على الصلوات المفروضة، لعل الله يبعثك يوم القيامة ويقمك في المقام المحمود الذي يحمدك عليه الناس جميعاً وهو مقام الشفاعة العظمى في فصل القضاء.

٨٠- وقل أيها النبي: رب أدخلني المدينة أو في كل أمر ديني ودينوي إدخالاً مرضياً، وأخرجني من مكة أو من الدنيا إخراجاً مرضياً، وهب لي من عنك قوة تنصرتني بها على أعدائك. والسلطان: الحجة البينة، والنصير: الناصر المعين.

قال ابن عباس: كان النبي ﷺ بمكة، ثم أمر بالهجرة، فنزلت عليه: ﴿وقل: رب أدخلني...﴾.

٨١- وقل أيها الرسول عند دخول مكة: ظهر الحق وهو الإسلام، واضمححل الباطل: وهو الشرك والكفر، إن الباطل كان وما زال مضمحلًا.

٨٢- ونزلك عليك أيها الرسول من القرآن ما هو شفاء للقلوب من الشك والشرك أو الضلالة، ورحمة سابغة للمؤمنين، ولا يزيد الكافرين إلا هلاكاً وانحرافاً، لتكذيبهم وكفرهم به.

٨٣- وإذا أنعمنا على أي إنسان بالصحة والسعادة، أعرض عن شكر نعمة ربه، وإذا أصابه مرض أو فقر كان قنوطاً من رحمة الله.

٨٤- قل: كل إنسان يعمل على مذهبه وطريقته في الهدى والضلال، فربكم أعلم بمن هو أسد طريقاً وأقوم منهجاً.

٨٥- وسألونك أيها النبي عن حقيقة الروح وهي ما يحيا به الإنسان، قل لهم: الروح من إبداعات ربي، وما علمكم إلا شيء قليل من علم الله. قالت قريش لليهود: علمونا شيئاً نسأل هذا الرجل، فقالوا: سلوه عن الروح، فسأله، فأنزل الله هذه الآية.

٨٦- لو شئنا لمحونا حفظ هذا القرآن من القلوب والكتب، ثم لا نجد من يتوكل ويتعهد لك برد شيء منه.

٨٧- لكن لا نشاء ذلك، وأبقيناه محفوظاً في صدرك رحمة من ربك، إن فضله عليك أيها النبي كبير حيث جعلك رسولاً.

٨٨- قل أيها الرسول: لئن اجتمعت الإنس والجن معاً على الإتيان بمثل هذا القرآن في كمال البلاغة والفصاحة وجزالة اللفظ لم يتمكنوا من ذلك، ولو كان بعضهم معيماً وناصباً للبعض الآخر. قال بعض اليهود للنبي ﷺ: ليس هذا القرآن متناسقاً، كتناسق التوراة، فأنزل علينا كتاباً نعرفه، وإلا جئناك بمثل ما تأتي به، فنزلت هذه الآية.

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَتْ
 أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُهُودًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى
 تَجِيءَنَا مِنَ الْأَرْضِ بِبُيُوتٍ ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَجِيلٍ
 وَعَنْ فَخْرٍ الْأَنْهَارِ خَلَّهَا تَجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ
 كَمَا زُعمتَ عَلَيْنَا كَمَا أَقْبَأْنَا بِاللهِ وَالْمَلِيكَةِ قِبَلًا ﴿٩٢﴾
 أَوْ تَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَفِيءُ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ
 لِرَبِّكَ حَتَّى نُنزِلَ عَلَيْكَ كِتَابًا نَقْرُهُمْ فَلِسِحْرَانِ رَبِّي هَلْ
 كُنْتَ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا
 إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٤﴾
 قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَسْمَعُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنزَلْنَا
 عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكَاتٍ رَسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كُنْ بِاللهِ شَهِيدًا
 بَنِي وَبَنِيكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ وَمَنْ يَهْدِ
 اللهُ فَمَا لَهُ هَادٍ وَمَنْ يَضِللْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُمَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ
 وَيَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمُيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا
 فَأُولَئِكَ جَزَاءُ كَمَا خَبِتَ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾

٨٩- ولقد بيننا للناس في هذا القرآن مختلف أنواع البيان للاستدلال على الحق وكررنا المعاني على وجوه مختلفة ليؤمنوا ويستقيموا، وأتينا بأوجه الترغيب والترهيب وقصص الأولين ليقدّم الناس على العمل ويحذروا التقصير، فأبى أكثر الناس من أهل مكة وغيرهم إلا جحودا للحق وإنكاراً لإنزال القرآن من عند الله. وقوله: ﴿من كل مثل﴾ أي من كل معنى هو كالمثل في غرابته وتأثيره في النفس.

٩٠- وقال زعماء الشرك في مكة: لن نصدقك حتى تفجر لنا ينابيع الماء وعيونها، وتجريها دون أن تنضب.

٩١- أو يكون لك بحجة بستان تظلل الأشجار، فتجري الأنهار وسطها تفجيراً غزيراً قوياً.

٩٢- أو تطلب إسقاط قطع من السماء كما زعمت أو ادعت بوعيد الله لنا، أو تأتي بالله لنراه عياناً، وباللائكة لنشاهدهم مقابلة جماعة بعد جماعة، يشهدون لك بصحة رسالتك.

٩٣- أو يكون لك بيت من ذهب، أو تصعد أمامنا في معارج السماء، ولن نصدق بصعودك حتى تنزل علينا كتاباً يصدقك ويأمرنا باتباعك، قل

لهم أيها الرسول: تنزيهاً وتقديساً لربي أن يفعل ما أريد وأن يتدخل أحد في سلطانه؛ لأنه الفعال لما يريد، لست أنا إلا واحداً من البشر، مرسلًا كسائر الرسل، أبلغكم رسالة ربي، لا يستطيع أحد من الرسل أن يأتي بآية إلا بإذن الله تعالى. نزلت هذه الآيات في رؤساء قريش الذين طالبوا النبي ﷺ بهذه المطالب تعجيزاً ومعاندة وإحراجاً.

٩٤- وما منع الناس في الماضي وفي عصرك أيها النبي عن الإيمان بالله وبما أنزل حين مجيء وحى الهداية إلا أن أنكروا أن يكون الرسول من جنس البشر.

٩٥- قل لهم أيها الرسول: إن كل رسول من جنس المرسل إليهم، فلو كان في الأرض ملائكة يسرون فيها على الأقدام، مستقرين فيها، لأرسلنا إليهم ملكاً رسولاً من جنسهم، ليتفاهم معهم.

٩٦- قل لهم أيضاً: يكفيني الله شاهداً على صدق رسالتي، إنه تعالى كان وما يزال عليماً بأحوال عباده، مطلعاً على جميع أعمالهم ظاهراً وباطناً.

٩٧- ثم يخبر الله تعالى عن إطلاق تصرفه في خلقه ونفاذ حكمه، فهو وحده القادر على الهداية، فمن يهده الله للإيمان ببيان سبيل الهداية، فهو المهتدي الموفق، ومن يضل الله من الناس بخذلانه عن الحق وبتعريف طرق الضلال وإعراضهم عن هداية ربه، فلا تجد لهم نصراً يتولون أمرهم ويدافعون عنهم، من غير الله، وتجمعهم بسرعة يوم القيامة مسحوبين على وجوههم، تجرهم الزبانية عمياً لا يبصرون ما يسرون، وبُكماً لا ينطقون بما يقبل، وُصماً لا يسمعون ما يلد، أي إنهم في متاهة حيارى لزيادة إيلاهم، مسكنهم جهنم، كلما خمدت نارها وسكن لهبها، تزداد بهم توقداً وتسعرا بشدة.



٩٨- ذلك العذاب في جهنم هو جزاؤهم، بسبب جحودهم بآيات الله التكوينية والتنزيلية، وعدم تفكرهم بها، وإنكارهم بعثة الرسل، وتكذيبهم بالبعث والحساب قائلين: أنذا صرنا عظاماً بالية، وأجزاء متفتتة كالتراب، سنبعث خلقاً جديداً بعدئذ؟! ٩٩- فرد الله عليهم: أو لم يعلموا- في رؤية قلبية- أن الله الذي أبدع السموات والأرض قادر على إيجاد أمثالهم، وهم بعض المخلوقات؟ وجعل لهم وقتاً محدداً للموت والبعث، لا شك في وقوعه حتماً، فأبى المشركون إلا جحوداً وإنكاراً.

١٠٠- قل لهم أيها النبي لبيان سبب رفض مطالبهم: وهو الشح، ولو أنكم ملكتم خزائن الأزواق، لبعيتم على الشح والبخل مخافة الفقر، وكان الإنسان الكافر بخيلاً منوعاً.

١٠١- ولقد آتينا موسى تصديقاً لنبوته تسع علامات دالة على صدق رسالته، مساوية لمطالب أهل مكة، فلم يؤمن بها فرعون وقومه، مع وضوحها وكونها معجزات حسية، والآيات التسع: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والعصا، واليد البيضاء، والسنين المجذبة، ونقص الثمرات، والأصح غير المشهور جعل الطمس على الأموال،

والطبع على القلوب كما تقدم بدلاً من العصا واليد، فاسأل أيها الرسول مؤمني بني إسرائيل في عصرك عن هذه الآيات، فإنهم لا يكذبون بها، فتقوم الحجة على قومك، فقال فرعون لموسى: إني لأعتقد أنك يا موسى مسحور، أي سحر فاختلط عقله، فصار مخبول العقل. وجاءهم، أي جاء موسى إلى بني إسرائيل وفرعون بالرسالة.

١٠٢- قال موسى لفرعون: لقد علمت يا فرعون، ما أنزل تلك الآيات إلا رب السموات والأرض دلالات بينات على قدرته ووحدانيته وصدق رسالتي، وإني لأعتقد أنك يا فرعون هالك خاسر. والظن في الآيتين بمعنى اليقين.

١٠٣- فأراد فرعون أن يخرج موسى وقومه بني إسرائيل من أرض مصر، ويبيدهم عنها، فأغرقاه ومن معه من جنوده جميعاً.

١٠٤- وقتلنا من بعد إهلاك فرعون لبني إسرائيل: أقيموا في الأرض التي أراد فرعون أن يبيدهم منها أو الأرض المقدسة، فإذا وقع يوم القيامة، جئنا بكم جميعاً من قبوركم، أنتم وهم، اختلط المؤمن بالكافر.

١٠٥- ما أنزلنا القرآن من عندنا إلا بالحق الذي لا شك فيه، وما نزل إلا بشيء حق مقترن بالشرائع والعقائد الحقنة التي لا باطل فيها، والحق الأول صفة الإنزال من الله، والثاني صفة ما في القرآن من عقائد وأحكام. وما أرسلناك يا محمد إلا مبشراً المطيعين بالجنة، ومنذراً مخوفاً بالعصاة بالنار.

١٠٦- وأنزلنا القرآن مفرقاً منجماً على مدى ثلاث وعشرين سنة، لا جملة واحدة، لتقرأه على الناس على مهل وتؤدة، ليكون أقرب إلى الفهم وأسهل للحفظ، ونزغناه تنزيلاً، أي شيئاً بعد شيء، بحسب الحاجة أو المصلحة، ومقتضى الحكمة.

ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَوْذَا كَمَا عَظَمْنَا
وَرَفَعْنَا أَيْدِيَنَا لِلْمَعْيُونِ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ
الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ
وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا أَرَبَّ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفْرًا ﴿٩٩﴾
فَلَوْ أَنَّهُمْ فُتِنُوا كَوْنِ حَرْبٍ رَحِمَهُ رَبِّي إِذْ أَنَا لَمَسَكُمُ خَشْيَةً
الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَفُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ سِنْعَ
ءَالِيَّتٍ بَيْنَكَ فَسَأَلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ
فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يُمُوسَىٰ مَسْمُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُمَا
مَا نَزَّلْنَا هَؤُلَاءِ مِنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَاحِبٍ وَآيٍ
لَأَظُنُّكَ يُفْرَعُونَ مُشُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَنْ يَنْسِفَهُمْ
مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمِن مَّعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقَتَلْنَا مِنْ بَعْدِهِ
بَنِي إِسْرَائِيلَ أَسْكَنُوا الْأَرْضَ فَإِن جَاءَهُمْ وَعْدُ الْآخِرَةِ
جِئْنَاكُمْ لَنُفِصًا ﴿١٠٤﴾ وَإِلْحِقْ أُنزَلْنَاهُ وَإِلْحِقْ تَزَلُّكُمَا
أَرْسَلْنَاكَ الْإِمْبِشْرًا وَذَيْبِرًا ﴿١٠٥﴾ وَقَوْلُهُ أَنَا فَرَقْنَاهُ
لِنُقَرِّأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكِّكَ وَتَزَلُّكُهُ تَزِيلًا ﴿١٠٦﴾

قُلْ ءَاْمَنُوْا بِهٖٓ اَوْ لَا تُوْمِنُوْا اِنَّ الَّذِيْنَ اُوْتُوْا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهٖٓ اِذَا بَتَلُوْا عَلَيْهِمُ مَّحْرُوْجًا لِّلْاٰذْقَانِ سَجْدًا ۝ وَيَقُوْلُوْنَ سُبْحٰنَ رَبِّنَا اِنْ كٰنَ وَوَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُوْلًا ۝ وَمَحْرُوْجًا لِّلْاٰذْقَانِ يَكُوْنُ وَوَيْدِهِمْ خُشُوْعًا ۝ قُلْ اَدْعُوْا اللّٰهَ اَوْ اَدْعُوْا الرَّحْمٰنَ اَيَّٰمًا لَّا تَعْوٰفُهٗ الْاَسْمَاءُ الْحُسْنٰى وَلَا تَجْهَرُ بِصَلٰتِكَ وَلَا تَخَافُ بِهَا وَابْنُ بَيْنَ ذٰلِكَ سَبِيْلًا ۝ وَقُلْ اَحْمَدُهٗ الَّذِيْ لَوْ تَجَدَّوْا لَوْلَا وَرَيْكَ لَمْ يَكُنْ شَرِيْكَ فِى الْمَلِكِ وَمِ يَكُنْ لَمْ يَكُنْ مِنَ الذَّلٰلِ وَكَيْفَ تَكْتُمُوْنَ ۝



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

اَحْمَدُهٗ الَّذِيْ اَنْزَلَ عَلٰى عَبْدِهٖ الْكِتٰبَ وَلِيَجْعَلَ لَهٗ عٰجَاةً ۝ تَمَّ لِیَنْزِرَ اَسَاسًا شَدِيْدًا مِّنْ لَّدُنْهٖ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِيْنَ الَّذِيْنَ يَعْمَلُوْنَ الصّٰلِحٰتِ اَنْ لَهُمْ اَجْرًا حَسَنًا ۝ تَكْتُمِيْنَ فِيْهِ اَبْهَامًا ۝ وَيَذَرُ الَّذِيْنَ قَالُوْا اتَّخَذَ اللّٰهُ وَلَدًا ۝ مَا لَهُمْ مِنْ عِلْمٍ وَّلَا اٰبَآءِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ اَفْوَاهِهِمْ اِنْ يَقُوْلُوْنَ الْاِكْذٰبَ ۝

١٠٧- قل أيها النبي لمشركي مكة على سبيل التهديد: آمنوا بالقرآن، فإن الإيمان يضعكم أنتم، أو لا تؤمنوا، فإن ترك الإيمان يضركم أنتم وحدكم، إن علماء أهل الكتاب المؤمنين من قبل نزول القرآن الذين عرفوا حقيقة الوحي كورقة بن نوفل، وزيد بن عمرو وابن نفيل، وعبد الله بن سلام إذا بتلى عليهم هذا القرآن يسقطون على وجوههم، مسارعين للسجود خاشعين، تعظيماً لأمر الله، وشكراً على إنجاز وعده ببيتك أيها النبي.

١٠٨- ويقولون وهم ساجدون: تنزه ربنا عن تخلف الوعد، إن وعد ربنا بإنزال القرآن وبعثة النبي ونصر المؤمنين ومجيء البعث والحساب أت فعلاً.

١٠٩- ويسجدون على وجوههم باكين من خشية الله، ويزيدهم سماع القرآن تواضعاً لله. وكرر ذلك للتأكيد على تأثير القرآن في المؤمنين.

١١٠- قل أيها النبي للمشركين المنكرين اسم الرحمن: ادعوا الله ونادوه قائلين: يا الله أو يا رحمن، فله تعالى كلا الاسمين، وبأي اسم تدعونه أو تتادونه به، فهو حسن، فله الأسماء الحسنى أي المستقلة بصفات الجلال والإكرام، ولا تجهر أيها النبي في القراءة بصلاحتك، حتى لا يوذوك، ولا تخفض صوتك بها إلى حد لا يسمعك أحد، وتوسط بين الجهر والإسرار. سمع المشركون النبي ص يقول في دعائه: يا الله، يا رحمن، فقالوا: انظروا إلى هذا الصابئ، ينهاتنا أن ندعو إلهين وهو يدعو إلهين، فنزل مطلع الآية، ونزل آخرها حينما سب المشركون القرآن ومن أنزله.

١١١- وقل أيها النبي: الشكر والثناء الكامل لله الذي لا ولد له، رداً على اليهود والنصارى، والمشركين القائلين بأن الملائكة بنات الله، ولا شريك له في الملك والسلطان رداً على المشركين الوثنيين والشنوية القائلين بتعدد الآلهة، ولم يحتج لمواودة أحد لذل يلحقه، فلا يحتاج لمعين ولا نصير، وعظم ربك تعظيماً تاماً متزهاً عن الولد والشريك. فنزلت حينما قال اليهود والنصارى: اتخذ الله ولداً، وقالت العرب: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك، وقال الصابئون والمجوس: لولا أولياء الله لذل.

سورة الكهف

فضلها: وردت أحاديث صحاح في فضل هذه السورة منها: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف، عصم من الدجال» ومنها: «من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف، عصم من فتنة الدجال».

١- الثناء الجميل على الله الذي أنزل القرآن على عبده محمد ﷺ ولم يجعل له مبيلاً عن الحق والصواب، ولا اختلافاً في اللفظ أو المعنى، أو اختلافاً فيه.

٢- مستقيماً محتدلاً، لا إفراط فيه ولا تفریط في التكاليف والأحكام، ليخوف بالعباد الناس، ويبشر المؤمنين الصادقين بما فيه الذين يعملون الأعمال الصالحة بالجنة والثواب الحسن.

٣- مقيم في نعيم الجنة إلى الأبد.

٤- ويخوف بالعذاب الذين نسبوا الولد أو الشريك لله.

٥- ليس لهم بهذا القول ولا بأبائهم دليل علمي صحيح، وإنما عن تقليد أو كذب، عظمت كلمة تخرج من أفواههم، فهي كلمة الكفر، وما يقولون إلا مجرد كذب وزور.

فَلَمَّا كَبُخَ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ
 أَسَفًا ۖ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَهُمْ
 أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُثًا
 ١٠ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيعَةِ كَانُوا مِنَّا الَّذِينَ
 عَجَبُوا ۚ إِذْ أَوْىُّ الْقُنْيَةَ إِلَى الْكَهْفِ فَعَالُوا رَبَّنَا إِنَّا
 مِن لَّدُنكَ رَحْمَةٌ وَهِيَ لَنَا مِن أَمْرٍ نَّارِشِدًا ۚ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ
 آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۙ ثُمَّ بَدَأْنَا مِن آتَىٰ
 الْمُرْسَلِينَ أَحْسَنَ لِمَا لَسُوا مِنْكُمْ ۙ فَخَضَّ نَضَّضْنَا عَلَيْكَ نَبَأَهُ
 بِالْحَقِّ أَنَّهُم قِنِيَّةٌ آمَنُوا بِهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ۙ وَرَبَطْنَا
 عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ
 نَدْعُوا مِن دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذْ شَطَطًا ۙ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا
 اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطٰنٍ بَيِّنٍ
 مِّنْ أَظْمَلٍ مِّنْ أُنْفُسٍ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۙ وَإِذْ أَعْرَضُوا عَنْهُمْ
 وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْذَىٰ إِلَى الْكَهْفِ بِنِسْرِكَ
 رَبِّكُمْ مِّن رَّحْمَتِهِ وَهِيَ لَكُمْ مِّنْ أَمْرٍ مَُّرْقُوفًا ۙ

٦- فلعلك أيها النبي مهلك نفسك، من بعد
 توليهم عن الإيمان، إن لم يؤمنوا بهذا القرآن تأسفاً
 وحرزنا منك على موقفهم هذا، فلا يحزنك ذلك؛
 لأن مهمتك تبليغ رسالة الله، ولست مكلفاً إدخال
 الإيمان في قلوبهم.

٧- إنا جعلنا ما على الأرض من حيوان ونبات
 وجماد وشجر زينة لها، لنختبرهم ونظهر أيهم
 أصلح عملاً، فموقف المشركين محل اختبار
 وامتحان.

٨- وإنا لجاعلون يوم القيامة ما على الأرض من
 زينة تراباً ظاهراً، يابساً لا نبات فيه ولا زينة.

٩- بل أظننت أيها النبي أن أصحاب الكهف أي
 الغار في الجبل، واللوح الحجري الذي كتبت عليه
 أسماؤهم، كانوا وحدهم فقط عجباً من آياتنا؟ لا
 تظن ذلك، فإن آياتنا كلها عجب. نزلت هذه
 الآية وقصة أصحاب الكهف عند سؤال
 قريش النبي ﷺ عن ثلاثة أمور، منها هذه،
 بتوجيه اليهود.

١٠- حين لجأ أصحاب الكهف الشباب إلى
 غارهم فراراً بدينهم من الفتنة، قالوا: ربنا آتانا من
 عندك رحمة خاصة: وهي المغفرة في الآخرة، والأمن من الأعداء، والرزق في الدنيا، ويسر لنا الهداية إلى
 المطلوب الذي نحب وترضاه، بمفارقة الكفار.

١١- فأمنناهم نوماً عميقاً لا يشعرون فيه بالأصوات سنين كثيرة معلومة العدد.

١٢- ثم أيقظناهم من نومهم، لنعلم أي الفريقين المختلفين منهم في مدة نومهم أضبط لمدة بقائهم نياماً.

١٣- نحن نخبرك تفصيلاً بخبرهم على وجه الدقة والصواب والصدق: إنهم شبيبة آمنوا بالله إيماناً خالصاً
 من الشرك، وزدناهم ثباتاً على الإيمان وتوفيقاً إليه.

١٤- وقويت قلوبهم وعزائمهم بالصبر على الشدائد، حين قاموا بين يدي ملكهم الجبار دقلديانوس، وقد
 أمرهم بالسجود للأصنام، فرفضوا وقالوا: ربنا رب السموات والأرض، لن ندعو من غيره إلهاً معبوداً، فإن
 دعونا غيره، قلنا قولاً مجاوزاً الحد في البعد عن الحق والصواب.

١٥- هؤلاء جماعتنا في هذا البلد اتخذوا من غير الله آلهة يعبدونها، هلا يأتون على ألوهيتهم وعبادتهم
 بحجة واضحة، فلا أحد أشد ظلماً ممن اختلق الكذب على الله، فزعم، أن له شريكاً في العبادة.

١٦- ولأجل أنكم يا معشر الفتية تجنبتم قومكم وما يعبدون من الآلهة سوى الله، فالجئوا إلى الكهف
 واجعلوه مأواكم، ييسط الله عليكم شيئاً من رحمته، فينقذكم من شر قومكم وملكهم، ويسر لكم من
 أمركم ما تترفقون به وتتفنون بحصوله من مرافق الحياة الضرورية.



وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَّوُجُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٧﴾ وَنَحْسِبُهُمْ أَيْقَاطًا وَهُمْ زُرُودٌ وَيَقْلِبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعَتْ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتْ مِنْهُمْ فِرَارًا وَبَلَّيْتْ مِنْهُمْ رِجْمًا ﴿١٨﴾ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَا لَبِيسَةَ لَوْلَا يَنْهَاهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَرِهْتُمْ قَالَوْا لَيْسَ آيَاتِنَا إِلَّا أَنْ نَأْتِيَنَّكُمْ بِشَيْءٍ لَمْ تَلَمَسُوا أَحَدًا مِنْ بَرِيذِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرُوا أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْكُلْ مِنْهُمْ وَإِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْيَمِينَ وَجِهَةَ الشَّمَالِ، لثلاثا تأكل الأرض أجسادهم، وكلبهم (قطمير) باسط يديه في فناء الكهف من جهة الباب، لو نظرت إليهم لأدبرت هرباً من منظرهم، وبللت منهم خوفاً وفزعاً يملاً الصدر.

١٧- وتُنظَرُ الشمس حين تطلع تميل وتنحرف عن كهفهم ناحية اليمين من باب الغار، وإذا غربت تركهم وتتجاوز عنهم شمال الكهف، فلا تدخل الكهف، وهم في وسط الكهف ومتسعة، ذلك الحاصل لهؤلاء الفتية من تحول الشمس عنهم وحفظ أبدانهم في حال الحياة، من دلائل قدرة الله، من يوفق الله للهداية والحق والخير فهو المهتدي، ومن يخذل الله ويبعده عن رحمته، فلن تجد له ناصرًا يليه ويرشده.

١٨- وتظنهم أيقاطاً منتبهين؛ لأن أعينهم مفتحة قليلاً، وهم في الواقع نيام، ونقلبهم جهة اليمين وجهة الشمال، لثلاثا تأكل الأرض أجسادهم، وكلبهم (قطمير) باسط يديه في فناء الكهف من جهة الباب، لو نظرت إليهم لأدبرت هرباً من منظرهم، وبللت منهم خوفاً وفزعاً يملاً الصدر.

١٩- وكما فعلنا بهم ما ذكر من النوم والحفظ،

أيقظناهم ليتساءلوا فيما بينهم عن مدة لبثهم في الكهف، قال أحدهم: كم لبثتم في النوم، قال بعضهم جواباً للسائل: لبثنا يوماً أو بعض يوم لدخولهم الكهف أول النهار، ويقتتهم آخر النهار، ثم قالوا لبعضهم: ريكم هو الأعم مدة لبثكم، ثم اتجهوا لما هو الأهم بسبب إحساسهم بالجوع، وقالوا: أرسلوا أحدكم بهذه العملة الفضية إلى المدينة وهي إفسوس ويقال لها اليوم: طرسوس، فلينظر أي المأكلات أطيب وأحل طعاماً، فليأتكم بطعام منه تأكلونه، وليكن متلطفاً في المعاملة حتى لا يغبن ولا يكشف أمره، ولا يعلمن بكم أحداً من الناس.

٢٠- إن أولئك الوثنيين من أهل المدينة، إن اطلعوا عليكم وعلموا بمكانكم، قتلوكم رمياً بالحجارة، أو صيروكم كرهاً في ملتهم الوثنية، ولن تفلحوا حيثنأ أبدأ إن عدتم في ملتهم.

٢١- وكما بعثناهم من نومهم، أطلعنا قومهم عليهم، وهم أحياء، ليعلم القوم أن وعد الله بالبعث حق ثابت، وأن القيامة آتية لا شك فيها، فلما شاهدوهم آمنوا بالبعث، ثم أماتهم الله، أعثرنا عليهم حين تنازع القوم في شأنهم بعد وفاتهم، فقال بعضهم بعد إمامتهم: ابنوا حولهم بنياناً يستريحونهم - والله ربه أعلم بشأنهم من المتنازعين فيهم - قال أصحاب النفوذ من القوم: لنبنين عليهم مكاناً للعبادة، وكان هذا جائزاً في شرعهم، ثم نهى الإسلام عن اتخاذ المساجد على القبور.

٢٢- وكما بعثناهم من نومهم، أطلعنا قومهم عليهم، وهم أحياء، ليعلم القوم أن وعد الله بالبعث حق ثابت، وأن القيامة آتية لا شك فيها، فلما شاهدوهم آمنوا بالبعث، ثم أماتهم الله، أعثرنا عليهم حين تنازع القوم في شأنهم بعد وفاتهم، فقال بعضهم بعد إمامتهم: ابنوا حولهم بنياناً يستريحونهم - والله ربه أعلم بشأنهم من المتنازعين فيهم - قال أصحاب النفوذ من القوم: لنبنين عليهم مكاناً للعبادة، وكان هذا جائزاً في شرعهم، ثم نهى الإسلام عن اتخاذ المساجد على القبور.

٢٢- سيقول المختلفون في قصتهم وعددهم من أهل الكتاب والعرب أقوالاً كثيرة، فمنهم من يقول: هم ثلاثة رابعهم كلبهم، وبعضهم يقول: هم خمسة سادسهم كلبهم، قولاً ظناً في أمر غيبي من غير يقين، ويقول آخرون: هم سبعة وثامنهم كلبهم، ولعل هذا أقرب للصواب للسكريوت عنه وعدم إدخاله في الرجم بالغيب، قل لهم أيها النبي: ربي أعلم بعددهم الحقيقي منكم أيها المختلفون، لا يعلم عددهم إلا قليل من الناس، فلا تجادل فيهم اليهود والمشركين إلا جدالاً ظاهراً: وهو بمقدار ما أوحينا إليك به، من غير تعمق في التفاصيل، ولا تسأل في قصتهم أحداً من أهل الكتاب، ففي هذا الوحي كفاية.

٢٣، ٢٤- ولا تقولن لشيء تعزم عليه: إني فاعل ذلك غداً أو في المستقبل، إلا بقرنه بمشيئة الله بقولك: إن شاء الله؛ لأن وجود كل شيء بمشيئة الله تعالى، واذكر ربك بالتسبيح والتكبير والاستغفار إذا نسيت تعليق الأمر بمشيئة الله، ولو بعد القول، وقل إذا سئلت عن شيء لا تعلمه:

لعل الله يوفقني إلى أمر آخر أقرب من هذه القصة إلى الخير والمنفعة. قال ابن عباس: حلف النبي ﷺ على يمين، فمضى له أربعون ليلة، فأنزل الله هذه الآية.

٢٥- وبقي الفتية نائمين في كهفهم ثلاث مئة سنين وتسع سنين هلالية، وهي ثلاث مئة سنة شمسية.

٢٦- قل أيها النبي: الله أعلم بمدّة لبثهم في الكهف من اختلافوا فيها، هو المختص بعلم الغيب في السموات والأرض، ما أحد أبصر ولا أسمع من الله!! ليس للمخلوقات من غير الله من ولي يتولى أمورهم، وليس لأحد الاشتراك فيما يبرمه الله من أحكام ويدبر من قضاء.

٢٧- اقرأ أيها النبي ما أوحى إليك في القرآن، واعمل بما فيه، لا مغيّراً لشيء مما أخبر الله به، أو حكم به من الأحكام التي جاءت في كلماته، ولن تجد من دون الله ملجأً وحصناً.

٢٨- التزم الصبر والثبات والمعايشة أيها النبي مع أولئك الضعفاء الذين يدعون ويعبدون ربهم في جميع الأوقات، في الصباح والمساء، يريدون بعبادتهم رضا الله وطاعته، ولا تصرف عينك النظر عنهم إلى غيرهم ممن غرّبهم الدنيا، تقصد بتركهم مجالسة العظماء والأغنياء الذين تزين بهم الدنيا، ولا تطع من جعلنا قلبه غافلاً عن القرآن وذكر الله، وأثر هواه على الحق، فاختر الشرك على التوحيد، وتجاوز حد الاعتدال. والقرط: الأمر الضائع الذي لا منفعة فيه. نزلت في جماعة من أشرف قريش طلبوا من النبي ﷺ تنحية الفقراء من أصحابه من مجلسه، حتى يتبعوه، أو يخصصهم بمجلس دونهم.

سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا لَيْسَ لَهُمُ الْإِقْلِيلُ فَالْأَمْرُ فِيهِمْ الْأَمْرَاءُ ظَاهِرًا وَلَا سَمَّتْ فِيهِمْ قِتْنُهُمْ أَحَدًا ۖ وَلَا يَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ۖ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَآذَرَكَ رَبُّكَ إِذَا نَسِيتُ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ۖ وَلَيْسُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثٌ مِائَةً سِنِينَ وَآزَادُوا سَبْعًا ۖ قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُمْ عِيبٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ۖ وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لِأَمْبِدَلٍ لِكَلِمَتِهِ وَلَنْ يَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۖ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَالْعَيْنِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ۖ

٢٩- وقل أيها النبي للمشركين الذين طلبوا طرد الفقراء من مجلسك: الحق المقرر ومنه القرآن ما يكون من جهة الله تعالى، لا من طريق الهوى وغير الله من البشر، حتى يجري فيه التبديل والتغيير، فمن شاء منكم فليؤم بالإسلام والقرآن، فهو الحق والخير، ومن شاء منكم الكفر بهذا الدين فليكفر، وهذا تهديد لهم ووعيد، إنا أعدنا وهياناً للظالمين: الكافرين ناراً عظيمة، أحاطت بهم من كل جانب، كإحاطة الخيمة (أو الفسطاط) بمن تحتها، وإن يستغيثوا من شدة العطش، يغاثوا بماء كعكر الزيت، أو الشيء المذاب من المعادن كالنحاس والرصاص، يشوي الوجوه من شدة حرارته، يشرب المهل هو، وساءت النار مقراً ونزلاً.

٣٠- إن الذين صدقوا بالله ورسوله، وعملوا صالح الأعمال، لا نضيع أجرهم على ما أحسنوا من أعمال.

٣١- أولئك المؤمنون العاملون لهم جنات إقامة دائمة، تجري من تحت غرفهم ومساكنهم الأنهار، يلبسون فيها أساور الذهب، ويلبسون الثياب

وَقُلِ الْحَيُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ
إِنَّا أَعْدَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهَا وَمَنْ أَرَادَ أَنَّ
يَسْتَعِينُوا يَفْتَرُوا بُرْهَانًا كَمَا هَلْ يَشْعُرُ أَلْوَجُوهَ بِشَسِّ الشَّرَابِ
وَسَاءَتْ مُرْتَقَقًا ٢٩ إِن الَّذِينَ آسَأُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ٣٠ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُجِئُونَ فِيهَا مِنْ آسَافٍ مِنْ ذَهَبٍ
وَيَلْبَسُونَ فِيهَا خُضْرًا تَبَسُّونَ فِيهَا مِنْ أَسَافٍ مِنْ ذَهَبٍ
فِيهَا عَلَى الْأَرْبَابِ نَعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَقَقًا ٣١
وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ عِنَبٍ
وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ٣٢ كُنَّا الْجَنَّتَيْنِ تَاتَتْ
أَكْلَهُمَا وَرَظَلِمَ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَزَا لِحَمَلِهِمَا نَهْرًا ٣٣ وَكَانَ لَهُمْ
فَرَقٌ فَالِصَّحْبِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْرَمُ مِنْكَ مَا لَا
وَأَعْرَبْنَا ٣٤ وَدَخَلَ جَنَّتُهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ
مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ٣٥ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً
وَلَئِنْ رُجِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ حِزْبًا مِمَّنْهَا مُنْقَلَبًا ٣٦

الخضراء من رقيق الحرير وثخينه، يجلسون في الجنة على الأسرة والوسائد، نعم الثواب: الجنة ونعيمها، وحسنت أرائك الجنة متكأ.

٣٢- واضرب أيها الرسول للمشركين مثلاً يعتبرون به، أي مثل لهم حال المؤمن والكافر بحال رجلين: أحدهما غني كافر، والثاني فقير مؤمن، جعلنا للكافر بستاتين من كروم العنب، وأحطناهما بنخل، وجعلنا بين النخيل والعنب زرعاً. يقال: إنهما كانا أخوين من بني إسرائيل، ورثا أربعة آلاف دينار، فصنع أحدهما بماله ما ذكر وأثرى، وأنفق الآخر ماله في طاعة الله حتى افتقر، والتقى، ففخر الغني وبئخ المؤمن، فجرت بينهما هذه المحاوره.

٣٣- كل واحدة من الجنتين (البستاتين) أعطت ثمارها، ولم تنقص من ثمرها شيئاً، وشققنا وسط كل منهما نهراً يسقيهما دائماً.

٣٤- وكان لصاحب الجنتين ثمر آخر غير العنب والنخيل، أي أموال أخرى، فقال لصاحبه المؤمن الفقير، وهو يتحدث معه: أنا أكثر منك مالاً، أي أغنى، وأعز جانباً بالأولاد والعشيرة.

٣٥- ودخل الكافر الغني بستاته مع صاحبه يطوف به فيه، وهو ظالم لنفسه بكفره وتكبره، قال بسبب غفلته: ما أعتقد أن تتلف هذه الجنة أبداً، لافتنائه بالدنيا.

٣٦- وما أعتقد أن القيامة كائنة، ولئن رجعت إلى ربي بالبعث في الآخرة، كما زعمت، لأجدن في الآخرة خيراً مما وجدت في الدنيا مرجعاً وعاقبة، لتوافر أهليتي لذلك.



٣٧- قال له صاحبه المؤمن، وهو يحدثه: أكفرت بالله الذي خلق أصلك من تراب، وهو آدم عليه السلام، ثم من نطفة النبي، ثم صيرك إنساناً كاملاً في الخلقة والعقل والرجولة. وقد جعل كفره بالبعث كفراً بالله تعالى، والقدرة على الخلق دليل على القدرة على البعث.

٣٨- لكني أنا أقول: هو الله ربي، ولا أشرك بربي أحداً في العبادة، أي كما فعلت أنت.

٣٩- وهلا قلت عند دخول بستانك وإعجابك به: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله، للاعتراف بأن جنتك وخيراتها بمشيئة الله بقاء وفناء، إن كنت تراني أنا أقل منك مالاً وولداً. قال النبي ﷺ لأبي موسى: «ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة: لا حول ولا قوة إلا بالله».

٤٠- فلعل ربي أن يعطيني خيراً من بستانك في الدنيا أو في الآخرة، ويرسل على بستانك محسوبا مقدراً، أي صواعق مقدرة، جزاء كفرك، فتصبح أرضاً لا نبات فيها، تنزل عليها القدم، أي تصبح ملحاً مشبعاً بالماء وهي الأرض السبخة التي لا

قال له صاحبه وهو يحاوره: أَكْفَرْت بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقْلَ مِنْكَ مَا لَأَوْلَادًا ﴿٣٩﴾ فَسِرِّي أَن يُؤْتِينَ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَبِيبًا زَلْفًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحُ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأَحِيط بِمَكْرِهِ فَاصْبِرْ لِقَوْلِكَ فَهَبْ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَوْ كُنَّ أُمَّةً يُبْصِرُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصَرِفًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْطَأَ بِهِ نَبَاتَ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَلِيغَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرًا مِمَّا كَسَبُوا ﴿٤٦﴾

تصلح للزرع مطلقاً.

٤١- أو يصبح ماؤها غائراً في الأرض، فلن تقدر الوصول إليه أو رده بأي حيلة.

٤٢- وأهلك الله ثمار ذلك الكافر بأفة سماوية، فأصبح يقلب كفيه ظهراً لبطن، تحسراً وندماً، على ما أنفق على عمارتها وإصلاحها من مال، وأضحت تلك الجنة خربة، ساقطة على دعائمها المنصوبة للكروم، ويقول: يا ليتني لم أشرك بالله أحداً.

٤٣- ولم تكن لهذا الكافر جماعة ينصرونه أو يتخذونه من العذاب من غير الله. ولم يكن متمتعاً بقوته عن الهلاك والانتقام الإلهي.

٤٤- هنالك في مقام الشدة والمحنة النصرة لله وحده، هو سبحانه خير للمؤمن بالثواب الحسن في الدنيا والآخرة، وخير عاقبة طيبة له.

٤٥- واذكر لأولئك المستكبرين ما تشبهه الحياة الدنيا في جمالها وسرعة زوالها، إنها مثل نبات رواء المطر، فصار أخضر بهيجاً، ثم جف النبات وييس، وصار في أسرع وقت متفتتاً تطيره لخطته وتفرقه الرياح، فلا ترك له أثراً، وكان الله على كل شيء قانداً، بالإحياء والإفناء.

٤٦- المال والبنون مما يتزين به في الدنيا، لا في الآخرة، وأعمال الخير الباقية الثمرة أفضل ثواباً وأجدى عائداً لأهلها، وخير ما يرجوه الإنسان العاقل عند الله تعالى ليحيا سعيداً.

٤٧- واذكر يوم نُزِّلَ الجبال عن أماكنها ونسبها كالسحاب، وهو يوم القيامة، وترى الأرض ظاهرة ليس عليها شيء من جبل وشجر وبناء، وجمعنا الخلائق إلى الموقف من كل مكان، فلم نترك منهم أحداً إلا حشرناه هناك.

٤٨- وعرض الناس مصفوفين، كلُّ أمة صف، لا يحجب أحد أحداً، وقلنا لهم: لقد جئتمونا فرادى، كما خلقناكم في المرة الأولى في الدنيا حفاة عراة، لا شيء معكم من المال والولد، بل زعمتم أيها المنكرون للبعث أن لن نجعل لكم موعداً للبعث والنشور والحساب.

٤٩- وجعل كتاب (صحيفة أعمال) كل إنسان في يده حين الحساب، السعيد في يمينه، والشقي في شماله، فترى المجرمين خائفين مما فيه من الأعمال السيئة، ويقولون: يا هلاكنا، ما شأن هذا الكتاب، لا يترك سيئة صغيرة ولا كبيرة إلا عدّها وأثبتها، ووجدوا ما عملوا في الدنيا من المعاصي

وَيَوْمَ نُسَبِّطُ الْجِبَالَ نَزِيلًا وَنَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَا فِيهَا الْقَوْمَ نَسِبًا وَعَرَضْنَا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ۗ وَوَضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ فِي مَا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا مَالَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغْنَىٰ لَنَا فِيهِ وَلَا كِبِيرًا إِلَّا أَحْصَا مَا وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا ۗ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَمَنْ يُشْرِكْ بِي فَكُفِّرُوا بِلَا عِلْمٍ ۗ مَا أَشْهَدُكُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقِ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ بِمُعْذِرِينَ عِندَهُ ۗ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ۗ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ۗ

مكتوباً مثبتاً في كتاب كل واحد منهم، ولا يعاقب ربك أحداً من غير ذنب، ولا يتجاوز ما حده من الثواب والعقاب.

٥٠- واذكر حين قلنا للملائكة: اسجدوا لآدم سجود انحاء، للتحية والإكرام، فسجدوا كلهم، إلا إبليس كان مخلوقاً من الجن، فعصى الأمر، وخرج عن طاعة ربه، أفتتخذون إبليس وأتباعه- وسماهم ذرية مجازاً- أنصاراً لكم من دوني، بعد الإباء والفسق، تطيعونهم، وهم لكم أعداء، بنس إبليس وأتباعه في إطاعتهم بدل إطاعة الله تعالى، أو بنس موالة الشيطان بدلاً عن موالة الله تعالى.

٥١- ما أشهدت إبليس وأتباعه خلق السموات والأرض ولا أشهدت بعضهم خلق البعض الآخر، أي ما كانوا شركاء لي في تدبير العالم، وما كنت متخذ المضلين من الشياطين أعواناً.

٥٢- واذكر أيها النبي حين يقول الله: نادوا شركائي الذين زعمتم أنهم شركاء لي من الأوثان وغيرهم ليشفَعوا لكم، فنادوهم فلم يجيبوهم، وجعلنا بين الكفار وألئهم وادياً عميقاً من أودية جهنم، للتفريق بينهم. والموبق: المهلك.

٥٣- ورأى الكفار المجرمون النار، فأيقنوا أنهم واقعون داخلون فيها، ولم يجدوا معدلاً عنها، ولا مكاناً ينصرفون إليه بعيداً عنها.



٥٤- ولقد بينا في القرآن مع الترداد والتكرار الأمثال الكثيرة لأجل مصلحة الناس، ليتعظوا، وكان الإنسان أكثر المخلوقات جدالاً بالباطل .

٥٥- وما منع المشركين في مكة وغيرها أن يؤمنوا بالله ورسوله، حين مجيء القرآن والرسول، وأن يستغفروا ربهم عن سيئاتهم إلا تحقيق سنة الله مع المكذبين السابقين وهي إهلاكهم، أو وقوع العذاب مقابلة وعياناً، كالقتل يوم بدر، والمراد أنهم لا يؤمنون ولا يستغفرون إلا عند وقوع الهلاك المستأصل، أو حدوث ألوان العذاب في الدنيا .

٥٦- وما نرسل الرسل إلى الأمم إلا مبشرين المؤمنين بالجنة، ومخوفين الكافرين بالعذاب، ويجادل الكفار بالباطل بقولهم: الرسول مجرد بشر، لإبطال الحق وإزائه، واتخذوا آياتي المنزلة وهي القرآن، وما أنذروا به من الوعيد والعقاب استهزاء وسخرية .

٥٧- لا أحد أشد ظلماً ممن ذكر بآيات ربه، فلم يتدبرها ولم يتعظ بها، ونسي ما ارتكب من الكفر والمعاصي، فلم يتب عنها، إننا جعلنا على قلوب الكفار المعاندين أغشية لئلا يفهموا القرآن، وهو الختم على القلوب، وجعلنا في آذانهم ثقلاً في السمع، يمعنهم من استماعه سماع تفهم وتأمل، وإن تدعهم أيها الرسول إلى الهدى: الإيمان والطاعة، فلن يهتدوا أبداً لشدة عنادهم .

٥٨- وربك كثير المغفرة، واسع الرحمة، لو يؤخذ المجرمين بما كسبوا من الكفر والمعاصي والجدال والإعراض، لعاجلهم بالعذاب في الدنيا بمقتضى الحق والعدل، ولكن يمهلهم ويؤخرهم رحمة منه، ولهم وقت محدد للعذاب الأخرى، لن يجدوا من غيره ملجأً وحصناً يحميهم منه .

٥٩- وتلك قرى عاد وثمود ونحوها أهلكناهم لما ظلموا أنفسهم بالكفر وتكذيب الرسل، وجعلنا لهلاكهم وقتاً معيناً .

٦٠- واذكر أيها النبي حين قال موسى بن عمران لخادمه وتلميذه يوشع بن نون من نسل يوسف: لا أزال سائراً، حتى أصل إلى ملتقى البحرين، قيل: بحر الأردن والبحر الأحمر، أي ملتقى خليج السويس بخليج العقبة، وقيل: ملتقى البحر الأبيض والمحيط الأطلسي عند طنجة، أو أسير زماناً طويلاً .

٦١- فلما بلغ موسى وفتاه مجمع البحرين، نسيا زادهما وهو نوع من السمك: حوت مملح في زنبيل، وكان ذلك أمانة على تحقيق المطلوب، فاتخذ الحوت طريقه في البحر مسلطاً، مثل السرب: وهو الشق الطويل المسدود، فدخل فيه واختبأ .

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَر شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا نَعْنُ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأُولَىٰ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَمَجْدِلٌ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَطْلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أَنزَلْنَاهَا هُنَا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرْنَا بِرَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ أَنْ جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ نَدَعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبِّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَاجَلَ لَعَلَّ لَهُمُ الْعَذَابُ بَل لَّهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتْنِهِ لَا أَرَىٰ حَتَّىٰ أَتْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حِمًّا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حَوْثَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَكْرًا ﴿٦١﴾

٦٢ - فلما تركا مجمع البحرين، وسارا في اليوم الثاني إلى وقت الغداء، قال موسى لفتهاه: أتنا غداءنا: وهو الخوت، لقد لقينا هنا هذا تعباً وإعياء.

٦٣ - قال له فتاه: تنبه وأخبرني عما شغلني حين بلنا إلى الصخرة للاستراحة، بذلك المكان عند مجمع البحرين موعد الملاقاة، فإني فقدت الخوت وتركته هناك نسياناً، وما أنساني إلا الشيطان بوسوسته أن أذكر لك حادثة فرار الخوت مني إلى البحر بعد عودة الحياة إليه، واتخذ الخوت طريقاً مثار عجب يتعجب منه موسى وفتهاه.

٦٤ - قال موسى: ذلك وهو فقد الخوت هو الذي كنا نطلبه، فإن موضع فقدته هو علامة لنا على وجود الرجل الذي نريده، فرجعا على طريقهما الذي قدما منه، يتبعان آثارهما تتبعاً، لئلا يخطئا طريق العودة إلى مكان الصخرة.

٦٥ - فلما وصلا المكان وجدا عند الصخرة عبداً صالحاً: هو الخضر في رأي جمهور المفسرين، واسمه بكيا بن ملكان، أتياه ولاية ونعمة وقيل: نبوة، من عندنا، وعلمناه من قبلنا بعض المعلومات الغيبية التي خصصناه بها، والتي رحل موسى للقاءه من أجل تعلمها.

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ إِنِّي جَاءْتُكَ لَمَّا كُنَّا فِي الْبَحْرِ فَأَنْجَيْتُنِي مِنَ الْخَوْتِ وَنَسِيتُ الْوَحْيَ وَاللَّيْلَ وَأَنْتَ عَلِيمٌ ۖ قَالَ لَوْ أَنِّي ذَكَرْتُكَ وَاللَّيْلَ سَجُودًا لَأْتَيْتُكَ بِتِلْكَ الْأَمْثَالِ لَأَذِّنُكَ لَعْنَةُ الشَّيْطَانِ أَنْ أَذْكَرُكَ وَأَتَّخِذُ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ۖ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدَّ عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ۖ فَجَدَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ۖ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلِ اتَّبَعَكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ نَجْمًا عَلَّمْتَ رُشْدًا ۖ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۖ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَيْرًا ۖ قَالَ سَجِدْنِي إِنْ سَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ۖ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ۖ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقْنَاهَا تَغْرِيقًا ۖ أَهْلُهَا لَمَّا جَدُّوا سَبَأًا ۖ قَالَ لَوْ أَقْبَلُوكَ لَمَّا كُنَّا تَسْتَطِيعُ مَعِيَ صَبْرًا ۖ قَالَ لَا تَأْتُونِي بِهَا بِمَنْسَأٍ وَلَا رُغْبَةٍ مِنْ أَمْرِ عَسْرًا ۖ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَضَلَّهُ فَحَسَبَهُ أَقْنَلَتْ نَفْسًا رَكِيَةً ۖ بَعِيرٍ نَفْسًا لَمَّا جَدُّوا سَبَأًا ۖ تَكَرَّرًا ۖ

٦٦ - قال موسى للخضر: أتأذن لي أن أكون تابعاً لك على أن تعلمني مما علمك الله، علماً فيه الإرشاد إلي، أي علماً ذا رشد: يدل على الخير؟ وقد يأخذ الفاضل عن المفضول، ويتواضع العالم للأعلم منه.

٦٧ - قال الخضر: إنك لا تطيق الصبر على ما تراه من علمي وأعمالي أثناء المرافقة.

٦٨ - وكيف تصبر يا موسى على شيء لم تعرف حقيقته؟

٦٩ - قال له موسى: ستجدني بمشيئة الله صابراً على ما أرى، وأطيعك فلا أعصي لك أمراً لا يصادم أوامره الله ونواهيه.

٧٠ - قال الخضر: فإن اتبعتني، فلا تسألني عن شيء من أفعالي التي تراها مخالفة، حتى أبتدئك بالبيان وأخبرك عن سببه ومآله.

٧١ - فانطلق موسى والخضر يمسيان على ساحل البحر، فمرت سفينة، فطلبا الركوب فيها، فلما ركبا في السفينة وصارت في وسط البحر، ثقبها الخضر ليعيها، بأن قلع لوحاً ليس من جهة الماء لئلا تغرق، فقال موسى له: أخرقتها لتغرق ركابها، لقد فعلت أمراً غريباً منكراً؟!

٧٢ - قال الخضر: ألم أقل يا موسى، لن تطيق الصبر على أفعالي؟

٧٣ - قال موسى: لا تؤاخذني بنسياني وصيتك، وعاملني بالعفو واليسر، ولا تكلفني عسراً ومشقة في صحبتي إياك بالمواخاة على النسيان، فذلك أمر عسير.

٧٤ - فانطلقا في سيرهما بعد الخروج من السفينة، حتى إذا وجدا غلاماً حدثاً غير بالغ، فقتله الخضر باقتلاع رأسه، فقال موسى له مستنكراً: كيف قتلت نفساً بريئة من الجرائم، بغير قتل نفس موجب للمقاصص، لقد فعلت فعلاً منكراً في الدين؟!



٧٥- قال الخضر مكرراً عتابه: ألم أقل لك: لن تطيق معي الصبر على أفعالي. وأضاف هنا لفظ ﴿لك﴾ لتأكيد العتاب وتكرار المخالفة.

٧٦- قال موسى: إن سألتك عن شيء بعد هذه المرة، ففارقني ولا تجعلني صاحباً، قد أعذرت في فراقك لي، أو وجدت عذراً لك، حيث أخالفك ثلاث مرات.

٧٧- فانطلقا يمشيان معاً، حتى إذا وصلا إلى أهل قرية، قيل: هي أبله أو أنطاكية، طلبا إطعامهما، فأبوا ضيافتهما، فوجدوا في القرية جداراً آيلاً للسقوط. وقد استعار الإرادة للمشاركة على السقوط، والعرب تستعمل الإرادة لغير العاقل في معنى القرب. فأعاد الخضر عمارته، أو أنه رده مستقيماً كما كان، جاء في الحديث الصحيح: أنه مسح يده، فإذا هو قد استقام، قال له موسى: لو شئت لطلبت أجراً على إصلاحه، نشرتي به الطعام.

٧٨- قال له الخضر: هذا وقت الفراق بيني وبينك بعد مخالفة الاتفاق ثلاث مرات، وسأخبرك قبل فراقك لك بتفسير أفعالي، وبيان وجه كل فعل، مما لم تطق الصبر عليه.

٧٩- أما السفينة التي خرقتها، فكانت لمساكين ضعفاء ليس لهم مورد رزق غيرها، وهم عاجزون عن مقاومة من يظلمهم، يعملون في البحر بطريق الكراء وأخذ الأجرة، وكان أمامهم في طريقهم ملك ظالم يغتصب من أصحابها كل سفينة صالحة غير معيبة.

٨٠- وأما الغلام الذي قتلته فكان كافراً، وأبواه مؤمنان، فحفظنا أن يحملهما على تجاوز الحد المشروع، والضلال، والكفر بربهما، لشدة محبتهما له، وتأثرهما ببوله.

٨١- فأردنا أن يرزقهما الله ولداً آخر خيراً منه صلاحاً ودينياً وتطهيراً من المعاصي، وأقرب منه رحمة لو الديه وبراً بهما وعطفاً عليهما.

٨٢- وأما الجدار الذي أصلحته، فكان لغلامين يتيمين في البلدة المذكورة سابقاً، وكان تحته كنز مدفون من ذهب، وكان أبوهما رجلاً صالحاً تقياً، وأدى صلاحه لحفظ مال ولديه، فأراد ريك أن يبلغ الغلامان الرشد: إحسان التصرف، ويستخرجا الكثر من تحت الجدار، وكان هذا التدبير رحمة من الله لهما، بسبب صلاح أبيهما، وما فعلت جميع أفعالي عن رأي المحض، وإنما بإلهام من الله، ذلك المذكور لك هو تفسير ما لم تقدر عليه صبراً، ولم تتحمل السكوت عليه.

٨٣- ويسألونك أيها النبي للاختبار عن قصة الملك الذي ملك الدنيا بأسرها وهو ذو القرنين، والسائل هم اليهود، والملك: هو كما حقق وزير معارف الهند سابقاً أبو الكلام آزاد: الملك الفارسي الصالح قورش، قل: سأتلو عليكم من بعض أخباره قرآناً منزلاً من الله تعالى. ولقُبْ بذو القرنين لبلوغه قرن الشمس في مطلعها ومغربها.

﴿قَالَ لَوْ أَقْلُكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ٧٥ ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَلِّحْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ ٧٦ ﴿فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَنْتَبَأَ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبْوَأُ أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدَانِ أَنْ يُتَّقِصَ فَأَقْبَرُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ ٧٧ ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ ٧٨ ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَ مُرْمِيكَ بِأَحَدٍ كُلِّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ ٧٩ ﴿وَأَمَّا الْعُلَمَاءُ فَكَانَ أَبُوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ ٨٠ ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ ٨١ ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيُخْرِجَا كَثْرَتَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ ٨٢ ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ ٨٣

إِنَّمَا كَأَنَّ فِي الْأَرْضِ وَمَاءِ آتِنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَسَيِّئًا ٨٤ فَاتَّبَع
 سَيِّئًا ٨٥ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَرْجُبُ فِي عَيْنِ
 حَبِطَةٍ ۖ وَوَجَدَهَا قَوْمًا قُلُتًا يَلْعَابُ الْآلِهَةِ ۚ إِنَّمَا أَنْتَ تُعَذِّبُ
 وَإِنَّمَا أَنْتَ تُخَذِّبُهُمْ حَسْبُنَا ٨٦ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ
 ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا ثَكْرًا ٨٧ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ
 صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحَسَنَىٰ وَسَقَوُلُهُ مِنْ أَمْرٍ يُسْرًا ٨٨ ثُمَّ اتَّبَعَ
 سَيِّئًا ٨٩ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطَّلِعُ عَلَىٰ قَوْمٍ
 لَوَّاعِلٍ يُكْفَرُونَ ۖ وَوَجَدَهَا قَوْمًا لَعُنُوا بِآلِهَتِهِمْ ۚ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
 فَإِنَّهُمْ فِي آيَاتِنَا هَاكِنٌ ٩٠ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ
 مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ٩١ قَالُوا يَا بَنِي
 آدَمَ إِنَّا فَجَّرْنَا بِكَ ۖ فَمَنْ جَعَلُوكَ مِنْكُمْ آلَ حَبْرَاءَ ۖ قَالُوا مَا مَكْنَىٰ
 فِيهِ رَبِّي حَتَّىٰ إِذْ تَبَوَّأْنَا فِي الْوَادِي الْمَقَامَ ۖ بَيْنَهُمَا رَدْمًا ٩٢
 ءَأَتُونِي رُبًّا الْحَدِيدَ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ
 أَنفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَأَتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قَطْرًا ٩٣

٨٤- إنا جعلنا له في الأرض سلطاناً وقدره على التصرف فيها، وأعطيناه من كل شيء يحتاج إليه في ملكته طريقاً يوصله إلى مطلوبه من علم أو معرفة أو صنعة أو غير ذلك .

٨٥- فسلك طريقاً باتجاه الغرب .

٨٦- حتى إذا بلغ موضع غروب الشمس وأقصى بلاد المغرب، وجد الشمس تغرب في عين ذات طين أسود، وذلك بحسب رأي العين الناظرة من بعيد، ووجد عند مغربها قوماً كضفراً، فألهمنها بين أن يعذبهم بالقتل أو يحسن إليهم بدعوتهم إلى الحق والإيمان وتعلم الشرائع واتخاذ طريقة حسنى في معاملتهم .

٨٧- قال ذو القرنين مختاراً الدعوة الحسنة : أما من ظلم نفسه بالإصرار على الكفر، فسوف نعذبه بالقتل في الدنيا، ثم يرد إلى ربه في الآخرة، فيعذبه فيها عذاباً منكرًا شديدًا في النار، لم يعرف مثله .

٨٨- وأما من آمن بوحداية الله، وعمل عملاً صالحاً، فله المشوية الحسنى وهي الجنة، وستأمره بما يسهل عليه من التكاليف التي لا مشقة فيها .

٨٩- ثم سلك طريقاً آخر عكس الأول نحو

المشرق .

٩٠- حتى إذا وصل موضع طلوع الشمس وبلاد الشرق الأقصى وكانت النهاية عند (بلح)، وجد الشمس تطلع على قوم بدائيين عراة يعيشون في الكهوف، لا يجدون شيئاً يستترون به من البسة ومبانٍ من دون الشمس .

٩١- أمر ذي القرنين مثلما وصفنا لك أيها النبي، وقد أحطنا علماً بما لديه من آلات وجنود وفتوحات وغيرها .

٩٢- ثم سلك طريقاً ثالثاً معترضاً بين الشرق والغرب، من الجنوب إلى الشمال .

٩٣- حتى إذا وصل بين جبلين عظيمين، وهما بين أرمينية وأذربيجان، أو بين بحر قزوين والبحر الأسود- والظاهر هذا- بين المغول والتتر في الشمال، وبين سكان آسيا في الجنوب، فلما وصل إلى ذلك المكان، وجد من ورائهما من جهة الجنوب، قوماً لا يفهمون كلام غيرهم .

٩٤- قالوا : يا ذا القرنين- وكان يفهم لغتهم أو من طريق ترجمان- إن قبيلتي التتر والمغول اللتين تسكنان الجزء الشمالي من قارة آسيا مفسدون في الأرض بالإغارة والقتل وإتلاف الزروع ونهب الأموال، فهل نجعل لك جُعللاً من المال نخرجه لك على أن تجعل بيننا وبينهم حاجزاً منيعاً .

٩٥- قال لهم : ما جعلني فيه ربي متمكناً من السلطان والملك خير من خرجكم، فأعينوني بالآلات والعمال البتائين، أجعل بينكم وبينهم حاجزاً حصيناً، أكبر من السد وأحكم، وهو السد المبني بالحجارة .

٩٦- أتوني قطع الحديد، حتى إذا ردم ما بين جانبي الجبلين على نحو مساو لهما في العلو، قال للعمال : انفضخوا على قطع الحديد بالكيران، حتى إذا جعل الحديد المنصهر كالنار المحمرة، صب عليه النحاس المذاب، فالتصق المعدنان ببعضهما، وصار السد جبلاً صلباً أملس .



٩٧- فما استطاع المفسدون من يأجوج ومأجوج اعتلاء السد وتسلفه لارتفاعه وملاسته، ولم يستطيعوا خرقه لصلابته وسُمكه.

٩٨- قال ذو القرنين بعد الفراغ من بناء السد: بناؤه من آثار رحمة الله علي إذ وفقتي إليه، وأنعم به عليكم أيها القوم لمنع إفساد يأجوج ومأجوج، فإذا حان وقت تدمير السد من قبل ربي، جعله مذكوكاً مسويّاً بالأرض، وكان وعد ربي ثابتاً كأنثاً لا يتخلف.

٩٩- وتركنا بعض الناس يوم خروج يأجوج ومأجوج مما وراء السد والذي هو من علامات الساعة، يضطربون يوم القيامة، لكثرتهم وتزاحمهم، ونفخ في القرن لقيام الساعة النفخة الثانية. نفخة البعث، فجمعنا الخلاق في مكان واحد للحساب والجزاء، بعد إحيائهم من القبور.

١٠٠- وأظهرنا جهنم يوم الحشر للكافرين ليشاهدوها، إظهاراً جلياً.

١٠١- الكفار الذين كانت أعينهم في غشاء عن ذكر الله: وهو القرآن والآيات الكونية المؤدية إلى التوحيد والتمجيد، وكانوا يكرهون سماع القرآن ومجالسة النبي خشية أن يؤمنوا، وليس المراد عجزهم عن السمع.

فَأَسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لِمِيقَاتِنَا ۖ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِن جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ۗ ﴿٩٧﴾ وَرَكَابُهُمْ يَوْمِئِذٍ مُّوَجَّجٌ فِي بَعْضٍ وَمَخْرَجٌ فِي آصُورٍ فَجَمَعْتَهُمْ جَمْعًا ۗ ﴿٩٨﴾ وَعَرْضًا جَحْشًا يَوْمِئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ۗ ﴿٩٩﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غَظَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ۗ ﴿١٠٠﴾ أَفَسِبَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ۗ ﴿١٠١﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۗ ﴿١٠٢﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۗ ﴿١٠٣﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَاءِهِمْ فَبَطَلُوا أَعْمَالَهُمْ فَلَا نَقِيمَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ ﴿١٠٤﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ۗ ﴿١٠٥﴾ إِنَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۗ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ۗ ﴿١٠٧﴾ قُلْ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ مَادَا كَلَّمَتْ رَبِّي لَغَدَّ النَّجْمُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَتَ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ۗ ﴿١٠٨﴾

١٠٢- أظن الكفار أن يتخذوا عبادي كالملائكة والمسيح وعزير والشياطين وغيرهم أرباباً معبودين ولا أعاقبهم؟! إنا هيأنا جهنم للكافرين نُزُلًا ينزلون به، والنُّزُل: مكان الضيافة، وعبر به تهكماً بهم.

١٠٣- قل أيها النبي للناس: هل نخبركم بأشد الناس خسارة لأعمالهم؟

١٠٤- هم الذين ضاع عملهم عبثاً في الحياة الدنيا بسبب كفرهم، وهم يظنون خطأ بعبادتهم غير الله أنهم يحسنون عملاً يجازون عليه.

١٠٥- وهم الذين جحدوا بدلائل توحيد الله من الآيات الكونية والتنزيلية، وكفروا بالبعث وكذبوا بقاء الله في الآخرة، فبطلت أعمالهم الحسنة لكفرهم بالله، فلا نقيم وزننا لهم ولا لأعمالهم، وإنما هم محقرين.

١٠٦- ذلك الأمر المذكور، وهو ترك إقامة الوزن هو ﴿جزاؤهم﴾ وهو ﴿جهنم﴾ بسبب كفرهم وهزئهم بآيات الله ودعوة رسله. ذلك: إشارة إلى ترك إقامة الوزن، و﴿جزاؤهم﴾: خير المبتدأ، و﴿جهنم﴾: بدل منه.

١٠٧- إن الذين صدقوا بالله ورسله، وعملوا الأعمال الصالحة التي أمرهم الله بها، لهم جنات الفرديس: وهي أعلى درجات الجنة منزلاً ينزلون فيها.

١٠٨- وهم خالدون فيها على الدوام، لا يطلبون تحولاً عنها إلى غيرها.

١٠٩- قل أيها النبي: لو كان ماء البحر حبراً لكتابة كلمات علم الله ومعلوماته غير المحدودة، لنفذ البحر في كتابتها قبل أن تنتهي، ولو جئنا بمثل البحر بحوراً أخرى تمدها، والمدد: الزيادة والمعونة، أي أن المعاني القائمة بنفس الله، وهي المعلومات لا تنهاى، والبحر متناه ضرورة. قالت اليهود: أوتينا علماً كثيراً، أوتينا التوراة، ومن أوتي التوراة، فقد أوتي خيراً كثيراً، فنزلت الآية.

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَنَ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١٩﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَيْ مَبْعُوثٌ ﴿١﴾ ذَكَرَتْ رَبَّكَ عَبْدَةٌ زَكِيًّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ بَدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَوْ أَنَّ بُدِعْتُكَ رَبِّ سَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِئَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَسْمَعِي لَوْ جَعَلْنَا لَهٗ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي مِنَ الْقَوْلِ كَيْفَ فَعَلْتُ مِنَ الْكَلْبِ عَيْتًا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيْبَةٍ ﴿٩﴾ وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ نَكُ سَمِيًّا ﴿١٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَةُ أُنَبِّئُكَ أَنَّكَ نَسِيتَ لَيْلَىٰ سَوِيًّا ﴿١١﴾

١١٠- قل أيها النبي: إنما أنا مجرد بشر آدمي مثلكم، ولكن خصني الله بالوحي والرسالة، ومن هذا الوحي الأمور به أن الإله المعبود إله واحد لا شريك له في ألوهيته، فمن كان يأمل ويطمح ببقاء الله بالبعث والجزاء، وهو شأن المؤمنين، فليعمل عملاً صالحاً في الدنيا: وهو كل ما دلّ الشريعة على أنه خير يثاب عليه فاعله، ولا يشرك أحداً من الخلق بعبادة الله ربه، والرياء: داخل في الشرك، وهو الشرك الخفي.

سورة مريم

فضلها: قال ابن مسعود في قصة الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة من مكة: إن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه قرأ صدر هذه السورة على النجاشي وأصحابه.

١- كاف، ها، يا، عين، صاد: حروف للتنبيه، وتحدي العرب بالإتيان يمثل القرآن المكون من مثل هذه الحروف العربية التي هي مادة الخطابة والكتابة والشعر، وهي لغتهم.

٢- هذا الذي نتلوه هنا قصة رحمة الله عبده زكريا من أنبياء بني إسرائيل، زوج خالة عيسى عليهما السلام، وكان نجاراً. أضاف الرحمة إلى فاعلها وهو الله، وعبده مفعولها، وزكريا: بيان للعبد.

٣- حين نادى ربه سرا في جوف الليل؛ لأنه أسرع للإجابة، وأبعد عن الرياء.

٤- قال: يارب، إنه ضعف العظم في بدني بسبب الكبر، وانتشر الشيب في رأسي، وهو كناية عن الهرم، ولم أكن محروماً خائباً من إجابتك، بل كنت تحيى دعائي، فلا تخيبي في هذه المرة.

٥- وإني خفت الأقارب والعصبات من بني العم ونحوهم من بعد موتي أن يرثوني، فيضيحوا الدين؛ لأنهم كانوا مهملين أمر الدين، وامرأتي عاقرة: لا تلد من أصل الخلق، فامتنحي من عندك ولدًا صالحاً من صلي.

٦- يرثني ويرث من آل يعقوب العلم والنبوة، ويعقوب: هوني الله إسرائيل، وزوجة زكريا هي أخت مريم بنت عمران، من ولد سليمان بن داود بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، وليس المراد وراثة المال؛ لأن الأنبياء لا يورثون، واجعله يارب مرضياً، في أخلاقه وأفعاله.

٧- فأجاب الله دعاه، فنادته الملائكة عن الله بقوله: ﴿يا زكريا﴾: نحن نبشرك بغلام اسمه يحيى، لم نسم أحداً قبله بهذا الاسم، ولا شبيه له في الصلاح والورع.

٨- قال زكريا: كيف وما الطريقة التي سيكون بها، كيف يوجد الغلام وزوجتي عقيم لا تلد من غير كبر، وقد بلغت منتهى الكبر والشيوخوخة؟ والسؤال بحسب الأحوال المعتادة، لا استبعاداً لقدرة الله تعالى.

٩- قال الله بالوحي: لا تتعجب، فالأمر منجز على هذه الحال، قال ربك: هو أمر سهل ميسور علي، فهو مثل خلقك من ابتداء، خلقتك من العدم قبل ذلك، ولم تكن شيئاً موجوداً، وإيجاد الولد بالتوالد المعتاد أهون من ذلك وأيسر.

١٠- قال زكريا: رب اجعل لي علامة على وقوع وتحقيق البشارة، قال الله: علامتك ألا تقدر على الكلام ثلاث ليالٍ مع أيامهن، وأنت سوي الخلق والحواس بلا علة من خرس ولا بكم ولا مرض يمنعك من النطق.

١١- فخرج زكريا على قومه من المصلى الذي يصلي فيه، فأشار إليهم إشارة بيده: أن صلوا صباحاً ومساءً، شكرًا لله على فضله.

١٢- ولما ولد يحيى وبلغ مبلغ الخطاب نودي وقلنا له: يا يحيى خذ التوراة بجد واجتهاد، وأعطيناه القدرة على فهم أسرار التوراة صبيًا قبل بلوغ سن الرجال.

١٣- وجعلناه ذا حنان وشفقة وعطف على الناس من عندنا، وذا طهارة نفس من الآثام، وكان من أهل الطاعة وإخلاص العبادة.

١٤- وكان كثير البر بوالديه والطف والإحسان إليهما، ولم يكن متكبراً، ولا عاصياً لربه.

١٥- وأمان عليه من الله يوم ولادته وموته وبعثه حياً يوم القيامة، والإنسان أوحج إلى الأمان في هذه المواطن الثلاثة.

١٦- واذكر أيها النبي في القرآن خبر مريم بنت عمران عليها السلام، حين اعتزلت عن أهلها مكاناً نحو الشرق من دارها أو من بيت المقدس، لتخلو للعبادة، بسبب صلاحها وتقواها.

١٧- فاتخذت سترًا يستترها عن الناس، حتى لا يشغلها شاغل، فأرسلنا إليها جبريل عليه السلام، فتمثل لها بصورة بشر تام الخلق.

١٨- وفوجئت برؤيته وخافت، وقالت: إني أستجير بالرحمن منك، إن كنت ممن يخاف الله، فنتهي عني وتتعد بتعودي بالله تعالى.

١٩- قال جبريل مطمئناً لها ومهدئاً من روعها: يا مريم أنا رسول ربك الذي استعدت به، أرسلني إليك، ولست من فعلة السوء، وإنما لأتسبب في أن ينحك الله غلاماً طاهراً من الذنوب، وذلك بالنفخ في القميص.

٢٠- قالت مريم متعجبة مستغربة: كيف يكون لي غلام، ولم يقربني زوج، ولم أكن زانية؟!

٢١- قال جبريل: لا تعجبي، فالأمر هكذا على هذه الحال، من خلق ولد من غير أب، قال ربك: هو علي سهل يسير؛ لأنه القادر على كل شيء، ولنجعل هذا الغلام وخلقته من غير أب آية للناس على قدرتنا التامة، ورحمة لهم من لما يرشداهم إليه من الهداية والخير الكثير، وكان خلقه أمراً مقدراً مقضياً به في الأزل وفي علم الله تعالى.

٢٢- فنفخ جبريل في جيب قميصها، فوصلت النفخة إلى بطنها، فحملته، فاعتزلت به مكاناً بعيداً من أهلها وعن الناس، حتى لا يراها أحد.

٢٣- فألجأها واضطرها المخاض: حالة الولادة، إلى ساق النخلة لتستند إليه وتتعلق به، كما تتعلق كل حامل بشيء لشدة وجع الطلق، قالت: يا ليتني مت قبل هذا الأمر والكرب، استحياء من الناس ومخافة من لومهم، وكنت شيئاً مهملاً لا يعرف ولا يذكر.

٢٤- فناداها ملك من مكان منخفض، تحت الأكمة التي فيها النخلة: لا تحزني، قد جعل ربك تحتك نهراً صغيراً يجري ماؤه.

٢٥- وهزتي نحوك جذع النخلة، تسقط عليك رطباً (تمرًا طازجاً) طرياً ناضجاً.

فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْحَرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۗ يٰحَسْبِيَ خُذْ لَكَ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَاذِّنْهُ الْحَمْدَ صَبِيحًا وَمَسَاءً ۚ وَحَافَاتٍ لِّدُنَا وَرُكُوتٍ وَكَانَ تَقِيًّا ۗ وَبَرَّ أَوْلَادِيهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ۗ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ۗ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَدَّتْ مِنْ أٰهْلِهَا مَكَانًا شَرْفِيًّا ۗ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَمَثَلْهَا بِنِسَاءِ سَوِيًّا ۗ قَالَتْ إِنِّي أَرْسُلُكَ أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ۗ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ۗ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشْرٌ وَلَمْ أَكُ بَعْثِيًّا ۗ قَالَ كَذٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيْبٍ وَلِلْعَلَّةِ آيَةٌ لِلنَّاسِ وَرَحْمَةٌ مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ۗ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهَا مَكَانًا خَفِيًّا ۗ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هٰذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مِّنْ سَاءِ ۗ فَأَادَهَا مِنْ تَحْتِهَا الْأَخْرَزِيَّ فَجَعَلَ رَبُّكَ تَحْتَكِ سَرِيًّا ۗ وَهَزَيْتِ إِلَيْكَ جِذْعَ النَّخْلَةِ فَسَقَطَ عَلَيْكَ رُطْبًا خَيْرِيًّا ۗ



فَكُلْ وَاشْرَبْ وَفَرِّ عَيْنًا فَامَّا زَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقَوْلِي إِنِّي
 نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكَلَهُ الْيَوْمَ ابْنِيًّا ٢٦ فَأَنْتِ بِهِ
 قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا لِيَمْرَيْمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ٢٧ يَا خُتَّ
 هَدْرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْمًا وَمَا كَانَتْ أُمَّتُكَ نَبِيًّا ٢٨
 فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نَكَلِمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ٢٩
 قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَأَنْتِنِ الْكَلْبُ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ٣٠ وَجَعَلَنِي مَبَارَكًا
 ابْنِ مَرْكُومٍ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ٣١ وَبَرًّا
 بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا سَفِيًّا ٣٢ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ
 وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ٣٣ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ
 قَوْلَ الْحَى الَّذِي فِيهِ يَخْتَرُونَ ٣٤ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَخْجِدَ مِنْ وَاوَدٍ
 سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ٣٥
 وَإِنَّ لِلَّهِ رَبِّ وَرَبِّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ
 ٣٦ فَأَخْلَفَ الْأَخْرَابَ مِنْ نَبِيِّهِمْ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا
 مِنْ مُشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ٣٧ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا
 لَكِنَ الْظَالِمُونَ الْيَوْمَ فِي صَلَابٍ مُمْسِكِينَ ٣٨

٢٦- فكلي من الرطب، واشربي من النهر،
 ولتسكن عينك أي لتطب نفسك وابتعدي عن
 الحزن، فإن رأيت إنساناً، فأشير لي: إني نذرت
 للرحمن الصمت عن الكلام، فلن أكلم أحداً من
 الناس بعد ذلك، أي بعد هذا النذر.

٢٧- فأنت بعيسى ولدها قومها حاملة إياه من
 المكان القصي، فلما رأوا الولد، قالوا لها
 مستنكرين: لقد فعلت شيئاً غريباً منكراً.

٢٨- يا شبيهة هارون في العفة والعبادة، وهو
 رجل صالح من بني إسرائيل في ذلك الوقت، أو
 هو النبي أخو موسى عليهما السلام المشهور
 بالهدوء والصلاح، لم يكن أبوك أهل فحش، ولم
 تكن أمك زانية، فمن أين لك هذا الولد؟

٢٩- فأشارت إلى طفلها عيسى ليحجب عن
 التساؤل، قالوا: كيف تكلم مولوداً ما يزال في
 المهد: وهو فراش الصبي الرضيع الموطأ؟

٣٠- قال عيسى: إني عبد الله- وهو أول اعتراف
 بالعبودية لله تعالى- قلر وقضى لي في الأزل
 بإعطائي الإنجيل (البشارة) وجعلني نبياً مرسلًا
 لهداية الناس به.

٣١- وجعلني نفاعاً للعباد معلماً للخير،
 وأمرني بالصلاة وزكاة المال، ما دمت حياً في الدنيا.

٣٢- وجعلني باراً بوالدتي كثير الإحسان إليها، ولم يجعلني متكبراً متعظماً، عاصياً لربي.

٣٣- والأمان والسلامة من الله علي يوم الولادة، ويوم الموت، ويوم البعث حياً.

٣٤- ذلك الموصوف بهذه الصفات هو عيسى ابن مريم، لا ما يصفه النصارى، وهو قول الحق الذي لا
 رب فيه في حقيقة عيسى، الذي يشكّون ويختلفون فيه، وهم اليهود والنصارى.

٣٥- ما ينبغي ولا يصح لله تعالى أن يتخذ ولداً، تنزه الله وتقدس عما يقولون، إذا أراد أمراً، قال له: كن
 فيكون. والقادر على الخلق الفوري قادر على خلق عيسى من غير أب.

٣٦- وإن الله هو ربي وربكم، فاعبدوه وحده ولا تشركوا به أحداً، هذا هو الطريق القويم الذي لا عوجاج
 فيه، الموصل إلى الجنة.

٣٧- فاختلف أهل الكتاب من اليهود والنصارى فيما بينهم في أمر عيسى، فقال اليهود: إنه ساحر، وابن
 زني، ابن يوسف النجار، وقالت النصارى: هو ابن الله، أو هو الله، أو ثالث ثلاثة، فهلاك للذين كفروا بالله
 الذين زعموا أن له شريكاً، من شهود يوم عظيم الهول، وهو يوم القيامة.

٣٨- ما أشد سمعهم وما أقوى بصرهم يوم يأتوننا للحساب والجزاء في الآخرة، أي أن سمعهم وبصرهم
 يكونان تامين، فيدركون حقيقة الأمر، خلافاً لما كانوا عليه في الدنيا، لكن الكافرون الظالمون أنفسهم في
 الدنيا في خطأ واضح.

٣٩- وخوف أيها النبي المشركين من يوم القيامة، يوم الحسرة والندامة، فيه يتحسر المسيء على إساءته، والمحسن على قلة إحسانه، حين فرغ من الحساب وسبق الفريقان إلى الجنة والنار، وهم الآن في الدنيا في غفلة عنه، وهم لا يؤمنون به، أي بيوم القيامة.

٤٠- إننا نحن الذين نرث الأرض كلها ومن كان عليها من أهلها بإهلاكهم، وإلينا يردون يوم القيامة للجزاء.

٤١- واذكر للناس أيها النبي في القرآن الموحي إليك به خبر إبراهيم، إنه كان كثير الصدق والتصديق بالحق، لم يكذب قط، نبياً مسلماً من عند الله. والمطالبة بذكر قصته؛ لأنه أبو العرب، ولا عترفهم بملته.

٤٢- حين قال إبراهيم لأبيه أزر: يا أبي، لماذا تعبد الأصنام التي لا تسمع دعائك، ولا تبصر عبادتك، ولا تكفيك شيئاً من جلب نفع أو دفع ضرر.

٤٣- يا أبي، قد أتاني بطريق الوحي الإلهي نصيب من العلم، ما لم يأتك شيء منه، وهو علم يرشد إلى الحق، ويهدي الضال، فاتبعتني أرشدك إلى دين قوم فيه النجاة من المكروه والسعادة في الدارين.

٤٤- يا أبي، لا تطع الشيطان في عبادة الأصنام، فإن عبادتها في الحقيقة عبادة له؛ لأنه الأمر بها، فحين تطيعه

وَأَذْرَهُ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكُمْ سَبِيلًا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ إِنَّا نَعْبُدُ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنِ الْعَلِيِّ يَا بَرهْمِيلُ لِمَ تَنْتَه لَأَرْجَمَكَ وَأَهْرَجِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْرَبْ لَكَ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا أَعْرَضْتَهُ وَمَا يعبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمُ مِنْ دُونِ ذَلِكَ جَمِيعًا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥١﴾

في عبادة الأصنام، تكون عابداً له، إن الشيطان كثير العصيان للرحمن، وشديد المخالفة له.

٤٥- يا أبي، إنني أخاف عليك بهذه العبادة للأصنام أن يصيبك عذاب من الرحمن يوم القيامة، فتكون قريباً للشيطان في اللعن وعذاب النار.

٤٦- قال الأب أزر مهدداً: أمعرض أنت يا إبراهيم عن تلك الأصنام أللهتي، ومتصرف إلى غيرها؟ لئن لم تنته عن التعرض لها ومقالك فيها لأرجمك بالحجارة أو لأشتمك، فاحذرنى، وفارقني واتركني دهرأ طويلاً.

٤٧- قال إبراهيم لأبيه متلطفاً: سلام عليك مني، سلام توديع ومشاركة لن أتعرض لك بسوء، ولكن سأستغفر لك ربي طالباً منه الهداية والمغفرة، إنه كان مبالغاً في إكرامي واللفظ بي، فيجيب دعائي. وقد وفي بوعده قائلاً: ﴿واغفر لأبي﴾ [الشعراء ٢٦/٨٦] وكان هذا الوعد بالدعاء قبل أن يعلم أنه يموت على الكفر.

٤٨- وأترككم وما تعبدون من غير الله، وأعبد ربي وحده، أرجو ألا أكون بعبادة ربي خائباً شقيماً، مثل خيبتكم وشقاوتكم في عبادة أللهتكم.

٤٩- فلما تركهم هم وأصنامهم، وهاجر في سبيل الله من بلده إلى أرض بيت المقدس، وهبنا له إسحاق ابنه، ويعقوب حفيده، إيتاساً له في غربته، وبدلاً من الأهل الذين فارقهم، وكل واحد من الابن والحفيد جعلناه نبياً.

٥٠- وأعطينا الثلاثة عدا النبوة كبيراً من خيرى الدنيا والآخرة من المال والولد والصحف، ورزقناهم ثناء حسناً رفيعاً على الألسن إلى قيام الساعة. استعمل اللسان فيما يصدر عنه وهو الثناء، كاستعمال اليد في العطاء.

٥١- واذكر أيها الرسول ما أنزل عليك في القرآن من قصة موسى، إنه كان مختاراً للطهر من النقائص وتكليم الله، وكان رسولاً مسلماً من الله لعباده، ونبياً يتبهم عن الله بشرائعه.

٥٢. وكلمناه من الجانب الأيمن: جانب الطور على بين موسى وهو متجه إلى مصر، وقربناه تقريب تشريف وتكريم لمناجاة ربه وتكليم الله بلا واسطة، بأن أسمعه الله كلامه.

٥٣. ومنحنا لموسى من رحمتنا به وإنعامنا عليه أخاه هارون نبياً لموازته، حين دعا قاتلاً: ﴿واجعل لي وزيراً من أهلي، هارون أخي﴾ [طه ٢٩/٢٠-٣٠].

٥٤. واذكر أيها الرسول فيما أنزل عليك في القرآن قصة إسماعيل، إنه كان مشهوراً بصدق الوعد، مبالغاً فيه، وكان رسولاً من ربه إلى قبيلة جرهم، على شريعة إبراهيم، نبياً يخبر بما شرعه الله تعالى.

٥٥. وكان يأمر أهله بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة لمن يستحقها، وكان مرضياً عند ربه، لاستقامة أقواله وأفعاله، والمرضي عند الله: الفائز في كل طاعاته بأعلى الدرجات.

٥٦. واذكر أيها الرسول فيما أوحى إليك في القرآن خبر إدريس، وهو سبط شيث، وجد نوح لأبيه، وأول من خط بالقلم، إنه كان كثير الصدق والتصديق بالحق، نبياً من الأنبياء الكرام.

٥٧. وجعلنا له منزلة عالية في الدنيا والآخرة

وَنَدَيْنَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِياً ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ تَحْتِنَا آخَاهُ هَارُونَ نَبِيّاً ﴿٥٣﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً ﴿٥٤﴾ وَكَانَ بِأَمْرِ أَهْلِهِ بِالصَّلَاةِ وَالزُّكُوفِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيّاً ﴿٥٥﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيْسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً ﴿٥٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِنْ حَمَلَتِ امْرَأَتُ نُوحَ وَ مِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِنْ هَدْيِنَا وَأَبْنَيْكَ إِذَا سَأَلْتَهُ عِلْمَةً أَيُّكَ الرَّحْمَنُ مِنْ خَلْقِكَ وَمَنْ يَكْتُمُ سِرّاً ﴿٥٨﴾ خَلْفَ مَنْ بَعْدَهُ خَلْفٌ ضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَاباً ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يظْلَمُونَ شَيْئاً ﴿٦٠﴾ جَنَّتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيّاً ﴿٦١﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إِلَّا سَلَاماً وَمَهُمْ فِيهَا ذُرِّيُّةٌ بَكْرَةٌ وَعَشِيْرَةٌ ﴿٦٢﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ نَفِيّاً ﴿٦٣﴾ وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا أَنْزَاراً لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً ﴿٦٥﴾

بشرف النبوة والزلقى عند الله، رفعه الله إلى السماء الرابعة، كما جاء في الحديث الصحيح عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ.

٥٨. أولئك المذكورون من الأنبياء في هذه السورة من زكريا إلى إدريس: الذين أنعم الله عليهم من الأنبياء، من ذرية آدم كإدريس، ومن ذرية من حملنا في السفينة مع نوح كإبراهيم بن سام بن نوح، ومن ذرية إبراهيم كإسماعيل وإسحاق ويعقوب، ومن ذرية إسرائيل: وهو نبي الله يعقوب، وهم موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى، ومن جملة من هدينا إلى الإسلام، واخترناهم أنبياء كراماً، إذا تتلى عليهم آيات الرحمن بكوا من غير صوت وسجدوا من خشية الله تعالى.

٥٩. فخلف من بعد أولئك الأنبياء خلف سوء تركوا الصلاة، وارتكبوا المحرمات كشرب الخمر والزنى، فسوف يلقون شراً، أي جزاء ذلك.

٦٠. إلا من تاب من ذنوبه، وأطاع الله في أمره ونهيه، فأولئك يدخلون الجنة، ولا يتقصون شيئاً من الثواب. ٦١. هي جنات إقامة دائمة التي وعد الرحمن عباده وهي غائبة عنهم لم يروها، إن مواعده أت لا محالة. ٦٢. لا يسمعون في الجنة فضولاً هنراً من الكلام لا يفيد، لكن يسمعون سلاماً (تحية) من الملائكة ومن بعضهم، يأتيهم ما يشتهون من الطعام والشراب في الجنة، على الدوام، صباحاً ومساءً وكل وقت يريدون. ٦٣. تلك الجنة بهذه الأوصاف وغيرها التي نجعلها لأهل التقوى خاصة.

٦٤. وقال جبريل للرسول ﷺ حين سأله عن سبب قلة نزول الوحي عليه، أي وقل: يا جبريل: وما ننزل إلا إذا كنا مأمورين بالنزول، لا نتقل إلا بإذنه ومشيبته، لله كل ما يحيط بنا من الزمان والمكان والجهة، والزمان يشمل الماضي والحاضر والمستقبل، ولا ينسى الله شيئاً وإن تأخر. والمراد: ما كان عدم نزول الوحي إلا لعدم الأمر به.



٦٥- الله خالق السموات والأرض ومالكهما وما بينهما ومدبر شؤونهما، فاعبده وحده، وأثبت على عبادته واصبر على مشاقها، ليس لله مثل ولا نظير ولا شبيه، فلا بُد من التسليم لأمره.

٦٦- ويقول الإنسان الكافر الذي ينكر البعث متعجباً: هل إذا مات سأخرج من القبر أو أبعث حياً بعد الموت؟ نزلت في أبي بن خلف حين أخذ عظاماً بالية، وفتحها بيده، وقال: زعم لكم محمد أنا نبعت بعدما نموت. وفي قول آخر: نزلت في الوليد بن المغيرة وأصحابه.

٦٧- ألا يتذكر هذا الجاحد أننا خلقناه في أول خلقه، ولم يكن شيئاً مذكوراً، فيستدل بالابتداء على الإعادة، وهي أهون.

٦٨- قسماً بربك أيها الرسول، لنجمعن الكفار المنكرين للبعث مع الشياطين في المحشر يوم القيامة، ثم لنحضرنهم حول جهنم من خارجها ياركبن على الركب، لا يتمكنون من الوقوف، لما يصيبهم من هول الموقف وشدة الحساب.

٦٩- ثم نتزع ونخرج من كل فرقة ضالة أشدهم كفرة أو تمرداً وتكبراً، لنقدمه للعذاب أولاً، ثم الأتباع ثانياً.

٧٠- ثم إننا نعلم من هو أحق بجهنم ودخولها ومقاساة حرها.

٧١- وما منكم من أحد إلا ما ربحهنم وهي خامدة على الصراط المددود عليها، كان مروركم بها أمراً محتملاً واجباً، قضى الله بوقوعه، فلا ينقض وعده مطلقاً.

٧٢- ثم ننجي من العذاب الذين اتقوا الكفر والمعاصي، ونترك الكافرين فيها جاثين على الركب، أي هامدين لا يتمكنون من الخروج.

٧٣- وإذا تلى على الناس آيات القرآن المنزلة واضحات لمن تأملها، قال الكفار للمؤمنين: هل فريقنا خير مكاناً ومترلاً، وأحسن مجلساً ومجتمعاً وأكثر أنصاراً أو فريقكم؟

٧٤- وكثيراً ما أهلكنا من الأمم الماضية- والقرن: الأمة والجماعة- من هم أكثر مالاً ومتاعاً في البيت من فرش وأثاث، وأجمل منظراً وهيئة، أي نضارة وحسناً.

٧٥- قل أيها النبي لهؤلاء المشركين: من كان غارقاً في الكفر والأهواء، فجزاؤه أن يتركه في ضلالته وطغيانه، ويمده فيهما ويستدرجه، حتى إذا شاهد هؤلاء المشركون المتفخرون ما يوعدون به: إما العذاب في الدنيا بالقتل والأسر كما حدث يوم بدر، وإما العذاب الحاصل يوم القيامة، فسيعلمون حينئذ من هو شر وأسوأ مكاناً ومترلاً، لا خير مكاناً من الفريق الآخر، وأقل أعواناً، لا أكثر مجتمعاً ومجلساً.

٧٦- ويزيد الله المهتدين هداية إلى الخير، وثباتاً على الإيمان؛ لأن الخير يدعو إلى الخير، والأعمال والطاعات خير عند الله جزاءً، وخير مرجعاً وعاقبة.

رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَءِذَا مَاتُتْ لَسَوْفَ أُنْخَرُجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوْلَا يَذُكَّرُ أَيُّنَا أَلْخَلْقَتُهُ مِن قَبْلُ وَلَسَ بِكَ سَمِيًّا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْضَرَنَّهُمْ وَالشَّيْطَانُ ثُمَّ لَنَحْضُرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ حَيًّا ﴿٦٨﴾ نَزَّلْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْعَةٍ أَيْهَةً أَشَدَّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ نُرِئُنَّكُمْ بِأَلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِمَا صِلَيْتُمْ وَإِن مِّنْكُمْ إِلَّا أَوْرَادُهُمَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧٠﴾ ثُمَّ نَجِيَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُوا ظُلْمِينَ فِيهَا حَيًّا ﴿٧١﴾ وَإِذَا تَلَّىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا يَتَّبِعْتُمْ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا الَّذِينَ آمَنُوا أَلَمْ يَلْقَا فِي الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٢﴾ وَكَذَلِكَ نَقُفُّهُمْ فِيمَنْ قَرَّبَ هُمْ أَحْسَنُ أَتْنَا وَرَبِّكَ بِأَنَّ هَلْ مِنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَدْرُكْهُ الرَّحْمَنُ مَدْحِيًّا إِذَا رَأَىٰ مَا يُوعَدُونَ إِنَّمَا الْعَذَابُ وَإِنَّمَا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴿٧٣﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ أَحْتَدَوْا هُدًىٰ وَالْبَلِيَّةُ الْأَصْلَفُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّكَرًا ﴿٧٤﴾

أَوْتَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِنَانِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَا لَمْ يُؤْتِ لَنَا
 ﴿٧٧﴾ أَطْلَعِ الْغَيْبِ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا
 سَكَتَ مَا يَقُولُ وَعَدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَسَرَّهُ
 مَا يَقُولُ وَيَأْتِنَا فَركًا ﴿٨٠﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً
 لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ
 عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيْطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ
 فَيُزْهِرُوهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ مِمَّا عَدُودُهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ
 نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًّا ﴿٨٥﴾ وَسَوْفَ نُحْجِرُ مِنْ إِلَى
 جَهَنَّمَ وَرِذًّا ﴿٨٦﴾ لَأَيُّكُمْ أَشْفَعَةُ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ
 الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ
 شَيْئًا إِذَا ﴿٨٩﴾ تَكَادَ السَّمَوَاتُ يَنْقَطِعْنَ مِنْهُ وَنَشَقَّ الْأَرْضُ
 وَجُزُءُ الْجِبَالِ هُدًّا ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعَا إِلَى الرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَدْبَعُنِي
 الرَّحْمَنُ أَنْ يَسْجُدَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِنْ كُنَّ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ إِلَّا مَا فِي الرَّحْمَنِ عِبَادًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُ
 وَعَدَّهُ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكَأَلْفِ لَيْلَةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾

٧٧. أخبر بقصة هذا الكافر بآياتنا وهو العاص ابن وائل الذي كان ينكر البعث، ويقول استهزاء: لئن بعثت كما يقول محمد: ليكونن لي مال كثير وأولاد، فلا يهمني شيء. نزلت في العاص بن وائل الذي جاءه خباب بن الأرت يتقاضاه ديناً، فرفض وقال: إني إذا مت ثم بعثت جثثتي، ولي ثم مال وولد، فأعطيتك، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

٧٨. أعلم الغيب وأن يؤتى ما قاله، أم اتخذ عند الرحمن عهداً أن يؤتى ما قاله ويدخل الجنة؟!

٧٩. كلاً ليس كما قال، إنه مخطئ فيما تصوره لنفسه، لا يؤتى ذلك، بل سندون ونحفظ عليه قوله، ونزيده عذاباً فوق عذابه على الكفر والافتراء والاستهزاء بأحكام الله تعالى.

٨٠. ونرت منه المال والولد الذي يقول بأنه يؤتاه، أي نسلبه منه بموته، ويأتينا يوم القيامة وحيداً لا مال له ولا ولد.

٨١. واتخذ المشركون من غير الله آلهة يعبدونها من الأصنام والأوثان، ليكونوا لهم في الآخرة منعة وقوة، أي أعواناً وشفعاء، وسبب عزهم.

٨٢. كلاً، ليس الأمر كما زعموا، بل ستجحد الأصنام عبادتهم ويتبرؤون منهم، ويكونون عليهم شراً وأعداء، لا عزاً وأنصاراً.

٨٣. ألم تعلم أيها النبي أنا سلطنا الشياطين على الكافرين تغويهم إغواءً، وتغريهم على المعاصي!

٨٤. فلا تطلب أيها النبي العجلة بهلاكهم أو تعذيبهم، فلئما نعد أيام آجالهم عدداً، أي فلم يبق لهم إلا أيام محدودة، ويقاؤهم أحياء ليزدادوا إنماً.

٨٥. يوم نحشر (نجمع) المتقين ربهم بإيمانهم وافرين معزين إلى دار كرامة الرحمن وهي الجنة.

٨٦. ونسوق الكافرين بكفرهم سوقاً عنيفاً إلى جهنم عطاشاً مهانين.

٨٧. لا يملك أحد من الناس جميعاً الشفاعة، إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً بالإيمان الصحيح بالله (التوحيد) وتصديق الرسل، والعمل المرضي.

٨٨. وقال المشركون القائلون: الملائكة بنات الله، واليهود والنصارى الذين ألوهوا العزير وعيسى: اتخذ الرحمن ولداً من الملائكة أو البشر.

٨٩. لقد فعلتم منكراً عظيماً، وقتلتم قولاً شنيعاً. والإد: الداهية والأمر المنكر جداً.

٩٠. تكاد السموات تتشق من هذا القول، وتتصدع الأرض، وتهتد الجبال هدأً، أي تهتدم وتتفتت، لهول هذه الكلمة.

٩١. لأجل ادعاء ولد للرحمن.

٩٢. وما يصح ولا يستقيم أن يتخذ الرحمن ولداً، لأن هذا نقص، والله قادر على كل شيء، لا يحتاج لمعين.

٩٣. ما كل واحد في السموات والأرض إلا أتى الرحمن يوم القيامة خاضعاً له، مقراً بعبوديته. والإتيان هنا معنوي ومادي، بمعنى الخشوع لسلطان الله وقضائه.

٩٤. لقد حصرهم الله وعلم عددهم، وعد أشخاصهم عدداً دقيقاً، فلا يخفى أحد عليه.

٩٥. وكل فرد يأتي يوم القيامة وحيداً، بلا مال ولا نصير.

٩٦- إن الذين صدقوا بالله ورسله، وعملوا بطاعة الله واجتنبوا نواهيه، سيجعل لهم الرحمن في القلوب مودة، يجهجهم الناس، ويرضى الله عنهم.

٩٧- فلما يسرنا هذا القرآن وأنزلناه بلغتك العربية أيها الرسول، لتبشيره المتقين بالجنة، لإيمانهم وعملهم الصالح، وتخوف به قوماً شديدي الخصومة بالباطل، وهم كفار مكة وأمثالهم.

٩٨- وكثيراً ما أهلكنا أمماً ماضية لتكذيبهم الرسل، هل تجحد منهم أحداً، أو تسمع لهم صوتاً خفياً؟ لا تجحد ولا تسمع، والمراد: كما أهلكنا أولئك نهلك هؤلاء.

سورة طه

فضلها: سيأتي في سورة الأنبياء بيان فضلها.

١- ط، ها: حرفان للتشبيه والتحدّي بإعجاز القرآن، ما دام مركباً من الحروف التي تتكون منها لغة العرب.

٢- ما أنزلنا عليك أيها النبي القرآن لإضناء نفسك بتعب زائد في العبادة، أو بتحسر وحزن شديد على كفر قومك وترك الإيمان برسالتك، فخفف عن نفسك. قال مقاتل: قال أبو جهل والنضر بن الحارث للنبي ﷺ: إنك لتشقى بترك ديننا، وذلك لما رأياه من

طول عبادته واجتهاده، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ ما أنزلنا .. ﴾ [٢].

٣- ما أنزلناه إلا للتذكير والعظة لمن يخاف الله.

٤- نزلناه تنزيلاً من عند خالق الأرض والسموات العالية، ومعناه الإخبار عن عظمة منزل القرآن.

٥- الرحمن استوى (أي اعتلى وارتفع) على عرش ملكه، وهو استواء يليق به، من غير تشبيه ولا تمثيل.

٦- والرحمن مالك كل شيء ومدبره في السموات والأرض وما بينهما من الموجودات، وما في باطن الأرض من معادن ومخلوقات.

٧- وإن ترفع صوتك بذكر أو دعاء، فاعلم أن الله غني عن ذلك، فإنه يعلم السر الذي تخفيه، وما هو أخفى من السر كالحواطر والهواجس وأحاديث النفس دون النطق بها.

٨- الله واحد، لا إله معبود في الوجود إلا هو، له أحسن الأسماء الدالة على الكمال، وهي تسعة وتسعون، ورد بها الحديث الصحيح.

٩- وهل بلغك خبر موسى وقصته مع فرعون وملئه؟

١٠- حين رأى ناراً أثناء سيره من مدين إلى مصر، وبعد خطته في الطريق، فقال لأهله: أقيموا مكانكم، إني أبصرت ناراً، علمي أتيكم بشعلة من النار، أو أجد عند النار هادياً يدلني على الطريق.

١١- فلما أتى النار، نودي بصوت علي: يا موسى.

١٢- إني أنا الله ربك، فانزع نعليك من قدميك، للتواضع والتأدب، إنك بالوادي المطهر المحترم، المسمى: طوى، الموجود بجانب الطور.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا
فَأَعْيُرُهُمْ بِلِسَانِكَ لِلبَشِيرِ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَنُذِرُهُ قَوْمًا لَدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَرَّمَهُمْ
أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مَن فَرِيقٍ هَلْ نَحْسُبُهُمْ مِنْ أَجْدٍ أَوْ نَسْمَعُ لَهُمْ رِكْرًا ﴿٩٨﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
طه ﴿١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا نَذْرًا لِمَنْ
يَخْتَفِي ﴿٣﴾ نَزِيلًا مِّنْ خَلْقِ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾
الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾ وَإِنْ يُجْهَرُ بِالْقَوْلِ
فَإِنَّهُ يُعَلَّمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ
الْحُسْنَى ﴿٨﴾ وَهَلْ أَنْتَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿٩﴾ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ
لِأَهْلِهِ آمِنُوا إِنِّي نَأْتِيكُمْ نَارًا أَعْلَىٰ أَيْتِكُمْ مِنْهَا يَفْتَنُونَ أَوْ
أَجْدٌ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَنهَا أُودِيَ بِمُوسَى ﴿١١﴾ إِنْ أَنَا
رَبُّكَ فَالْخُفَّ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمَقْدِسِ طَوًى ﴿١٢﴾



وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا
فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ
أَكَادُ أَخْضِهَا النَّجْمَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يُصَدِّقُكَ عَنْهَا
مَنْ لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبِعْ هَوَاهُ فَهَرِدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا لَكَ بِمِثْنِكَ
يَمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَوَّلَ مَا عَلِمْتُهَا وَأَهْسُ
بِهَا عَلَىٰ عَنِّي وَلِي فِيهَا مَثَرٌ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا
يَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ فَالْخُذْهَا
وَالْخُفِّ سُنْعِدُهَا وَسِيرْتُهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَأَضْمُ يَدَكَ
إِلَىٰ جَنَاحِكَ فَخَرُجْ بِيضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوْءِ آيَةٍ أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾
لِتُرِيكَ مِنَ الْآيَاتِ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٣﴾ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِتْمَطَلَىٰ
﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اسْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَبَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾
وَاجْعَلْ لِي وِزِيرًا
مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٧﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٢٨﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٢٩﴾ وَأَشْرِكْهُ
فِي أَمْرِي ﴿٣٠﴾ كَسَّحْتُكَ كَيْدًا ﴿٣١﴾ وَتَذَكَّرْتُ كَثِيرًا ﴿٣٢﴾ إِنَّكَ كُنتَ
بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٣﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَىٰ ﴿٣٤﴾

١٣- وأنا اخترتك للنسوة والرسالة، فاستمع للوحي بإصغاء وقبول.
١٤- إنني الذي أناديك، أنا الله، فاعبدني ولا تعبد معي آخر، وأقم الصلاة لتذكركني فيها، وخص الصلاة لكونها أشرف الطاعات وأفضلها.
١٥- إن القيامة قائمة حتماً، أقرب مبالغاً في إخفائها ولا أظهرها لأحد، وقيل: أكاد أظهرها وأزيل خفاءها وإنهاء عالم الدنيا، لتجازي كل نفس بما عملت من خير أو شر.
١٦- فلا يصرفك يا موسى عن الإيمان بالساعة من لا يُصدِّقُ بها، واتبع هواه في إنكارها، فتهلك إن صدقت عنها.
١٧- وما الذي تحمله في يدك اليمنى يا موسى؟ وهو العصا للتنبية على أن المعجزة تقع بها. وتكرار ﴿يا موسى﴾ لزيادة الاستئناس والتنبية.
١٨- أجاب موسى قائلاً: هي عصاي، أتعلم عليها عند الإعياء في المشي، وأضرب بها ورق الشجر ليستقر على غنمي، فتأكله، ولي فيها منافع وحاجات آخر، كحمل الزاد والسقاء وطرد الهوام. استمتع موسى عليه السلام بلذة الخطاب الإلهي، فأجاب بما يزيد على السؤال، وأجمل الكلام في آخره، ليسأله ربه عن تلك المآرب.

١٩- قال الله تعالى: ألق عصاك من يدك يا موسى.

٢٠- فألقها من يده على الأرض، فإذا هي حية تمشي بسرعة وخفة، بقلب أو صافها، فخاف موسى وهرب منها.

٢١- قال الله تعالى له: خذ الحية بيمينك ولا تخف منها، سنعدها إلى حالتها الأولى، وهي كونها عصا.

٢٢- وأدخل كفك اليمنى إلى جنبك الأيسر تحت العضد، ثم أخرجها، تخرج خلاف ما كانت عليه من السمرة مشعة مشرقة كشعاع الشمس، من غير مرض، كالبرص مثلاً، معجزة أخرى غير العصا، لإثبات صدقك في رسالتك.

٢٣- لتريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا العظمى الدالة على قدرتنا وعلى رسالتك.

٢٤- اذهب يا موسى رسولاً إلى فرعون، إنه تجاوز الحد في كفره وعتوه وتجبره، حتى ادعى الألوهية، فادعه إلى توحيد الله وطاعته.

٢٥- قال موسى: يا رب وسِّعْ لي صدري لتحمل أعباء الرسالة والصبر على مشاقها وأذى الناس.

٢٦- وسهِّلْ لي ما أمرتني به من تبليغ الرسالة.

٢٧- وأطلق عقدة لساني، أي حبسته لتيسير النطق وإفهام الناس، ولثلاث ينفر مني الناس.

٢٨- ليفهموا كلامي عند تبليغ الرسالة.

٢٩، ٣٠، ٣١- واجعل لي معيناً من أهلي: هارون أخي، أحكم به قوتي، والأزر: الظهر، أو القوة.

٣٢- واجعله شريكاً لي في أمر الرسالة، شفع له وطلب أن يكون نبياً مثله.

٣٣، ٣٤- كي نزهك تنزيهاً كثيراً، أو نصلي لك معاً، وتذكرك ذكراً كثيراً.

٣٥- إنك كنت وما زلت عالماً بأحوالنا، ونريد رضاك.

٣٦- قال الله مجيباً له: قد أعطيتك كل ما سألته يا موسى. والسؤل: المسؤل أو المطلوب.

٣٧- ولقد أنعمنا عليك يا موسى بنعم كثيرة أخرى .
والمن: الإحسان والتفضل .

٣٨- حين الهمنا أمك الإلهام كإلهام النحل اتخاذ البيوت،
وقد يكون بتمثل ملك في صورة بشر كما حصل لمريم في
النفخ في قميصها .

٣٩- الهمناها: أن ألقيه في الصندوق الخشبي، ثم ألق
الصندوق في نهر النيل، ثم أمرنا النهر أن يلقيه بالشاطئ،
فياخذ الصندوق عدو لله وعدو لموسى وهو فرعون،
وألقيت عليك يا موسى محبة كائنه مني في قلوب الناس،
فلا يراك أحد إلا أجحك، ولتربى برعايتي وحفظي .

٤٠- حين تمشي أختك على الشاطئ، تسابع الصندوق
بنظرها لتري موضع استقراره، فأخذك فرعون وزوجته،
فعرفت أنهما يطلبان لك مرضعة، فلم تقبل بشدي امرأة غير
أمك، فقالت لهما: هل أدلكم على مرضعة تكفل إرضاعه
وتربيته، فردناك إلى أمك كي تُسرَّ وتسعد بروجوع ولداها
إليها، ولا تحزن أبداً على فراقك . وكنت قتلت خطأ قطياً
بمصر حين استغاث بك الإسرائيلي، فأمنك من الخوف،
ونجيناك من غم القتل، وخلصناك من المحن والشدائد مرة
بعد أخرى قبل النبوة كالسفر ماشياً من مصر إلى مدين،
وترك الوطن والأصحاب في مصر، وفقد الزاد، ورعي
الغنم عند شعيب، فبقيت عشر سنين مع أهل مدين: وهي
على ثمانين مراحل من مصر، في جنوب فلسطين في

الجنوب الشرقي للطور عند خليج العقبة، ثم جئت إلى جبل الطور في وقت مقدر في قضائي وقدري الأزلي لأكلمك وأجعلك نبياً
يا موسى، والمراد: جئت على وفق الوقت الذي قدرته للرسالة، وكرر ﴿يا موسى﴾ للتبني على غاية القصة، وهي التكليم .

وَلَقَدْ مَسْنَا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مَا يُوحَى
﴿٣٨﴾ أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْدِفِيهِ فِي الْبَرِّ فَلْيَلْقِهِ إِلَيْكُمْ
بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوِّي وَعَدُوُّهُمْ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ حَجْرَةَ مَتْنِي
وَلِنَصِّعَ عَلَى عَيْنِي ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمَثَّلَ لَكَ فِرْعَوْنُ هَلْ أَدْرَأُكُمْ عَلَى
مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ
نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَمَّ بَلَغْتِ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ
ثُمَّ جِئْتِ عَلَى قَدَرٍ يَمْوَسَى ﴿٤٠﴾ وَأَصْطَفَيْنَاكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾
أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ ابْنَايَ وَلَا نَبِيَّ فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ أَذْهَبَا إِلَى
رُوعُونَ أَنَّهُ طَعْنِي ﴿٤٣﴾ فَقَوْلَا لَهُمْ قَوْلَا لَيْتِنَا لَعَلَّهُ بَيِّنَةٌ مِّنْ رَبِّي
﴿٤٤﴾ فَلَا تَرْتَابِنَا أَخَافُ أَنْ يُفْرَطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يُطْفِئَ ﴿٤٥﴾ قَالَ
لَاخُفَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمِعُ وَأَرَى ﴿٤٦﴾ فَأَتَيْنَاهُ فَعَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ
فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ
مِّنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مِمَّا نَسْتَعِثُّ بِهَا ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ
إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَكَّلَ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَنْ رَّبُّكَ
يَمْوَسَى ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿٥٠﴾

٤١- وجعلتك مختاراً لتحمل رسالتي وتبليغها للناس .

٤٢- اذهب أنت وأخوك هارون بمعجزاتي: وهي الآيات التسع كالجراد والظوفان والضفادع، ولا تفترا ولا تقصرا في ذكر الله
وتسبيحه وعبادته، وتبليغ الرسالة .

٤٣- اذهب يا موسى مع أخيك هارون إلى فرعون، إنه تجاوز الحد في الكفر والتعرد بادعائه الربوبية .

٤٤- فقولوا له قولاً لا خشونة فيه، بدعوته إلى الإيمان برفق لا عنف فيه، لعله يتعظ ويتأمل فيؤمن، أو يخاف عذاب الله،
فيكف عن طغيانه .

٤٥- قالوا: ربنا إننا نخاف أن يجعل علينا بالعقوبة والقتل، أو يجاوز الحد في الإساءة إلينا ويزداد تكبراً .

٤٦- قال الله تعالى لهما: لا تخافا إنني معكما بالنصر والعمون والحفظ، أسمع وأرى ما يجري بينكما وبين فرعون .

٤٧- فاذهبوا إليه فقولوا له: إننا أرسلنا من ربك إليك لتبليغك الرسالة والإقرار بتوحيد الله، فأطلق سراح بني إسرائيل من الأسر،
ولا تعذبهم بذبح أبنائهم وتسخير نساءهم للخدمة وتكليفهم بمشاق الأعمال، قد جئناك بأية من ربك تشهد لنا بالنبوة، وهي العصا
واليد، والسلامة من العذاب في الدارين لمن صدق بآيات الله تعالى .

٤٨- لقد أوحى الله إلينا أن الهلاك في الدنيا، والخلود في النار بسبب التكذيب بآيات الله ورسله، والإعراض عن الإيمان بها،
والإقرار بوحدانة الله تعالى . ويلاحظ أنه تعالى قدم البشارة بالسلام للترغيب، ثم صرح بالعقاب للتهديد .

٤٩- قال فرعون: فمن ربكم يا موسى؟ خاطب الاثنين ثم خص موسى لأنه الأصل، وهارون وزيره .

٥٠- قال موسى: ربنا الذي منح كل نوع من المخلوقات تركيبه وصورته التي اختارها له، ثم أرشده لأداء وظيفته .

قَالَ قَبَالَ الْأَقْرَبُونَ الْأُولَى ﴿٥١﴾ قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدِي فِي كِتَابٍ
لَا يُضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿٥٢﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَوَّلَكُمُ
لَهَا فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ
نَبَاتٍ سَبَّحْتَ ﴿٥٣﴾ كَلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي
الْأَلْبَابِ ﴿٥٤﴾ ﴿٥٥﴾ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً
أُخْرَى ﴿٥٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴿٥٧﴾ قَالَ أَجِئْنَا
بِكُمْ مِنْ أَرْضٍ سَوِيَّةٍ كَيْمُوسَى ﴿٥٨﴾ فَلَمَّا آتَيْنَاكَ بِيَمِينِنَا جَعَلْنَا
بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْجِدًا لَا تُخَاطَبُ مِنْهُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سَوِيًّا ﴿٥٩﴾ قَالَ
مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْتِينِ وَأَنْ يُخَشِرَ النَّاسُ سِحْرِي ﴿٦٠﴾ فَنَوَى فِرْعَوْنُ
جَمْعَ كَيْدِهِ ثُمَّ أُنبِيَ ﴿٦١﴾ قَالَ لَهْوَ مُوسَى وَلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَيَّ اللَّهُ
كَذِبًا أَفْسَحُكُمْ عُذَابًا وَقَدْ كَذَّبَ مِنْ أَقْرَبِي ﴿٦٢﴾ فَذَكَرْنَا
أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرَأُوا السُّعُورِي ﴿٦٣﴾ فَاتَّوَّأْنَا هَٰذَانِ السُّعُورَانِ يَرِيدَانِ
أَنْ يُخْرِجَاكَ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِنَا وَنَذَّبْنَاهَا لِيُظْفِرْ بِقَيْمِكُمُ الْمَثَلِ ﴿٦٤﴾
فَأَجْبِصُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتَوْنَا صَفَاً وَقَدْ أَقْبَلَ الْيَوْمَ مِنْ أَسْفَعَلِ ﴿٦٥﴾
قَالُوا لِمُوسَى إِنَّمَا أَنْزَلْنَاهُ وَإِنَّمَا أَنْزَلْنَا أَنْ نَكُونَ أَوْلَىٰ مِنَ الْقُلُوبِ ﴿٦٦﴾

٥١- قال فرعون: فما حال الأمم الماضية التي لم تقر الله بالوحداية، وهو الرب الذي تدعو إليه يا موسى؟ بل عبت الأوثان ونحوها.

٥٢- قال موسى: علم أحوال الأمم الماضية وأعمالهم محفوظة عند ربي، في اللوح المحفوظ، لا يخطئ ربي في علم شيء، ولا ينسى ما علمه منها، والمراد بذلك إثبات كمال علم الله تعالى.

٥٣- الذي خلق لكم الأرض مهيأة كالفرش، للعيش عليها يسر، وسهل لكم فيها طرقاً تسلكونها من أرض إلى أرض لتبلغوا منافعها، وأنزل من السماء (السحاب) مطراً، فأنتبت به أصنافاً من النباتات المختلفة الألوان والطعوم والروائح.

٥٤- كَلُوا مِنْ تِلْكَ النَّبَاتَاتِ، وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ فِيهَا، إن في ذلك المذکور هنا دلالات على وحدانية الله وقدرته.

٥٥- مِنَ الْأَرْضِ خَلَقْنَاكُمْ فِي الْأَصْلِ، فإِن التراب أصل خلقة آدم، وفي الأرض نعيدكم بعد الموت بالدفن فيها، ومن الأرض نبعثكم مرة أخرى للحساب والجزاء.

٥٦- ولقد بصّرنا فرعون كل الآيات التسع الدالة على نبوة موسى، فكذب فرعون بها، وأبى الإيمان وطاعة الله لعته وعناده.

٥٧- قال فرعون: أجتنا يا موسى بقلب العصا حية واليد البيضاء، وهو نوع من السحر، لتغلب على أرضنا مصر وتخرجنا منها، ويصبح الملك لك فيها.

٥٨- فلنأتينك بمثل السحر الذي جئت به، لمعارضتك، فاجعل بيننا وبينك يوماً ومكاناً معلومين، وهو زمان الاجتماع، لا تخلف ذلك الوعد نحن ولا أنت، في مكان وسط بين الفريقين، أو في مكان مستور، يشاهده جميع الحاضرين.

٥٩- قال موسى: موعدهم يوم العيد المشهور الذي تتزينون فيه، وحده موسى لفراغ الناس واجتماعهم فيه جميعاً، وأن يجمع الناس في الضحى، أي بعد شروق الشمس وارتفاعها عالياً، لتكون الرؤية واضحة، فلا يشكوا في المعجزة.

٦٠- فانصرف فرعون عن المجلس، فجمع ما يكيد به من السحرة وأدواتهم، ثم أتى الموعد بهم.

٦١- قال موسى للسحرة: هلاك لكم، أي أهلككم الله، لا تتخلفوا كذباً على الله، بادعائكم أن المعجزات على يد الرسول سحر، فيستأصلكم بعداب، وقد خسروا هلك من اختلق أي كذب على الله تعالى.

٦٢- فتشاور السحرة وتناظروا فيما بينهم واختلفوا في أمر موسى حين سمعوا كلامه، وتناجوا فيما بينهم سراً في خفاء تام فيما يعملون مع موسى.

٦٣- قالوا لأنفسهم: ما هذان إلا ساحران أي موسى وهارون، يريدان أن يخرجكما من أرض مصر بسحرهما، أو يذهبا بمذهبكم الأفضل في السحر؛ لأن السحرة كانوا معظمين.

٦٤- أحكموا تدبيركم الخفي واعزموا عزمًا مؤكداً على خطة واحدة، ثم تقدموا صفاً واحداً لتبهروا الأبصار، وقد فاز اليوم من غلب. وهذا قول السحرة مع بعضهم.

٦٥- قال السحرة عند بدء المباراة: يا موسى، أنت بالخيار بين أن تلقي أولاً على الأرض عصاك، أو بين أن تلقي نحن أولاً عصيتنا، وفي ذلك أدب عال.



قَالَ بَلْ أَلْقَاهُ فِي جَبَابٍ لَعْنَةُ عَصِيهِمْ يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ إِنَّهَا
تَسْمَى ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى ﴿٦٧﴾ فَلَمَّا لَاتَخَفَ
إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿٦٨﴾ وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا
صَنَعُوا كَيْدَ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿٦٩﴾ فَأَلْقَى السِّحْرَ
فَجَاءَ الْقَوْمَ مِنْ تَلْفِيزِ هَارُونَ وَمُوسَى ﴿٧٠﴾ قَالَ أَمْثَلُ لَهُ قَبْلَ
أَنْ أَدْنَى لَكُمْ أَنَّهُ لَكِبْرٌ كَبِيرٌ الَّذِي عَلَّمَكُمْ السِّحْرَ فَلَا تَقِطْعُنْ أَيْدِيكُمْ
وَأَنْتُمْ كُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صَلْبَيْكُمْ فِي جَذُوعِ النَّخْلِ وَلْتَعْلَمُنَّ
إِنَّمَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴿٧١﴾ فَأَلْوَانٌ تُؤْتِرُكَ عَلَى مَا جَاءَكَ نَسَا
مِنْ الْبَيْتِ وَالَّذِي قَطَعْنَا فَاقِصٌّ مَا أَنْتَ فَاقِصٌّ إِنَّمَا نَقَضَى
هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّمَا آمَنَ بِرَبِّنَا لِيُغْفِرَ لَنَا خَطِيئَاتِنَا
وَمَا أَكْرَهْنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ أَبْقَى ﴿٧٣﴾
إِنَّهُ مِنْ بَابٍ رَبِّهِ جُجْرٌ فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى
﴿٧٤﴾ وَمَنْ يَكُ مِنْكُمْ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ
فَأُولَئِكَ لَهُمْ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٧٥﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٧٦﴾

٦٦- قال لهم موسى مقابلاً للأدب بمثله ولتكون معجزته أظهر: بل ألقوا ما معكم من أدوات السحر، فخيل إليه وتوهم أن حبالهم وعصيهم تتحرك بسرعة كالأفاعي.

٦٧- فأحس موسى بالخوف من أن يغلب، وأن يلتبس أمره على الناس، فلا يؤمنوا به؛ لأن سحرهم من جنس معجزته.

٦٨- قلنا لموسى حينئذ: لا تخف، إنك أنت الغالب لهم

٦٩- وألق العصا التي في يمينك، تبطل بقوة وسرعة جميع ما صنعوه من الحبال والعصي، فإنما الذي صنعوه مجرد حيلة مدبرة، وكيد سحري لا حقيقة له، ولا يفلح الساحر أينما كان وأينما أقبل.

٧٠- فعلم السحرة أن فعل موسى ليس بسحر، بل هو من الله، فخرروا ساجدين خاضعين لله، ثم قالوا: أمنا برب هارون وموسى، والمراد: أن معرفتهم الحق، أخضعتهم له بقوة، فسجدوا لله، وآمنوا بموسى.

٧١- قال فرعون للسحرة: كيف أمتتم لموسى واتبعتموه على دينه، قبل أن أسمح لكم، إن موسى معلمكم الكبير الذي علمكم السحر، وقد

تواطمتم على ما فعلتم، مريداً بذلك إدخال الشبهة على الناس حتى لا يؤمنوا، لأقطعن أيديكم وأرجلكم من جهتين مختلفتين، يد يميني ورجل يسرى مثلاً، ولأصلبكم على جذوع النخل، وقد اختارها لخشوتها وأذاها، ولتعلمن هل أنا أشد وأدوم عذاباً أم رب موسى؟

٧٢- قال السحرة لفرعون: لن نختارك على ما جاءنا به موسى من المعجزات الواضحات الدالة على صدقه، ولن نختارك على الله الذي خلقنا، فاصنع ما أنت صانع، بما تهددنا به، إنما سلطانك وقضاؤك محصور في هذه الحياة الدنيا.

٧٣- إنا صدقنا برينا الخالق ليغفر لنا ذنوبنا السابقة من الكفر وغيره، ويغفر ما أكرهتنا عليه من عمل السحر. وهذا يدل على أنهم يعلمون أن السحر تضليل وخداع. والله خير منك ثواباً إذا أطيع، وأدوم منك عذاباً إذا عصي.

٧٤- إنه من يلق ربه ميتاً على الكفر والعصيان، فله جهنم لا يموت فيها فيستريح، ولا يحيى حياة سعيدة فتنفعه.

٧٥- ومن يلق الله ميتاً على الإيمان لا يشرك بالله أحداً، قد عمل ما أمر الله به، من الفرائض والنوافل، فأولئك لهم المنازل العالية عند الله تعالى.

٧٦- تلك المنازل في جنات إقامة دائمة، تجري الأنهار من تحت غرفها، ماكثين فيها على الدوام، وذلك جزاء من تطهر من الذنوب والكفر.

٧٧- ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعادي بني إسرائيل من مصر ليلاً، فاجعل لهم بعصاك التي تضربها في البحر طريقاً ييساً، وهو بحر السويس، آمناً من متابعة أحد، لا تخاف إدراكاً ولخوقاً من العدو فرعون، ولا تخاف غرقاً في البحر أو من فرعون.

٧٨- فأتبعهم فرعون بنفسه مع جنوده، فغمرهم وعلاهم من ماء البحر ما غمرهم، وتكرر غشيمهم أي غطاهم للمبالغة والتهويل. أي أطبق عليهم الماء، وغرقوا جميعاً.

٧٩- وأضل فرعون قومه عن الرشده في الدين، وما هداهم إلى خير، بدعوتهم إلى تاليه وعبادته.

٨٠- وناسب ذلك تعداد النعم على الإسرائيليين، يا بني إسرائيل، قد أنجيناكم من عدوكم: فرعون وقومه بإغراقهم، ووجدنا رسولكم موسى لتلقي التوراة، جانب جبل الطور في سيناء في الناحية اليمنى على يمين موسى وهو قادم إلى مصر من مدين، ونزلنا عليكم في الشبه المن: وهو نوع من الحلوى تتجمع على أوراق الشجر، والسلوى: وهو طائر طيب اللحم هو السماني.

٨١- كلوا أيها الإسرائيليون من مستلذات الأطعمة الحلال التي أنعمنا بها عليكم، ولا تتجاوزوا المباح إلى

ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعادي فأضرب لهم طريقاً في البحر يساً لا تخف دركاً ولا تخشى فأتبعهم فرعون مجنوداً فغشيمهم من ألم ما غشيمهم وأضل فرعون قومه وما هدى يئس أسرياً قد أنجيناكم من عدوكم ووعدكم جانب الطور الأيمن ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيل عليكم غضبي ومن جعل عليه غضبي فقد هوى وإن لفنار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى وما أملاك عن قومك يمشي قال هم أولاء على أنرى وعجلت إليك رب لرخصي قال فإننا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري فوج موسى إلى قومه غضبنا أسفاً قال يقوم أرتعدكم ربكم وعداً حسناً أظال عليكم العهد أم أردتم أن نجعل عليكم غضب من ربكم فأخلفتموعدى قالوا ما أخلقنا موعدك بمكنا وكنا حملاً أوزاراً من ربة القوم فقد فتها فذلك ألقى السامري

الحرام بالبطر والسرف ومنع الحق، وكفر النعمة وترك شكرها، فينزل عليكم غضبي وعقوبي، ومن ينزل عليه غضبي فقد سقط وهلك في الهاوية وهي قعر النار.

٨٢- وإنني لكثير المغفرة وستر الذنوب لمن تاب من الشرك، وآمن بالله وحده وبما يجب الإيمان به من الملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر، وعمل العمل الصالح الذي أمر به الشرع، ثم استقام على ذلك حتى مات.

٨٣- ثم أخبر سبحانه عما حدث أثناء الميقات، مبتدئاً بعتاب موسى: وما الذي دفعك إلى العجلة في السير، حتى تركت قومك وسبقتهم، يا موسى؟

٨٤- قال موسى: هم لاحقون بي عن قريب، وعجلت إليك ربي لترداد رضاً عني بذلك.

٨٥- قال الله تعالى: فإننا قد اخترنا قومك بعبادة العجل بعد فراقك، وأضلهم موسى السامري الذي كان منافقاً بصناعة العجل والدعوة إلى عبادته.

٨٦- فعاد موسى إلى قومه غضبان شديد الأسف والحزن على ما صنع قومه، قال: يا قوم، ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً بإعطاء التوراة التي فيها هدى ونور، هل طال عليكم زمان المفارقة وهو شهر وأيام، فنسيتم الوعد بالثبات على الإيمان، أم أردتم أن ينزل عليكم عقاب ونقمة من ربكم؟ فأخلفتم وعدي الذي واعدتوني بالثبات على الإيمان وطاعة الله تعالى إلى أن أرجع من الطور.

٨٧- قالوا له: ما أخلقنا وعدك باختيارنا، وإنما اضطراراً، فإننا حملاً تماماً من حلي قوم فرعون بمصر، حين أخذتها نساؤنا منهم إعارة، لما أردنا الخروج من مصر، لاستعمالها كذباً بمناسبة عيد أو وليمة، فطرحناها في النار بأمر السامري للخلاص من إثمها، وكما ألقينا الحلي، ألقى السامري ما معه من الحلي في النار، ثم ألقى عليه قبضة من أثر الرسول جبريل.



٨٨- فصاغ من تلك الحلي المذابة عجلاً مجرد جثة لا روح فيها، له خوار: صوت كصوت البقر، فقال السامري وموافقوه: هذا إلهكم وإله موسى، فنسي موسى ربه هنا، وذهب يطلبه عند الطور. وصناعة العجل: هو ما تعلمه بنو إسرائيل من المصريين.

٨٩- أفلا يتأملون في أن هذا العجل لا يرد عليهم جواباً إذا سألوه، ولا يقدر على أن يدفع عنهم ضراً أو يجلب لهم نفعاً، فكيف يكون إلهاً؟!

٩٠- ولقد قال لهم هارون قبل عودة موسى من الطور: إنما ابتليتكم واختيرتم في إيمانكم بهذا العجل، فإياكم أن تعبدوه، وإن الله الرحمن ربكم فاتبعوني في عبادته والشبات على الحق، ولا تتبعوا السامري، وأطيعوا أمري في تلك العبادة، لا أمره.

٩١- قالوا الهارون: سنستمر أو لن نزال مقيمين على عبادة العجل، حتى يرجع إلينا موسى، فينظر هل يقرنا على عبادة أم ينهانا عنها؟ فاعتزلهم هارون.

٩٢، ٩٣- قال موسى بعد رجوعه: يا هارون ما منعك من مقاومة الباطل والكفر بالله، وألا تبغني في الصلابة في الحق والغضب لله، حين رأيتمهم ضلوا بعبادة العجل، أفصيت أمري فيما عهدت إليك من

فَأُخْرِجْ لَهُمْ عِجْلاً جَدِيداً لَهُ خَوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى
فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّ الْأَبْرَاجَ الْيَوْمَ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ
ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقَوْمُ إِنَّمَا
فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي
﴿٩٠﴾ قَالَ الْوَالِدُ رَبِّحْ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَمِيدٍ خَيَّرَ بَيْنَ رَبِّحِ الْإِسْمِ مُوسَى
﴿٩١﴾ قَالَ يَهْرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ
أَفْصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْتُؤُونَ لَأَنَّا أَخْذِلِّيَنِّي وَلَا يُرَاسِي
إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ
قَوْلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا خَطْبُكَ يَا سَمِيرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ
بِمَا لَمْ يُبْصَرُ وَإِنِّي وَقَّضْتُ فَبَضْتُ فَبَضَّ بَرَأ تُرَابًا الرَّسُولُ
فَسَدَّهَا وَكَذَلِكَ سَوَّاتُ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَاذْهَبْ
فَإِنَّكَ فِي الْخَيْرِ وَأَنْ تَقُولَ لَأَسْأَسَّ وَإِنَّكَ لَمَوْعِدًا
لَنْ نَخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا
نَنُوقَهُ ثُمَّ لِنَنْسِفْهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ
اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

إقامة الدين، والدفاع عنه، ثم أتمت بين قوم لا يعبدون الله تعالى؟

٩٤- قال هارون: يا أخي ابن أمي- وخص الأم استعطافاً لقلبه- لا تأخذ بشعر لحيتي ولا بشعر رأسي عقاباً وغضباً علي، فإني لم أعص أمرك، وعذري أنني خفت لو اتبعتك في صلابتك ومقاومتهم أن تقول لي: فرقت جماعتهم وجعلتهم فريقين بين مؤيد ومعارض، ولم تعمل بوصيتي لك فيهم بالبقاء معهم وحفظهم، كما في قوله تعالى: ﴿اخلفني في قومي وأصلح﴾ [الأعراف ٧/١٤٢].

٩٥- ثم قال موسى منكراً: ما الذي حملك على هذا الأمر الخطير؟

٩٦- قال السامري: علمت ما لم يعلموه، فأخذت قبضة من التراب من أثر فرس جبريل، حين جاء لإهلاك فرعون، فطرحتها في الحلي المذابة المسبوكة على صورة العجل، ومثل ذلك زيتٌ وحسنتٌ لي نفسي. وهذا تفسير يحتاج لإثبات وتأمل. وقال أبو مسلم الأصفهاني: علمت من صنع التماثيل ما لم يعلموه، فاستعنت ببعض تعاليم الرسول، أي أنت يا موسى، واستخدمتها في هذا العمل الذي زيتته نفسي في أن يكون هذا العجل إله بني إسرائيل.

٩٧- قال موسى له: فاذهب من بيننا، فإن لك طوال حياتك أن تقول لمن رأته عقوبة على فعلك: لا تقربني ولا تخالطني، والمراد أن يعيش طريداً وحيداً مكروهاً منبوذاً، وإن لك موعداً في الآخرة لحسابك وعذابك، ليس فيه خُلفٌ وسيأتي به الله حتماً، وانظر إلى إلهك العجل الذي واطبت على عبادته لنحرقته بالنار، ثم لنذرينه في البحر بشدة، حتى لا يبقى منه أثر.

٩٨- ثم قال موسى لقومه: إنما إلهكم المستحق للعبادة هو الله الذي لا إله معبود بحق إلا هو، أحاط علمه بكل

كذالك نُنصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ
 مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا
 ﴿١٠٠﴾ خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ
 فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْجَحِيمَ يَوْمَ يُؤْمَدُ نَزْرًا ﴿١٠٢﴾ يَسْتَحْفُونَ
 بَيْنَهُمْ أَنْ لِيْتَنُوا الْأَعْرَابَ ﴿١٠٣﴾ مَنْ أَعْلَمَ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ
 أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لِيْتَمُ الْإِيَّامَا ﴿١٠٤﴾ وَسَيَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ
 فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَأَذْرِي
 فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَ يُؤْمَدُ يَنْسِفُونَ الدَّاعِيَ لِأَعْوَجَ لَهُ
 وَخَسَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾
 يَوْمَ يُؤْمَدُ لَأَنْتَفِعَ الشُّفْعَةُ إِلَّا مَنْ أَدْنَى لَهُ أَرْحَمُ الرَّحْمَنِ ﴿١٠٩﴾ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا
 ﴿١١٠﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْهَا
 إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ
 الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ وَنَحْشُرُ الْجَحِيمَ يَوْمَ يُؤْمَدُ نَزْرًا ﴿١١٢﴾ يَوْمَ يُؤْمَدُ
 نَزْرًا ﴿١١٣﴾ يَوْمَ يُؤْمَدُ نَزْرًا ﴿١١٤﴾ يَوْمَ يُؤْمَدُ نَزْرًا ﴿١١٥﴾

٩٩- مثلما قصصنا عليك أيها النبي قصة موسى
 والسامري هذه، نقص عليك من أخبار الأمم الماضية
 تسرية عنك، وإثباتاً لصدقتك، وقد أنزلنا عليك من
 عندنا قرآناً مبيناً.

١٠٠- من أعرض عن هذا القرآن، فلم يؤمن به،
 فإنه يحمل يوم القيامة عقوبة الذنب. والوزر في
 الأصل: الحمل الثقيل، ويطلق على الذنب، والمراد
 به هنا العقاب.

١٠١- خالدين في الجزاء بالنار، وبس الحمل لهم
 يوم القيامة.

١٠٢- يوم ينفخ إسرافيل في الصور (القرن)
 النفخة الثانية وهي نفخة البعث للحشر والحساب،
 ونحشر الكافرين والمشركين يوم القيامة، زُرُق الأبدان
 والعيون من شدة الهول، والغيط والندامة.

١٠٣- يتهايمون ويتساررون بينهم لشدة الرعب
 والهول قائلين: ما لبثتم في الدنيا إلا عشر ليال.
 يستقصرون مدة لبثهم فيها لزوَالها السريع.

١٠٤- الله أعلم بأقوالهم في مدة لبثهم، حين يقول
 أعدلهم رأياً وأصحهم قولاً: ما لبثتم إلا يوماً واحداً.

١٠٥- ويسألك الناس من المشركين وغيرهم عن
 حال الجبال يوم القيامة، فقل لهم: يقلعها ربي من
 أصولها قلعاً، ويفجرها تفجيراً حتى تتفتت ذراتها وتصبح كالرمل السائل، ثم يطيرها كالريح والغبار في يوم
 عاصف. قالت قريش: يا محمد، كيف يفعل ربك بهذه الجبال يوم القيامة؟ فنزلت هذه الآية.

١٠٦، ١٠٧- فيتركها مع الأرض مستوية ملساء، لا نبات فيها ولا بناء، لا ترى فيها انخفاضاً ولا ارتفاعاً.

١٠٨- يوم القيامة وبعد نسف الجبال والقيام من القبور يتبع الناس داعي الله إلى المحشر، لا انحراف لهم عنه،
 بل يسرعون إليه، وسكنت وذلت أصوات الخلاق رهبة وهيبة وخشوعاً لله، فلا تسمع أحداً يتكلم إلا بصوت
 خفي.

١٠٩- يوم القيامة لا تنفع الشفاعة من أحد إلا شفاعته من أذن له الرحمن أن يشفع، ورضي قوله في الشفاعة.

١١٠- يعلم الله سبحانه كل ما قدمه العالم وما أخروه من أمور الدنيا والآخرة، ولا يحيط علمهم بمعلوماته، ولا
 بذاته وصفاته.

١١١- وخضعت وذلت وجوه المخلوقات للحمي القائم بتدبير عباده ومجازاتهم، والقائم بشؤون ملكه، وقد
 خس من حمل شيئاً من الظلم كالشرك وغيره.

١١٢- ومن يعمل الأعمال الصالحة المأمور بها شرعاً، وهو مؤمن بالله وحده، فلا يخاف يوم القيامة ظلماً بأن
 يعاقب من غير ذنب، ولا يخاف نقصاً من حسناته.

١١٣- ومثل إنزال ما ذكر من القصص أنزلنا هذا القرآن بلغة العرب ليفهموه، ونوعنا فيه ألوان الوعيد تخويفاً
 وتهديداً، كي يخافوا الله، فيجتنبوا الشرك والمعاصي، ويحذروا العقاب، أو يحدث لهم القرآن عظة وعبرة حين
 يسمعون آياته.



١١٤- فتعاطم الله الملك الحق في ذاته وصفاته
عن ماثلة المخلوقين، وعمما يقوله المشركون، ولا
تستعجل أيها النبي في ترداد القرآن حالة إنزاله،
حتى يتم وحيه وحتى يفرغ جبريل من إبلاغه لك،
وقل: يا رب زدني علماً إلى علومي، بدل
الاستعجال. قال السدي: كان النبي ﷺ إذا
نزل عليه جبريل بالقرآن، أتعب نفسه في
حفظه، حتى يشق على نفسه، فيخاف أن
يصعد جبريل، ولم يحفظه، فنزلت الآية.

١١٥- ولقد أمرنا آدم ووصيناه بعدم الأكل من
الشجرة، فسي العهد وترك الامتنال، ولم نجد له
صبراً على الاستمرار في ترك المنهي عنه، ولا
تصميماً على الذنب، وإنما فتر عزمه وأدركه ضعف
البشر، فأخطأ ولم يتعمد.

١١٦- واذكر أيها النبي حين قلنا للملائكة:
اسجدوا لآدم سجود تحية، لا سجود عبادة،
فسجدوا جميعاً إلا إبليس رفض أن يسجد حسداً
وتكبراً.

١١٧- فقلنا: يا آدم، إن إبليس هذا عدو لك
ولزوجك حواء، فلا يكون سبباً لإخراجكما من
الجنة بوسوسته، فتنعب بمتاعب الدنيا الكثيرة.

فَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكِ الْحَقُّ وَلَا تَجْعَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ
أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ
عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ نَسْفِ وَوَعَدْنَا لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا
لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا
يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا تَخْرُجْ جَمْعًا مِنَ الْجَنَّةِ
فَتَسْقَى ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ الْأَجْمَعُ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ
لَا تَطْمَؤُنْ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ﴿١١٩﴾ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ
يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةٍ الْخَالِدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا
مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سُوءُ أَسْمَاءُ وَطَفِقَا يَخْصِمَانِ عَلَيْهِمَا
مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٢١﴾ ثُمَّ آجَبَهُ رَبُّهُ
فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿١٢٢﴾ قَالَ أَهْبَطْنَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ
لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِنَّمَا يَأْتِيكُمْ رَبِّي هُدًى مِمَّنْ اتَّبَعَ هُدَايَ
فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَسْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنِّي فَسَقَى فَإِنَّ
لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾
قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾

١١٨- إن لك في الجنة أن تتمتع بأنواع المعاش، فلا تجوع فيها، ولا تعرى من الثياب.

١١٩- وألا تعطش فيها ولا تصيبك الشمس اللاهبة الحر.

١٢٠- فحذنه الشيطان خفية في نفسه، قال له: يا آدم، هل أدلك على شجرة الخلود، من أكل منها لم
يمت أصلاً، وأدلك على ملك لا يزول ولا يفنى. وكان ذلك كذباً من إبليس.

١٢١- فأكل آدم وحواء من تلك الشجرة التي نهيها عنها، فظهرت لهما عوراتهما، وشرعا يلصقان على
عوراتهما من ورق شجر الجنة ليستترا به، وعصى آدم ربه بالأكل من الشجرة، فضل عن الرشد وأخطأ وجه
الصواب، حيث اغتر بقول عدوه.

١٢٢- ثم اصطفاه ربه وقرّبه إليه، بعد أن تاب واستغفر، فقبل توبته، ووقفه للثبات على الطاعة والأخذ
بأسباب العصمة في الدنيا، وكان ما سبق منه في الجنة درساً بليغاً وعظة.

١٢٣- قال الله لآدم وحواء: اهبطا من الجنة جميعاً إلى الأرض، بعضكم أيها البشر عدو لبعض، بالتنافس
في أمر المعاش، فإن يأتيكم مني هداية بكتاب ورسول، فمن اتبع هداي بالعمل بأوامري، فلا يضل في الدنيا،
ولا يشقى في الآخرة.

١٢٤- ومن أعرض عن كل ما يذكر بالله من قرآن وغيره، فله في الدنيا معيشة شاقة ضيقة، شديدة القلق،
أما المؤمن فهو مستريح النفس، ونحشره يوم القيامة أعمى البصر، متحيراً تائهاً.

١٢٥- قال: ربي لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى؟ وقد كنت بصيراً في الدنيا وعند البعث من القبر.

قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ إِنْ لَمْ تُخَفِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْأَنْعَامِ ذُرِّيَّتُكَ الَّذِينَ لَمْ يُخَفُوا وَفِي آيَاتِنَا لَعْنَةُ الْكَاذِبِينَ ﴿١٢٦﴾
 وَكَذَلِكَ نُخَذِّقُ الصُّلُوفَ الْمَنْعُومَةَ وَنُحَدِّثُ الْوَسْوَاسِ الْخَفِيَّةَ وَلَمَّا نَسُوا مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٢٧﴾
 أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴿١٢٨﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَلِمَةً وَسِيْرًا لَوْلَا أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ بِالْعُرْبِ وَأَعْرَبْنَاهُمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٢٩﴾
 كَلِمَةً سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى ﴿١٣٠﴾ فَاصْبِرْ
 عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ
 غُرُوبِهَا وَمِنْ أَنَا فِي الْأَسْبَاطِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴿١٣١﴾
 وَلَا تَدْنُ مِنْ عِبَادَتِكَ إِلَّا مَا مَعْنَاهُ بِإِذْنِ رَبِّكَ إِنَّهُمْ زَكَاةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
 لِيُنْفِخَهُمْ فِيهِ وَرِزْقٌ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٣٢﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ
 بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْتَكْبِرْ رِزْقًا نَحْنُ نَزَّلْنَاكَ
 وَالْعِيقَابُ لِلشَّقَوِيِّ ﴿١٣٣﴾ وَقَالُوا لَوْلَا آيَاتُنَا يَا رَبِّهِمْ لَأَكْبَرُوا
 لَكَ إِنَّهُمْ بِآيَاتِنَا أَكْفَرُ الْأُولَى ﴿١٣٤﴾ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ
 بِعَذَابٍ مِمَّن قَبْلِهِمْ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا قَدْ جَاءَ
 بِآيَاتِنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذَلَ وَنُخْزِي ﴿١٣٥﴾ قُلْ كُلٌّ مُرْتَضٍ فَرَقِصُوا
 فَسْتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى ﴿١٣٦﴾

١٢٦- قال الله: مثل ذلك فعلت أنت، وهو أنك أنتك آياتنا واضحة، فأعرضت عنها، وتركتها، ولم تؤمن بها، وكذلك اليوم ترك في العذاب.

١٢٧- ومثل جزائنا من أعرض عن ذكر القرآن، نجزي ونعاقب كل من انهمك في الشهوات، ونجاوز الحد في الكفر والمعاصي، ولم يصدق بآيات ربه، بل كذب بها، ولعذاب الآخرة أشد قسوة وليلاماً من عذاب الدنيا، وأدوم.

١٢٨- أفلم يتبين في القرآن لكفار مكة وأمثالهم أنه كثيراً ما أهلكنا قبلهم من الأمم الماضية، وهم يسرون في ديارهم، لتكذيب الرسل، إن في ذلك لعبراً لذوي العقول.

١٢٩- ولولا وعد سابق من الله بتأخير عذاب الإفناء عن هذه الأمة، وتأجيل العذاب إلى الآخرة، لكان الإهلاك وعقاب ذنوبهم لازماً لهم في الدنيا، لا يتأخر عنهم، ولولا الوقت المحدد أو المقدر لأعمارهم أو لعذابهم وهو يوم القيامة، لكان العقاب العاجل.

١٣٠- فاصبر أيها النبي على ما يقول المشركون من أنك ساحر كذاب ونحو ذلك، وداوم على التسبيح مع التحميد والصلاة في كل الأوقات قبل طلوع الشمس، أي في صلاة الفجر، وقبل غروبها، أي في صلاة العصر، ومن أجزاء الليل صل المغرب

والعشاء، وصل في وسط النهار- بين طرفي أو نصفي النهار- عند زوال الشمس إلى جهة الغرب وهي صلاة الظهر، لتنال ما عند الله ما به ترضى نفسك.

١٣١- ولا تطل نظر عينيك تئبياً ورغبة إلى ما في أيدي الآخرين من متع الحياة الدنيا مما هو من زيتها وبهجتها كالمال والمباني والأثاث والمراكب، لتختبرهم فيه، واجعل همك فيما عند الله، فما ادخره الله لك ووعدك به في الآخرة خير مما منحهم في الدنيا، وأدوم لا يتقطع.

١٣٢- وأمر أهل بيتك بالصلاة، واصبر وداوم على الصلاة، لا تكلفك أن ترزق نفسك وأهلك، نحن نرزقك ونعطيك، والعاقبة المحمودة في الآخرة وهي الجنة لأهل التقوى.

١٣٣- وقال المشركون: هلا يأتينا بآية معجزة حسية من ربه دالة على صدقه في رسالته، كآيات الأنبياء السابقين، مثل ناقة صالح، وعصا موسى، وإبراء عيسى الأكمه والأبرص، فرد الله عليهم بقوله: أولم تصلهم أخبار الصحف الأولى كصحف إبراهيم وموسى والتوراة والإنجيل الذي فيها التصريح بنبوته، وبيان أحوال الأمم التي أهلكت بتكذيب الرسل، وهم معترفون بصحتها؟!

١٣٤- ولو أننا أهلكنا هؤلاء المشركين بعذاب من قبل بعثة محمد ﷺ فيهم، لقالوا يوم القيامة: ربنا هلا أرسلت إلينا رسولاً في الدنيا، فتتبع آياتك المرسل بها من أوامر ونواهٍ، من قبل أن نذل بعذاب الدنيا، بالقتل والأسر، ونفتضح بدخول النار في الآخرة.

١٣٥- قل لهم أيها النبي: كل واحد منا ومنكم منتظر ما يوول إليه الأمر في الدنيا، فانتظروا، فستعلمون من هم أصحاب الطريق القويم باتباع الإسلام، ومن اهتدى من الضلالة.

سورة الأنبياء



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 اقْرَبِ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَا أَيُّهُمْ
 مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ يُخَذِّتِ إِلَّا أَسْمَعُوهُ وَهُمْ يُلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً
 قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِّثْلُكُمْ
 أَفَأَنْتُمْ السَّيِّئُونَ وَاللَّهُ يَبْصُرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ
 فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ كَانُوا
 أَضْغَثَ أَحْلَمٍ بَلْ أَقْرَبَهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا
 أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ ﴿٥﴾ مَا آتَتْ قَبْلَهُمْ مِّن قُرْبَةٍ أَهْلَكْنَاهُمْ أَنهَمْ
 يَوْمُونَ ﴿٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ
 فَشَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لِاتَّعَلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ
 جَسَدًا لِأَبَّا كَلُونَ الطَّعَامِ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقَهُمْ
 الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾
 لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

فضلها: روى البخاري عن ابن مسعود قال: «بنو إسرائيل، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء: هن من العتاق الأول، وهن من تِلادي» أي من قديم ما حفظ من القرآن.

١- قَرُبَ للناس زمان حسابهم وهو وقت يوم القيامة، وهم مشغولون بالدنيا، غافلون عن الآخرة، معرضون عن التأهب للحساب فيها، والغفلة في الأصل: عدم تذكر الشيء، والمراد هنا: الترك إهمالاً وإعراضاً.

٢- ما يأتي الكفار من قرآن جديد إنزاله إلا استمعوا تلاوته، وهم يستهزئون ويعبثون.

٣- ساهية متشاعلة قلوبهم عن التأمل في القرآن وتفهم معناه، وأخفى المشركون الظالمون إخفاء شديداً ما تناجوا به فيما بينهم سرا، قائلين: هل هذا- أي محمد- أي ما هذا إلا بشر مثل الناس، لا منزلة له عنكم، يأكل ويشرب، فكيف يكون نبياً؟! أتتبعون السحر وهو القرآن وأنتم تشاهدون وتعلمون أنه سحر؟

٤- قال النبي ﷺ فيما حكاه القرآن عنه: ربي يعلم القول في أي مكان قيل فيه، في السماء والأرض، وهو شديد السمع لكل مسموع، واسع العلم بكل معلوم.

٥- بل قال بعضهم: إن ما أتى به القرآن أباطيل وأكاذيب، وتخاليط أحلام رآها في النوم، والأضغاث: ما لم يكن له تأويل، وقال آخرون: بل اختلق القرآن من عند نفسه، وليس من عند الله، وقال جماعة: بل إن القرآن هو شعر شاعر عذب الكلام، قوي البيان، أي فهو كلام مزخرف باطل، فإن كان صادقاً فليأتنا بمعجزة حسية كما أرسل الرسل السابقون بها، كعصا موسى، وناقاة صالح، ومعجزات عيسى مثل إبراء الأكمة والأبرص وإحياء الموتى.

٦- ما آمن قبيل مشركي مكة أهل قرية أهلكتها بتكذيب ما أتاهم من الآيات التي اقترحوها، أنهم يؤمنون لو جئتهم بها؟ والمراد: لم تؤمن أمة أهلكت عند تلبية ما اقترحوا، فكيف يؤمن هؤلاء لو أعطوا ما اقترحوا؟ نزلت حينما طلب أهل مكة من النبي ﷺ أن يحول لهم الصفا ذهباً.

٧- رد الله عليهم بقوله: ما أرسلنا قبلك أيها النبي إلا رسلاً رجالاً نوحى إليهم بأياتنا، فإن جهلتم ذلك، فاسألوا أهل العلم بالكتب السماوية السابقة، إن كنتم لا تعلمون أن جميع الأنبياء والرسل كانوا من البشر.

٨- وما جعلناهم مجرد جسد مغاير لطباع البشر، يعيشون كالملائكة بلا طعام ولا شراب، ولم يكونوا مخلدّين في الدنيا، بل يموتون كغيرهم من البشر.

٩- ثم أنجزنا لهم الوعد وصدقناهم في الوعد، فأنجيناهم مع المؤمنين بهم من العذاب، وأهلكنا المكذّبين المجاوزين الحد في الكفر والمعاصي، وهم المشركون.

١٠- لقد أنزلنا إليكم يا معشر قريش قرآناً فيه تخليد ذكركم وسمعتكم، أفلا تفكرون بما فيه من المواعظ والعبر؟

وَمَنْ قَصَمْنَا مِنْ قَوْمٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَدِلَهَا قَوْمًا
 آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحْسَبُوا أَنَّ سَنًا بِأَهْمِ قَوْمِهِمْ كُفُّوا
 لَأَنْزِكُوا وَأَرْجِعُوا إِلَيْنَا أَرْفَعْنَا فِيهِمْ مَسَكِكُمْ لَمَّا كُفُّوا
 تَنْشَلُونَ ﴿١٢﴾ فَأَلْوَا يُؤْتَيْنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٣﴾ فَأَزَالَتْ
 لِيَكْ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خِلْمِيَّ ﴿١٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا
 السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَيْنِ ﴿١٥﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ
 لَهُمْ لَأَتَّخِذْنَاهُ مِنْ دُونِ إِنْ كُنَّا فَعَالِينَ ﴿١٦﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ
 عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهٍ وَلَكِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ
 لَكْفُورًا ﴿١٧﴾ وَلَهُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَاسْتِكْبَارُونَ
 عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٨﴾ يُسْحَبُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
 لَيَقْفِرُونَ ﴿١٩﴾ أَمْ أَتَّخِذُوا مِنْ آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ
 لَوَ كَانُوا فِيهَا أُولِي بَصِيرَةٍ ﴿٢٠﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ
 مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ
 لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ مَا كُنَّا لِنُفِخَ
 بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ ﴿٢٢﴾ لَوْ كَانُوا
 يَفْقَهُونَ مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ
 مُرْسِلِينَ ﴿٢٣﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ
 مِنْ آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ ﴿٢٤﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ
 مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ
 ﴿٢٥﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ
 آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ ﴿٢٦﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ
 مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ
 ﴿٢٧﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ
 آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ ﴿٢٨﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ
 مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ
 ﴿٢٩﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ
 آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ ﴿٣٠﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ
 مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ
 ﴿٣١﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ
 آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ ﴿٣٢﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ
 مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ
 ﴿٣٣﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ
 آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ ﴿٣٤﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ
 مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ
 ﴿٣٥﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ
 آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ ﴿٣٦﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ
 مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ
 ﴿٣٧﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ
 آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ
 مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ
 ﴿٣٩﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ
 آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ ﴿٤٠﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ
 مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ
 ﴿٤١﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ
 آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ ﴿٤٢﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ
 مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ
 ﴿٤٣﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ
 آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ ﴿٤٤﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ
 مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ
 ﴿٤٥﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ
 آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ
 مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ
 ﴿٤٧﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ
 آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ ﴿٤٨﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ
 مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ
 ﴿٤٩﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ
 آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ ﴿٥٠﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ
 مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ
 ﴿٥١﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ
 آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ ﴿٥٢﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ
 مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ
 ﴿٥٣﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ
 آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ ﴿٥٤﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ
 مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ
 ﴿٥٥﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ
 آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ ﴿٥٦﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ
 مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ
 ﴿٥٧﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ
 آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ ﴿٥٨﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ
 مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ
 ﴿٥٩﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ
 آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ ﴿٦٠﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ
 مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ
 ﴿٦١﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ
 آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ ﴿٦٢﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ
 مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ
 ﴿٦٣﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ
 آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ ﴿٦٤﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ
 مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ
 ﴿٦٥﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ
 آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ ﴿٦٦﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ
 مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ
 ﴿٦٧﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ
 آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ ﴿٦٨﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ
 مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ
 ﴿٦٩﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ
 آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ ﴿٧٠﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ
 مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ
 ﴿٧١﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ
 آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ ﴿٧٢﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ
 مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ
 ﴿٧٣﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ
 آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ ﴿٧٤﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ
 مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ
 ﴿٧٥﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ
 آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ ﴿٧٦﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ
 مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ
 ﴿٧٧﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ
 آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ ﴿٧٨﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ
 مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ
 ﴿٧٩﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ
 آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ ﴿٨٠﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ
 مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ
 ﴿٨١﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ
 آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ ﴿٨٢﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ
 مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ
 ﴿٨٣﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ
 آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ ﴿٨٤﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ
 مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ
 ﴿٨٥﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ
 آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ ﴿٨٦﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ
 مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ
 ﴿٨٧﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ
 آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ ﴿٨٨﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ
 مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ
 ﴿٨٩﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ
 آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ ﴿٩٠﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ
 مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ
 ﴿٩١﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ
 آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ ﴿٩٢﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ
 مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ
 ﴿٩٣﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ
 آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ ﴿٩٤﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ
 مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ
 ﴿٩٥﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ
 آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ ﴿٩٦﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ
 مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ
 ﴿٩٧﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ
 آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ
 مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ
 ﴿٩٩﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ
 آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ ﴿١٠٠﴾ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ
 مَا كُنَّا لِنُفِخَ بِالسُّنْبُكَةِ مِنْ آيَاتِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُرْسِلِينَ

١١- وكم أهلكتنا من أهل قرية كانت كافرة،
 وأوجدنا بعد إهلاك أهلها قوما آخرين مكانهم.
 ١٢- فلما أدركوا وشعروا بعذابنا إذا هم من قريتهم
 يهربون مسرعين.
 ١٣- لا تهربوا وارجعوا إلى ما نعمتم فيه من متع
 الدنيا، وإلى مساكنكم التي كنتم تفخرون بها، لتسألوا
 عما حدث لكم، وهذا على سبيل التهكم والاستهزاء
 والتوبيخ.
 ١٤- قالوا: يا هلاكنا، إنا كنا ظالمين لأنفسنا بالكفر.
 وهذا اعتراف صريح منهم بالظلم في يوم القيامة.
 ١٥- فما زالت تلك دعوتهم التي يرددونها بتكرار
 تلك الكلمة، حتى جعلناهم محصودين بالعذاب كالزورج
 المحصود، هالكين، ميتين، كخمود النار إذا طفت.
 ١٦- وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما من
 المخلوقات عابثين لاهين، بل دالين على قدرتنا،
 مرشدين عبادنا.
 ١٧- لو أردنا أن نتخذ ما يتلهم به كالزوجة والولد
 لاتخذناه من عندنا كالخور العين والملائكة، إن كنا
 فاعلين ذلك أي ما كنا، ولكن نحن أجل من أن نلهو،
 وكل أفعالنا حق لا عبث فيه. والفرق بين اللهو واللعب:
 أن الأول يقصد به الترويح عن النفس، والثاني لا يقصد
 به هدف صحيح.

١٨- بل نرمي بقوة بالحق وهو الإيمان على الباطل وهو الكفر، وكل ما قالوه كذب وباطل، فيقهره ويغلبه، فإذا هو
 زائل ذاهب، ولكم يا كفار مكة العذاب الشديد في الآخرة، بسبب ما تصفون الله به من الزوجة أو الولد، وكل ما لا يليق
 به.
 ١٩- والله جميع من في السموات والأرض ملكاً وعبيداً، والملائكة الذين عنده لا يتعاطمون ولا يأنفون من عبادته،
 ولا يتبعون ولا يكلون.
 ٢٠- يتزهون الله ويعظمونه ويذكرونه دائماً في الليل والنهار، لا يسأمون ولا يتوانون، ولا يضعفون.
 ٢١- بل هل اتخذوا، أي المشركون آلهة كائنة من الأرض كحجر ومعدن، هم يحيون الموتى من قبورهم؟
 ٢٢- لو كان في السموات والأرض آلهة غير الله لخرتبا واختل نظام الكون لاستبداد كل إله بتصرف معين، فيقع التنازع
 والاختلاف، فتتزه الله رب العرش عما يفترى هؤلاء المشركون.
 ٢٣- لا يسأل الله عما يفعل لعظمته وقوة سلطانه، وإطلاق تصرفه، والعباد يسألون عما يفعلون؛ لأنهم عبيد
 مملوكون لله تعالى.
 ٢٤- بل اتخذ المشركون من دون الله آلهة يزعمون أنها تنفع وتضر، قل لهم أيها النبي: هاتوا برهانكم على صحة
 ادعائكم أنها آلهة، هذا الدليل هو الكتب المنزلة، الأول القرآن الذي هو كتاب أمتي، ثم التوراة والإنجيل وغيرهما من
 كتب الله التي تذكر أهل الأديان السابقة، ليس في واحد منها أن مع الله إلهاً، كما زعموا، وإنما كلها تؤكد توحيد الله، بل
 أكثرهم لا يعلمون توحيد الله وتمييز الحق من الباطل، فهم معرضون عن الحق والتوحيد واتباع الرسول جهلاً منهم به.

٢٥- وما أرسلنا من قبلك أيها الرسول من رسول سابق إلا أوحينا إليه أنه لا إله معبود بحق إلا أنا الله، فاعبدوني وحدي دون غيري، وهذا تقرير التوحيد.

٢٦- وقال بعض المشركين العرب وهم خزاعة: اتخذ الرحمن ولدًا، فإنهم قالوا: الملائكة بنات الله، تنزيهاً له عن ذلك، بل هم عباد مخلوقون، مقربون لديه، والعبودية تنافي الولادة.

٢٧- لا يتكلمون حتى يأمرهم ربهم، وهم ينفذون أوامره، ولا يعملون شيئاً بغير أمره.

٢٨- يعلم ما عملوا وما هم عاملون في المستقبل، ولا يشفعون إلا لمن ارتضى أن يشفع له، مهابة منه، وهم من عظمته ومهابته تعالى خائفون مرتعدون. والخشية: الخوف مع التعظيم، والإشفاق: الخوف مع التوقع والحد الشديد.

٢٩- ومن يقل من الملائكة أو من الخلائق على سبيل الفرض: إني إله من غير الله، كإبليس الذي دعا إلى عبادة نفسه، فذلك نعاقيه بهم، ومثل ذلك الجزاء نجزي المشركين وكل من ادعى الربوبية.

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا أَوْحَىٰ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَ رَبِّكَ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَسْمَعُونَ إِلَّا الْمَنْ رَضِيَ وَهُمُ مِنْ خَشْيَتِهِ مُسْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكِ نَجْمُ الَّذِينَ كَذَبُوا وَقَدْ جِئُوا بِالْحَقِّ الْأَمِينِ ﴿٢٩﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَأَنْ أَسْمَلُوا وَالْأَرْضُ كَانَتْ رَحْمَةً قَفَقَتْ لَهَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ يَقْبِذَهُمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُرَعْنَ آيَاتُهَا مُمْرَضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْقَ أَقْبَانَ تَتَّكَّفُ فَهُمْ لَئْسَ لَهُمْ شُرَكَاءُ فِي تَعْبَادِهِمْ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالنُّفُوسِ وَالْحَرْفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَعَلَّكُمْ تَرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾

٣٠- أولم يعلم الكفار بالله والمشركون الذي أشركوا مع الله إلهاً آخر أن السموات والأرض كانتا ملتصقتين شيئاً واحداً، ففصلناهما وميزناهما عن بعضهما بكتلة الهواء، وخلقنا من الماء كل شيء، من حيوان ونبات وغيرهما، أفلا يصدقون بقدرتي وتوحيدي؟!

٣١- وجعلنا في الأرض جبالاً ثوابت، لئلا تتحرك وتضطرب بهم، وجعلنا في الجبال مسالك وطرقاً نافذة ليهتدوا بها إلى مصالحهم في الأسفار.

٣٢- وجعلنا السماء فوق الأرض مثل السقف، محفوظاً من الوقوع بقدرته، وهم عن آيات أو أدلة السماء الدالة على توحيد الله وقدرته وحكمته كالشمس والقمر وغيرهما معرضون لا يتدبرون فيها ولا يتفكرون في خلقها.

٣٣- وبيان تلك الآيات: أن الله هو الذي خلق الليل والنهار، والشمس والقمر، كل منهما يجري في مدار خاص به، يتحركون في هدوء كالسائح في الماء. وقد جمع الفعل الأخير باعتبار جنس الطوالع المتكاثرة كل يوم وليلة.

٣٤- وما جعلنا لبشر من قبلك أيها الرسول دوام البقاء في الدنيا، أفإن مت أيها الرسول كما يتوقعون، فهم المخلدون بعدك؟! نزلت هذه الآية لما قال الكفار: إن محمداً سيموت.

٣٥- وإذا انتفى الخلود لغير الله، فكل نفس ستموت في الدنيا، ونعامله معاملة المختبر بالبلايا والنعم، أو الشدة والرخص، اختباراً وابتلاءً لننظر أتصبرون عند الشدة، وتشكرون عند النعمة؟ وإلينا تعودون جميعاً للحساب والجزاء.

وَإِذْ آتَاكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَخَذُّونَكَ مِنَ الْأَعْرَابِ فَأَهْذَأْ لِيُكْفِرُوا وَلَئِنْ لَمْ يَنْفَكُوا عَنْكَ وَإِذْ يَخَذُّونَكَ مِنَ الْأَعْرَابِ فَأَهْذَأْ لِيُكْفِرُوا وَلَئِنْ لَمْ يَنْفَكُوا عَنْكَ وَإِذْ يَخَذُّونَكَ مِنَ الْأَعْرَابِ فَأَهْذَأْ لِيُكْفِرُوا
 يَذْكُرُ الْهَيْكَلِ وَالْمَرْحَمِ الْكَافِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ
 الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُولِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾
 وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ
 كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُونُونَ عَنْ وَجْهِهِمُ النَّارُ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا
 هُمْ يُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَيَهْتَهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
 رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظِرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ اسْتَهْزَأُوا بِرَسُولِكَ إِذْ
 فَحَقَّ بِالَّذِينَ سُخِّرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَنْ
 يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ
 ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ
 وَلَا هُمْ يَنْصُرُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ
 عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا
 أَفَهُمُ الْمُغْلِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ
 الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِنْ مَسَّتْهُمُ نَجْمَةٌ
 مِنَ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَوْمِئِذٍ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾

٣٦- وإذا آتاك أيها النبي الذين كفروا وهم جماعة المستهزئين المشركين، لا يتخذونك إلا سخرية مهزوءاً به، يقولون: أهذا الذي يعيب آلهتكم؟ والحال أنهم إذا ذكر الله الرحمن الواحد هم كافرون به، فهم أحق بالسخرية والعيب، لأنك محق وهم مبطلون. و ﴿هم كافرون﴾ للمبالغة في حصر الكفر بهم. نزلت هذه الآية لما استهزأ أبو جهل بالنبي ﷺ، وقال لأبي سفيان: هذا نبي بني عبد مناف.

٣٧- خلق الإنسان مطبوعاً على شدة العجلة والتسرع، ساريتكم أيها الكافرون أدلة صدق وعدي بحلول النقم بكم، فلا تستعجلون في الإتيان به قبل أوانه.

٣٨- ويقولون: متى وقت إتيان العذاب، إن كنتم أيها المسلمون صادقين في وعدكم فيما تتلونونه في القرآن؟ وهو ما وعدهم به الرسول وصحبه من عذاب الدنيا والآخرة.

٣٩- لو يعلم هؤلاء الكفار المستعجلون البلاء الذي ينتظرهم حين يتعرضون للنار، فلا يستطيعون ردها، ولا يجدون ناصرًا ينصرهم وينقذهم من العذاب، لما بقوا على كفرهم بربهم، ولما استعجلوا هذا العذاب.

٤٠- بل تأتيهم النار أو الساعة فجأة فتدهشهم وتحيرهم، فلا يستطيعون صرفها عن أنفسهم، ولا هم يؤخرون لتوبة واعتذار.

٤١- ولقد استهزأ الكفار الماضون برسلك أيها النبي، فنزل وأحاط بالذين سخروا واستهزؤوا من رسلهم العذاب الذي أنذرتهم به الرسل جزاء استهزأتهم.

٤٢- قل أيها الرسول لهم: من يحفظكم ويحرسكم بالليل والنهار من العذاب أو العقاب الذي ينزله الرحمن بكم في الدنيا والآخرة إن أراد بكم؟ بل هم عن القرآن معرضون لا يتفكرون فيه.

٤٣- بل ألهم آلهة من دوننا تمنعهم من عذابنا؟ إن تلك الآلهة عاجزة عن نصر نفسها، فكيف تنصر غيرها؟ ولا هم يجارون من عذابنا، فلا يستطيع أحد منع عذابنا عنهم.

٤٤- بل متعنا هؤلاء مشركي العرب في عهد النبوة وآباءهم بما أنعمنا عليهم في الدنيا، حتى طال عليهم العمر في النعمة فاغترروا بها، وظنوا أنهم أهل لها، أفلا ينظرون أننا نأتي الأرض ننقصها بتخريبها وإهلاك أهلها؟ أفهم الغالبون لنا؟ لا، بل هم المغلوبون.

٤٥- قل أيها الرسول: إنما أخوفكم بالقرآن الذي أوحاه الله إلي بحلول الغضب الإلهي عند عصيان الله، ومن أصم الله سمعه لترك العمل بما سمع، لا يسمع الدعوة إلى الحق إذا ما أنذر.

٤٦- ولئن أصابهم قدر ضئيل من عذاب ربك، ليقولن: يا هلاكنا، إنا كنا ظالمين لأنفسنا بالكفر وتكذيب الرسل ومنهم محمد ﷺ.



وَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ
 شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ آتَيْنَا بِهَا
 وَكُفَىٰ بِهَا حَسِيبًا ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ
 الْقُرْآنَ رِضْيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ
 رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَذَا
 ذِكْرٌ مِّمَّا أَنْزَلْنَا فَأَنْتُمْ لَمْ تَكَفِّرُوا ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ
 آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَلِيمِينَ ﴿٥١﴾
 إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ الْقَوْمَانِ أَلَمْ أَنْتُمْ لَهَا
 عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَلَوْا وَجَدْنَاهُ آبَاءَهُمَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ
 لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٤﴾ فَأَلَوْا
 أَجْتَنَّا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتُمْ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ
 زَكَّرْتُمْ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي ظَهَرُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ
 مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَكَانَ لَهُ لَآكِبِدَنْ أَصَلَدَكُمْ
 بَعْدَ أَنْ قُولُوا مُذْ بَرِينٍ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جَذَا
 الْإِكْبِيرِ اللَّهُمَّ اعْلَمْهُ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾

٤٧- ونضع الموازين العادلة لوزن أعمال العباد يوم القيامة، فلا تظلم نفس شيئاً بنقص حسنة أو زيادة سيئة، وإن كان العمل في الخفية والصغر كحبة الخردل، وبمقدار وزنها، جثنا بها أينما كانت للمجازاة عليها، وكفى بنا مُحْصِينَ كل شيء من أعمال العباد.

٤٨- ولقد أعطينا موسى وهارون التوراة الفارقة بين الحق والباطل، والحلال والحرام، والتي فيها الهداية التي تنير الطريق، والموعظة التي يتعظ بها المتقون ربهم.

٤٩- الذين يخافون عذاب ربهم في خلواتهم، وهو غائب عنهم، أي إنهم مخلصون لا يراؤون الناس، وهم خائفون من أهوال القيامة.

٥٠- وهذا القرآن تذكرة وموعظة، كثير الخير والنفع، أنزلناه على النبي محمد ﷺ أفأنتم أي كيف يا أهل مكة تنكرون إنزاله من الله، وهو في غاية الوضوح؟ وهذا الاستهزام للتوبيخ.

٥١- ولقد أعطينا إبراهيم الرشد، أي الاهتداء

لوجوه الخير والصواب وصلاح الدين والدنيا، من قبل إيتاء موسى وهارون التوراة، وكنا عالمين بأنه أهل لإيتاء الرشد والاتصاف بمكارم الخصال.

٥٢- حين قال لأبيه آزر وقومه جماعة النمرود: ما هذه الأصنام التي أنتم مقيمون على عبادتها؟

٥٣- قالوا له: وجدنا آباءنا من قبل عابدين لها، فاعتدنا بهم.

٥٤- قال إبراهيم: لقد كنتم وآباؤكم عبادتها في خطأ بين، وزيغ عن طريق الحق.

٥٥- قالوا له: هل أنت جادٌ في قولك، وإن قولك هو الشيء الثابت في الواقع، أم أنت من الهازلين المازحين؟!؟

٥٦- قال إبراهيم: بل ربكم المعبود وحده المستحق للعبادة هو مالك السموات والأرض، الذي أبدعهن وخلقهن على غير مثال سابق، وأنا على ذلكم من العالمين به، المتحققين صحته، والمبرهنين عليه. والشاهد: من تحقق من الشيء وأقام عليه الحجة.

٥٧- ووالله لأحطمن أصنامكم بعد أن تنصرفوا عنها وترجعوا عن عبادتها.

٥٨- فجعلهم قطعاً متناثرة بتحطيمها بعد ذهابهم إلى يوم عيد لهم إلا كبير الأصنام لم يكسره، ليرجعوا لهذا الكبير، فيسالونه عن الكاسر، فإن لم يجيبهم علموا أن الأصنام لا تقصر ولا تنفع.

قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِهَذَا لَهَيْتَا إِلَهُ لَنَا إِنْ لَمْ نَرَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا
 سَمِعْنَا فِي يَدِكُمْ كُفْرًا يُقَالُ لَهُ وَإِبْرَاهِيمَ ﴿٦٠﴾ قَالُوا
 قَالُوا بِهِ عَلَىٰ آعِزِّ النَّاسِ لَعَالَهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا
 ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا يَا لَهَيْتَا يَا إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ
 كَبِيرُهُمْ هَذَا فَتَكَلَّمُوا لَهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا
 إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ
 كَسَبُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾
 قَالَ أَتَقْبَدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ
 ﴿٦٦﴾ أَمْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا
 تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا لَاحِرُوهُمْ وَأَمْصُرُوهَا إِلَهُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
 فَعِيلِينَ ﴿٦٨﴾ فَلَمَّا بَيَّنَّارُ كُفْرَهُمْ بَرَدُوا سُلَيْمًا عَلَىٰ
 إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ
 ﴿٧٠﴾ وَجَعَلْنَاهُ لُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا
 فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
 نَاكِلِينَ ﴿٧٢﴾ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٣﴾

٥٩ - قال الوثنيون بعد رؤيتهم تكسير الأصنام حينما عادوا من يوم العيد: من فعل هذا بالهتنا بتخطيمها، إنه لمن المعتدين الذين يستحقون العقاب.

٦٠ - قال بعضهم لبعض: سمعنا فتى يعيبهم ويسبهم، اسمه إبراهيم.

٦١ - قالوا فيما بينهم: فأحضره على مرأى ومشهد جميع الناس، ليشهدوا عليه بما فعل ويحضروا عقابه.

٦٢ - قالوا له بعد إحضاره: أنت الذي حطمت الهتنا يا إبراهيم؟

٦٣ - قال إبراهيم متهمكماً: بل الذي كسره هو كبيرهم هذا، وهو الصنم الذي لم يكسره، فاسألوهم لماذا فعل بهم ذلك، إن كانوا قادرين على النطق؟ والقصد تنبيههم إلى عدم الجدوى من عبادة العاجزين عن الكلام. أخرج أبو داود والترمذي عن أبي هريرة حديثاً صحيحاً: «لم يكذب إبراهيم في شيء قط إلا في ثلاث، كلهن في الله: قوله: إني سقيم، ولم يكن سقيماً، وقوله لسارة: أختي، وقوله: بل فعله كبيرهم هذا» وكل ذلك من الأسلوب المباح من التعارض.

٦٤ - فرجعوا إلى أنفسهم باللوم وراجعوا عقولهم، فقالوا: إنكم أنتم الظالمون لأنفسكم بعبادة هذه الجمادات التي لا تضر ولا تنفع، وليس الظالم هو مكسر الأصنام.

٦٥ - ثم عادوا إلى كفرهم وجهلهم ومكابرتهم، فقالوا لإبراهيم: لقد علمت ما هؤلاء ينطقون، فكيف تأمرنا بسؤالهم؟

٦٦ - قال إبراهيم لهم: أفتعبدون من غير الله ما لا ينفعكم شيئاً إن عبدتموه، ولا يضركم إن تركتم عبادته؟!
٦٧ - قبحاً لكم ولآلهتكم ولعبادتكم هذه المعبودات الألهة المزعومة من غير الله، أفلا تتفكرون وتعقلون قبح صنعكم وأن هذه الأصنام لا تستحق العبادة؟! واللام في ﴿لكم﴾ لبيان المتضرر لأجله.

٦٨ - قال بعضهم لبعض: احرقوا إبراهيم بالنار حرقاً شديداً، وانصروا آلهتكم بالانتقام منه إن كنتم فاعلين شيئاً من أجلها.

٦٩ - قال الله تعالى بعد أن ألقي إبراهيم في نار عظيمة بواسطة منجنيق: يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم، فانقلبت الحرارة برداً، دون أن تضره، وخرج إبراهيم منها سالماً بإذن الله تعالى.

٧٠ - وأرادوا بإبراهيم تحريقاً ومكرأفي إضراره، فجعلناهم الأشد خسارة في الدنيا والآخرة.
٧١ - ونجينا إبراهيم ووطاً ابن أخيه من بابل بالعراق إلى أرض بيت المقدس التي باركناها للناس بكثرة الأنهار والأشجار، وجعلناها مهبط الأنبياء.

٧٢ - ووهبنا لإبراهيم من زوجته سارة إسحاق ولدأ، ويعقوب حفيدأ زيادة على ما دعا إبراهيم، وكل واحد من هؤلاء الثلاثة، ولوط الرابع، جعلناه نبياً صالحاً.

٧٣- وجعلناهم رؤساء يقتدى بهم في الخير والطاعة، يهدون الناس إلى الدين والإيمان، بإذن الله تعالى، وأوحينا إليهم أن يفعلوا الطاعات، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، وكانوا موحدين مخلصين في العبادة.

٧٤- وآتيناهم لوطاً نبوة وعلماً بأحكام الدين، ونجيناها من قرية سدوم بشرق الأردن التي كان أهلها يعملون الخبائث (المنكرات) كاللواط، والضرط في المجالس، والرمي بالبندق، واللعب بالطيور، إنهم كانوا قوماً خارجين عن طاعة الله تعالى، بالإساءة لكل من خالطهم.

٧٥- وجعلناه من أهل رحمتنا بأن أنجيناها من قومه، إنه من القوم الصالحين في أعمالهم الذين سبقت لهم منا الحسنى (الجنة).

٧٦- واذكر نوحاً من قبل هؤلاء الأنبياء، حين دعا ربه يهلك الظالمين من قومه، فأجبنا دعاءه، فنجيناها وأهلها المؤمنين به في السفينة، من الطوفان

وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقاماً لأصلوات وإيتاء الزكوة وكانوا لنا عبيدين ﴿٧٣﴾ ولوطاً آتيناه حكماً وعلماً ونجيناها من القرية التي كانت تعمل الخبيث إنهم كانوا قوماً سوء فسيقون ﴿٧٤﴾ وأدخّلناها في رحمتنا إنه من الصالحين ﴿٧٥﴾ ونوحاً إذ نادى من قبل فأستجبنا له ونجيناه وأهله من الكرب العظيم ﴿٧٦﴾ ونصرته من القوم الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوماً سوء فأغرقناهم أجمعين ﴿٧٧﴾ ودوّد سليمان إذ يجان في الحجر إذ نفثت فيه عمن القوم وكنا لحكمهم شهدين ﴿٧٨﴾ ففهمناها سليمان وكلاً آتينا حكماً وعلماً وسخرنا مع داود الجبال يسخر والطير ركناً فلين ﴿٧٩﴾ وعلّمناه صنعة لبوس لكم لحبسكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون ﴿٨٠﴾ ولسليمان الريح عاصفة تجرى بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين ﴿٨١﴾

والغرق.

٧٧- وجعلناه متصراً على القوم الذين كذبوا بآياتنا الدالة على صدق رسالته، إنهم كانوا قوم كافر وعصيان، فأغرقناهم جميعاً لإصرارهم على الكفر.

٧٨- واذكر أيضاً داود وسليمان، إذ يحكم كل منهما في الزرع حين رعته ليلاً غتم القوم، ولم يكن معها راع، وكنا لحكم كل منهما حاضرين، لا يخفى علينا شيء.

٧٩- ففهمنا الحكم سليمان وكلاً من داود وسليمان أعطينا نبوة وعلماً نافعاً في أمور الدين، وسخرنا (ذلّلنا) مع داود الجبال والطير للتسبيح معه، فكان إذا سبح سبحت معه بأمره، وكنا فاعلين لأمثاله من إفهام الحكم وتسخير التسبيح معه، فليس يبدع منا.

٨٠- وعلّمنا داود صناعة الدروع بإلانة الحديد له، لتحميكم وتمنعكم من حربكم مع عدوكم، فهل أنتم أيها الناس ومنهم أهل مكة شاكرون نعمتي، بتصديق الرسول؟

٨١- وسخرنا لسليمان الريح قوية شديدة الهبوب ولكنها لينة، تسير بأمره إلى أرض الشام التي باركنا فيها، وكنا عالمين بكل شيء، لا تخفى علينا خافية.

وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَن يَعْصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ
ذَلِكَ وَكَأَلَّهُمْ حَفِظِينَ ﴿٨٢﴾ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ
أَنِّ مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ
فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمُ
مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَمَا كُنَّا لِنُعْصِمَهُمُ مِنَ الْغَيْبِ
وَأَسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٤﴾
وَأَذَانًا لَّهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾
وَأَتَيْنَاهُ إِذْ نَادَى بِرَبِّهِ مُغْتَضِبًا فَظَنَّ أَن لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ
فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ
إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَبَجَّيْنَاهُ
مِنَ الْعَمَىٰ وَكُنَّا لَنُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَرَكَبْنَا
إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ
﴿٨٨﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ الْيَمْحَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ
زَوْجَهُ وَأَتَيْنَاهُم بِطُورٍ مِّنَ الْبُرْجِ وَنَبِّئُونَا
رَبِّعًا وَرَبِّعًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٨٩﴾

٨٢- وسخرنا لسليمان الشياطين يعصون له في البحار لاستخراج اللؤلؤ، ويعملون أعمالاً أخرى سوى ذلك كبناء المحارِب والمدن والقصور والمساجد، وصناعة التماثيل والصناعات الغريبة، وكنا حافظين لأعمالهم، وحافظين لهم من الهرب أو الامتناع من العمل.

٨٣- واذكر أيها النبي قصة أيوب حين نادى ربه لما اشتد به المرض وطال: رب اني مسني الضر من المرض والهزال في بدني، والجهد في أهلي ومالي، وأنت أرحم الرحماء لإجابة الدعاء والضر: مايس الإنسان في نفسه كالمرض والهزال، والضر: الضرر في كل شيء.

٨٤- فأجبت دعاء أيوب، فكشفنا ضره الذي نزل به امتحاناً، وأعطينا مثل أهله عدداً، مع زيادة مثل آخر بالتوالد، وأتيناه ذلك رحمة منا، وتذكرة للعابدين، ليصبروا مثل صبره، فيثابوا كتابه.

٨٥- واذكر أيها الرسول أيضاً قصة إسماعيل، وإدريس، وذو الكفل وهو ابن أيوب، من أنبياء

بني إسرائيل، كل واحد من الصابرين على تحمل التكليف والشدائد طمعاً في مرضاتنا.

٨٦- وشملتهم رحمتنا في الدنيا بالنبوة، وفي الآخرة بالجنة، إنهم من زمرة عبادنا الأنبياء الصالحين الطائعين.

٨٧- واذكر كذلك أيها النبي قصة ذي النون وهو يونس بن متى صاحب الحوت، أرسله الله إلى أهل نينوى من أرض الموصل، حين ذهب غضبان من قومه لعدم إيمانهم، فظن أن لن نصيق عليه الأمر، بل نبيح له تركهم، فنادى في ظلمات ثلاث: وظلمة الليل، وظلمة النحر، وظلمة بطن الحوت، قائلاً: لا إله إلا أنت، تنزهت عما لا يليق، إني كنت من الظالمين لنفسي، بالهجرة من غير إذن، وترك قومي.

٨٨- فأجبت له دعاءه بتلك الكلمات، وأخرجناه من بطن الحوت، إذ قذفه إلى الساحل، وكما أنجينا من غمه وكرهه، نتجى المؤمنين من كربهم إذا استغاثوا بنا.

٨٩- واذكر أيضاً قصة زكريا حين دعا ربه بقوله: رب لا تتركني وحيداً بلا ولد يرثني، وأنت حسبي إن لم تزقني ولداً.

٩٠- فأجبت له دعاءه، ومنحته ولداً هو يحيى، وجعلنا زوجته ولو دأ بعد أن كانت عاقراً، إن زكريا وزوجه وابنتهما يحيى وهؤلاء الأنبياء المذكورين كانوا يبادرون إلى فعل الطاعات، ويتضرعون إلينا رغياً في رحمتنا وخيرنا، ورهباً من عذابنا ومن الشر، في حالي الشدة والرخاء، وكانوا لنا متواضعين في عبادتهم.

٩١- واذكر أيها النبي أيضاً قصة مريم بنت عمران التي حفظت فرجها من الحلال والحرام، فكانت عفيفة، فوضعا سرّاً من أسرارنا في بطنها أوجدنا به عيسى وأحبيته، وجعلناها وابنتها آية لعالمي الإنس والجن والملائكة، حيث ولدته من غير رجل، ودليلاً لهم على تمام قدرتنا.

٩٢- إن هذا دينكم دين واحد لا خلاف فيه في شأن التوحيد، وهو ملة الإسلام، وأنا ربكم الله لا إله غيري، فوحدوني وعبدوني بإخلاص لا غير.

٩٣- وتفرّق الناس في أمر الدين فرقاً مختلفة، مع أن الدين في أصله واحد، فمنهم من آمن ووحد، ومنهم من كفر وأشرك، ومنهم من تأول فوق في الشرك كاليهود والنصارى، كل فرقة من هذه الفرق راجعون إلينا يوم القيامة، للجزاء.

٩٤- فمن يعمل صالح الأعمال التي أمر الله بها، وهو مؤمن بالله ورسله واليوم الآخر، فلا جحود ولا إنكار لعمله وثوابه وحسن جزائه، وإنما لسعيه حافظون مثبتون في صحيفة عمله.

٩٥- ويمتنع على أهل قرية أهلكتهم بذنوبهم أن يرجعوا إلى الدنيا أو التوبة بعد الهلاك.

وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا مِنْ رُوحِنَا
وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَذِهِ مِنْكُمْ
أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوا
أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَهٍ لِرَجُلٍ مِمَّنْ يَعْمَلُ
مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيهِ وَإِنَّا
لَهَ كَاتِبُونَ ﴿٩٣﴾ وَحَرَّمَ عَلَيْنَا قُرْبَةَ أَهْلِكَ نَهَا
أَنْتُمْ لِأَبْرِهِمْ حَتَّى إِذَا فَتِحَ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ
مِنَ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٩٤﴾ وَأَقْرَبَ الْوَعْدِ أَنْ نَحْنُ
فَإِنَّا هِيَ شَيْخَصَةٌ أَبْصَرُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يُتَوَبْنَا
قَدْ كُنَّا فِي عَفْوٍ مِمَّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٥﴾
إِنَّكُمْ وَمَنْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا
وَارِدُونَ ﴿٩٦﴾ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوا
وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٧﴾ لَهُمْ فِيهَا زَوْجٌ
وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْعَوْنَ ﴿٩٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ
لَهُمْ تِيبًا أَحْسَنُ أَوْلَئِكَ عَنْهَا مُعَادُونَ ﴿٩٩﴾

٩٦- ويستمر عدم رجوعهم إلى قيام الساعة وظهور أماراتها من فتح سد يأجوج ومأجوج وهما قبائل همجية، وهم من كل مرتفع من الأرض يخرجون مسرعين.

٩٧- واقترب بخروجهم الموعود به الحق وهو يوم القيامة، فذلك من أمارات الساعة، فإذا هي مرتفعة الأجنان لما دهمهم، وهو شخوص أبصار الكفار، لا تكاد تنظر من شدة الهول، أي تتوقف أبصارهم عن الحركة، يا هلاكنا، قد كنا في الدنيا غافلين عن هذا اليوم، لم نستعد له، بل كنا ظالمين أنفسنا بتكذيب الرسل، وإنكار البعث والحساب، وعدم الطاعة.

٩٨- إنكم أيها الكفار والمشركون وما تعبدون من غير الله من الأصنام والشياطين وقود جهنم وحطها، أنتم داخلون فيها.

٩٩- لو كان هؤلاء المعبودون الأوثان ونحوها آلهة كما تزعمون ما دخلوا جهنم؛ لأن المؤاخذ المذنب لا يكون إلهاً، وكل من العابدين والمعبودين مخلدون دائمون في جهنم، فليسوا إذن آلهة. وسبب إدخال المعبودين من الأوثان والشياطين في النار: أن يزداد العابدون بهم غمًا وحسرة. ويستثنى أو لا يشمل ذلك عزيزاً والمسيح والملائكة لقوله تعالى فيما يأتي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنِ أُولَئِكَ عَلَيْهَا مُعَادُونَ﴾ [الأنبياء ٢١/١٠١] ولأن كلمة ﴿مَا﴾ لا تتناول العقلاء.

١٠٠- لعابدي الأوثان في جهنم أنين وتنفس شديد من أقصى الجوف، وهم فيها لا يسمعون شيئاً لشدة غليانها وأهوالها.

١٠١- إن الذين سبقت لهم منا المنزلة الحسنى وهي الجنة لعملمهم بعمل أهل الجنة، أولئك مبعدون عن جهنم، فهم السعداء بسبب إيمانهم الحق وإحسان طاعتهم. قال ابن عباس: لما نزلت آية ﴿إِنَّكُمْ وَمَنْ تَعْبُدُونَ...﴾ [٩٨] قال ابن الزبير: عبد الشمس والقمر والملائكة وعزير، فكل هؤلاء في النار مع آلهتنا، فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ...﴾.

١٠٢- لا يسمعون صوت النار ولهبها، وهم مقيمون على الدوام فيما اشتتت أنفسهم من النعيم الدائم في الجنة.

١٠٣- لا يحزنهم الفزع الأعظم الذي يحصل بعد النسخة الثانية وهو أهوال القيامة، وتلقاهم الملائكة على أبواب الجنة مهتين، قائلين لهم: هذا يومكم الذي وعدتم به في الدنيا لنيل الجزاء الأحسن.

١٠٤- واذكر أيها النبي يوم نظوي السماء كطي الصحيفة على ما يكتب فيها، كما بدأنا أول خلقهم من العدم في الدنيا، كذلك نعيدهم يوم القيامة، أي إن هذا الطي كائن لا محالة يوم إعادة الخلاق بالبعث خلقاً جديداً، وعدناهم بذلك وعداً، علينا إنجازها والوفاء به، وهو الإعادة، إنا كنا فاعلين ما وعدناكم به حتماً، وقادرين على ما نشاء.

١٠٥- ولقد كتبنا في كتاب داود وهو كتاب الزمير، من بعد التوراة أو اللوح المحفوظ: أن أرض الجنة وأرض الدنيا يرثها العباد الصالحون، وصلاح الآخرة بالتقوى، وصلاح الدنيا بعمارة الأرض.

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَتَتْ أَنفُسُهُمْ خَلِدُونَ ﴿١٠٢﴾
لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّهِمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُمْ وَعَدَّا عَلَيْهَا بِفَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُرِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ رِثْمًا عِبَادِي الصَّالِحِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَلِيمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَأَدُّنَكُمْ عَلَىٰ سُوْرَةٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنِّي بَعَلُّهُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِي أَعْلَهُ فِتْنَةٌ أَمْ كُمْ وَمَنْعَ إِلَيَّ جَيْنٍ ﴿١١١﴾ قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾



١٠٦- إن في هذا القرآن وما ذكرناه في هذه السورة من الأخبار وقصص الأنبياء والمواعظ لبلاغاً كافياً في الاعتبار لقوم خاشعين لله، مشغولين بالعبادة.

١٠٧- وما أرسلناك أيها النبي بالشرائع والأحكام إلا رحمة مهداة للإنس والجن، لأن ما بعثت به سبب للسعادة والصلاح في المعاش والمعاد.

١٠٨- قل لهم أيها النبي: إن جوهر الموحى به إلي من ربي أن إلهكم الذي تعبدونه هو إله واحد، لا إله غيره، فهل أنتم متقادون خاضعون لما يوحى إليكم من العبادة وتوحيد الله؟ أي أسلموا تدخلوا الجنة، وتفوزوا بالرضوان.

١٠٩- فإن أعرضوا عن الإسلام، فقل لهم: أعلمتكم ما أمرت به، حال كونكم جميعاً مستوين في الإعلام، ولا أدري أقريب أم بعيد ما توعدون به من القيامة والعذاب، فعلم ذلك إلى الله سبحانه.

١١٠- إنه تعالى يعلم ما تجهرون به من قول أو فعل، وما تكتُمونه من ذلك وتخفونه، يعلم كل ذلك على السواء في الوضوح، لا تخفى عليه خافية.

١١١- وما أدري لعل تأخير العذاب عنكم اختبار وامتحان لكم، ليرى كيف صنعكم وترجعوا عما أنتم عليه، وتمتع بزخارف الدنيا إلى وقت مقدر تقتضيه مشيئة الله وحكمته، وهو انتهاء آجالكم.

١١٢- قال النبي ﷺ بعد تبليغ رسالته إلى قومه وتكذيبهم: يا رب احكم بيني وبين هؤلاء المكذبين كأهل مكة، بما هو الحق والعدل عندك، وربنا الرحمن بعباده، المستعان به على ما تقولون من التكذيب والافتراء.

سورة الحج

فضلها: قال العزيزي: وهي من أعاجيب السور، نزلت ليلاً ونهاراً، سفراً وحضراً، مكياً ومدنياً، سلمياً وحربياً، محكماً ومتشابهاً.

١- يا أيها الناس جميعاً، خافوا واحذروا عقاب ربكم، بأن تطيعوه، إن زلزلة الأرض يوم القيامة شيء مخيف هائل مزعج للناس.

٢- يوم ترون الزلزلة تغفل الأم المرضعة وتنسى رضيعها لشدة الهول، وتضع الحامل جنينها، وترى الناس كأنهم سكارى من شدة الخوف، وليسوا بسكارى حقيقة، ولكن عذاب الله شديد، يرهق هولاً، ويذهب العقل والتمييز. نزلت هاتان الآيتان ليلاً في غزوة بني المصطلق، فقراهما رسول الله ﷺ على الناس، فلم ير باكياً أكثر من تلك الليلة، وأصبح الناس بين باك وجالس حزين مفكر.

٣- وبعض الناس يجادل في وجود الله وصفاته من الوحدانية والقدرة على البعث وغير ذلك، بغير دليل ولا علم يعلمه، ويتبع في جداله بالباطل وساوس كل شيطان متمرّد على الله عات. نزلت في النضر بن الحارث.

٤- قضى على الشيطان أنه من اتبعه وصدق قوله، فإنه يضلّه عن طريق الحق، ويرشده أو يبدله إلى ما يؤدي به إلى عذاب السعير في نار جهنم. والسعير: النار المتوهجة.

٥- يا أيها الناس، إن كنتم في شك من إمكان البعث وكونه مقدوراً لله، فإننا خلقنا أصلكم آدم من تراب، وخلقنا ذريته من مني مشتمل على الحيوان المنوي، وهو الماء الدافق، الذي يستقر في الرحم، ويتعلق بيبيضة المرأة، ويحدث الجنين، ثم من دم جامد بعد تلاقح نطفة الرجل مع بويضة الأنثى، ثم من قطعة لحم صغيرة تامة الخلقة تصويراً وشكلاً، وغير تامة الخلقة، ثم نخرجكم من بطون أمهاتكم أطفالاً - وطفلاً: حال أجريت على تأويل كل واحد منكم طفلاً - ثم نرعاكم لتبلغوا كمال العقل والقوة: وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين، ومنكم من يتوفى قبل بلوغ الأشد، ومنكم من يعود إلى مرحلة الهرم والخرف حتى لا يعقل، وكبلاً يعلم شيئاً وينسى ما كان يعلمه، وترى الأرض أيها الإنسان يابسة ميتة لا نبات فيها، فإذا أنزلنا عليها ماء المطر، تحركت بالنبات، وارتفعت وزادت، وأنبتت من كل صنف نباتي حسن نظير.

٦- ذلك المذكور من خلق الإنسان ومروره بأطوار، وإحياء الأرض، بسبب أن الله هو الثابت الموجود في نفسه، الدائم الوجود، وأنه يحيي الموتى بعد فنائهم، وأن الله قادر على كل شيء؛ لأن قدرته لذاته.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾
يَوْمَ تَرَوُنَّهَا نَخَعًا وَدُخَانًا مُدْمِجًا ﴿٢﴾ وَتُصْعَقُ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُخْلَقُونَ ﴿٣﴾
وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٦﴾
وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٩﴾
وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿١٠﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿١١﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿١٢﴾
وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿١٣﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿١٤﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿١٥﴾
وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿١٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿١٨﴾
وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٢١﴾
وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٢٤﴾
وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٢٧﴾
وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٢٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٣٠﴾



وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّارْتَيْبٍ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَمَّا فِي الدُّنْيَا حَزَنِيٌّ وَيُذَيِّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَالِمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْصُرُهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا لِمَنْ صَرُّهُ أَوْ قُرْبَ مِنْ نَعْبِهِ لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَنْ كَانَ يَظُنْ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِطُّ ﴿١٥﴾

٧- وأن القيامة واقعة لا شك فيها، وأن الله يعث الناس الذين في القبور وفي غيرها من أجواف الطير والسماك ونحوهما، بمقتضى وعده السابق الذي لا يقبل الخلف.

٨- ومن الناس من يجادل في قدرة الله ووجدانيته متكرراً ذلك جهلاً بغير دليل علمي واضح، ولا هداية فطرية أو عقلية معتمدة على النظر الصحيح، ولا كتاب إلهي موضح للحق. نزلت في الأخنس بن شريق، وروي عن ابن عباس في أبي جهل، وعلى ما ذهب إليه جمع في النضر بن الحارث، كالأية السابقة، فإذا اتحد المجادل في الآيتين، فالتكرار مبالغته في الذم، أو لانفراد كل آية بزيادة ليست في الأخرى.

٩- لاوي عنقه تكبراً وخيلاء، وإعراضاً مترفعاً، للإضلال عن دين الله، له في الدنيا ذل وهوان بما يناله من العقوبة المادية بعذاب معجل، أو المعنوية بسوء السمعة، ونذيقه يوم القيامة عذاب النار المحرقة.

١٠- ذلك الحزني (الذل) والتعذيب بسبب ما قدمته نفسك من الكفر والمعاصي، وأن الله لا يظلم أحداً، فيعذب بغير ذنب، وإنما هو مجازيهم على أعمالهم.

١١- ومن الناس من يعبد الله على شك وتردد في دينه، أما المؤمن فيعبد على ثقة وبصيرة، فإن أصابه خير دنيوي في نفسه وماله من صحة وعافية، ورخاء، ثبت على دينه، وإن أصابته محنة وشدة أو مكروه في نفسه أو أهله أو ماله، رجع إلى الكفر وارتد، خسر الدنيا وضيعها؛ لأنه لم يحقق فيها مجداً وثناء حسناً، وخسر الآخرة؛ لتعذيبه فيها، ذلك هو الخسران الزوج الواضح؛ إذ لا خسران مثله. وحرف الشيء: طرفه، أي مذنب مضطرب في دينه. نزلت فيمن يدخل الإسلام، فإن أصابه خير من ولد ذكر، ونتاج خيل، قال هذا دين صالح، وإن أصابه شر بولادة أنثى أو لم تنتج خيله، قال: هذا دين سوء.

١٢- هذا الذي رجع إلى الكفر يعبد من غير الله الأصنام، وهي لا تنصره إن ترك عبادتها، ولا تنفعه إن عبدها، ذلك هو الانحراف البعيد عن الحق والرشد.

١٣- يعبد من غير الله ما يكون ضرره أقرب من نفعه إن نفع بتوهمه، بل ضررها بحت ولا نفع فيها بحال، لبس الناصر والمعين هو له، ولبس الصاحب المعاصر هو.

١٤- إن الله يدخل المؤمنين بالله ورسله، الذين يعملون الصالحات المأمور بها جنت تجري الأنهار من تحت غرفها، إن الله يفعل ما يريد من إكرام الطائع، وإهانة العاصي.

١٥- من كان يعتقد أن الله لن ينصر نبيه محمداً ﷺ وغاظه انتصاره خلافاً لما يتوقع، فليمدد حبلاً إلى سماء بيته أي سقفه، ثم ليقطع عنقه بالشنق، فلينظر هل يذهبن فعله وتدبيره أو حيلته ما يغضبه ويضايقه من نصر الله نبيه، والمراد: إذا أراد إراحة نفسه، فليعجل بإهلاكها هدراً من غير جدوى؛ لأن كيده لا يذهب غيظه. والسماء: كل ما ارتفع فوق رأس الإنسان، والمراد به هنا سقف البيت.

١٦ - ومثل إنزالنا الآية السابقة أنزلنا عليك أيها الرسول آيات واضحة الدلالة على مدلولاتها، وأن الله يهدي ابتداءً من يريد هدايته، ويوفى للهداية ويثبت على الهدى من أراد له ذلك.

١٧ - إن الذين آمنوا بالله ورسوله محمد ﷺ واليهود والنصارى، والمجوس: عبدة النار الذين يقولون: إن للعالم أصليين: النور والظلمة، والمشركين: عبدة الأوثان أو غيرها من دون الله، إن الله يفضل بينهم يوم القيامة فيما اختلفوا فيه، إن الله شاهد على كل شيء من أعمال خلقه، لا يخفى عليه شيء منها.

١٨ - ألم تعلم أيها الإنسان المخاطب أن الله يسجد ويخضع له أهل السموات وهم الملائكة، وأهل الأرض من مؤمني الإنس والجن، وسجودها بهيئة معروفة، والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وغيرها من المخلوقات، وسجودها بالانقياد التام، ويسجد له كثير من الناس الذين آمنوا وتبها سجد طاعة واختيار، راجين رحمته، وكثير وجب عليه العذاب لإيائه السجود لله وإهماله النظر في

ملكوت الله، ومن يهن الله يجعله كافراً شقيماً، لما علم الله من اكتسابه الشقاوة، فما له من مكرم يكرمه، ويدفع الهوان عنه، إن الله يفعل ما يشاء في خلقه.

١٩ - هذان فريقان مخصمان متنازعان، وهما المؤمنون والكافرون، اختلفوا في شأن ربهم، أي في دينه، ما هو الحق وما هو الباطل منه، وفيما يتعلق به من تنزيهه عن الصاحبة والولد، ونسبة الولد له واتخاذ الوسطاء الشفعاء عنده، فالذين كفروا بالله أو لم يؤمنوا برسول الله، فُصِّلت لهم نيران لبوساً لهم، يصب من فوق رؤوسهم الماء الحار المغلي بنار جهنم. نزلت في فريقي المبارزة يوم بدر: حمزة وعبيدة وعلي، وعتبة وشيبة والوليد بن عتبة.

٢٠، ٢١ - يذاب به ما في بطونهم من أمعاء وأحشاء، وتُشوى به جلودهم، ولهم مضارب (أدوات القمع) من حديد، يُضربون بها.

٢٢ - كلما أرادوا الخروج من النار، لأجل غم وحزن شديد، رُدُّوا إليها بالمقامع، ويقال لهم: ذوقوا عذاب النار المحرق بشدة.

٢٣ - إن الله يدخل المؤمنين بالله ورسوله، الذين يعملون صالح الأعمال التي أمر الله بها، جنات تجري من تحت غرفها الأنهار، يُزَيَّنون فيها بحلي في غاية الجمال في الصدور وغيرها، بأساور الذهب، واللؤلؤ (الذي يستخرج من البحر من جوف الصدف) ولباسهم في الجنة الحرير الذي كان ممنوعاً على رجالهم في الدنيا.

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ يُتْلَى وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِيَ مَن يَشَاءُ
 ١٦ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ وَالنَّصَارَى
 وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ١٧
 أَنَّ اللَّهَ يَجْزِي مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ
 وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ
 وَكَيَرِحْنَ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَإِنَّهُ لَمِنَ الْكَرِيمِ إِنَّ اللَّهَ
 يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ١٨ هَذَانِ حَصَمَانِ اخْتَصَمُوا
 فِي دِينِهِمَا الَّذِينَ كَفَرُوا فُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ
 يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ١٩ يُضْرَبُونَ بِهَا فِي
 بَطُونِهِمْ وَأَجْلَادٍ ٢٠ وَكَمْ تَقْلَعُ مِنْ حديدٍ ٢١ كَمَا أَرَادُوا
 أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مَعَزٍ مُّعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ
 ٢٢ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ
 مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ٢٣



وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَنِيدِ
 ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
 وَاسْتَحِيدُوا الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَدْكُ
 فِيهِ وَالْبَادُ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يُظَلِّمْ نَفْسَهُ مِنْ
 عَذَابِ اللَّهِ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ
 أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ
 وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَا أُولِي
 الْأَبْصَارِ كُلَّ فَئِدَةٍ صَامِرٍ يُرِيهِمْ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ
 ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَنْبَاءِ
 مَا كُنُوا عَلَى مَا أَنْزَلْنَاهُمْ مِنْ حِجَّةٍ وَالْأَنْعَامِ فَاكُلُوا مِنْهَا
 وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ شَاءَ لِيَقْضُوا تَلَمُّهُمْ
 وَلِيُوفُوا نَذْرَهُمْ وَيَلْبِطُوا بِبَيْتِ الْعَرَبِ ﴿٢٩﴾
 ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَتَ اللَّهِ فَهُوَ حَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ
 وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا بَدَّلَ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا
 الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾

٢٤- وأرشدوا من الله تعالى في الجنة إلى القول الطيب الذي فيه تمجيد الله والإقرار بفضله، والبعد عن اللغو والتأنيث، وإلى تبادل السلام فيما بينهم، وأرشدوا إلى الطريق المحمود في آداب المعاشرة والاجتماع، فلا تحاسد ولا تبغض ولا كيد ولا تنافر أو تخاصم، بل أمثل ما يكون عليه الإخوة الأحبة.

٢٥- إن الذين كفروا بالله ورسوله، ويمنعون عن دين الله وطاعته، وعن دخول المسجد الحرام نفسه، أو الحرم كله، الذي جعلناه منسكاً ومتعبداً للناس جميعاً، مستويماً فيه المقيم فيه، الملازم له، والواصل الزائر من البادية غير المقيم فيه، الطارئ عليه، ومن يرد فيه الميل عن جادة الحق والصواب، والاستقامة ظلماً بغير وجه مشروع، نذقه بعض العذاب المؤلم. قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في أبي سفيان بن حرب وأصحابه، حين صدوا رسول الله ﷺ وأصحابه عام الحديبية عن المسجد الحرام، وقد كره عليه الصلاة والسلام أن يقاتلهم، وكان محرماً بعمرة، ثم صالحوه على أن يعود في العام المقبل.

٢٦- واذكر أيها الرسول حين بينا وعينا لإبراهيم مكان الكعبة لبناتها، ليكون مركزاً لتوحيد العبادة الخالصة لله، وأوصيانه ألا يشرك بعبادتي شيئاً، وطهر بيتي من الأوثان والأصنام للطائفين حول هذا البيت، والقائمين

فيه للصلاة والدعاء، والراكعين الساجدين. والركوع والسجود كناية عن الصلاة كلها؛ لأنها أهم أركانها.

٢٧- وناد في الناس بالحج بالدعوة إليه، قائلاً: يا أيها الناس، أحبب إليكم الحج إلى البيت، فأجيبوا ربكم، لبيك اللهم لبيك، يأتوك مشاة وراكبين على كل بعير مضمر خفيف اللحم من كثرة السير، تأتي هذه الإبل الضوامر بالركبان من كل طريق بعيد. قال مجاهد: كانوا لا يركبون، فأنزل الله: ﴿يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر﴾ فامرهم بالزاد، ورخص لهم في الركوب والمتجر.

٢٨- ليحضروا ويحققوا منافع لهم في الدين والدنيا بممارسة التجارة وغيرها، ويذكروا اسم الله عند ذبح الهدايا والضحايا في أيام معلومات هي أيام التحرير يوم العيد وأيام التشريق الثلاثة التي بعده، يذكرون اسم الله عند ذبح ما رزقهم الله من الإبل والبقر والغنم، فكلوا من لحومها، فيستحب أكل شيء قليل من المتطوع به دون الواجب، وأطعموا الذي أصابه شدة الجوع وشدة الفقر، والأمر بالإطعام للوجوب.

٢٩- ثم ليزيلوا أوساخهم بسبب طول الشعر والظفر، وليوفوا نذورهم التي يندرونها في الحج وغيره، وليطوفوا طواف الإفاضة والوداع لإتمام التحلل، بالبيت الذي هو أقدم بيت بني للعبادة، وأعتقه الله من تسلط أي جبار عليه.

٣٠- ذلك المذكور من أعمال الحج من حرمت الله: وهي ما يجب القيام به، ويحرم التفريط به، ومن يعظم حُرْمَتِ الله، أي شعائره وتكائيفه وأحكام دينه، فالتعظيم خير له عند ربه في الآخرة، وأحلت لكم الأنعام (وهي الإبل والبقر والغنم) إلا ما يحرم تناول شيء منها كالميتة وغيرها، فاجتنبوا النجس معنوياً من الأصنام، واجتنبوا قول الباطل من الكذب والبهتان والشرك بالله وشهادة الزور.

٣١- مخلصين الدين لله، بعيدين عن الباطل، غير مشركين بعبادة الله شيئاً- وهو تأكيد لما قبله- ومن يشرك بالله، فكأنما سقط من السماء، فمات، فتخطف الطير لحمه بسرعة، أو ترمي به الريح في مكان بعيد.

٣٢- ذلك المذكور، ومن يعظم أعلام دين الله وأحكامه، ومنها الهدى ومناسك الحج والمساجد والعبادات، فإن تعظيم شعائر الله من خشية الله وأفعال المتقين.

٣٣- لكم منافع في الشعائر: وهي ما جعل الله تعظيمها علامة على رضاه، وهي الهدايا من الأنعام، والانتفاع بها بالركوب والدّر والنسل والصفوف وغير ذلك إلى وقت نحرها، ثم مكان ذبحها الذي يحل فيه النحر عند البيت العتيق: وهو هنا جميع الحرم.

٣٤- ولكل أهل دين سابق أو جماعة متدينية، خصصنا متعبداً ومكاناً تذبح فيه القرابين أو الذبائح تقرباً إلى الله تعالى، ليذكروا اسم الله وحده على ما رزقهم من الإبل والبقر والغنم، فالهكم المعبود هو إله واحد، فله انقادوا وأخلصوا العبادة والطاعة، وبشّر المطيعين الخاشعين المخلصين.

٣٥- وهؤلاء المطيعون المتواضعون: هم الذين إذا ذكر الله خافت وخشعت قلوبهم، وحذرت مخالفته، والصابرون على ما أصابهم من البلايا والمحن، والمؤدون الصلاة بأركانها في أوقاتها، ويتصدقون بما رزقناهم في وجه الخير. وقوله ﴿والصابرين﴾ أي وأخص.

٣٦- وجعلنا من شعائر الله (أعلام دينه) الإبل ونحوها من البقر وغيرها المهداة إلى البيت الحرام، لكم فيها نفع في الدنيا والآخرة، فاذكروا اسم الله عليها عند نحرها أو ذبحها، بأن تقولوا: الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، اللهم منك واليك، قائمة قد صُفّت قوائمها؛ لأنها تنحر قائمة معقولة إحدى يديها بأن ترفع بالعقل، فإذا سقطت على الأرض بعد نحرها وكشط جلدها، فكلوا منها إن شئتم، وأطعموا الفقير الذي يرضى بما عنده ولا يسأل الناس، والسائل المتعرض. مثل ما وصفنا من نحرها قياماً، سخرناها وذللتناها لكم مع عظمتها وقوتها، لتشكروا هذه النعمة التي أنعم الله بها عليكم.

٣٧- لن ترفع ولن تصل إلى الله لحومها ودمائها، ولكن يصل إليه التقوى، ويقبل ويجازي على تقواكم، وخوفكم من الله وعمليكم الصالح مع الإيمان، وهكذا سخرها الله لكم، لتعظّموا الله وتشكروه على ما أُرشدكم إليه لدينه وشرعه، وتعليمكم كيفية التقرب بهذه الذبائح، وبشّر أيها النبي بالجنة الذين أحسنوا طاعة ربهم، وصدروا عنهم الخير لوجه الله تعالى.

٣٨- إن الله يدافع عن المؤمنين غوائل المشركين، إن الله لا يرضى عن كل كثير الخيانة لأمانته، كثير الكفر لنعمته، أي إنه يعاقبهم على خيانتهم وكفرهم. نزلت بسبب المؤمنين لما كثروا بكثرة، وآذاهم الكفار، وهاجر من هاجر إلى أرض الحبشة، وأراد بعض مؤمني مكة أن يقتل من أمكنه من الكفار، ويفتال ويفغدر ويحتال.

حُمْاءَ اللَّهِ عَصَى الْمُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَطُفِقَهُ أَطِيرٌ أَوْ يَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ بَحِيحٍ ﴿٣١﴾
ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحْلَاهَا إِلَىٰ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا لِيُذَكَّرُوا أَتَمَّ اللَّهُ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ حَيْثُ مَنَآءٍ أَلَّا يُعْلَمُوا فِي الْهَيْكَمِ إِلَهًُا وَاحِدًا فَلَهُ وَأَسْلَبُوا وَيَسِّرِ الْاَحْتِيقِ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَأَلْبَدًا جَعَلْنَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوًّآتٍ فَإِذَا وَجِيتُ جُنُوبَهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الطَّاعِ وَالْعَصَىٰ كَذَلِكَ سَخَّرْنَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَنْ يَبَالَ اللَّهُ لِحُومِهَا وَلَا دِمَائِهَا وَلَكِنْ يَبَالَ اللَّهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِذِكْرِكُمْ لِلَّهِ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ الْاِحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُهَيِّبُ كُلَّ حَرْزٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾



٣٩- رخص الله بالجهد ورد العدوان للمؤمنين الذين يقاتلون من قبل المشركين، بسبب ظلم الكفار إياهم وإيذائهم الشديد باللسان والأيدي، وإن الله قادر على نصرهم، كما نصرهم بدفع أذى الكفار عنهم، وهذا وعد لهم بالنصر في الحالين. هذه أول آية نزلت في المدينة للإذن بالقتال، بعد أن صبر المؤمنون على الأذى في العهد المكي، وكانوا حينما يشكون أذى المشركين إلى الرسول ﷺ يقول لهم: اصبروا فإنني لم أوامر بالقتال، حتى هاجر، فأنزل الله هذه الآية بالمدينة. وقال أبو بكر لما هاجر النبي: أخرجوا نبيهم، إنا لله وإنا إليه راجعون، ليهلكن، فأنزل الله هذه الآية.

٤٠- والمأذون لهم بالقتال هم الذين أخرجهم المشركون من ديارهم وأموالهم في مكة، بغير ذنب ارتكبه، ولكن أخرجوا منها لقولهم: ربنا الله، ولولا مدافعة الله الناس بعضهم ببعض، فيسخر للقوي المعتدي من هو أقوى منه، لأدى ذلك لتهديم صوامع الرهبان، أي أديرتهم، وكنائس النصراني وهي البيعة، وكنائس اليهود، ومساجد المسلمين، التي يذكر فيها كثيراً اسم الله، فتقطع

أذن للذين يقتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ﴿٣٩﴾ الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومسجد يذكر فيها اسم الله كثيراً وليضربن الله من يصرِفُ إن الله لقوي عزيز ﴿٤٠﴾ الذين إن تكلمت في الأرض فأموا الصلوة وآتوا الزكاة وأمرؤا بالعرف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور ﴿٤١﴾ وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ﴿٤٢﴾ وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدن وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير ﴿٤٣﴾ فكأن ثمن قرية أهلكتها وهي ظالمة فهي حاوية على عرشها وشيئاً متعظلة وقصر مشيد ﴿٤٤﴾ أفلم يسروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعي الأبصر ولكن تعي القلوب التي في الصدور ﴿٤٥﴾

العبادة بخرابها، ولنصرن الله من ينصر دينه، إن الله قوي قادر على كل شيء لا يقهر، منيع في سلطانه وقدرته، لا يعجزه شيء، ولا يغلبه غالب.

٤١- الذين إن جعلنا لهم في الأرض مكنة وسلطة بالنصر على عدوهم، أماموا الصلاة في أوقاتها، وآتوا الزكاة للمستحقين، وأمروا بما أمر به الشرع مما فيه خير قولاً أو فعلاً، ونهوا عما نهى عنه الشرع مما هو شر أو مفسدة، ومرجع الأمور في الدنيا إلى حكم الله وتدييره، وكذا في الآخرة ثواباً وعقاباً.

٤٢- وإن يكذبوك أيها الرسول، فقد كذب الرسل قبلك قوم نوح وعاد وثمود.

٤٣- وكذب قوم إبراهيم وقوم لوط نبيهما إبراهيم ولوطاً. والآية وما بعدها تسرية عن الرسول وتصبير له على تحمل الأذى كمن سبقه من الرسل.

٤٤- وكذب أصحاب مدن نبيهم شعبياً، وكذب فوعون وقومه موسى، فأمهلت الكافرين وأخرت عنهم العقاب، ثم أخذتهم بالعذاب، أي أهلكتهم، فكيف كان إنكارهم عليهم وتغيير النعمة إلى نقمة؟!

٤٥- وكمن قرية، أي كثير، أهلكتنا أهلها، وهم ظالمون أنفسهم بالكفر والتكذيب، فصارت القرية خربة متهدمة، سقطت حيطانها فوق سقفوها، وبثر متروكة بموت أهلها لا يتنفع بها، وقصر مرتفع البنيان خرب خال بموت أهله.

٤٦- أفلم يسافروا في نواحي الأرض ليروا مصارع المهلكين، فيعتبروا؟! فتصير لهم قلوب يتعقلون بها، أو آذان يسمعون بها الوحي سماع تدبر وتفهم، فإن الأبصار أو المشاعر ليست عمياء، وإنما العمى عمى البصيرة، وسوء استعمال العقل باتباع الهوى والتقليد. وذكر الصدور للتأكيد.

٤٧- ويستعجلك أيها النبي مشركو مكة بما توعدتهم به من العذاب، على سبيل الاستهزاء والسخرية، وإن يوماً عند ربك من أيام الآخرة بسبب العذاب، يقلد بألف سنة مما تعدون أو تحسبون في الدنيا، واليوم والألف سواء بالنسبة لقدرة الله تعالى.

٤٨- وكم من قرية أمهلت أهلها وهم ظالمون أنفسهم بالكفر، مثلكم أيها الكفار، ثم أخذتهم بالعذاب، وإلى حكمي المرجع بعد الهلاك.

٤٩- قل أيها النبي: يا أيها الناس في مكة وغيرها، إنما أنا لكم منذر واضح ومخوف من عذاب الله إن بقيتم على الكفر.

٥٠- فالذين آمنوا بالله ورسوله، وعملوا صالح الأعمال التي أمر الله بها، لهم مغفرة للذنوبهم، ورزق كريم في الآخرة وهو الجنة.

٥١- والذين اجتهدوا في محاربة القرآن وإبطال تعاليمه، ظانين أنهم يعجزوننا ويغلبوننا ويفوتونا بإنكار البعث والقيامة، أولئك هم سكان النار الموقدة.

٥٢- وما أرسلنا من قبلك أيها الرسول من رسول بشريعة جديدة يدعو الناس إليها، أو نبي

وَسْتَجْلِبُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا
عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مَّا تَعُدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَكَأَيُّنَ مِنْ قَرِيبَةٍ
أَمَاتَتْ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ شَوْأَخَذْنَاهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ ﴿٥٨﴾
قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا كُفْرٌ بَدْرُ مِثْلٍ ﴿٥٩﴾ فَالَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٦٠﴾
وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ
﴿٦١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُولٍ وَلَا نَنْبِيٍّ إِلَّا إِذَا
تَمَنَّى الْوَالِي الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ
ثُمَّ يُخَيِّرُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٢﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي
الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةَ قُلُوبُهُمْ
وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٦٣﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا
ءَالَهَةً أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ يُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ
وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٤﴾
وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِئَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ
السَّاعَةُ بَعْتَهُمْ ءَأَنبَاهُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٦٥﴾

مبعوث لتقرير شرع سابق، كانبيا بني إسرائيل بين موسى وعيسى عليهم السلام إلا إذا قرأ آيات الله، ألقى الشيطان في قراءته ما ليس في قراءته الموحى بها، مما يرضاه المرسل إليهم، فيبطل الله ما يلقي الشيطان من الوسوس، ثم يثبت الله آياته ويحفظها من التبديل، والله واسع العلم بما يوحى إلى أنبيائه وبأحوال الناس، وما يلقيه الشيطان، حكيم في تدبير أمور خلقه وفيما يفعله بهم. نزلت في بعض الروايات المرسلة غير المسندة حينما قرأ النبي ﷺ في سورة [النجم ٥٣ / ١٩ - ٢٠]: ﴿أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾ ألقى الشيطان كلمتين مقلداً صوت النبي: (تلك الغرائق العلاء، وإن شفاعتهن لترجي، والغرائيق: الأصنام، أو الملائكة، هم الشفعاء. قال ابن خزيمة: إن هذه القصة من وضع الزنادقة.

٥٣- ليجعل الله ما يلقي الشيطان من الوسوس محنة وابتلاء للذين في قلوبهم شك ونفاق، وللكفار والمشركين قساة القلوب عن قبول الحق، وإن الظالمين لأنفسهم بالنفاق أو الشرك في خلاف شديد مع الحق والرسول وبعده كبير عنهما، حتى صار كل فريق في شك لا يجتمعان.

٥٤- وليعرف أهل العلم المجردون عن التعصب والعناد أن القرآن هو الحق النازل من عند الله، لا تبديل فيه ولا تغيير، فيؤمنوا بالقرآن وبالله، أو يثبتوا على إيمانهم، فتخشع له قلوبهم وتتقاد، وإن الله لوفى ومرشد المؤمنين إلى طريق قويم، لا عوج فيه.

٥٥- ولا يزال الكفار في شك من هذا القرآن، حتى تأتيهم القيامة فجأة، أو يأتيهم عذاب يوم لا خير فيه لهم، متفردين عن سائر الأيام لشدة، وهو يوم القيامة، ووصف بأنه عقيم؛ لأنه لا يوم بعده.

٥٦- السلطان القاهر والتصريف التام لله وحده يوم القيامة، يقضي بين الناس جميعاً، فالذين آمنوا بالله ورسله، وعملوا صالح الأعمال التي أمر الله بها، لهم جنات النعيم مستقرون فيها على الدوام.

٥٧- والذين كفروا بالله ورسله، وكذبوا بآيات الله في كتبه ومنها القرآن، لهم يوم القيامة عذاب مذل بالغ الإهانة.

٥٨- والذين هاجروا وتركوا أوطانهم من مكة إلى المدينة من أجل طاعة الله ورضوانه، ثم قتلوا في معركة في الجهاد، أو ماتوا في دار الهجرة، ليرزقهم الله رزقاً حسناً في الآخرة وهو الجنة، وإن الله هو خير الرازقين أو المعطين؛ فإنه يرزق بغير حساب.

٥٩- ليدخلنهم ربهم إدخالاً مرضياً أو موضعاً يرضونه وهو الجنة، وإن الله واسع العلم بنياتهم وأحوالهم ودرجاتهم، كثير الحلم لا يعاجلهم بالعقوبة ولا يؤاخذهم بما فرط منهم.

٦٠- الأمر هو ذلك، ومن جازى الظالم بمثل ظلمه، ثم عاد إلى إلحاق الظلم بالظالم الأول، لينصرون الله المظلوم في هذه المرة على الباغي، إن الله كثير العفو عن المؤمنين، واسع المغفرة لهم. نزلت في شأن فئسة من المشركين قاتلوا سرية من المسلمين في الشهر الحرام، بالرغم من مناشدة الصحابة ألا يقاتلهم المشركون، فأبوا ذلك، فقاتلهم المسلمون، وانتصروا عليهم.

الْمَلِكُ يُوعِظُكَ اللَّهُ بِحُكْمِ رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي حَتَّى النَّعِيمِ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ۝ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لِرِزْقِهِمْ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ۝ لِيَذَّبَنَّهُمْ مَدْحًا لِيَرْضَوْهُ ۝ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ۝ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ شَرَّعْنِي عَلَيْهِ لِيَنْصُرَنَّهُ إِنَّ ابْنَ اللَّهِ لَعَفُوفٌ غَوَّورٌ ۝ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُوَجِّعُ الْأَتِيلَ فِي النَّهَارِ وَيُوجِّعُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَيُّ وَأَنَّ مَا بَدَعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۝ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۝

٦١- ذلك النصر بسبب أن الله قادر على كل شيء، فهو الذي يدخل كلاً من الليل والنهار في الآخر، بأن يزيد به وينقص الآخر، ويغلب بعض الأمور على بعض، وأن الله دقيق السمع مديد البصر، يسمع كل قول، ويبصر كل فعل.

٦٢- ذلك الاتصاف بالقدرة الكاملة والعلم التام لله تعالى، لأجل أن الله هو الحق، أي الوجود الثابت الواجب لذاته، وأن ما يعبدون من دونه من الآلهة كالأصنام هو الباطل المعدوم الزائل؛ لأنه لا يملك ضرراً ولا نفعاً، وأن الله هو المتعالي على كل شيء بقدرته وعظمته، الكبير العظيم عن أن يكون له شريك.

٦٣- ألم تعلم أن الله أنزل من السحاب مطراً- والسماء: كل ما علا من الأجرام والكواكب- فتصبح الأرض مخضرة بالنبات، إن الله لطيف بعباده، يصل علمه إلى كل دقيق وجليل، خبير بالتدابير الظاهرة والباطنة، والنوايا والأحوال.

٦٤- له جميع ما في السموات والأرض خلقاً وملكاً، وإن الله هو الغني في ذاته عن كل شيء، فلا يحتاج لأحد، المستحق للحمد في كل حال.



أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَآ فِي الْأَرْضِ وَأَلْفَاكَ تَجْرِي
 فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ
 إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي
 أَنشَأَكُمْ مِنْ تُمُومِكُمْ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ ثُمَّ يُجْعِلُكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ كَافِرِينَ ﴿٦٦﴾
 لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُبْشِرُكَ
 فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلى هُدًى مَسْتَقِيمٌ ﴿٦٧﴾
 وَإِنْ جَدَدُ لَوْكَ فَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ
 بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾
 أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي
 كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
 مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لَمْ يَكُنْ لِيَوْمِ
 مِنْ نَصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا يَتَّبِعُ تَعْرِفُ
 فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكْفُرُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ
 يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ بَشَرٌ مِنْ ذَالِكُمْ
 أَلْتَارَوْعْدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَسْسُ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

٦٥- ألم تعلم أن الله ذللكم جميع ما في
 الأرض من جماد ونبات وحيوان لمنفعتكم، وذللكم
 لكم السفن في حال جريها في البحر، بإذنه
 ومشيئته، ويحفظ السماء من وقوعها على الأرض
 إلا بأمره وقدرته، إن الله بالناس لشديد الرأفة
 بعباده، واسع الرحمة بهم.

٦٦- والله هو الذي أحياكم بالإنشاء بعد أن كنتم
 جماداً: عناصر ونطفاً، ثم يميتكم عند انتهاء
 أجالكم، ثم يحييكم في الآخرة عند البعث، إن
 الإنسان لجحود للنعم حين ترك توحيد الله تعالى.

٦٧- لكل أمة جعلنا شريعة وعبادة يكفلون بها،
 هم عاملون بها، فلا يصح أن ينازعوك- أي
 المشركون- في أمر الدين، ومنه الذبائح، وادع إلى
 توحيد ربك وعبادته، إنك لعلى دين قويم. نزلت
 حين قال مشركو خزاعة: ما لكم تأكلون ما
 قتلتم، ولا تأكلون ما قتله الله؟!

٦٨- وإن جادللك المشركون بعد ظهور الحججة

عليهم في أمر الدين، فقل أيها النبي: الله أعلم بما تعملون، أي فوكل أمرهم إلى الله، وهذا وعيد لهم.

٦٩- الله يفصل بين المؤمنين والكافرين فيما اختلفوا فيه من أمر الدين، ليعلم المحق من المبطل.

٧٠- أما قد علمت أيها النبي أن الله يعلم كل شيء في السماء والأرض، ومنه الخلافات القائمة، إن ذلك
 العلم المحيط بما ذكر من معلومات الله مدون في كتاب هو اللوح المحفوظ، وإحاطة علمه بجميع الأشياء أمر
 يسير عليه، لا صعوبة فيه، فسبحانك يا رب هذا دليل الوهيتك، فنحن لا نعلم شيئاً ما وراء جدار مجاور لنا
 مثلاً!!

٧١- ويعبد المشركون أصناماً من دون الله، لا حجة فيها ولا برهان من الله، ولم يقم عليها دليل علمي ولا
 عقلي، وليس للكافرين من ناصر ينصرهم، يقرر مذهبهم أو يدفع عنهم العذاب.

٧٢- وإذا تلى على المشركين آيات القرآن ووضحت الدلالة على توحيد الله، تظهر على وجوه الكفار
 علامات الإنكار والغضب والكره الدالة على إرادة الفتك بالغير، يكادون يبطشون بالنبي وبالؤمنين الذين
 يتلون عليهم آياتنا من شدة الغيظ، قل لهم أيها الرسول: أفأخبركم بشر من غيظكم على تالي آيات الله؟ هو
 النار التي وعدنا الله الكافرين بأن مصيرهم إليها، جزاء كفرهم، وبئس المصير هي النار.

يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ فَاَسْمِعُوا اللَّهَ وَإِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْأَلْهُمْ
الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ
وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ
عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ اللَّهُ يَصْطَلِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ
سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ
رُجُوعُ الْأُمُورِ ﴿٧٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْزَكُوا وَأَسْجَدُوا
وَأَعْبَدُوا رَبَّهُمْ وَأَقْبَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ فَتَحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا
فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ
مِنْ حَرَجٍ مَثَلًا بَلَاءً لَكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ
وَفِي هَذَا لَيَكُونُ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ
عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَعِظُوا بِاللَّهِ
هُوَ مَوْلَاكُمْ فَعِظُوا الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

سُورَةُ الْبَقَرَةِ مَكِّيَّةٌ مَكِّيَّةٌ
سُورَةُ الْبَقَرَةِ مَكِّيَّةٌ مَكِّيَّةٌ
سُورَةُ الْبَقَرَةِ مَكِّيَّةٌ مَكِّيَّةٌ

٧٣- يا أيها الناس من أهل مكة وغيرهم بين وأبرز لكم مثال رائع وكلام بدیع، فاستمعوا لهذا المثل سماع تدبر وتفكر، إن الذين تعبدون من دون الله وهي الأصنام، لن يقدروا على خلق ذباب مع صفره، ولو اجتمع جميع المعبودات لهذه المهمة، وإن يأخذ من هذه المعبودات الذباب شيئاً كالطيب والزعفران لا يقدر أن على استرداده منه لعجزهم، ضَعُف الصنم الطالب خَلَقَ الذباب، أورد المسلوب، والمطلوب وهو الذباب السالب، أو عابد الصنم والصنم المعبود.

٧٤- ما عظم المشركون الله حق عظمته، ولا عرفوه حق المعرفة، حيث أشركوا به هذه الأصنام العاجزة، إن الله لقادر تام القدرة، غالب لا يقهره أحد.

٧٥- الله يختار من الملائكة رسلاً بمهام معينة مثل جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، ويختار من الناس أناساً وهم الأنبياء لهداية الناس، إن الله سمیع لمقاتلتهم، مدرك للأشياء كلها، بصير بالأفعال ويمن يتخذة رسولاً.

٧٦- يعلم الله كل ما قدموا وما آخروا، وعملوا ويعملون من أعمال، وإلى الله مرجع الأمور كلها

٧٧- يا أيها المؤمنون صلوا الله الصلاة التي شرعها الله لكم، ووجدوا ربكم وخصوه بالعبادة، وافعلوا ما هو خير من أداء الفرائض والنوافل ونبغ الناس ومكارم الأخلاق، لتفلحوا وتفوزوا في الدنيا والآخرة.

٧٨- وجاهدوا في سبيل الله بمدافة الأعداء جهاداً حقاً خالصاً لوجهه، هو اختاركم لدينه ولنصرة شرعه، وما جعل عليكم فيما شرعه لكم من الدين من ضيق ومشقة وشدة، بتكليفكم ما يشق عليكم، وإنما جعله سمحاً سهلاً، ورخص لكم الرخص الشرعية الكثيرة كالقصر وجمع الصلاتين، والفرط في رمضان للمسافر والمرضى، والتيمم، وأكل الميتة وغيرها من المحرمات للضرورة، وإن تلك الشريعة الميسرة هي شريعة أبيكم إبراهيم- وإنما جعل أباً للمسلمين؛ لأنه أبو رسول الله ﷺ أي جده، والرسول كالأب في الشفقة على الأمة- فاتبعوها والزموها، الله سماكم المسلمين على لسان إبراهيم حين دعا ربه قائلاً: ﴿... ومن ذريتنا أمة مسلمة لك﴾ [البقرة ٢/ ١٢٨] من قبل القرآن في الكتب المتقدمة، وفي القرآن سماكم أيضاً المسلمين، وسماكم ليكون الرسول محمد ﷺ شاهداً عليكم يوم القيامة بتبليغه الرسالة إليكم، وتكونوا شهداء على الناس أن رسلهم قد بلغتهم رسالات ربهم، فواظبوا على الصلاة وإيتاء الزكاة وغيرها من الطاعات، وثقوا بالله والتجشوا إليه وتوكلوا عليه، هو ناصركم ومتولي أموركم، فنعمة الناصر والنصير للمؤمنين؛ إذ لا مثل له في الولاية والنصرة.

سورة المؤمنون

فضلها: روى الإمام أحمد وغيره: أن النبي ﷺ قال: «لقد أنزل علي عشر آيات، من أقامهن - أي لم يخالف ما فيهن - دخل الجنة، ثم قرأ ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ [١] حتى ختم العشر».

١- قد فاز المؤمنون بالنعيم الدائم. روى النسائي أن السيدة عائشة رضي الله عنها سئلت عن خلق رسول الله ﷺ، فقالت: كان خلقه القرآن، ثم قرأت ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ حتى وصلت إلى قوله تعالى: ﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ [٥] قالت: هكذا كان خلق رسول الله ﷺ.

٢- الذين هم في صلاتهم خاضعون متواضعون متذللون لله مع خوف وسكون.

٣- والذين هم منصرفون عن اللغو: وهو كل باطل وما لا خير فيه ولا فائدة من الكلام.

٤- والذين هم لأجل تنمية الخير وتزكية النفوس فاعلون كل ما يحقق ذلك: وهو ما أمرهم الله تعالى به، وليس المراد بالزكاة هنا المال؛ لأنه لا يقال: فعل فلان المال، وإنما يقال: فعل الإحسان، وفعل الشر.

٥- والذين هم يحافظون على فروجهم من الحرام، بالتعفف عنه وكف النفس عن اقتراه. والفرج: سواة الرجل والمرأة.

٦- إلا على زوجاتهم بعقد زواج مشروع، أو ما ملكت أيماهن من الإماء أو السراي حينما كان الرق شائعاً في الماضي، ومصدره الحرب واسترقاق الإمام للنساء معاملة بالمثل، فهم غير ملومين في الاستمتاع بهن، ففي الزواج يملك الزوج المتعة بالعقد، والإماء مملوكات الرقة والمنفعة والمتعة.

٧- فمن طلب غير ذلك من الزوجات والسراي، فهم المعتدون المجاوزون حدود الله تعالى.

٨- والذين يربعون الأمانة والعهد ويحفظون ذلك، والأمانة: كل ما يوتمن الإنسان عليه من التكليف الشرعية أو الودائع المالية، والعهد: كل ما يلتزم الإنسان الوفاء به، من جهة الله كالصلاة، أو من جهة عباده كالمعاهدات.

٩- والذين هم يحافظون على صلواتهم بإتمام أركانها وأدائها في أوقاتها.

١٠- أولئك الجامعون لهذه الصفات هم وارثو الجنان.

١١- الذين يربون الفردوس: أعلى الجنة، هم مقيمون فيها على الدوام، لا يخرجون منها.

١٢- ولقد خلقنا جنس الإنسان من خلاصة ماء، مستلة من التراب في الأصل.

١٣- ثم جعلنا نسل الإنسان من طريق نطفة (مني) ملقاة في رحم المرأة لتستقر فيه.

١٤- ثم خلقنا النطفة وصيرناها قطعة دم جامد، ثم صيرناها قطعة لحم صغيرة، ثم صيرناها قطعة اللحم عظماً، ثم كسونا العظام لحماً بأن أنبتنا على كل عظم لحماً بمقدار يناسبه، ثم أنشأناه بعد صيرورته جنبناً متكامل الخلقة خلقاً آخر ينفخ الروح فيه وولادته حياً، فتعاطم وتقدس الله في قدرته وحكمته أحسن المقدرين الصانين. والخلق يطلق عنى الإيجاد والتقدير، والمراد هنا الثاني.

١٥- ثم إنكم أيها البشر بعد مراحل النشأة والحياة ليمتتون عند انقضاء الأجل.

١٦- ثم إنكم تبعثون يوم القيامة للحساب والجزاء.

١٧- ولقد خلقنا فوقكم سبع سموات، طُورق بعضها فوق بعض، وما كنا غافلين عن حفظ هذه السموات من السقوط.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَشِعُونَ
 ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ الْقَوْمِ مُّصْرُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ
 فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَى
 أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾
 فَمَنْ ابْتغى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ
 هُمْ لِمَوَاعِدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ
 يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ
 الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ
 مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَظْفَةً فِي قرارٍ
 مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ
 مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْأضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ﴿١٤﴾
 ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَبَارَكْ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٥﴾
 ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَنَسُونَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامِ تُبْعَثُونَ ﴿١٧﴾
 وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ فَوقَكُمْ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمَا كُنَّا مِنَ الْخَالِقِ غَافِلِينَ ﴿١٨﴾



وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى
 ذَهَابٍ بِهِ لَلْقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جِبْتًا مِنْ نَجِيلٍ وَأَعْتَبْنَا
 لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهَ كَثِيرَةً وَمِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَنَجْمَةٌ تَخْرُجُ
 مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَيْغٌ لِلْأَكْلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَكُمْ
 فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ لِّتَسْقِيَكُمْ تَمَاثِي بِطُورِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ
 وَمِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفَلَاحِ مَجْلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ
 أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ
 غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا
 الْإِنشُرُ مِثْلَكُمْ يُرِيدُ أَنْ يُفَضِّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ
 مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آيَاتِ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا
 رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فُزِّيضٌ وَإِنْ هِيَ إِلَّا نَجْمٌ مُذْتَبِرٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي
 بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلَ كَبَاعِيْنَا
 وَوَحَيْنَا إِذْ جَاءَ أَمْرًا وَفَارَ التَّنُورَ فَاسْلُكْ فِيهَا
 مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَى مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ
 مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطَبُ فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنَّهُمْ مُعْرِفُونَ ﴿٢٧﴾

١٨- وأنزلنا من السماء مطراً بمقدار معلوم يحقق الكفاية، ولا يحصل به الهلاك، فجعلناه مستقراً في الأرض، ينبع منها عيون وأنهار، وكما قدرنا على إنزاله، فنحن قادرون على تخويره في الأرض بحيث يتعذر إخراجها، فيحدث الموت عطشاً، والهلاك في المزروعات والمواشي بسبب الجفاف.

١٩- فأوجدنا لكم بالماء بسايتين من نخيل وأعناب، وهما أكثر فواكه العرب، لكم في هذه الجنات فواكه كثيرة مختلفة الألوان والأنواع، ومن ثمارها تنتفعون أكلاً وشرباً، رطباً ويابساً، صيفاً وشتاءً، فالمراد من الأكل هنا: الانتفاع والارتزاق.

٢٠- وأنشأنا بهذا الماء شجراً مباركاً، وهو شجر الزيتون الذي يخرج في طور سيناء (طور سينين) عند مناجاة موسى ربه، يخرج منه زيت الاستصباح، وزيت الأكل ليدهن به، وينتفع به إداماً للأكليين.

٢١- وإن لكم في الإبل والبقر والغنم لعظة تعتبرون بها وتستدلون بها على القدرة الإلهية، نسقيكم مما في بطونها لبناً طيباً، ولكم فيها منافع كثيرة في ظهورها وأصوافها وأوبارها وأشعارها وغير ذلك.

٢٢- وعليها وعلى السفن تحملون في الأسفار والتنقلات إكمالاً للنعمة، والركوب عادة يكون على الإبل دون باقي الأنعام من البقر والغنم، ولا مانع من عود الضمير على بعض مشتملات الكلام السابق.

٢٣- ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه الوثنيين، لدعوتهم إلى توحيد الله وعبادته، فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئاً، ليس لكم إله يستحق العبادة غيره، أفلا تخافون عذابه؟

٢٤- فقال أشراف قومه الكفار لأتباعهم: ليس نوح إلا مثلكم من البشر العاديين، يريد بما يدعي من النبوة أن يكون له التفضل والسيادة عليكم حتى تكونوا أتباعاً له، ولو شاء الله إرسال رسول لهداية البشر لأرسل ملائكة، ما سمعنا بهذا الذي دعا إليه نوح من التوحيد، وكونه من البشر، في الأم الماضية.

٢٥- ما نوح إلا رجل به جنون مضطرب العقل والكلام، فانتظروه إلى زمن لعله يفيق من جنونه أو يموت.

٢٦- قال نوح: يا رب انصرنني على قومي بسبب تكذيبهم إياي، بأن تهلكهم.

٢٧- فأوحينا إلى نوح: أن اصنع السفينة بحفظنا ورعايتنا، وإرشادنا وتعليمنا إياك، فإذا جاء أمرنا بنزل العذاب بهم وإهلاكهم، وفار نبع الماء من مكان خبز الخباز: وهو بيت النار الذي ينضج به الخبز، فادخل في السفينة من كل نوع من أنواع الحيوان صنفين: ذكر وأنثى، ليستمر توالد الحيوان وتبقى الحياة في الأرض، وأدخل أيضاً أهل بيتك ومن آمن معك إلا من تقرر إهلاكه لكفره، أي سبق القضاء بهلاكه، ولا تشفع في الذين كفروا بترك إهلاكهم، إنهم مغرورون حتماً، لظلمهم بالإشراك والمعاصي.

٢٨- فإذا اعتدلت بركوك في السفينة وصعدت إليها أنت ومن معك، فقل: الحمد لله الذي خلصنا من شر القوم الكافرين.

٢٩- وقل عند نزولك من السفينة: رب أنزلي إنزالاً مباركاً أو مكاناً فيه الخير والبركة، وأنت خير المتزين المكرمين عبادك.

٣٠- إن في قصة نوح عليه السلام المذكورة لدلالات على كمال قدرة الله تعالى، وعبراً وعظات وإن كنا لمختبرين عبادنا ومنهم قوم نوح بالآيات وإرسال الرسل، أي تعاملهم معاملة المختبرين ليظهر المطيع من العاصي.

٣١- ثم أوجدنا من بعد إهلاكهم قوماً آخرين، هم عاد قوم هود.

٣٢- فأرسلنا فيهم رسولاً من جنسهم، هو هود عليه السلام، قائلاً لهم: اعبدوا الله وحده، ما لكم من إله مستحق العبادة غيره، أفلا تخافون عقاب الله، فتركوا عبادة غيره، والإشراك به، أفلا تتقون عقابه، فتؤمنوا.

٣٣- وقال أشرف قومه رؤسأؤهم الذين كفروا بالله ورسوله، وكذبوا بالمصير إلى الآخرة وما فيها من ثواب وعقاب، ونعمناهم ووسعنا عليهم وجعلناهم في ترف وسعة من الرزق وكثرة الأولاد في الحياة الدنيا، حتى بطروا: ما هود هذا الذي يدعي النبوة إلا من جنسكم من البشر، يأكل من أكلكم، ويشرب من شربكم، ولو أرسل الله رسولاً لجعله ملكاً.

٣٤- والله لئن أطعتم بشراً مثلكم فيما يأمركم به وينهاكم عنه، وتركتم عبادة أللهتكم، إنكم إذا أطعتموه لمعبونون في آرائكم، حيث أذلتكم أنفسكم لأمثالكم.

٣٥- أيعدكم هود أنكم إذا متم وأصبحتم تراباً وعظاماً نخرة لا لحم فيها أنكم مبعوثون من قبوركم أحياء؟!!

٣٦- بعداً بعداً- أي بعد البعث بعد الموت- لما توعدون من الإخراج من القبور والبعث والحساب، والمعاد إنكار البعث وأذى النفس فيما بعد مئات السنين. ولا م ﴿لما﴾ هي لام البيان، تبين مرجع الضمير وهو البعث.

٣٧- لا حياة إلا حياة الدنيا التي نعيشها، يموت بعضنا ويولد بعض آخر، ولسنا نحن مبعوثين بعد الموت.

٣٨- ما هو إلا رجل اختلق على الله كذباً، ولسنا بمصدقين له في رسالته وادعائه البعث بعد الموت.

٣٩- قال هود: رب انصرتي عليهم بسبب تكذيبهم إياي.

٤٠- قال الله: بعد زمان قليل ليصيرن نادمين على كفرهم وتكذيبهم عندما يرون العذاب.

٤١- فأخذتهم صيحة العذاب وهي صوت شديد مهلك، باستحقاقهم العقاب بكفرهم، وبالوجه الثابت عدلاً، فصيرناهم هلكى كغشاء السيل: وهو ما يحمل من الورق والعيان اليابسة، فبعداً من الرحمة وهلاكاً للقوم الكافرين المكذبين.

٤٢- ثم أوجدنا من بعد إهلاكهم أقواماً آخرين، وهم قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم.

فَإِذَا أَسْتَوَيْتِ أُنْتِ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْعُلَاكِ فَقُلِ اتَّخَذَ اللَّهُ الَّذِي نَجَّيْنَا مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُلِ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُزْلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَأَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الْمَلَأَمِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا الْآخِرَةَ وَأَتْرَقَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا الْبَشَرُ مِثْلَكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا نَكُونُ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ وَإِنَّكُمْ إِذْ لَخَاسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُّكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ تُحْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هِيَ هِيَ هِيَ هِيَ هِيَ هِيَ تَوَعَّدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ رَبِّ انصرتي بما كذبون ﴿٣٨﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصِيبُكُمْ نَادِمِينَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْتُمُوهُمْ الصَّيْحَةَ الْحَقَّ فَعَلَلْنَاهُمْ عَذَابًا فِعْدًا لِقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٤١﴾



مَا تَسْقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا
 نُبِّأَ كُلَّ نَجْمَاءٍ أُمَّةً رَسُولًا لِكَيْ يَبَيِّنَ لَهُمْ مَنَاصِبَهُمْ فَتَعْلَمُونَ
 وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا
 مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
 وَمَلَائِكَةٍ فَاستَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ
 لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا
 مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ
 ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ آيَاتٍ لِّيُحَدِّثُوا عَلَيْهَا إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ
 ﴿٥٠﴾ فَارْتَدَّ عَنَّا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَلِئِن لَّمْ يَظْهَرِ لَهُمْ بَيِّنَاتٌ
 مِّنَّا لَخَبِثَتِ الْفُتُورَ ﴿٥١﴾ وَإِن هَذِهِ لَمَّا تَذَكَّرٌ ﴿٥٢﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ
 وَأَنَّا نُرِيكُمْ آيَاتِنَا فَتَكْفُرُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلٌّ
 حِزْبٍ مَّا لَدَيْهِمْ فِرْعَوْنُ ﴿٥٤﴾ فَذَرَفُوا عَنَّا فِي سَحَابٍ مِّمَّيْنٍ ﴿٥٥﴾
 أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُضَاعِفُهُمْ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٦﴾ نَسَارِعَ لَهُمْ
 فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ حَسْبِهِ رَبِّهِمْ
 مُشْفِقُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾

٤٣- ما تتقدم كل أمة الأجل المقرر لها، ولا تتأخر عنه.

٤٤- ثم أرسلنا رسلنا، يتبع بعضهم بعضاً، كلما جاء رسول إلى أمته كذبوه ولم يصدقوه برسالتهم، فاتبعنا بعضهم بعضاً في الإهلاك، وجعلناهم أحاديث للعبرة: وهي ما يتحدث الناس به لغرابته، فبعداً عن رحمة الله وهلاكاً لقوم لا يصدقون برسالات الرسل.

٤٥- ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بالمعجزات التسع المذكورة في [الأعراف ٧/ ١٣٣] وهي الجراد، والدم، والسنون، ونقص الثمرات، والطوفان، والقمل (حشرة تتلف الزرع) والصفادع، والطمس على الأموال، والطبع على القلوب، وأرسلناه أيضاً بحجة واضحة ملزمة للخصم على وحدانية الله، والسلطان: صفة للآيات.

٤٦- أرسلناهما إلى فرعون وكبار قومه، فاستكبروا عن الإيمان، وكانوا قوماً مستعجلين على الناس بالبغي والظلم.

٤٧- فقال فرعون وقومه: أنسلّم لبشرين مثلنا ما يقولان، وقومهما لنا مطيعون متقادون انقياد العبيد؟!

٤٨- فكذبوا موسى وهارون، فكانوا بسبب تكذيبهم من المهلكين بالفرق في البحر.

٤٩- ولقد آتينا موسى التوراة لعل بني إسرائيل يهتدون بها إلى الحق والشرائع والأحكام، ويعملون بها.

٥٠- وجعلنا عيسى ابن مريم وأمه دليلاً على كمال قدرتنا، وأنزلناهما في بقعة مرتفعة من الأرض، فيها أسباب الاستقرار من الزرع والثمار، وفيها ماء جارٍ ظاهر للعين.

٥١- وقلنا: يا أيها الرسل، كلوا مما يستطاب ويستلذ من المباحات، واعملوا عملاً صالحاً موافقاً للشرعية من فرض ونفل، إني عليم بأعمالكم، لا يخفى علي منها شيء.

٥٢- وإن هذه ملة الإسلام ملتكم ودينكم وشريعتكم، وهي دين واحد أيها المخاطبون، وهي شريعة توحيد الله، فاتقوا الله وحده وخافوا عقابه، بأن تشركوا به غيره.

٥٣- فقطع الأتباع دينهم قطعاً، وتفرقوا فرقا مختلفة، وأصبحوا طوائف، كل جماعة معجبون، مسرورون بما لديهم من الدين.

٥٤- فآثرهم في جهلهم وغفلتهم إلى وقت موتهم وعذابهم في النار.

٥٥- أيعظون أن ما نعطيهم في هذه الدنيا من الأموال والأولاد؟

٥٦- تعجل لهم به تكريماً وتحقيقاً لخيرهم؟ لا نفعل ذلك، بل إنما نستدرجهم ليزدادوا إثمًا، وهم لا يشعرون. والمعنى: أيعجبون أن الذي نمدحهم به نسارع لهم به فيما فيه خيرهم وإكرامهم؟ الأمر عكس ذلك، فنحن لا نسارع لهم في خير، بل هم لا يشعرون بأننا نستدرجهم ليزيدوا في غيهم، فيزيد عذابهم.

٥٧- إن الذين هم من خشية عذاب ربهم شديدو الخدر، فلا يفعلون ما يفضيه تعالى.

٥٨- والذين هم يصدقون بآيات ربهم المنزلة في القرآن المجيد، وبالآيات الكونية في الأنفس والسموات والأرض.

وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْمَغِيرَاتِ وَهُمْ لَا أَسْمَاءَ ﴿٦١﴾ وَلَا كَلْفٌ لِّفَنَاسٍ إِلَّا وَسْعَةٌ ۚ وَرَبُّنَا كَاتِبٌ بِطِقٍ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَلُ مِّنْ دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذْ هُمْ يُجْحَرُونَ ﴿٦٤﴾ لَاجِرُونَ وَالْيَوْمَ إِنَّا لَأَنصُرُونَ ﴿٦٥﴾ فَذَكَرْنَا عَائِلَتِي نُنَالِي عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنَكُّبُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سِمَاءُ مَّجْرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَا يَذَرُّوهُ الْقَوْلُ أَمْ جَاءَهُمْ مَّالٌ مَّا يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يُبْرَوْا رَسُولُهُ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ الْبَلْغِيُّ وَأَكْثَرُهُمُ الْغَلِيُّ كَرِيمُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوْ أَسْبَغَ الْخَلْقُ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُم بِبَيِّنَاتٍ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِ مُعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خِزْفَانٌ فَذَرِكْ خَيْرٌ ۗ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾

٥٩- والذين هم بربهم لا يشركون معه شريكاً آخر، شركاً جليلاً ولا خفياً، نص على ذلك بعد التصريح بالإيمان؛ لأن الشرك قد يجتمع مع الإيمان بالله تعالى.

٦٠- والذين يعطون ما أعطوا من الصدقات والزكوات، وقلوبهم خائفة ألا تقبل منهم؛ لأنهم راجعون إلى الله تعالى يوم القيامة، فيجازيهم على ما عملوا.

٦١- أولئك الموصوفون بما ذكر يبادرون إلى الخيرات، ويرغبون في الطاعات أشد الرغبة، وهم يسبقون غيرهم إلى فعلها، ولأجلها يسبقون إلى الجنة.

٦٢- ولا تكلف نفساً شيئاً من الطاعات إلا بمقدار طاقتها دون مشقة ولا حرج، فتجوز مثلاً الصلاة للمريض قاعداً أو إيماء، وللمسافر والمريض الفطر في رمضان، ولدينا صحيفة أعمال الخلق، يظهر فيها الحق الواقع، والعمل يوم القيامة، وهم لا يظلمون بنقص ثواب أو زيادة عقاب.

٦٣- بل قلوب الكفار في غفلة عن هذا الكتاب الذي ينطق بالحق: وهو صحيفة الأعمال أو القرآن، ولهم أعمال سيئة سوى ما هم عليه من الكفر، هم عاملون بها، معتادون فعلها، فيُعذبون عليها.

٦٤- حتى إذا أخذنا بعذاب الآخرة المتنعمين منهم، وهم الأغنياء والرؤساء، إذا هم يصرخون ويضججون مستغيثين.

٦٥- فيقال لهم: لا تصرخوا ولا تستغيثوا يوم نزول العذاب، إنكم من عذابتنا لا تتقنون ولا تمنعون منا.

٦٦- قد كانت آياتي من القرآن تقرأ عليكم، لتأملوا فيها وتؤمنوا بها، فكنتم تعرضون عن سماعها إعراضاً شديداً شينياً. والأعقاب جمع عقب: وهو مؤخر قدم الرجل، والنكوص: الرجوع بالظهر إلى الخلف.

٦٧- مستكبرين بالبيت الحرام على المؤمنين، وهم كفار قريش الذين كانوا يفتخرون بأنهم أهل الحرم وخدامه، سامرين، أي حال كونكم تفعلون هذه الأمور. والهجر: الهذيان والضحش. قال سعيد بن جبير: كانت قريش تسمر حول البيت، ولا تطوف به، ويفتخرون به، فأنزل الله هذه الآية.

٦٨- أفلم يتدبروا القرآن الدال على صدق النبي ﷺ ويفكروا فيه ليعلموا أنه الحق من ربهم، أم (للاتنقال من تويخ إلى تويخ آخر) جاءهم ما لا عهد به لأبائهم الأقدمين، من الرسول والكتاب؟!.

٦٩- أم لم يعرفوا رسولهم بالأمانة والصدق وحسن الخلق، فهم منكرون له، مكذبون بدعواه.

٧٠- أم يقولون: به جنون، مع أنهم علموا أنه أرجح الناس عقلاً، بل (لإبطال ما قبله وإثبات ما بعده) جاءهم بالدين القويم والقرآن العظيم، وأكثرهم للحق كارهون؛ لأنه يخالف أهواءهم وشهواتهم.

٧١- ولو وافق الحق أهواءهم، وأيد القرآن رغباتهم، لفسدت السموات والأرض ومن فيهن، بخروجها عن نظامها المشاهد، بل أتيناهم بالقرآن الذي فيه مجددهم وشر فهم، فهم عن هذا الشرف والمنفعة معرضون عنه، مهملون له.

٧٢- أم تطلب منهم أجراً على أداء الرسالة، ففرق ربك في الدنيا وثوابه في الآخرة خير وأبقى، والله أفضل من أعطى وأثاب.

٧٣- وإنك أيها النبي لتدعو المشركين إلى دين قويم ومنهج سليم وهو دين الإسلام.

٧٤- وإن الذين لا يصلحون بالآخرة لعاطلون منحرفون عن طريق الرشاد إلى طريق الضلال.

٧٥- ولو رحمتنا هؤلاء المشركين المنحرفين، وكشفنا ما حل بهم من قحط وجدب وجوع، لتمادوا في ضلالتهم وكفرهم، يترددون ويتخبطون.

٧٦- ولقد عذبناهم بالجوع الذي أصابهم في سنوات القحط أو بالقتل في بدر، فما خضعوا ولا تذللوا الربهم ولا أطاعوه، بل تمردوا، ولا يرغبون إلى الله بالدعاء ولا يخشعون له في الشدائد. قال ابن عباس: جاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد، أنشدك بالله والرحم، قد أكلنا العلهن، يعني الوبر والدم، فأنزل الله هذه الآية.

٧٧- حتى إذا جاءهم نوع من العذاب الشديد في الدنيا أو يوم القيامة، إذا هم متحيرون لا يدرون ما يصنعون، يائسون من كل خير.

٧٨- والله الذي أوجد لكم السمع لتسمعوا المواعظ، والأبصار لتشاهدوا ما يدل على وحدانية الله من الآيات الكونية وتعتبروا، والقلوب والعقول لتتفكروا بها، ولكن لا تشكرون الله البتة على هذه النعم.

وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَونُ لَهُمْ جَحِشَةً وَكُفْرًا مِمَّا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْجُورِ فِي طغيانهم يعمهون ﴿٧٤﴾

﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكْبَرُوا لَهُمْ فَمَا بِصْرَعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَخَخْنَا عَلَيْهِمْ أَنَا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا إِنْ دَامَتَا تَرَابًا وَعِظَامًا إِنْ نَأْبَعُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِن هَذَا إِلَّا أَسْطِيزُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نَذْكُرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ يَدِينُ مَلَائِكَتِي كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَادُ عَلَيْهِمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُشْكِرُونَ ﴿٨٩﴾

٧٩- والله هو الذي خلقكم ووزعكم في الأرض، وإليه تجمعون يوم القيامة بعد التفرق.

٨٠- والله هو الذي يتفرد بالإحياء والإماتة، ويستقل بتعاقب الليل والنهار، واختلافهما في الظلمة والإضاءة، وفي الزيادة والنقص، أفلا تدركون صنع الله وتفكرون في قدرته؟!

٨١- بل قال المشركون في مكة مثلما قال آباؤهم ومن تبعهم من قبل لمن سبقك من الرسل.

٨٢- قالوا: أتدنا متنا وصرنا تراباً وعضاماً بالية، أننا لمبعوثون يوم القيامة من القبور أحياء؟!

٨٣- لقد وعدنا هذا البعث نحن وآباؤنا، من قبل وعد محمد به، ما هذا إلا أكاذيب وخرافات المتقدمين تداولوها.

٨٤- قل أيها النبي لأهل مكة وأمثالهم: لمن الأرض ومن فيها من المخلوقات، إن كنتم على شيء من العلم، فأخبروني عنه؟

٨٥- سيقولون حتماً: هي لله، قل: أفلا تتذكرون وتتعظون؟ فتعلموا أن القادر على خلق الكون قادر على البعث.

٨٦- قل لهم أيضاً: من رب السموات السبع، ورب العرش العظيم، أي الكرسي الذي هو أعظم من ذلك؟

٨٧- سيقولون حتماً: السموات كلها لله وهو ربها، قل لهم: أفلا تحذرون عقاب الله على شرككم؟

٨٨- قل لهم كذلك: من يبيد ملك كل شيء، وهو يغيث غيره إذا شاء، ولا يغيث ولا يمنع أحد من عذاب الله ولا يستطيع أحد نصره؟ إن كنتم على شيء من العلم فأخبروني به.

٨٩- سيقولون: كل ذلك لله وحده، قل لهم: فكيف تُخذعون عن الحق كأنكم مسحورون، فتصرفون عن الرشد وطاعة الله وتوحيده؟!

٩٠- بل جثتا هؤلاء المشركين بالقول الحق الثابت الذي لا شك ولا باطل فيه، للدلالة على وحدانيتنا، وإنهم لكاذبون فيما ينسبونه إلى الله من الشريك.

٩١- لم يتخذ الله ولدًا ولا شريكًا لتزهره وتقدسه عن ذلك، ولم يكن معه إله يشاركه في الألوهية والملك، ولو كان مع الله آلهة، لانفرد كل إله بما خلق واستقل به، وغلب القوي الضعيف وقهره ليوسع ملكه، كما يفعل ملوك الدنيا، تنزه الله عما يصفونه به ويكذبون من الولد والشريك، لقيام الدليل السابق على فساده.

٩٢- الله تعالى عالم كامل العلم بكل ما غاب عن الخلق وما يشاهدونه، فتعاطم الله عن أن يكون له شريك معه من أي مخلوق جماد أو غيره.

٩٣- قل أيها النبي: إن كان لا بد من أن تريني ما يوعدون به من العذاب في الدنيا والآخرة، والجواب في الآية التالية.

٩٤- رب، فلا تجعلني هالكًا مع القوم الظالمين، وأبعدني عنهم.

٩٥- وإننا لقادرون على أن نريك أيها النبي ما نعدهم به من العذاب، فلا تضجر لتكذيبهم.

٩٦- ادفع بالخصلة المفضلة الحسنة وهي الصفح

والعفو سيئتهم وأذاهم إياك، وصدّهم عن دينك، نحن أعلم منك أيها الرسول بما يصفونك به من الأوصاف الكاذبة، وسنجازيهم عليه.

٩٧- وقل أيها النبي عند المحنة أو الشدة: رب اعتصم واستجير بك من نزعات الشياطين ووساوسهم الشريرة.

٩٨- واستجير بك وأجأ إليك يا رب من حضورهم في أموري؛ لأنهم لا يحضرون إلا للوساوس والإغراء بالشر، والإبعاد عن الخير.

٩٩- حتى إذا جاء أحد المشركين الموت قال: يا رب رُدوني إلى الدنيا؛ لما يرى من المخاوف وسكرات الموت. وجمع ضمير (ارجعوني) فلم يقل: (ارجعني) إشارة لتكرار هذه الكلمة من شدة الفزع، أو لتعظيم الله تعالى.

١٠٠- لعلي أعمل صالحًا بتوحيد الله والقيام بالأعمال الصالحة فيما ضيعت، لارجوع، إن قوله: رب ارجعون لا فائدة فيه، ولو رُدّ لعاد لما نهي عنه، ومن أمام كل ميت حاجز مانع من الرجعة إلى الدنيا إلى يوم القيامة.

١٠١- فإذا نفخ في الصور (القرن أو البوق الذي ينفخ فيه) النفخة الثانية لقيام الساعة، فلا تفيدهم الأنساب شيئًا لا اهتمام كل أحد بنفسه، ولا يسأل بعضهم بعضًا لانشغاله بنفسه ولشدة الفزع.

١٠٢- فمن نقلت موزوناته بالحسنات من عقائد وأعمال، فأولئك هم الفائزون بالجنة والنجاة.

١٠٣- ومن خفت موزوناته بالسيئات، فأولئك الذين ضيعوا أنفسهم ولم ينعفوها، وهم ماكون في جهنم أبدًا.

١٠٤- تحرق وجوههم النار، وهم فيها عابسون مشهو الوجوه، كشرت شفاههم عن الأسنان.

١٠٥- ألم تكن آياتي من القرآن تقرأ عليكم في الدنيا، فكنتم تكذبون بها، وهو تأنيب شديد.

بَلْ أَنبَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ
وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ إِلَهٍ إِذَا لَذَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ
عَلَى بَعْضٍ سَخِرَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
فَعَلَىٰ عَمَلِكُمْ لَبْرُونَ ﴿٩٢﴾ قُلْ رَبِّ إِنَّمَا نَعْبُدُونَكَ ﴿٩٣﴾
رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيكَ
مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿٩٥﴾ أَذْفَعُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّنَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ
بِمَا يُصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَزَاتِ الشَّيَاطِينِ
﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِي ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ
الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا
إِنَّهَا كَلِمَةٌ مَوْقُوفَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ مَرْجِعٌ إِلَىٰ يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾
فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا تَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾
فَمَنْ نَقَلَتْ مَوْزِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُظْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ
مَوْزِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ
خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ نَلْفَخُ وَجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالْحِجَارِ
أَلْوَكِنٌ ءِ إِنِّي سَأَلْتُكَ فَمَكْتُمُهَا لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٤﴾

قَالُوا رَبَّنَا عَلَّمْتَنَا شِقْوَتَنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا
 أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ أَخْشَوْا فِيهَا وَلَا
 تَكْفُرُوا ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَغْفِرْ
 لَنَا وَإِنَّهَا وَانْتَ خَيْرَ الرَّحِيمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذُوهُمُ سُخْرِيًّا حَتَّى
 أَنسَوْا ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضَكُّونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ
 بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١١١﴾ قُلْ لِمَ لَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدٌ
 سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَيْتَنَا يَوْمًا أُؤْتِنَصَّ يَوْمَ قُتِلَ الْعَادِينَ ﴿١١٣﴾
 قُلْ إِن لَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَكْفَرْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَلْقَسِمْتُمْ أَنَّمَا
 خَلَقْنَاكُمْ عَبْنًا وَأَنْتُمْ كُنْتُمْ لَنَا لَا تَرْجِعُونَ ﴿١١٥﴾
 فَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكِ الْحَقِّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ
 الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ
 لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾
 وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ ﴿١١٨﴾

سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ

١٠٦- قال الأشقياء: ربنا غلبت علينا شقاوتنا، أي سوء العاقبة، وهي ضد السعادة، والمراد: غلبت علينا لذاتنا وأهواؤنا، وكنا قوماً تائبين عن الحق والهدى.

١٠٧- ربنا أخرجنا من النار، فلن عُنَّا إلى الكفر، فإننا ظالمون لأنفسنا.

١٠٨- قال الله تعالى: ابتعدوا تباعد سخط وذلة وهوان، ولا تتكلمون في رفع العذاب عنكم.

١٠٩- إنه كان جماعة من عبادي، وهم المؤمنون يقولون: ربنا أماننا بك ويرسلك، فاعفّر لنا ذنوبنا، وارحمنا فلا تعذبنا، وأنت أرحم الرحماء.

١١٠- فاتخذوهم مهزوءاً بهم أو موضع هزء وسخرية، حتى نسيتم ذكر الله، لانسغالكم بالاستهزاء، وكنتم تضحكون استهزاء بهم في الدنيا، وهم بلال وصهيب وعمار وسلمان.

١١١- إني جازيتهم اليوم على صبرهم على أذامكم، بالفوز في الدرجات العليا في الجنة.

١١٢- قال الله للكفار: كم لبيتتم في الدنيا وأمواتاً في القبور، وكم كانت مدة إقامتكم في دنياكم؟

١١٣- قالوا في الجواب: مكثنا يوماً أو بعض يوم، فاسأل الملائكة الذين يعدون ويحصون أعمار الناس، أو أسأل المتمكنين من تذكر العدد، ينبؤوك بصدق ما قلنا.

١١٤- قال الله تعالى: ما لبيتتم في الأرض إلا لبناً قليلاً، لو أنكم علمتم مدة مكثكم بالنسبة إلى مكثكم في النار.

١١٥- أظننتم أننا خلقناكم لعباً من غير فائدة ولا حكمة: وهي امتحان الناس وجزاؤهم يوم القيامة، وأنكم لا ترجعون إلينا بالبعث ثم بالحساب والجزاء.

١١٦- فتنزه الله تعالى عن العبث وغيره مما لا يليق به من الولد والشريك، صاحب الملك المطلق، الثابت الذي لا يزول، لا إله إلا هو رب العرش الكريم، أي الكرسي الحسن المشرف.

١١٧- ومن يعبد مع الله إلهاً آخر، لا حجة واضحة ولا دليل واضح له عليه، فلنما جزاؤه عند ربه يوم القيامة، إنه لا يظفر الكافرون بشيء من السعادة.

١١٨- وقل أيها النبي: رب اغفر لي وللمؤمنين، وارحم عبداك المؤمنين رحمة واسعة، تشمل المحسنين والمسيئين، وأنت أرحم وأفضل الرحماء.

سورة النور

فضلها: ذكر مجاهد أن رسول الله ﷺ قال: «علموا رجالكم سورة المائدة، وعلّموا نساءكم سورة النور» وكتب عمر رضي الله عنه لبعض ولاته: أن تعلموا سورة النساء والأحزاب والنور.

١- هذه سورة (طائفة من آيات القرآن لها مبدأ ومختتم) أعطيناها الرسول، وأنزلنا فيها آيات واضحة وتكرير ﴿أنزلنا﴾ لمزيد العناية بإنزال هذه السورة، لعلكم تتعظون، فتعملوا بما فيها.

٢- الزانية والزاني البيحان غير المتزوجين، اضربوا بالسطوط أيها الحكام كل واحد منهما مئة جلدة عقاباً على معصيتهما، وثبت في السنة أيضاً زيادة على الجلد تغريب عام، وأما المحسن الحر فعقوبته الرجم بالسنة الصحيحة المتواترة، ولا تأخذكم بالزانية والزاني أدنى رحمة ورقة، في حكم الله، إن كنتم تصدقون بالله وحده وبالبعث الذي فيه الجزاء، وليحضر إقامة الحد جماعة من المؤمنين، وأقلهم هنا ثلاثة؛ لأن التشهير يحقق الزجر والردع والعظة. وهذا حد الزنى.

٣- والشأن الغالب أن الزناة لا تقبلهم العفيفات أزواجاً، وإنما القبول من الزانيات، فكل أمثاله، وهذا للزجر والتنفير من فاحشة الزنى، فالزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة، والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك. وعطف المشركة والمشرك لمزيد التنفير. وحرم نكاح الزواني والمشركات على

المؤمنين المتقين؛ لما فيه من التشبه بالفساق، والمراد بالتحريم: التنزه والتعفف مبالغة في التنفير. نزلت الآية في شأن مرتد الغنوي حينما أراد أن يتزوج صديقة له في مكة يقال لها: عناق. وحكم الحرمة مخصوص بسبب الآية، أو منسوخ بقوله تعالى: ﴿وأنكحوا الأيامي منكم﴾ [النور ٢٤/٣٢].

٤- والذين يقدفون بالزنا النساء العفيفات، المؤمنات، وخصهن بالذكر؛ لأن قذفهن أشنع، ثم لم يثبتوا جريمة الزنى بأربعة شهود، فأجلدهم ثمانين جلدة، ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً ما لم يتوبوا. في رأي الجمهور، وعند أبي حنيفة: إلى آخر العمر. وأولئك هم الخارجون عن طاعة الله.

٥- إلا الذين تابوا من بعد القذف، وأصلحوا أعمالهم بالتدارك، فإن الله غفور لذنوبهم، رحيم بهم. وهذا حد القذف.

٦- والذين يقدفون زوجاتهم بتهمة الزنى، وليس لهم شهود على التهمة إلا أنفسهم، فشهادة أحدهم لرفع حد القذف عنه: أن يشهد (يحلف بالله) أربع مرات من الأيمان، إنه لمن الصادقين فيما رمى به زوجته من الزنى. نزلت حينما قذف هلال بن أمية امرأته بشريك بن سحماء. وفي رواية: نزلت بشأن عويمر العجلاني حينما قذف امرأته برجل وجده معها، وهذا هو الصحيح. وهذا حكم اللعان.

٧- ثم يشهد في الشهادة الخامسة: أن لعنة الله تحمل عليه إن كان من الكاذبين فيما رماها به من الزنى.

٨- ويدفع عذاب حد الزنى عن الزوجة وهو الرجم: أن تحلف أربع مرات بالله: إن الزوج لمن الكاذبين فيما رماها به من الزنى.

٩- والشهادة الخامسة: أن غضب الله يحل عليها إن كان زوجها من الصادقين فيما رماها به من الزنى. ثم يفرق الحاكم بينهما، وتكون الفرقة أبدية. وتخصيص الغضب بالمرأة للتغليظ عليها، لكون الإغراء بالزنى هو الغالب من جهتها، ولأن النساء يكثرن اللعن في العادة.

١٠- ولو لا فضل الله موجود عليكم أيها الناس، ورحمته بالستر عليكم، لما جلدكم بالعقوبة، ولأنه أيضاً كثير القبول لتوبة عباده، حكيم فيما يشرع لعباده من اللعان بين الزوجين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة أنزلناها وقرضناها وأنزلنا فيها آيات يبتك لتعلمن ذلكون
 ١ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذوا
 بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ولشاهد
 عدا بهما طائفة من المؤمنين ٢ الزاني لا ينكح إلا زانية
 أو مشركاً والزانية لا ينكحها إلا زاناً أو مشركاً وحرم ذلك على
 المؤمنين ٣ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء
 فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم
 الفاسقون ٤ إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله
 غفور رحيم ٥ والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهادة إلا
 أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين
 ٦ والخامسة أن لعنت الله عليه إن كان من الكاذبين
 ويدروا عذاب العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين
 ٧ والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ٨
 ولو لا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم ٩



إِنَّا الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا حَسْبُوهُ سَرَّآ لَكُمْ بَلْ
 مُّوَسِّرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ مَا كَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى
 كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ وَلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ
 وَالْمُؤْمِنَاتُ بَأْسَهُمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَوْلَا جَاءُوا
 عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِندَ اللَّهِ
 هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا
 وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَوْهُ
 بِالسِّتْرِمْ وَقَالُوا بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ
 هِينًا وَهَوْعِنًا عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ
 مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَشْكُرَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ
 ﴿١٦﴾ يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ بِأَيِّدِ الْكُفْرِ الْكَبِيرِ ﴿١٧﴾
 وَيَسِّرُ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ الْإِسْلَامَ وَفِيهِ حِكْمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّا الَّذِينَ جُحُونَ
 أَنْ نُشِيعَ الْفِتْنَةَ فِي الدِّينِ أَسْمَاءُ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا
 وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ
 اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

١١- وهذه قصة الإفك [في ١٨ آية]، إن الذين جاؤوا بالإفك: أبلغ الكذب المتعمد وأسوأ الافتراء على السيدة عائشة رضي الله عنها أم المؤمنين بقذفها: هم جماعة منكم، وهم عبد الله بن أبي، وزيد بن رفاعه، وحسان ابن ثابت، ومسطح بن أثانة، وحنينة بنت جحش، ومن ساعدهم، لا تظنوه شرراً لكم أيها المؤمنون، بل هو خير لكم، لكل امرئ منهم جزاء ما اكتسب من السوء، والذي تولى معظمه منهم وهو ابن أبي زعيم المنافقين له عذاب عظيم في الآخرة. نزلت في اتهام عائشة بالفاحشة في غزوة بني المصطلق، حين أضاعت عقدها، فرجعت تبحث عنه، وتأخرت عن الجيش الذي رحل، دون علم بتخلفها عن الركب.

١٢- هلا حين سمعتموه، ظن المؤمنون والمؤمنات ببعضهم خيراً، وقالوا: هذا كذب ظاهر.

١٣- هلا جاء الخائفون بالإفك بأربعة شهود يشهدون على ما قالوا، فإذا لم يأتوا بالشهود فأولئك في حكم الله هم الكاذبون.

١٤- ولولا فضل الله موجود عليكم في الدنيا بعدم تعجيل العقاب، ورحمته بكم في الآخرة بالعفو، لمسكم أيها العصابة فيما خضتم فيه باتهام أم المؤمنين عذاب عظيم.

١٥- حين تلتقفون خبر الإفك، وترددونه بالستكم بين الناس ليتشر، وتقولون بأفواهكم قولاً ليس لكم به دليل علمي، وتظنونه قولاً هيناً لا إثم فيه، وهو في حكم الله تعالى ذنب عظيم، وإثم ميين، بسبب هذه الأمور الثلاثة: وهي تلقي الإفك، والتحدث به من غير تحقق، واستصغار شأنه.

١٦- وهلا حين سمعتموه قلتم: ما ينبغي لنا ولا يصح، ولا يمكن أن نتكلم بهذا الحديث، تنزيهاً لله وتعجباً ممن يقول ذلك، أي نستبعد هذا القول، وهذا عتاب لجميع الخائفين، هذا القول كذب مختلق يبهت السامع، لعدم علمه به. والبهتان: أن يقال في الإنسان ما ليس فيه. وكلمة (سبحان الله) تأتي بها العرب عند التعجب من شيء غريب، بعيد عن العقول.

١٧- يأمركم الله بالامثال، وينهاكم بشدة أن تعودوا لمثل هذا القول، ما دمتم أحياء مكلفين، إن كنتم حقاً من أهل الإيمان.

١٨- ويوضح الله تعالى لكم الآيات التشريعية والآداب العالية لتعملوا بها، والله عليم بأحوالكم، حكيم في تدييره.
 ١٩- إن العصابة الذين يريدون إشاعة الفاحشة (الزنا) وانتشارها، وترويج الأخبار الكاذبة، بين المؤمنين أهل العفة، لهم عذاب أليم في الدنيا بإقامة الحد عليهم، وفي الآخرة بعذاب النار، والله يعلم ما في الضمائر والظواهر، وأنتم أيها العصابة لا تعلمون بها.

٢٠- ولولا فضل الله موجود عليكم في الدنيا ورحمته بكم في الآخرة، وأن الله رؤوف بخلقه، لعاجلكم العقوبة. كرز ذلك لبيان المنة بترك تعجيل العقاب. والرؤوف: المزيل لأسباب البلاء، والرحيم: الذي يجزل الإحسان.



يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا ذُكِرْتُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْكُلْ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالسَّكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْفَاضِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَأُولُوا مِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تُشْهِدُ عَلَيْهِمْ سَنَمُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يُؤْمِدُ يُؤْفِكُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ الْحَيْثُ لِلْحَيْثِيِّينَ وَالْحَبْثُونَ لِلْحَبْثِيِّينَ وَالطَّبِيبُ لِلطَّبِيبِينَ وَالطَّبِيبُونَ لِلطَّبِيبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَاسْأَلُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾

٢١- يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا طرق الشيطان التي يوسوس باتباعها، كإشاعة الفاحشة، ومن يتبع طرق الشيطان، فإن الشيطان يأمر بما عظم قبحه من الذنوب (الفحشاء) وبما ينكره الشرع (المنكر) ومتبعه مطيع له مقتدي به، ولولا فضل الله موجود عليكم ورحمته بكم، بالتوفيق إلى التوبة الماحية للذنوب، ما طهر من دنس الذنوب أحداً، ولكن الله يطهر من الذنب من يشاء بقبول توبته، والله سميع لمقالتهم، عليم بنياتهم وجميع المعلومات.

٢٢- ولا يحلف أولو الفضل والإحسان، والغنى والشراء على ألا يؤتوا المال ذوي القرابة والمساكين والمهاجرين في سبيل إرضاء الله، وليعفوا بمحو الذنب، وليصفحوا عن إساءتهم بالإغضاء عنها، ألا تريدون أن يغفر الله لكم على العفو والصفح عن المسيئين، والله واسع المغفرة لذنوب الطامعين، شامل الرحمة لعباده المؤمنين، مع كمال قدرته، فتخلقوا بأخلاقه.

٢٣- إن الذين يقذفون بالزنى العفيفات، البعيدات عن المعاصي والفواحش، السليمات الصدور، المؤمنات بالله ورسوله، طردوا من رحمة

الله في الآخرة، وعذبوا في الدنيا بحد القذف، ولهم عذاب عظيم يوم القيامة إن لم يتوبوا. وهذا هو الجزاء الأخروي للقاذفين، وهذه صفات السيدة عائشة رضي الله عنها. نزلت هذه الآية في نساء النبي ﷺ خاصة.

٢٤- يوم تشهد عليهم السنتهم وأيديهم وأرجلهم بما عملوا في الدنيا من خطايا وذنوب، بأن ينطق الله هذه الأعضاء بالشهادة عليهم، بخلق آلة تطق فيها.

٢٥- يوم القيامة يعطيهم الله جزاءهم الثابت الذي يستحقونه، وعندها يعلمون أن الله هو الإله الحق الثابت بذاته، الظاهر الألوهية، لا يشاركه في ذلك غيره.

٢٦- النساء الخبيثات للرجال الخبيثين، والرجال الخبيثون للنساء الخبيثات، لا يصلح كل منهم لغير ذلك ويختص بأمثاله، والطيبات الطاهرات من النساء للطيبين الطاهرين من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من النساء، فكل جنس يليق بجنسه، والرسول ﷺ أطيب الناس، ونساؤه أطيب النساء، وأولئك الطيبون والطيبات مبرؤون مما يقول أهل الخبث والإفك في حقهم من الافتراء، لهم مغفرة (ستر) من ربهم لذنوبهم، ورزق الجنة.

٢٧- يا ايها المؤمنون لا تدخلوا مساكن غير مساكنكم، حتى تستأذنوا بالدخول، وتسلموا على أهلها بأن يقول الواحد: السلام عليكم أدخل؟ ذلكم الاستئذان أفضل لكم من الدخول بغير إذن، لعلكم تتعظون، فتعملوا بما أمرتم به. نزلت في امرأة أنصارية، قالت: يا رسول الله، إني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد، وإنه لا يزال يدخل علي رجل من أهلي، وأنا على تلك الحال، فكيف أصنع؟ فنزلت الآية.

فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ آرْجُوا فَآرْجُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُلِ الْمُؤْمِنِينَ يَعْضُونَ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا أَرْوَاجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنْ اللَّهُ جَبَّيْنًا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُلِ الْمُؤْمِنَاتُ يَعْضُنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُوهِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ الْوَالِدَاتِ وَالْإِخْوَانَ مِنَ الْوَالِدَاتِ أَوْ أَلْفَافِلٍ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ زِينَةً إِلَّا الَّتِي تَرْتَدُّ بِهَا رُءُوسَهُمْ وَلَا يَرْجُونَ بِأَرْجُلِهِمْ لِئَلَّا يَعْلَمَ مَا تُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِمْ وَتُؤْبَؤُوا إِلَىٰ اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

٢٨- فإن لم تجدوا في البيوت أحداً يأذن لكم بالدخول، فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم بدخولها، وإن قيل لكم من أهل البيت: ارجعوا، فارجعوا، ولا تكرر الاستئذان، والرجوع هو خير وأظهر لكم للبعد عن الرية، والله عليم بأعمالكم، وستجازون عليها.

٢٩- ليس عليكم إثم أن تدخلوا بيوتاً ليست مسكونة كالفنادق والمساجد والخوانيت، فيها حق تمتع وانتفاع كرقية سلعة وجلوس لمعاملة، والله يعلم ما تظهرون وما تخفون في صدوركم، من قصد صلاح أو سوء. وفيه وعيد لمن أخل بهذه الآداب. لما نزلت آية الاستئذان في البيوت، قال أبو بكر: يا رسول الله، فكيف يتجار قريش الذين يختلفون بين مكة والمدينة والشام، ولهم بيوت معلومة على الطريق، فكيف يستأذنون ويسلمون، وليس فيها سكان؟ فنزلت الآية.

٣٠- قل أيها النبي للمؤمنين: كففوا أبصاركم عما لا يحل النظر إليه، وغض البصر: أن يخفض بعض بصره بحيث تمتنع الرؤية، من أجل سد الذرائع إلى الزنى، واحفظوا فروجكم عما لا يحل لكم، ذلك الغض والحفظ أظهر للنفس من التورط في الحرام، إن الله خير بما يصنعون من الغض والحفظ، وهذا وعيد لمن خالف

ذلك. نزلت في رجل مسرف في طريق من طرقات المدينة، فتبادل النظر مع امرأة، واستمر على ذلك حتى اصطدم بحائط فشق أنفه، فأخبر النبي ﷺ بذلك، فقال له: هذا عقوبة ذنبك، وأنزل الله هذه الآية.

٣١- وقل أيها النبي أيضاً للمؤمنات: كففوا أبصاركن واحفظن فروجكن عن الحرام، والآيات تدلان على تحريم النظر، ولا يبدين مواضع الزينة من الخلية وغيرها، كالتياب والأصباغ، إلا ما ظهر منها عادة وهو الثياب الظاهرة والوجه والكفان، وهو ما في إخفائه مشقة وجرت العادة بظهوره كالحاتم والكحل والحضاب، أما السوار والخلخال والقلادة والإكليل: وهو ما يوضع على شعر الرأس، فيحرم إظهاره. وليسترن الرؤوس والأعناق وأعلى الصدور بالخمير: وهو ما تغطي به المرأة رأسها، والجيب: فتحة في أعلى الثوب يبدو منه بعض الصدر، وهذا يدل على وجوب تغطية الرأس والصدر، ولا يظهرن زيهن الباطنة كالتي في الشعر أو على الصدر إلا لأزواجهن، أو آبائهن، أو آباء أزواجهن، أو آبائهن- ويدخل في ذلك أولاد الأبناء وأولاد البنات مهما نزلوا- أو آباء الأزواج وآباء الآباء وآباء الأمهات مهما علوا، وكذلك أبناء الأزواج وإن نزلوا، وأبناء الإخوة والأخوات، والعم والخال من المحارم، والرضاع كالنسب، أو النساء التابعات لهن بالخدمة أو الصحبة، المسلمات، وأما الكافرات فهن كالأجانب عند أكثر العلماء، وأجاز الخنابلة نظر الكافرة للمسلمة فيما عدا ما بين السرة والركبة؛ أو الإمام، أو الخدم الذين لا حاجة لهن في النساء كالشيخ الهرم والخصي والمخنث والمعنوه، أو الأطفال الصغار غير المراهقين الذين لم يميزوا بين عورات النساء وبين غيرها لصغرهم. والطفل: يطلق على الواحد والمتعدد. ولا تضرب النساء بأرجلهن إذا مشين لسمع صوت الخلخال في أرجلهن. وفرض عليكم أن تتوبوا جميعاً أيها المؤمنون بما وقع لكم من النظر المنوع، لتفوزوا بسعادة الدارين. نزلت في أسماء بنت مرثد التي استقبلت دخول النساء عليها غير متأزات، وتبدو صدورهن وذوائبهن.

٣٢- وزوجوا من لا زوج له من أحرار الرجال والنساء، ماداموا قادرين على المهر والنفقة، وزوجوا أيضاً العبيد والإماء أهل التقوى والصلاح، أي الإيمان والقدرة على أداء الحقوق، إن يكن الرجال والنساء فقراء، يغنمهم الله من كرمه وفضله، فمن تزوج بغنه الله بغنى النفس والمال، والله غني ذو سعة وجود، لا ينقص ملكه مهما أغنى عباده، عليم بمصالح خلقه، يرزقهم حسبما تقتضي حكمته.

٣٣- وليجتهد في العفة عن الزنى والحرام من لا يتمكن من تكاليف الزواج كالمهر والنفقة، حتى يرزقهم الله من فضله ويوسع عليهم من عطائه، فيجدون ما يتزوجون به، والأرقاء الذين يرغبون في المكاتبه؛ وهي أن يتفق السيد مع رقيقه على مال يؤديه مقططاً، فإذا آداه فهو حر، فكاتبوهم إن علمتم فيهم قدرة على الآداء، وأعطوهم من زكاة أموالكم للإعانة على التحرر من الرق، وحطوا عنهم بعض ما كتبوا عليه عند الآداء، ولا تجبروا الإمام على الزنى بأجر، إن أردن تعففاً، وكذا إن لم يُردن، فهذا قيد لبيان واقع كان في الجاهلية، لتطلبوا ولتحصلوا على مكسب حرام، والعرض: المتاع الزائل، ومن يجبرهن على الزنى، فإن الله غفور لتلك المكرهات، رحيم بهن، والإثم على المكره. نزلت آية

وَأَحْسِنُوا إِلَى الَّذِينَ فِيكُمْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَآلِهِمْ إِنَّ كَوْنَكُمْ أَقْرَبًا بَعْضُهُمْ لِلَّهِ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾
وَلَيْسَ عَقِبَ الَّذِينَ لَا يُحِيدُونَ نَكاحًا حَاشَى بَعْضُهُمْ لِلَّهِ مِنْ فَضْلِهِ
وَالَّذِينَ يَبْنُونَ الْكُتُبَ بِمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ
إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآؤُهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آءَاكُمْ
وَلَا تَجْرُوا قُلُوبَكُمْ عَلَى الْبِعَاءِ إِنْ أَرَدْتُمْ نَحْصًا لَتُبْتَغُوا عَرْضَ
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يَكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ
رَحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَمَثَلًا لِّلَّذِينَ
خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ يُشْكَوهُ فِيهَا مَصْبَاحُ الْمُصْبَاحِ فِي زُجَاجَةٍ
الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ
لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَوُتُمْسَسَهُ نَارٌ
فَوْرَةً عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَضَرَبَ اللَّهُ الْأَمْثَالَ
لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِي سُورَتِ آذَانَ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعُ
وَيُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمَاءُ يُسْمَعُ لَهُ فِيهَا الْغُدُّ وَوَالْأَصَالُ ﴿٣٦﴾

﴿والذين يبتغون﴾ في شأن غلام لحويطب بن عبد العزى، سأله عبده أن يكاتبه، فأبى عليه. ونزلت آية ﴿ولا تكرهوا﴾ في شأن جاريتين لعبد الله بن أبي كان يكرههما على الزنى.

٣٤- ولقد أنزلنا إليكم أيها المؤمنون آيات في القرآن مفصّلات توضح الأحكام والحدود والآداب، وقصة عجيبة مماثل غيرها، وهي هنا قصة السيدة عائشة التي تشبه قصة مريم ويوسف اللذين برأهما الله تعالى، قصة أو مثلاً كأمثال الذين مضوا من قبلكم في الكتب السابقة، وموعظة للذين يخافون عذاب الله، وخصوصاً بالذكر؛ لأنهم المنتفعون بالعظة.

٣٥- الله منور السموات والأرض، وأهلها وهم العالم كله يهتدون بنوره، صفة نوره العجيبة لتنوير قلوب المؤمنين، يهتدوا إلى الحق والرشاد كمثّل كوة في جدار غير نافذة (وهي الطاقة) تجمع النور وتعكسه، فيها سراج مضئ، والسراج في زجاجة صافية (كريستال) الزجاج والنور فيها كأنها نجم مضئ في صفاته وإشراقه، والدُّرِّيُّ منسوب إلى الدرّ: نوع من الأحجار الكريمة، يُوقَدُ السراج (القنديل) من زيت شجرة مباركة هي الزيتون التي تتعرض للشمس طوال النهار؛ لأنها في موقع متوسط بين الشرق والغرب، مما يجعل زيتها من أطيب الزيوت، يكاد زيتها يضيء بنفسه من غير نار لصفاته ولعانه، نور فوق نور، المصباح نور، والزجاجة نور، وصفاء الزيت نور، فاكتمل الإشعاع، يوفّق الله لاتباع قرآنه، ويبين الله الأمثال للناس، تقريباً لأفهامهم، ليعتبروا فيؤمنوا، والله عليم بكل شيء لا تخفى عليه خافية، وفيه وعد ووعد، وعد لمن تأمل ذلك، ووعد لمن أهمل ذلك.

٣٦- في مساجد أمر الله وقضى أن تُبنى وتعظم بتعظيم الله، وتطهر عن الأذناس، ويُردّد فيها اسمه بالأذان والتسبيح والأذكار والصلوات وتلاوة القرآن، يصلي الله فيها وينزهه ويقدهه أناس في أول النهار وآخره.



٤٤- يغير الله أحوال الليل والنهار بالطول والقصر، والبرودة والحرارة، والزيادة والنقص، إن في هذا التغير والتصرف لدلالة واضحة على وجود الخالق، وكمال قدرته، وإحاطة علمه، لأصحاب البصيرة والعقل الذي يفكر.

٤٥- والله خلق كل ما دب على الأرض من إنسان وحيوان، من ماء مخصوص هو النطفة، فمنهم من يمشي (يزحف) على بطنه وهي الحيات والدود والحوت ونحو ذلك. أشار إليهم بـ «هم» و «من» اللذين للعقلاء للتشريف، وسمي الزحف مشياً بطريق الاستعارة. ومنهم من يمشي على رجلين وهو الإنسان والطيور، ومنهم من يمشي على أربع وهو سائر الحيوانات، يخلق الله ما يريد مما ذكر هنا وما لم يذكر مما يمشي على أكثر من أربع كالسرطان والعنكب، إن الله قادر على كل شيء، لا يعجزه شيء.

٤٦- لقد أنزلنا عليك أيها النبي في هذا القرآن آيات موضحات للحلال والحرام والشرائع والأحكام، والله يوفق من يشاء للنظر الصحيح والتأمل السديد إلى طريق قويم لا عوج فيه، مؤد إلى الجنة وهو دين الإسلام.

٤٧- ويقول المنافقون: صدقنا بالله وبالرسول

بَعَثَ اللَّهُ الْآلِ وَالنَّبَا وَإِن فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فِرْقًا مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كُنْ لَكُمْ آخِذًا بِأَوْلَادِهِمْ مَدْعِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ أُنذِرُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ الَّذِي يَتَّقُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْوَجْهَ الْعَظِيمَ ﴿٥٢﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن أُمِّرْتُمْ لَيُخْرَجُنَّ قُلُوبُهُمْ وَأَطَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾

محمد، ثم يعرض فريق منهم ويمتنع عن قبول حكم الرسول، من بعد إظهار الإيمان، وليس أولئك المعرضون بالمؤمنين، لإعراضهم عن حكم الرسول.

٤٨- وإذا دعي المنافقون إلى حكم الله ورسوله ليحكم النبي بينهم إذا تدل على حصول ما بعدها فجأة- فريق منهم معرضون عن المحاكمة إلى الرسول إذا كان الحق عليهم، فإن كان الحق لهم سارعوا إلى التحاكم إلى الرسول. نزلت هذه الآية والآيتان بعدها في شأن منافق تخاصم مع يهودي، فحاول المنافق الاحتكام إلى كعب ابن الأشرف، وطلب اليهودي التحاكم إلى الرسول، لعلمه بأن الرسول لا يحكم إلا بالحق.

٤٩- وإن يكن للمنافقين الحق، يأتوا إلى الرسول طائعين خاضعين، لعلمهم بأنه يحكم لهم.

٥٠- أفي قلوبهم كفر ونفاق- والاستفهام هنا إنكاري- أم شكوا في نبوتك وقدرتك على الصواب، أم يخافون أن يجور الله ورسوله في الحكم عليهم ويظلمهم؟ لا، بل أولئك المنافقون هم الظالمون لأنفسهم. و «بل» حرف لإبطال ما قبله وإثبات ما بعده.

٥١- إنما كان قول: سمعنا حكمه، وأطعنا أمره، ورضينا بحكمه هو قول المؤمنين إذا دُعوا إلى حكم الله ورسوله ليحكم بينهم، وأولئك المعلنون للطاعة هم الفائزون بخير الدنيا والآخرة.

٥٢- ومن يطع الله ورسوله فيما أمر وحكم، ويخف الله، ويتق عذابه، فأولئك هم الفائزون بنعيم الجنة.

٥٣- وأقسم المنافقون بالله أمام الرسول باذلين أقصى جهدهم في تأكيد أيمانهم: لئن أمرتهم بالجهاد ليخرجن معك، ولكن كانت أيمانهم كاذبة، فرد الله عليهم: قل أيها النبي، لا تحلفوا كذباً، طاعتكم طاعة معروفة بأنها بمجرد اللسان، لا بالفعل، أو المطلوب منكم طاعة معروفة أولى من الأيمان، إن الله خبير بعملكم، فلا يخفى عليه سرائركم.

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ
وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ
إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ
مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ
وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي
شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾
وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ
تُرحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ
وَمَا لَهُمُ النَّارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ تَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَيَسْتَغْفِرَنَّ لَكُمْ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّمْ يَلْعَبُوا بِالْجَنَّةِ
مِنكُمْ لَكُم مَّرَاتٌ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ
مِنَ الظُّهُورِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ
عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدُهَا نَفْثُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى
بَعْضٍ كَذَلِكَ سَنَّ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾

٥٤. قل أيها النبي لهؤلاء المنافقين وغيرهم: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول في كل أمر ونهي، طاعة صادقة، في الظاهر والباطن، فإن تولى المأمورون، فما على النبي إلا ما كلف به من تبليغ الرسالة، وعليكم ما أمرتم به من الطاعة والتكاليف، وإن تطيعوا الرسول في حكمه وأمره ونهيه، تهتدوا إلى الحق والخير والرشد، وتفوزوا بالرضوان الإلهي، وليس على الرسول إلا التبليغ الواضح لرسالة ربه، المتضمنة ما كلفتم به.

٥٥. وعد الله الذين آمنوا بالله ورسوله منكم وعداً جازماً ليجعلنهم خلفاء متصرفين في الأرض تصرف الملوك في ممالكهم، كما استخلف الذين من قبلهم من بني إسرائيل مثلاً بدلاً عن فرعون وقومه، ويثب لهم قواعد دينهم بنحو مستقر، الدين الذي ارتضاه لهم وهو الإسلام، ويبدلهم أمناً واطمئناناً من بعد خوفهم من الأعداء، يعبدونني وحدي لا يشركون بي أحداً من المخلوقات، ومن كفر بعد ذلك بهذه النعم، فأولئك الكافرون هم المتصفون بالفسق: وهو الخروج عن الطاعة. نزلت في حق المؤمنين المهاجرين من مكة إلى المدينة، حينما تألبت عليهم العرب قاطبة، وعاشوا قلقين لا يبيتون

إلا بالسلاح، فقالوا: ترون أننا نعيش حتى نبيت مطمئنين، لا نخاف إلا الله؟ فنزلت هذه الآية.

٥٦. أطيعوا الله ورسوله، وأقيموا الصلاة في أوقاتها، وأدوا الزكاة للمستحقين، وأطيعوا الرسول فيما أمر به ونهى عنه، لكي تُرحموا وتفوزوا بالجنة والرضوان.

٥٧. لا تظنن أيها الرسول أن الكفار يعجزون الله تعالى، فلا يقدر على عقابهم، بأن يفلتوا في الأرض إذا أراد تعذيبهم، ومرجعهم أو مكان إيوائهم النار في الآخرة، وقبح هذا المرجع الذي هو النار.

٥٨. يا أيها المؤمنون ليستأذنكم في الدخول الأرقاء والخدم، والأطفال غير البالغين سن الرشد من أتباعكم وأقاربكم، ثلاث مرات في اليوم والليله بسبب احتمال ظهور العورات والتجرد من الثياب: من قبل صلاة الفجر وقت الاستيقاظ، وفي الظهيرة وقت القيلولة، وبعد صلاة العشاء، ثلاثة أوقات يحتمل فيها ظهور العورات، وسميت هذه الساعات عورات؛ لأن الإنسان يتجرد فيها من الثياب، فتظهر عورته، ليس عليكم ولا عليهم إثم في الدخول بغير استئذان بعد هذه الأوقات أو العورات الثلاث، هم كثير و التطواف أو التردد عليكم للخدمة، بعضكم يطوف على بعض، ولا يستغني عن المخالطة له، مثل ذلك التبين لما ذكر، بين الله (بوضوح) لكم الآيات التشريعية، والله واسع العلم، بالغ الحكمة. نزلت في شأن عمر رضي الله عنه الذي دخل عليه غلام أنصاري، فرأى عمر بحالة كره رؤيته ذلك، فودَّ عمر لو أن الله تعالى أمر ونهى في حال الاستئذان. أو أنها نزلت في شأن أسماء بنت أبي مرثد التي دخل عليها غلام كبير في وقت كرهته، فشكت الأمر لرسول الله ﷺ، فأنزل الله هذه الآية.

٥٩- وإذا بلغ الأطفال الأحرار الحلم بالاحتلام أو سن البلوغ وهي الخامسة عشرة، فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم وهم الذين بلغوا الحلم قبلهم وصاروا كباراً، وأمروا بالاستئذان في أوقات العورات الثلاث وغيرها، أي على كل حال، مثل ذلك التبيان لما ذكر، بين الله لكم الآيات التشريعية، والله عليم بأمور خلقه وأحوالهم، حكيم بما دبره لهم وشرع. وكرر ذلك للتأكيد.

٦٠- والعجائز اللاتي قعدن عن الحيض والحمل والولد لكبرهن، اللاتي لا يطمعن في الزواج لكبرهن، فليس عليهن إثم أن يتخفن باللقاء الثياب الظاهرة كالجلابيب والرداء والقناع فوق الخمار، لاثياب العورة، غير مظهرات زينة خفية كسوار وقلادة وخلخال، وأن يطلبن العفة ويرتدين أكمل الثياب خبير لهن من تركها، والله واسع السمع لأقوالكم، والعلم بمقاصدكم. والتبرج: تكلف إظهار ما يجب إخفاؤه.

٦١- لا إثم ولا معصية على أصحاب الأعدار: الأعمى والأعرج والمريض، ولا على الأنفس الشخصية أن تأكلوا من بيوتكم التي فيها متاعكم وأهلكم، أو بيوت أولادكم لأن كسب الولد من كسب أبيه، أو بيوت آباءكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت الأعمام والعمات والأخوال والخالات، أو البيوت التي تتصرفون فيها بإذن أربابها، كالوكلاء والخدم والحراس والخزآن، أو بيوت الأصدقاء الذين علمتم رضاهم، والصديق يطلق على الواحد والأكثر كالعدو والطفل، وهو يطلق على من يصدق في مودته، لا إثم ولا معصية عليكم أن تأكلوا مجتمعين أو متفرقين. فإذا دخلتم أحد هذه البيوت المذكورة، فسلموا على أهلها، بأن تسلموا على أهل الدار المسكونة، وكذا غير المسكونة بالتسليم على النفس بأن تقولوا: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» فترد الملائكة عليكم، وسلموا سلاماً هو تحية من عند الله، كثيرة الخير، تطيب بها نفس المستمع لها، مثل ذلك البيان بين الله لكم آيات التشريع، لتتعقلوا آيات الله وتفهموا معانيها وتعملوا بما فيها. قال سعيد بن المسيب: أنزلت هذه الآية في أناس كانوا إذا خرجوا مع النبي ﷺ وضعوا مفاتيح بيوتهم عند الأعمى والأعرج والمريض، وعند أقاربهم، وكانوا يأمرهم أن يأكلوا مما في بيوتهم إذا احتاجوا إلى ذلك، وكانوا يتقون أن يأكلوا منها، ويقولون: نخشى ألا تكون أنفسهم بذلك طيبة، فأنزل الله تعالى هذه الآية، ورجع ذلك الطبري. وقيل: لا حرج على هؤلاء في التخلف عن الجهاد، وهو قول الحسن البصري.

وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلْمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ كِتَافًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ نِسَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَّبِعَاتٍ بِرِيبَةٍ وَإِنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لهنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَئِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ أَزْوَاجِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ بَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

٦٢ - إنما المؤمنون حقاً الذين آمنوا بالله ورسوله محمد ﷺ، وإذا كانوا معه في أمر عام مهم يحتاج إلى الاجتماع والتشاور، لم يخرجوا من مجلسه لعذر، حتى يستأذنه، فيأذن لهم أو لا يأذن، على ما يرى، إن الذين يستأذنونك هم المصدقون بالله ورسوله حقاً، فإذا استأذنونك لبعض أمورهم المهمة، فأذن لمن شئت منهم بالانصراف، ولك ألا تأذن، حسبما ترى من المصلحة، واطلب لهم المغفرة من الله على انصرافهم؛ لأنه لا يخلو الاستئذان من إظهار المصلحة الذاتية على المصلحة العامة، إن الله كثير المغفرة لمن استغفرت له، واسع الرحمة لمن استرحمت. نزلت في أثناء حفر الخندق عام الأحزاب، فكان المنافقون يتسللون إلى أهليهم بغير إذن من الرسول ﷺ، وكان المسلم يستأذن النبي إذا طرأت له حاجة، فإذا قضى حاجته رجع، فنزلت الآية.

٦٣ - لا تجعلوا أيها المسلمون نداء الرسول لكم كنداء بعضكم لبعض في جواز الإعراض، والمساهلة في الجواب، ورفع الصوت، ولا تقولوا: يا محمد، بل قولوا: يا نبي الله، يا رسول الله، في لين وتواضع، فإن المبادرة إلى إجابته واجبة، والخروج بغير إذنه حرام،

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنَّا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَعْرَابٍ لَّئِنِ دُعُوا لَيَسْتَجِيبُوا لَهُمْ نَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَجِيبُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنِ اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَن لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾
 ٦٣ لَاجْعَلُوا نِدَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدَعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونَ مِنكُمْ لَوَآذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِمْ إِنَّ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبُهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾
 ٦٤ إِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَوْنَ إِلَيْهِ فَيُنشِرُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾
 الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ يَحْضُرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَلَهُ يَكْفُلُ شَيْءًا وَيُنشِرُ مَا كُنَّا نَمْنَعُ لَكُمْ مِنْهُ لِيُذَكِّرَ الَّذِينَ لَمْ يَرْجِعُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أَنتَ خَلْقَ كُلِّ شَيْءٍ وَأَنْتَ عَزِيزٌ عَلِيمٌ ﴿٢﴾

ويعلم الله الذي ينسلون أو ينصرفون تدريجياً وخفية من مجلس الرسول ﷺ أثناء تشاغله عنهم، واللواذ: تستر بعضهم ببعض، وقد للتحقيق، فليحذر الذين يخالفون أمر الرسول ويعرضون عن أمره وينصرفون عنه بغير إذنه أن يتعرضوا لبلاء ومحنة في الدنيا، كالقتل والزلازل، أو يتعرضوا للعذاب مؤلم في الآخرة. قال ابن عباس: كانوا يقولون: يا محمد، يا أبا القاسم، فأنزل الله: ﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول .. ﴾ فقالوا: يا نبي الله، يا رسول الله.

٦٤ - ألا إن الله جميع ما في السموات والأرض ملكاً وخلقاً، قد يعلم ما أنتم عليه معشر الناس من الأحوال بالإيمان أو العصيان، ويجازيكم عليه، ويعلم يوم يرجعون إليه، فيجازيهم فيه، والله محيط علمه بكل شيء، وسيكون الجزاء على وفق العمل. وكلمة: ألا لتنبية المخاطب لما يذكر.

سورة الفرقان

١ - تعظم قدر الله أو قدس، وتكاثر خيره، وتزايد تنزيهه عن كل نقص، الذي نزل القرآن تدريجياً فارقاً بين الحق والباطل، على عبده محمد ﷺ ليكون منذراً مخوفاً للإنس والجن من عذاب الله إن لم يؤمنوا بوحداية الله تعالى. وتبارك وقدس بمعنى واحد، ووصف النبي بالعبودية لله تكريم له وتشريف بكونه في أعلى مراتب العبودية.

٢ - الله الذي له ملك السموات والأرض، له السلطان الكامل والقدرة التامة على التصرف فيهما، ولم يتخذ ولداً لعدم الحاجة إليه، ولا شريكاً له في الملك لاستغناؤه، وخلق كل شيء من موجودات الكون، فقدّرته تقديراً بدقة وحكمة.

وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَّا يُخَلِّقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخَلَّقُونَ
وَلَا يُغْنِيهِمْ كُفْرُهُمْ وَلَا تُنْفَعُ أَوْلِيَاؤُهُمْ لِمَا كَفَرُوا
مُوتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا شُورًا ﴿٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ
هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ
جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٧﴾ وَقَالُوا أَطُيَّرُوا بِالْأُولِيِّينَ
أَكْتَنِبْنَا فِيهِمْ نَمْلٌ عَلَيْهِ بَكْرَةٌ وَأَصِيلًا ﴿٨﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي
يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا
﴿٩﴾ وَقَالُوا مَا لَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي
الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَالٌ فَيَكُونَ مَعَهُ ذُبُرًا ﴿١٠﴾
أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكْفَرُونَ لَّهُمْ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا
وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مُتَّبِعُونَ ﴿١١﴾ أَنْظِرْ
كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا
﴿١٢﴾ بَارِكْ الَّذِي مَنَّا بِكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَبَّتْ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴿١٣﴾ بَلْ كَذَّبُوا
بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١٤﴾

٣- واتخذ المشركون من غير الله آلهة: أصناماً
يعبدونها، لا يقدرون على خلق شيء، ويخلقهم
الله، ولا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم ضراً ولا
نفعاً، ولا قدرة لهم على إمامة أحد ولا إحيائه ولا
بعثه من قبره في عالم الآخرة. والنشور: الإحياء
بعد الموت للحساب.

٤- وقال الكافرون: ما هذا القرآن إلا كذب
واختلاق، اختلقه محمد بنفسه، وأعانه على
جمعه قوم آخرون ممن أسلم من اليهود والنصارى،
فقد قالوا ظلماً عظيماً، والظلم: وضع الشيء في
غير موضعه، وقالوا كذباً محضاً بعيداً عن الحق.
نزلت في النضر بن الحارث الذي قال هذا
القول بعد أن أسلم ثلاثة غلمان من أهل
الكتاب.

٥- وقالوا: هذا القرآن أكاذيب المتقدمين التي
سطروها، طلب أن تكتب له، فهي تقرأ عليه
ليحفظها؛ لأنه أمة لا يتمكن من قراءتها، تقرأ
عليه صباحاً ومساءً، أي دائماً.

٦- قل أيها النبي: ليس هذا القرآن مما يفترى،
 وإنما أنزله عالم الأسرار والخفايا في السموات
والأرض، فهو أمر سماوي؛ إنه كثير المغفرة

والرحمة، لا يعاجلكم بالعقوبة.

٧- وقال المشركون استهانة وتهكماً: ما لهذا الرسول؟ يأكل الطعام كما نأكل، ويتردد على الأسواق لطلب
معيشته كما نتردد، فهلاً كان ملكاً، وهلاً صاحبه ملك، فيكون معه مخوفاً من عذاب الله ويصدقه؟ فنعلم
صدقه.

٨- أو يلقى عليه كثر من السماء، فيستغني به عن طلب الرزق، أو يكون له بستان يأكل من ثماره، وقال
الكافرون: ما تتبعون إلا رجلاً مغلوباً على عقله بالسحر، أي مجنوناً.

٩- انظر أيها النبي لهؤلاء المشركين: كيف افتروا عليك الأكاذيب ليكذبوك، فوصفوك بأنك ساحر أو
شاعر أو مجنون. والأمثال: الأحوال النادرة والأقوال المستغربة. فضلوا بذلك عن الهدى والصواب،
وتحيروا في ضلالهم، فلا يجدون طريقاً معقولاً للطعن في نبوتك.

١٠- تعاطم وتقديس الله عن كل شيء، الذي لو شاء جعل خيراً لك مما اقترحوه: وهو بساتين تجري من
تحت غرفها الأنهار، ويجعل لك قصوراً مشيدة بالحجارة أو الطين. نزلت حينما عرض زعماء قريش
كأبي سفيان والنضر بن الحارث على النبي ﷺ المال والملك والجاه والشرف، ليكف عن دعوته،
فأبى ذلك، وقال: ما بعثت إليكم بهذا، ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً، فأنزل الله هذه الآية.

١١- لم يكذبك المشركون؛ لأنك بشر، بل لأنكارهم القيامة والبعث والحساب، وأعدنا لمن أنكر البعث
ناراً شديدة الاشتعال، يعذب بها.

إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَهَيُّطًا وَزَفِيرًا ۗ وَإِذَا
 أَلْقَا مِنْهَا نَارًا لَاحِقًا فِي سَمْعِينَ دَعْوًا هَٰذَا لَكِ سُورَةٌ ۗ
 لِأَنَّ دَعْوَةَ الْيَوْمِ سُورَةٌ وَاحِدَةٌ وَأَدْعَاؤُهُ سُورَاتٌ كَثِيرَةٌ
 ۗ قُلْ أَذَلُّكَ حَبْرًا رَجَعَتْهُ الْخُلْدُ أَيُّ وَعْدٍ الْمُتَّقُونَ ۗ
 كَانَتْ لَمْ حَبْرَاءَ وَمَصِيرًا ۗ لَمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ
 خَالِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ۗ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ
 وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ يَقُولُءَ أَنَّهُمْ أَضَلَّامٌ عِبَادِي
 هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُرِّضُوا السَّبِيلَ ۗ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ
 يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ
 شَتَّعْتَهُمْ وَآءَاءَهُمْ حَتَّىٰ سَوَّاءَ الذِّكْرِ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا
 ۗ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا
 وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمُ مِنْكُمْ زُجْجَةً عَذَابًا كَبِيرًا ۗ
 وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا أَنْهُمْ لِيَأْكُلُوا الطَّعَامَ
 وَيَشْرَبُوا فِي الْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ
 فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ۗ

١٢- إذا كانت النار جبراً منكم، من مكان بعيد، سمعوا لها صوتاً يدل على شدة التغيط: وهو شدة الغضب، وزفيراً يسمع من الجوف عند شدة الانفعال. والمراد: سمعوا لها صوت غليان وفوران، وكالزفير من شدة الاشتعال. والزفير: النفس الخارج بشدة.

١٣- وإذا ألقوا من النار في مكان ضيق، ووصف بذلك لزيادة العذاب، مقيدتين بالأغلال، نادوا في ذلك المكان الضيق: هلاكاً هلاكاً، أي يتمنون الهلاك لأنفسهم، للتخلص من شدة العذاب.

١٤- لا تطلبوا بدعائكم هلاكاً واحداً، واطلبوا أنواعاً من الهلاك، وادعوا على أنفسكم بالعديد من الويلات؛ لأن عذابكم أنواع كثيرة، كل نوع منها ثبور، لشدة، وتجدده. والمراد: التبييس من تحقيق ما يتمنون من الهلاك.

١٥- قل أيها النبي للمشركين للتأمل والمقارنة: أذلك المذكور من أنواع العذاب وأوصاف النار الدائمة الاستمرار خير، أم جنة الخلد الدائمة النعيم، التي وعدها الله المتقين، كانت لهم في حكم الله جزءاً، ومرجعاً طيباً.

١٦- لهم في الجنة ما يشاؤون من النعيم المقيم وأنواع اللذات، كان ذلك موعوداً به، جديراً بالسؤال وطلب الوفاء به. وهذا دليل على أن تحقيق جميع المشتبهات في الجنة، وأن الوعد بها منجز.

١٧- واذكر يوم يجمع الله المشركين يوم القيامة وأهلهم المعبودة من غير الله من الأصنام والملائكة والجن والمسيح وعزير، فيقول الله للمعبودين: أنتم أضللتم عبادي هؤلاء بدعوتهم إلى عبادتكم، أم هم ضلوا أو انحرفوا عن طريق الحق بأنفسهم؟! وهو استفهام تقييد وتبكيك للعابدين.

١٨- قال المعبودون تعجباً من السؤال: تنزهت عما لا يليق بك من اتخاذ الولد أو الشريك، ما كان يحق ولا يصح لنا أن نتخذ من غيرك نصراء، والمراد: لا يتصور منا دعوة أحد إلى عبادتنا للعصمة عن ذلك والعجز عن هذا المقام، ولكن يارب، متمتهم مع آباءهم بأنواع النعم، ووسعت لهم الرزق، وأطلت لهم العمر، حتى غفلوا عن ذكرك وتذكر نعمك، وصاروا قوماً بنسبائهم لذكرك هالكين. والذكر هنا: القرآن والشرائع.

١٩- فقال الله للمشركين بعد تبري المعبودين: لقد كذبكم هؤلاء المعبودون في زعمكم أنهم آلهة، فما تستطيعون اليوم صرفاً ودفعاً للعذاب عنكم، ولا تتجدون أحداً ينصرم ويمنعكم من عذاب الله، ومن يظلم منكم نفسه بالإصرار على الشرك دون توبة، نذقه في الآخرة عذاباً شديداً هائلاً، وهو النار.

٢٠- ثم رد الله على شبهة البشرية، فقال: وما أرسلنا قبلك أيها الرسول أحداً من المرسلين إلا إنهم بشر، يأكلون الطعام كما تأكل، ويترددون في الأسواق لكسب المعيشة كما تفعل، وجعلنا بعضهم لبعض اختباراً وابتلاء، فامتحننا الغني بالفقير، والصحيح بالمرضى، والشريف بالوضيع، لمعرفة مدى ثباته على الإيمان، أتصبرون على الحق والابتلاء؟ وكان ربك مطلعاً على الصابر وغير الصابر.



٢١- وقال منكرو البعث الذين لا يتظنون لقاء الله في الآخرة: هلا أنزل الله علينا ملائكة لإخبارنا بصدق محمد، أو نرى ربنا عياناً، فيخبرنا بأن محمداً رسول أرسله هو، لقد تكبروا تكبراً في شأن أنفسهم، فأرادوا الخضوع لعظيم، وتجاوزوا الحد في الظلم والطغيان بطلب إرسال الملائكة أو رؤية الله في الدنيا.

٢٢- يوم يرون الملائكة عند الموت أو يوم القيامة، قد منعوا من البشري فيه، ويقولون لهم: منعاً ممنوعاً أو حراماً محرماً عليكم البشري بالمغفرة أو الجنة كما يشربه المتقون. وكان العرب يقولون هاتين الكلمتين إذا رأوا ما يخيفهم كلقاء عدو، أو طروء نازلة، طالبين منع الشر عنهم. والكلمة الثانية للتأكيد.

٢٣- وتوجهت إرادتنا أو عمدنا إلى ما عملوا في الدنيا من عمل صالح كصلة الرحم، فجعلناه باطلاً مبدداً لا نفع فيه؛ لأنه كان في حال الكفر، ويراد به غير وجه الله تعالى.

٢٤- أهل الجنة يوم القيامة أفضل منزلاً مستقراً فيها، وأحسن ماوى للراحة والقبول.

٢٥- ويوم تفتح السماء بغمام يخرج منها، وتنزل الملائكة جماعة بعد جماعة من كل سماء، استعداداً لتنفيذ أوامر الله في يوم الفصل، ومعهم صحائف

﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾ أَحْصِبْ الْجَنَّةَ يَوْمَئِذٍ حَيْرٌ مُسْتَقْرراً وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ نَسْفِقُ السَّمَاءَ بِالسَّمِّ وَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ تَزِيلًا ﴿٢٥﴾ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْرَحْمَنُ وَكَانَ يَوْمَ عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ نَعُضُّ الظُّلُمَ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا حَلِيلاً ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَصْلَبُ عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَدُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَجِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْكُفْرِ مِنْ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ مِنْ سَمَاءٍ وَاحِدَةٍ كَذَلِكَ لَنُتِبَتْ بِهِ فُؤَادُكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾

أعمال العباد، وذلك يوم القيامة.

٢٦- الملك الشاب يوم القيامة الله وحده، وكان ذلك اليوم يوماً صعباً شاقاً على الكافرين، بخلاف المؤمنين.

٢٧- ويوم بعض كل ظالم على يديه ندماً وتحسراً يوم القيامة، ويشمل ذلك عقبة بن أبي معيط الذي أسلم ثم ارتد إرضاء لأبي بن خلف، يقول: يا ليتني اتخذت مع الرسول محمد طريقاً إلى الهدى والنجاة. نزلت حينما نطق عقبة بن أبي معيط بالشهادتين، فعاتبه أبي بن خلف صديقه، وقال: صبات؟ فقال: لا.

٢٨- يا ويلتا، أي يا هلكتي. ويراد به التحسر على مصاحبة الأشرار. ليتني لم أتخذ فلاناً صاحباً وصديقاً.

٢٩- لقد أبعدني هذا الصاحب عن الإيمان بالله وذكره والقرآن، بعد مجيء من هداني إليه وكان الشيطان (المفسد من الإنس والجن) كثير الخذلان لمن يطيعه، خاذلاً كل من يواليه، حتى يؤديه إلى الهلاك.

٣٠- وقال الرسول محمد ﷺ مشتكياً إلى ربه في الدنيا: يا ربي إن قومي جعلوا القرآن مهملًا متروكاً.

٣١- وكما جعلنا لك أيها النبي عدواً من مشركي قومك، جعلنا لكل نبي قبلك عدواً من الكافرين من قومه، وكفى بربك هادياً لك إلى الحق والمصلحة، وناصراً لك على أعدائك. والمجرمون: هم الذين اشتد إفسادهم.

٣٢- وقال الكفار: هلا أنزل القرآن على محمد دفعة واحدة، كما أنزلت التوراة على موسى؟! فرد الله عليهم: أنزلناه عليك مفرقاً، على هذا الوجه، لنقوي به قلبك، ونيسر لك حفظه وفهمه، ورتلناه عليك بلسان جبريل ترتيلاً بديعاً، يتمهل وتؤدة. عن ابن عباس: قال المشركون: إن كان محمد كما يزعم نبياً، فلم يعذبه ربه، ألا ينزل عليه القرآن جملة واحدة، فينزل عليه الآية والآيتين، فأنزل الله هذه الآية.

٣٣- ولا يأتيك المشركون يا محمد بمثل غريب لإبطال دعوتك إلا أتيناك بالجواب الثابت الذي يبطل ما أتوا به من المثل، وأحسن بياناً وإيضاحاً لهم. والمثل: هو الكلام الخارج عن المعقول الذي يجري مجرى الأمثال في غرابته، والمراد به: الاقتراح الباطل.

٣٤- الذين يجمعون ويساقون على وجوههم إلى جهنم، أي مقلوبين، أولئك شرٌ منزلاً وهو جهنم، وأبعد طريقاً من غيرهم، وهو كفرهم.

٣٥- ولقد أتينا موسى التوراة، وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً معيناً ونبياً، لمؤازرته في تبليغ الرسالة.

٣٦- فقلنا لهما: اذهبا إلى فرعون وقومه الذين كذبوا بآياتنا (المعجزات) التسع، المتقدم ذكرها في الأعراف وغيرها، والمراد: آل حالهم إلى التكذيب، فأهلكناهم إهلاكاً عظيماً.

٣٧- وقوم نوح لما كذبوا نوحاً رسولهم أغرقناهم بالطوفان، وعبر عن الرسول الواحد بالرسول؛ لأن من كذب رسولاً فقد كذب جميع الرسل، وجعلنا إغراقهم عبرة وعظة لكل الناس، وأعدنا في الآخرة للكافرين عذاباً مؤلماً.

٣٨- وأهلكنا أيضاً قوم عاد الذين كذبوا رسولهم هوداً، بريح صرصر عاتية، وقوم ثمود الذين كذبوا رسولهم صالحاً، بالصيحة، وأهلكنا أصحاب الرس: وهي البشر غير المطوية قعداً، وهم في رأي بعضهم: أصحاب الأخدود: كانوا وثنيين يعبدون الأصنام، أهلكناهم بالخسف، أي انهارت بهم منازلهم، وأهلكنا أقواماً كثيرين، بين عاد وأصحاب الرّس، بسبب كفرهم وتكذيبهم رسلهم.

٣٩- وكل قوم من هؤلاء الأقوام المهلكين خوفناهم وأنذرناهم بأخبار المكذبين، وكل قوم منهم أهلكناهم إهلاكاً شديداً.

٤٠- ولقد مرّ كفار مكة أثناء تجارتهم إلى الشام على قرى قوم لوط وهي سدوم وتوابعها التي أهلكت بالحجارة التي أمطروا بها، أفلم يكونوا يرونها عند سفرهم إلى الشام للتجارة، فيعتبروا بآثار العذاب الإلهي؟! بل كانوا كفره لا يتوقعون بعثاً من القبور.

٤١- وإذا رآك المشركون أيها النبي ما يتخذونك إلا موضع هزء وسخرية، أي لا ينظرون إليك إلا هكذا، قائلين: أهذا الذي بعث الله رسولاً في دعواه؟! نزلت في أبي جهل، فإنه إذا مرّ رسول الله ﷺ مع صحبه قال مستهزئاً: ﴿أهَذَا الَّذِي...﴾

٤٢- إنه قد قارب أن يصرفنا عن عبادة آلهتنا، بمهارته في إثبات التوحيد، لولا ثباتنا وصدودنا على تلك العبادة، وسوف يعلمون علم اليقين حين يشاهدون العذاب الواقع بهم من هو أبعد طريقاً عن الحق، هم أم المؤمنون؟!

٤٣- أخبرني عن جعل إلهه هواه، بأن أطاع هواه كطاعة الإله، أفانت تكون موكباً به تمنعه من اتباع هواه؟! وهذا استفهام إنكاري، والاستفهام الأول للتقريب والتعجب.

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ نَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾
الَّذِينَ يُجَسِّرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ سَرُّ شَكَّانَا وَأَصْلُ سَبِيلِنَا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَذَمَّرْنَاهُمْ تَذْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمُ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كِبِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُنَّا بِرَأْسِنَا نَبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا عَلَى الْقَسْرَةِ آيَةً أَنِ امْطُرِيْنَا مَطَرَ السَّوَاءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرُونَهَا بَلَاغًا إِذْ لَا يَرُوجُونَ سُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِسْتَعْجَدُوا بِكَ الَْاهْرُونَ أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ الْمَنَاطِقِ لَوْلَا أَن سَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرُونَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلَّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وِكَالًا ﴿٤٣﴾

هوداً، بريح صرصر عاتية، وقوم ثمود الذين كذبوا رسولهم صالحاً، بالصيحة، وأهلكنا أصحاب الرس: وهي البشر غير المطوية قعداً، وهم في رأي بعضهم: أصحاب الأخدود: كانوا وثنيين يعبدون الأصنام، أهلكناهم بالخسف، أي انهارت بهم منازلهم، وأهلكنا أقواماً كثيرين، بين عاد وأصحاب الرّس، بسبب كفرهم وتكذيبهم رسلهم.

٣٩- وكل قوم من هؤلاء الأقوام المهلكين خوفناهم وأنذرناهم بأخبار المكذبين، وكل قوم منهم أهلكناهم إهلاكاً شديداً.

٤٠- ولقد مرّ كفار مكة أثناء تجارتهم إلى الشام على قرى قوم لوط وهي سدوم وتوابعها التي أهلكت بالحجارة التي أمطروا بها، أفلم يكونوا يرونها عند سفرهم إلى الشام للتجارة، فيعتبروا بآثار العذاب الإلهي؟! بل كانوا كفره لا يتوقعون بعثاً من القبور.

٤١- وإذا رآك المشركون أيها النبي ما يتخذونك إلا موضع هزء وسخرية، أي لا ينظرون إليك إلا هكذا، قائلين: أهذا الذي بعث الله رسولاً في دعواه؟! نزلت في أبي جهل، فإنه إذا مرّ رسول الله ﷺ مع صحبه قال مستهزئاً: ﴿أهَذَا الَّذِي...﴾

٤٢- إنه قد قارب أن يصرفنا عن عبادة آلهتنا، بمهارته في إثبات التوحيد، لولا ثباتنا وصدودنا على تلك العبادة، وسوف يعلمون علم اليقين حين يشاهدون العذاب الواقع بهم من هو أبعد طريقاً عن الحق، هم أم المؤمنون؟!

٤٣- أخبرني عن جعل إلهه هواه، بأن أطاع هواه كطاعة الإله، أفانت تكون موكباً به تمنعه من اتباع هواه؟! وهذا استفهام إنكاري، والاستفهام الأول للتقريب والتعجب.

أَوْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا
 كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ
 كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ
 جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ فَوَقَّضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا
 يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ
 سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ
 بُشْرًا يَنْدِي بِرَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾
 لِنَحْيِي بِيهْ بِلَدَّةٍ مِيثًا وَنُسِفِيهِمْ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ
 كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لَهُمْ آيَاتِنَا فَمَا أَتَى
 أَكْثَرَ النَّاسِ إِلَّا الْكُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا
 فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تَطِعِ أَلْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ
 بِوَجْهٍ آدَبِيٍّ ﴿٥٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ
 هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا
 بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ
 بَشَرًا جَعَلَهُمْ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾

٤٤- بل أنتظن أيها النبي أن أكثرهم يسمعون سمع تفهم أو يعقلون ما تقول لهم، فتجديهم الآيات والبراهين؟ ما هم إلا كالبهائم المعدومة الفهم والوعي، بل هم أضل من الأنعام طريقاً.

٤٥- ألم تنظر إلى صنع ربك وفعله كيف بسط الظل من وقت طلوع الفجر إلى شروق الشمس، وهو ظل لا شمس فيه، وبعد الشروق يمتد الظل إلى جهة الغرب، ولو شاء الله لجعل الظل على حال واحدة يسكون الشمس، ثم جعلنا الشمس علامة تدل على أحوال الظل طولاً وقصراً.

٤٦- ثم قلصنا الظل الممدود إلى النحو الذي نريد، تدريجياً، بقدر ارتفاع الشمس، أي محوناه على مهل قليلاً قليلاً بحسب دوران الأرض حول نفسها مقابل الشمس. وكلمة ﴿اليناف﴾ تعلق لمحو الظل بإرادة الله، لا سلطان لأحد فيه سواه؛ لأنه تابع لحركة الأرض.

٤٧- والله الذي جعل لكم الليل ساتراً للأشياء بظلامه، وجعل النوم قطعاً لأعمالكم وراحة لأبدانكم، وجعل النهار وقت نشور، لبيتشر الناس فيه للعمل وابتغاء الرزق. والتعبير بالسبات لتشبيه النوم بالممات، والتعبير بالنشور لتشبيه اليقظة بالحياة.

٤٨- والله الذي أرسل لكم الرياح مبشّرات بنزول المطر الذي هو رحمة بالعباد، وأنزل من السحاب جهة السماء ماءً طاهراً مطهراً، يطهر كل شيء ينزل عليه.

٤٩- لنحوي بالمطر بلدة لا نبات فيها- والإحياء: الإنبات، والميت يستوي فيه المذكر والمؤنث. ونسقي الماء بعض ما خلقنا من الأنعام (الإبل والبقر والغنم) وأناس أو بشر كثيرين، والأناسي جمع أنسي مثل كرسي وكراسي.

٥٠- ولقد وزعنا المطر في أماكن وأزمان ومقادير مختلفة بين المخلوقات الأرضية ليتذكروا نعمة الله به، فيشكروا ويعتبروا، فأبى أكثر الناس إلا جحود النعم وقلة الاكتراث بها، وكان العرب يضيفون نزول الأمطار إلى سقوط نجم في الغرب مع الفجر وطلوع رقيه في الشرق كل ١٣ يوماً.

٥١- ولو شاء الله لبعث في كل بلدة رسولاً ينذرهم، كقسمة المطر بينهم، ولكن بعثناك أيها النبي نذيراً عاماً.

٥٢- واجتهد في دعوتك ولا تطع الكافرين في أهوائهم وأباطيلهم، وجاهدهم بالقرآن جهاداً كبيراً؛ لأن الجهاد بالحجة والبرهان أكبر من المجاهدة بالسيف.

٥٣- والله الذي أجرى البحرين وجعلهما متجاورين بحيث لا يتمازجان، هذا عذب (غير مالح) شديد العذوبة، وهذا شديد الملوحة، وجعل بينهما حاجزاً حائلاً، ومانعاً ممنوعاً يمنع اختلاط أحدهما بالآخر، ويظل كل منهما متميزاً عن الآخر في تيار خاص بتقدير الله.

٥٤- والله الذي أوجد من ماء التطفة إنساناً، فجعله ذانسب ومصاهرة، والنسب: الولادة وما نشأ عنها من علاقة البنوة والأبوة والأخوة والعمومة. والمصاهرة: العلاقة الناشئة بين الزوج وأهل زوجته، وبين المرأة وأهل زوجها، وكان ربك تام القدرة على كل شيء.



٥٥- ويعبد الكفار من غير الله كالأصنام والأوثان ما لا يفهم إن عبده، ولا يضرهم إن تركوه، وكان الكافر معيناً للشيطان على معصية الله تعالى بالشرك والعداوة.

٥٦- وما أرسلناك أيها النبي إلا مبشراً من أطاعك بالجنة، ومخوفاً من عصاك بالنار.

٥٧- قل لهم أيها النبي: ما أطلب منكم على تبليغ القرآن ورسالة الله أجراً، لكن من شاء أن يتخذ إلى ربه طريقاً ابتغاء مرضاته تعالى، فليفعل.

٥٨- وتوكل أيها النبي واعتمد على ربك الدائم الحياة الذي لا يموت، والذي يوثق به في تحقيق المطالب والمصالح، ونزته عن كل صفات النقصان، مع شكره على ما أنعم، وكفى بالله تعالى مطلعاً على ذنوب عباده، لا يخفى عليه شيء منها.

٥٩- وهو خالق السموات والأرض وما بينهما من المخلوقات، بقدر ستة أيام من أيام الدنيا، ولو شاء لخلقهن دفعة واحدة، ثم اعتلى على العرش اعتلاء يليق بعظمته وجلاله، وهو الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء، فاسأل عنه وعمّا يليق به خبيراً من علماء الكتاب الإلهي.

٦٠- وإذا قيل لكفار مكة والقائل هو الرسول ﷺ- اسجدوا للرحمن دون غيره من الأصنام والأوثان،

ويعبدون من دون الله ما لا يفهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيراً ﴿٥٥﴾ وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً ﴿٥٦﴾ قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً ﴿٥٧﴾ وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيراً ﴿٥٨﴾ الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن ﴿٥٩﴾ فستل به خبيراً ﴿٦٠﴾ وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفوراً ﴿٦١﴾ تبارك الذي جعل في السماء بروحاً وجعل فيها سراجاً وقراً منيراً ﴿٦٢﴾ وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً ﴿٦٣﴾ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ﴿٦٤﴾ والذين يبيتون لربهم سجداً وقيماً ﴿٦٥﴾ والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً ﴿٦٦﴾ إنها ساءت مستقراً ومقاماً ﴿٦٧﴾ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً ﴿٦٨﴾

قالوا: وما الرحمن؟ لا نعرف إلا رحمن اليمامة وهو مسيلمه، أنامرنا بالسجود لمن لا نعرفه، وزادهم الأمر بالسجود إعراضاً عن الإيمان.

٦١- تعظم وتقدس وتزده الرحمن الذي جعل في السماء منازل عالية ومدارات للكواكب السيارة وهي كما روي عن ابن عباس اثنا عشر منزلاً: وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدلي والدلو والحوت، وقيل: البروج هي الكواكب العظيمة وجعل في السماء شمساً ساطعة بالنهار، وقمرأ مضيئاً بالليل، غير متقد.

٦٢- وهو سبحانه الذي جعل الليل والنهار صاحبي خلفه، يخلف كل منهما الآخر، ويأتي بعده، ويتعاقبان في الإضاءة والظلام، والزيادة والنقصان، لمن أراد أن يتذكر، فمن تذكر علم أنه لا بد في تعاقبهما من ناقل ومحوِّج، ولن أراد شكر نعمة ربه على ما أنعم في الليل والنهار من نعم عظيمة.

٦٣- وعباد الرحمن هم الذين يمشون على الأرض بسكينة ووقار دون تكبر، وإذا خاطبهم الجاهلون (السفهاء) بما يسيء لهم، قالوا: سلاماً، أي سلام متاركة، بلا خير ولا شر، لا سلام تحية.

٦٤- والذين يبيتون في الليل ساجدين لله، قائمين يصلون صلاة التهجد؛ لأن ذلك أبعد عن الرياء وأكثر خشوعاً.

٦٥- والذين يدعون ربهم قائلين: ربنا اصرف عنا عذاب جهنم، إن عذابها كان لازماً دائماً.

٦٦- إن جهنم يستت وحبحت موضع استقرار وإقامة. والجملة تعليل للدعاء السابق.

٦٧- والذين إذا أنفقوا شيئاً من أموالهم لم يسرفوا- والإسراف: الخروج عن حد الاعتدال بكثرة الإنفاق- ولم يقتروا- والإقتار: البخل والتضييق في الإنفاق- وكان إنفاقهم وسطاً معتدلاً، لا زيادة فيه ولا نقص.



٦٨- والذين لا يعبدون مع الله إلهاً آخر ولا يتخذون رباً سواه، ولا يقتلون عمداً النفس التي حرم الله قتلها إلا بحق: وهو الكفر بعد الإيمان، والزنى بعد الإحصان (الزواج) وقتل نفس بغير نفس، ولا يقتربون الزنى بوطء الفرج الحرام بغير زواج ولا ملك بين، ومن يفعل أحد هذه الثلاثة المذكورة يلقى في الآخرة عقاباً: وهو جزاء الإثم الذي هو الذنب. أخرج الشيخان عن ابن عباس: أن ناساً من أهل الشرك قتلوا فأكشروا، وزنوا فأكثروا، ثم أتوا محمداً ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزلت هذه الآية.

٦٩- يضاعف له العقاب بسبب انضمام المعصية إلى الشرك، يوم القيامة، ويبقى دائماً في العذاب المضاعف ذليلاً حقيراً.

٧٠- لكن من تاب من ذنوبه في الدنيا، وأمن بالله ورسوله، وعمل بما أمر الله به وانتهى عما نهى عنه، فأولئك يجعل في الآخرة مكان أعمالهم السيئة أعمالاً صالحة، بأن يحسو عنهم المعاصي، ويثبت مكانها الطاعات، وكان الله كثير المغفرة والرحمة لعباده التائبين المحسنين. أخرج البخاري وغيره عن ابن عباس قال: لما أنزلت في الفرقان ﴿والذين لا يدعون...﴾

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهَا مُهَانًا ۖ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۗ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ۗ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ۗ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَوْ يُخَرُّوْنَ عَلَيْهَا صُغُرًا ۗ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۗ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا مِنْ حَسَنَةٍ وَسَلَامًا ۗ خَالِدِينَ فِيهَا حَسَنَةٌ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۗ فَلَمَّا نَسُوا مَا كُنتُمْ رَبِّي لَوْلَا دَعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ۗ



[٩٨] قال مشركو أهل مكة: قد قتلنا النفس بغير حق، ودعونا مع الله إلهاً آخر، وأتيننا الفواحش، فنزلت: ﴿إلا من تاب﴾ الآية.

٧١- ومن تاب عن المعاصي، وعمل صالح الأعمال أمراً ونهياً، فإنه يتوب توبة مقبولة عند الله، ويرجع إلى الله رجوعاً صحيحاً قوياً مرضياً عند الله تعالى.

٧٢- والذين لا يشهدون الشهادة الكاذبة عمداً، ولا يحضرون مجالس الباطل؛ لأن المشاهد كالمشارك، وإذا مروا باللغو: وهو كل ساقط من قول أو فعل، مروا معرضين عنه، أي إنهم يترفعون عن حديث اللغو ومشاركة أهله.

٧٣- والذين إذا أوعظوا بالقرآن، أقبلوا عليه سامعين مبصرين متفهمين، لم يعرضوا عنه.

٧٤- والذين يدعون قائلين: ربنا أعطنا من أزواجنا وأولادنا ما تقرُّ به عيوننا أي أسباب سرور، أي تسرُّ به نفوسنا بتوفيقهم للطاعة والصلاح والفضيلة، واجعلنا قدوة في الخير، وهذا دليل على مشروعية طلب الرئاسة الدينية للقيام بوجوبها، لا للفتخربها.

٧٥- أولئك عباد الرحمن المتصفون بهذه الصفات يجزون أعلى منازل الجنة وأفضلها، بسبب صبرهم على مشاق الطاعة وتجنب المعاصي، ويلقون في الدرجة الرفيعة في الجنة تحية من الملائكة وسلاماً، والسلام: تفسير التحية.

٧٦- ماكين فيها على الدوام، طابت الجنة موضع استقرار وإقامة، أي أن النعيم دائم لا ينقص مهما طالَّت المدة.

٧٧- قل أيها الرسول لجميع الناس: لا يبالي بكم ربي لولا عبادتكم إياه ودعاؤكم له، والمراد: أنه ما خلقهم إلا ليعبدوه، وكيف يعبا أو يبالي بكم وقد كذبتم الرسول والقرآن؟ فسوف يكون العذاب وجزاء التكذيب ملازماً لكم في الآخرة لا ينقطع.

سورة الشعراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَعَ ١. نَاكَ أَيُّكَ الْمُبِينِ ٢. لَعَلَّكَ بَئِخَ نَفْسِكَ
 الْأَكْبَرُ ٣. مُؤْمِنِينَ ٤. إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً
 فَظَلَّتْ أَعْيُنُهُمْ لَهَا خَضْبِعِينَ ٥. وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ
 الرَّحْمَنِ مُخْبَرٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ٦. فَذَكَرْنَاكَ ذَبْحًا
 فَسَيِّئًا لِنَهُمْ أُنْبِئُوا مَا كَانُوا يَسْتَخْفُونَ ٧. أَوْ لَوْ يَسِرُّوا إِلَى
 الْأَرْضِ كَرَاهًا لَتُبْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ ذَرْجٍ كَرِيمٍ ٨. إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ
 أَكْثَرُكُمْ مُؤْمِنِينَ ٩. وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ١٠. وَإِذْ نَادَى
 رَبُّكَ مُوسَى أَنْ آتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ١١. فَوَاعُونَ أَلا يَتَفَوَّنُونَ
 ١٢. قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ١٣. وَضَيْقٌ صَدْرِي وَلَا
 يُطْلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَرُونَ ١٤. وَلَمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ
 يَقُولُونَ ١٥. قَالَ كَلَّا فَادْهَابًا لَيْسَ بِأَنَا مَعَكُمْ شَاشِعُونَ ١٦. فَأْتِيَا
 فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٧. أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ
 ١٨. قَالَ أَلَمْ نُنزِّكْ فِيْنَا وَلَدًا وَلَيْمَتٌ فِيْنَا مِنْ عَمْرِكُ سِنِينَ ١٩.
 وَفَعَلْتَ فَعَلْنَاكَ الْآتَى فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ٢٠.

فضلها: عن البراء بن عازب أن النبي ﷺ قال: «إن الله أعطاني السبع الطوال مكان التوراة، وأعطاني السمين مكان الإنجيل، وأعطاني الطواسين مكان الزبور، وفضلني بالحواميم والمفضل، ما قرأهن نبي قبلي».

١- طا، سين، ميم، هذه الأحرف للتببيه، والإشارة إلى إعجاز القرآن، وتحدي العرب بالإتيان بمثله، ما دام مكرنًا من الأحرف الهجائية التي تركب منها اللغة العربية.

٢- تلك آيات هذه السورة آيات القرآن البين الواضح، الظاهر المعاني.

٣- لعلك أيها النبي مهلك نفسك من الحزن والتأسف لعدم إيمان قومك بما جئت به، والاستفهام إنكاري يفيد النهي عما بعده، وهذا تسرية عن الرسول ﷺ لغمته الشديد بسبب إعراض قومه عن الإيمان برسالته.

٤- لو نشاء أن نزل على كفار قومك معجزة من السماء تلجهم إلى الإيمان، فتصير أعناق أصحابهم، أي جماعاتهم متقادين لها حتمًا.

٥- وما يأتيهم تذكير وموعظة بطائفة من آيات القرآن، مجددًا إزاله، إلا كانوا عنه معرضين عن سماعه.

٦- فقد كذب هؤلاء المشركون بالقرآن بعد إعراضهم، فسيحل بهم العذاب، عاجلاً أو آجلاً. والأنباء: أخبار ما يستحقونه من العقوبة.

٧- أولم ينظروا إلى عجائب الأرض، كثيراً ما أنبتنا فيها من كل صنف من الأشجار والنباتات.

٨- إن في ذلك الإنبات في الأرض للدلالة واضحة على تمام قدرة الله وحكمته، ولم يكن أكثر الناس مؤمنين بالله وحده.

٩- وإن ربك لهو القادر على الانتقام من الكفرة، مع كونه كثير الرحمة، حيث أمهلهم ولم يعاقبهم.

١٠- واذكر أيها النبي حين نادى ربك موسى أن اذهب إلى القوم الظالمين أنفسهم بالكفر والمعاصي.

١١- وهم فرعون وقومه، ألا يخافون عقاب الله على كفرهم وظلمهم؟! قتل لهم: اتقوا الله.

١٢- قال موسى: يارب، إني أخاف أن يكذبوني في رسالتي.

١٣- ويتضيق صدري غمًا بسبب تكذيبهم إياي، ولا ينطلق لساني بأداء الرسالة، فأرسل جبريل بالوحي إلى أخي هارون.

١٤- ولقوم فرعون علي تبعة ذنب هو قتل القبطي قبل النبوة حال الشباب، فأخاف أن يقتلوني به.

١٥- قال الله: كلا لا تخف من القتل، اذهب أنت وأخوك- بتغليب الحاضر على الغائب- بأياتنا التسع المذكورة في [الأعراف

١٣٣/٧] و[طه ٢٠/١٧] وما بعدها كالطوفان والجراد، إننا معكم مستمعون ما يجري بينكما وبين فرعون من حوار.

١٦- فأتيا فرعون، فقولا له: كل منا رسول من رب العالمين، أرسلنا الله إليك. وفي اللغة العربية: الواحد فأكثر رسول.

١٧- ومضمون الرسالة: أن ترسل معنا الإسرائيليين، وتطلق سراهم من أسرك واستعبادك.

١٨- قال فرعون لموسى: لقد ريتك في قصرنا صغيراً، ولم تقتلك كبقية الأطفال، وأمتت عندنا عدداً من السنين نرعاك.

١٩- فجازيتنا على تربيتك أن كفرت نعمتنا، وقتلت منا نفساً- أي قتل القبطي- وأنت من الجاحدين لإنعامنا.



٢٠- قال موسى: فعلتها إذن وأنا من المخطفين الجاهلين بالعواقب قبل إتيان العلم والرسالة.

٢١- ففسرت منكم إلى مدين لما خفت منكم أن تقتلوني، فمحنني ربي نبوة وحكمة وعلماً بالتوراة، وجعلني أحد الأنبياء المرسلين.

٢٢- وهل تلك نعمة تمن علي بأن ربي تني وليداً، واستعبدت قومي بني إسرائيل وذبحت أبناءهم؟! وكلمة ﴿أن﴾ تفسيرية، يفسر ما بعدها ما قبلها.

٢٣- قال له فرعون: وما حقيقة رب العالمين الذي قلت: إنك رسوله؟

٢٤- قال موسى: هو خالق السموات والأرض وما بينهما من إنسان وحيوان وجماد ونبات، إن كنتم مصدقين بيلاه، فهذا أولى بالإيمان به. عين له ما أراد بالعالمين، وترك الجواب عن حقيقة الله، مكتفياً بما يدل على كمال قدرته الإلهية.

٢٥- قال فرعون لمن حوله من الحاشية والأشراف: ألا تستمعون ما قاله موسى؟ فإن جوابه لم يطابق السؤال، سألته عن حقيقة رب العالمين، فذكر أفعاله، متعجباً من ضعف المقال.

٢٦- قال موسى: الله ربكم الذي خلقكم، ورب آباءكم السابقين الذين خلقهم، والمراد أن فرعون أحد البشر المخلوقين.

٢٧- قال فرعون لحاشيته: إن رسولكم هذا المرسل إليكم لمجنون، حيث أسأله عن شيء ويجيبني عن غيره، ويزعم أن هناك رباً غيري. وسماه رسولاً استهزاء وسخرية.

٢٨- قال موسى: إنه الرب الذي تشاهدون آثاره كل يوم، فهو رب المشرق يأتي بالشمس، ورب المغرب يجعل الشمس تغرب، وما بينهما من مخلوقات، إن كنتم من أهل العقول التي تفكر برب العوالم.

٢٩- قال فرعون مهتداً: لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك سجيناً حتى الموت.

٣٠- قال له موسى: أتجعلني سجيناً ولو أتيتك بشيء بين صدقي وتأبيد دعواي؟

٣١- قال فرعون: فأت بهذا الدليل الواضح إن كنت صادقاً في دعواك.

٣٢- فالقى موسى عصاه على الأرض، فإذا هي ثعبان ظاهر حاله، بلا تقوية ولا تخييل.

٣٣- وأخرج يده من جيبه، فإذا هي ذات شعاع كالشمس، لكل من رآها، خلافاً لما كانت عليه من جلد ولحم وعظم.

٣٤- قال فرعون لمن حوله من الوجهاء والأشراف والسادة: إن هذا الساحر فائق في علم السحر.

٣٥- إن موسى يريد أن يخرجكم من أرض مصر بسحره، فما رأيكم ومشورتكم فيه وفي أمثاله التسلطين؟!

٣٦- قال الزعماء والرؤساء: آخره وأخاه هارون لفرصة أخرى، وأرسل في أنحاء البلاد جنوداً يجمعون السحرة.

٣٧- يأتوك بكل ماهر حاذق خبير بفن السحر وصنعتة، ليتغلب على موسى.

٣٨- فجمع السحرة في ميقات يوم محددة هو يوم الزينة وهو يوم عيد عندهم، في وقت الضحى. والميقات: هو الزمن المحدد لعمل معين.

٣٩- وقيل لأهل مصر: هل أنتم مجتمعون في هذا الميقات؟ وهو حث لهم على الاجتماع، كأنه قال: اجتمعوا، لتشاهدوا المبارزة بين موسى والسحرة، ولمن تكون الغلبة؟

قَالَ فَعَلَّهَا إِنَّا وَآنَا مِنَ الصَّالِينَ ﴿٢٠﴾ فَفَسَّرْتُ مِنْكُمْ
لَمَّا خَفْتُمْ قَوْلَهُ لِي رَّبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾
وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ
وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ
كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ وَالْآنَسْمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ
وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنْ رُسُلُكُمْ الَّذِينَ أُرْسِلُوا
إِلَيْكُمْ مُجْتَوُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ
كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لِمَنْ أَتَّخَذتَّ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ
مِنَ السَّجْدِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوْ لَوْ جُنُنْتُ بَشِيرٌ مُؤْمِنٌ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ
بِعِمْرَانٍ كُنْتُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَالْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ
مُبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيضَاءٌ لِلنَّظَرِ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَائِكَةِ
حَوْلَهُ إِنْ هَذَا السَّحَرُ عَلَيَّ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ
بِسِحْرِهِمْ فَأَإِنَّمَا مَرُّونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ
حَاشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَا تَوَكَّلْ بِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجَمَعَ السَّحَرَةُ
لَمِيقَتِ يَوْمِ تَمْلُكِهِمْ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾

لَعَلْنَا نَبْعَ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْعَالِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ
فَأَلُّوا لِفِرْعَوْنَ أَيَّنَ لَنَا لَأَجْرٌ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْعَالِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ
تَعْرَوْا لَكُمْ إِذَا لِمَنِ الْمَقْرَبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ
تُلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا حِجَالَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ وَأَلْقَوْا بِعُرْوَةِ فِرْعَوْنَ
إِنَّا لَنَحْنُ الْعَالُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ
مَا يَأْتِيهِمْ ﴿٤٥﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ
الْعَالِينَ ﴿٤٦﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٧﴾ قَالَ أَمْنٌ لَهُ قَبْلَ أَنْ
ءَادَنَّا لَكَ إِنَّهُ لَكَبِيرُكَ الَّذِي عَلَّمَكَ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ نَعْلَمُونَ لِأَقْطَعَنَّ
أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَأَصْلَبْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٨﴾ فَأَلُّوا الْأَصْبَاحَ
إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٤٩﴾ إِنَّا نَقْطَعُ أُنْجُرَ لَنَا رَبَّنَا خَطْبِنَا أَنْ كُنَّا
أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٠﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي
إِنَّمُ مَسْبُوعُونَ ﴿٥١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٢﴾ إِنَّ
هَؤُلَاءَ لَشُرُومَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَاظُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ
حَدَرُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٦﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ
﴿٥٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٨﴾ فَأَتَّبَعُوهُمُ مُشْرِقِينَ ﴿٥٩﴾

٤٠ - وقال قائلهم: لعلنا نحن أهل مصر نتبع
السحرة في دينهم إن غلبوا موسى .
٤١ - فلما جاء السحرة في الموعد المحدد قالوا
لفرعون: هل لنا أجر مادي من مال أو جزء معنوي
من جاه، إن كنا نحن الغالبين لموسى؟
٤٢ - قال فرعون: نعم لكم الجزاء المناسب الذي
تطلبونه، وإنكم إذا غلبتم موسى لمن المقربين عندي
في المناصب المختلفة .
٤٣ - قال لهم موسى بعد تخيير السحرة بين البدء
والتأخر في الإلقاء: ألقوا ما عزتم على إلقائه .
٤٤ - فألقى السحرة حبالهم وعصيهم، وقالوا
حالفين: بعزة فرعون، إننا لنحن الغالبون . والعزة:
العظمة ذات القدرة التي لا تقهر .
٤٥ - فألقى موسى بعدهم عصاه، فإذا هي تتلعب
بسرعة جميع ما يكذبون به على الناس من السحر .
٤٦ - فأمن السحرة بالله، وخرّوا ساجدين لله،
لقوة المعجزة واقتناعهم المطلق بها، ولعلمهم يقيناً أن
ما صنعه موسى ليس سحراً، وأقروا بنبوة موسى .
٤٧، ٤٨ - قال السحرة علانية: أمنا برب العالمين،
ومنهم فرعون . رب موسى وهارون، فليس فرعون
رب .

٤٩ - قال فرعون للسحرة: كيف أمتم لموسى بغير إذن مني لكم في الإيمان، ثم موّه على الناس حتى لا يتبعوهم:
إن موسى هو رئيسكم الذي علمكم السحر - وصفه بأنه كبير السحرة لانبهار الناس بفعله - ثم هددهم بقوله: لسوف
تعلمون عقابي، لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلف، أي اليد اليمنى مع الرجل اليسرى وبالعكس، ولأصلبنكم
بعد القتل أجمعين .

٥٠ - قال السحرة لفرعون: لا ضرر علينا في ذلك وفي كل ما نتعرض له من عذاب الدنيا، إننا إلى ربنا راجعون
في الآخرة بعد موتنا، وعزأونا ما نمجده من ثواب عظيم وقرب من الله تعالى .

٥١ - إننا نرجو أن يغفر لنا ربنا ذنوبنا بأن كنا أول المؤمنين من قوم فرعون بما جاء به موسى .

٥٢ - وأوحينا إلى موسى: أن سرّ بعبادي المؤمنين ليلاً من أرض مصر، إنكم ملاحقون من قبل فرعون وجنوده .

٥٣ - فأرسل فرعون أتباعه حين علم بمسيرة القوم، في البلاد المصرية، جامعين الجنود ليتبعوهم .

٥٤ - قال فرعون لحاشيته وأتباعه: إن هؤلاء الإسرائيليين لطائفة قليلة، وأنتم الجمع الكبير قاعدة مصر .

٥٥ - وإنهم لفاعلون ما يغيظنا من غير إذن منا، بخروجهم من مصر وأخذهم حلي النساء التي استعاروها .

٥٦ - وإننا لجمع أي جمع مستعدون في حذر ويقظة وحزم ملاحقتهم حتى لا يغدر بنا أحد .

٥٧، ٥٨ - فأخرجنا فرعون وقومه من بساتين على جانبي النيل، وأنهار جارية، وكنوز من الأموال، وقصور

عالية حسنة .

٥٩، ٦٠ - وهكذا أخرجناهم كما وصفنا، وأورثنا الديار بني إسرائيل، فلحقوا بهم وأدركوهم في وقت شروق

الشمس .



- ٦١- فلما رأى كل من الجمع الآخر وتقاربا، قال أصحاب موسى: سيلحقنا جمع فرعون.
- ٦٢- قال موسى: كلا، لن يدركونا، إن الله سيرشدني إلى طريق النجاة منهم. وكلمة «كلا» للنهي عن قول سابق، أي لا تقولوا.
- ٦٣- فأوحينا إلى موسى: أن اضرب بعصاك البحر، أي بحر السويس، ففعل، فانشق البحر اثني عشر فرقا بينها مسالك، فدخلوا في شعابها، فكان كل قطعة من البحر أو جانب من الماء المنحسر كالجبل العظيم الضخم الثابت.
- ٦٤- ثم قربنا هناك فرعون وجنوده، حتى دخلوا وراء موسى وقومه في البحر لإغراقهم فيه.
- ٦٥- وأنجينا موسى وقومه أجمعين من الغرق، بحفظ البحر على تلك الحال إلى أن عبروا.
- ٦٦- ثم أغرقنا فرعون وجنوده بإطباق البحر عليهم، بعد أن دخلوا في شعابه.
- ٦٧- إن في ذلك الإغراق لعظة وعبرة، وآية عظيمة على قدرة الله الخارقة، وما كان أكثر الناس عن كانوا في مصر مع فرعون مؤمنين، فلم يؤمن غير آسية امرأة فرعون وأيسما حزقيل مؤمن آل فرعون ومريم بنت داموس التي دلت على تابوت يوسف عليه السلام.
- ٦٨- وإن ربك لهو القاهر المنتقم من أعدائه، الرحيم بأوليائه المؤمنين به.

فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ قَالُوا أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَذْكُورُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فَرَقٍ كَالظُّورِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ وَأَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَأَوَّلُ عَلَيْهِمْ نَبَأُ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّهَا عِبَادَةً ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَبْصُرُونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا قَوْمِ بَلْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾

- ٦٩- واقرأ على مشركي قومك في مكة وغيرها خبر إبراهيم الخليل عليه السلام.
- ٧٠- حين قال لأبيه آزر وقومه الوثنيين في بابل: أي شيء تعبدونه؟ وسؤالهم للفت نظرهم أن ما يعبدونه من الأصنام لا يستحق العبادة.
- ٧١- قالوا له: نعبد أصناماً فنبقى ملازمين مداومين على عبادتها.
- ٧٢- قال إبراهيم لهم: هل يسمعون دعاءكم حين تدعونهم؟!.
- ٧٣- أو ينفعونكم حين تعبدونهم، أو يضرورنكم إن لم تعبدوهم. وإذا كانت لا تسمع ولا تضر فلا داعي لعبادتها.
- ٧٤- قالوا له حينما عجزوا عن الجواب: بل وجدنا آباءنا يفعلون مثل فعلنا، وهو مجرد تمسك بالتقليد.
- ٧٥- قال إبراهيم: أفأريتم ما تعبدونه من هذه الأصنام؟!.
- ٧٦- أنتم ومن سبقكم من الآباء والأجداد القدماء.
- ٧٧- فأنهم أعداء لي لا أعبدهم، لكن أعبد الله رب العوالم كلها من الإنس والجن. وعدو: يطلق على الواحد والأكثر.
- ٧٨- الله الذي خلقتني فهو يرشدني إلى صلاح الدين والدينيا. وهاتان صفتا الخلق والهداية.
- ٧٩- والصفة الثالثة: الرزق، فالله هو يرزقني ويمدني بالطعام والشراب.
- ٨٠- والصفة الرابعة: تحقيق الشفاء، فالله يشفي من المرض إن مرضت بعد تعاطي الأسباب كالدواء.
- ٨١- والصفة الخامسة: الإمامة والإحياء، فالله هو الذي يميتني عند انتهاء الأجل، ثم يحييني في الآخرة.
- ٨٢- والصفة السادسة: المغفرة، والله الذي أرجو أن يغفر لي تقصيري وذنبي يوم الجزاء والحساب. وإنما قال ذلك إشعاراً بأنه لم يعمل شيئاً أمام الله تعالى.
- ٨٣- رب امنحني حكمة وفهماً وعلماً بما هو خير، وألحقي بالكاملين في الصلاح وهم الأنبياء.

وَأَجْعَلِ لِي لِسَانَ صِدِّيقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ
جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَأَغْفِرْ لِي إِنَّهُ كَانَ مِنْ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي
يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آمَنَ أُنَى اللَّهِ
بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَزَلَّ لِقَتِ الْجَنَّةِ النَّارِغِينَ ﴿٩٠﴾ وَبَرَزَتْ
الْحَاجِمَةُ لِلْعَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمُ إِنَّمَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ
هَلْ يَبْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْصُرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكَيْفَ كُفِرْتُمْ بِالْعَاوِينَ ﴿٩٤﴾
وَجُنُودِ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ فَأَلَا وَهَرَفْتُمْ بِهَا يَخْضِعُونَ ﴿٩٦﴾ يَا اللَّهُ
إِنْ كَانُوا لِي ضَلِيلِينَ ﴿٩٧﴾ إِذْ سَأَلْتُمْ رَبِّي الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَصَلْنَا
إِلَّا الْجُرْمُونَ ﴿٩٩﴾ فَأَلَا مِمَّنْ سَفَعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صِدِّيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾
فَلَوْلَا نَارُكَ لَفَكُنَّا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَةٌ وَمَا كَانَ
أَكْثَرَهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنْ رَبَّكَ لَهَوًّا غَيْرَ رَبِّ الرَّحْمَنِ ﴿١٠٤﴾ كَذَبْتَ قَوْمُ
نُوحِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَتَقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي
لَكُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ
عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَأَتَقُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا ﴿١١٠﴾ فَأَلَا أَوْفَى مِنْكَ وَأَتَمَّكَ الْأَزْدَلُونَ ﴿١١١﴾

٨٤- واجعل لي ثناء حسناً في الأجيال الآخريين الذين يأتون من بعدي إلى يوم القيامة، وذلك يكون بالتوفيق للأعمال الصالحة.

٨٥- واجعلني ممن يتمتعون بنعيم الجنة.

٨٦- واغفر لبي بتوفيقه للإيمان والهداية، إنه كان من المخطئين المنحرفين عن طريق الاستقامة.

٨٧- ولا تعرضني للذل والإهانة يوم القيامة.

٨٨- ذلك اليوم الذي لا نفع فيه مال ولا بأولاد.

٨٩- لا ينفع أحداً ماله ولا ولده عند الله إلا من جاء بقلب مؤمن مخلص، سليم من الكفر والنفاق.

٩٠- وقربت الجنة للذين اتقوا العذاب بالطاعة.

٩١- وأظهرت النار للكفار قبل أن يدخلوها.

٩٢- وقيل للمشركين: أين المعبودات التي كنتم تعبدونها من الأصنام والأوثان وغيرها؟

٩٣- تعبدونها من غير الله، هل ينصرونكم بإجاثكم من العذاب، أو ينتصرون لأنفسهم؟

٩٤- فالتقوا في جهنم على وجوههم: الآلهة المعبودة وعبدها الضالون الذين اغواهم غيرهم.

٩٥- وألقي فيها أتباع إبليس ومطيعوه أجمعون من عصاة الإنس والجن.

٩٦- قال الغواة وهم في جهنم يتخاصمون مع معبوديهم، يأنطق الله الأصنام:

٩٧- والله إنا كنا في ضلال واضح.

٩٨- حين نسأوكم في الطاعة والحب والعبادة والخوف بالله رب العالمين.

٩٩- وما أضلنا عن الحق والهدى إلا شياطين الإنس والجن من السادة وغيرهم، ممن عادوا الله تعالى.

١٠٠- فليس لنا الآن في هذه المحنة من شفعاء عند الله تعالى يتقذونا من العذاب. و ﴿من﴾ يفيد عموم نفي ما بعده.

١٠١- وليس لنا أيضاً صديق صادق الود، مخلص الإخاء يتقذنا من العذاب.

١٠٢- فليت لنا رجعة إلى الدنيا، فتصير من جملة المؤمنين. و «لو» هنا استعملت في معنى التمني.

١٠٣- إن فيما ذكر من قصة إبراهيم مع قومه لعبرة وعظة، وما كان أكثر الناس في مكة وغيرها مؤمنين.

١٠٤- وإن ربك أيها الإنسان لهو القادر على الانتقام من أعدائه، الرحيم بالإمهال ليؤمنوا، وبأوليائه المؤمنين.

١٠٥- كذبت قوم نوح رسولهم، وعبر عن نوح بالمرسلين؛ لأن من كذب رسولا فقد كذب الرسل جميعاً.

١٠٦- إذ قال لهم نوح أخوهم في النسب أو الجنس لا أخوة دين: ألاتقون عذاب الله بترك عبادة الأصنام، وتؤمنون بالله ورسوله؟! و «ألا» حرف يفيد الحث على الفعل.

١٠٧- إني لكم رسول من الله، أمين فيما أبلغكم عنه.

١٠٨- فخافوا عذاب الله، وأطيعوني فيما أمركم به من توحيد الله وطاعته، وأداء فرائضه وشرائعه.

١٠٩- وما أطلب منكم أجراً أعلى تبليغ الرسالة، ما أجري إلا على الله، أرجو منه الثواب. و ﴿من﴾ لعموم النفي.

١١٠- فخافوا عذاب الله وأطيعوني في الأوامر والنواهي الإلهية. كرر ذلك للتأكيد.

١١١- قال قوم نوح: كيف تتبعك ونصدقك، والحال أن قد اتبعت السفلة من الفقراء والضعفاء وأهل الصنائع؟!



١١٢- قال نوح: وما علمي بعملهم؟ إنني لم أكلف بالبحث عن أعمالهم، وسرائرهم.
 ١١٣- ما حسابهم على ضمائرهم أو مواطنهم، وأعمالهم إلا على الله تعالى، لو تعلمون ذلك.
 ١١٤- ولست بطارد المؤمنين من مجلسي.
 ١١٥- ما أنا إلا منذر مخوف، واضح الإنذار لكل الناس، لا فرق بين شريف ووضع.
 ١١٦- قالوا: لئن لم تنته عن دعوتك وسب آلهتنا، لتكونن من المقتولين رمياً بالحجارة.
 ١١٧- قال نوح: يارب، إن قومي أصروا على تكذبي ورفض دعوتي.
 ١١٨- فاحكم بيني وبينهم حكماً يظهر الحق من المبطّل، ويهلك من كذب رسولك.
 ١١٩- فأجبنا دعاه وأنجيناه ومن آمن وركب معه في السفينة المملوءة بالناس والمتاع.
 ١٢٠- ثم أغرقنا بعد إيمانهم الباقيين من قومه.
 ١٢١- إن في ذلك المذكور من قصة نوح لعبرة وعظة للمعتبر المتأمل، وما كان أكثر الناس مؤمنين.
 ١٢٢- وإن ربك أيها الإنسان هو القاهر المتقم من أعدائه الكفرة، الرحيم بالمؤمنين التائبين.
 ١٢٣- كذبت قوم عاد رسولهم هوداً، وعبر عنه بصيغة الجمع؛ لأن من كذب رسولا فقد كذب جميع الرسل.

قَالَ وَمَا عَلِيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَيَّ رَبِّ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ فَلَوْ لَبِئْسَ لِمَنْ ذُنُوبٌ يَنْوُحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَأَفْخِ بَنِيَّ وَبَنِيَهُمْ فَأَخْرَجْنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَفْخِئْهُ وَنَّصْرَهُ فِي الْفَلَاحِ السَّخُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتْ عَادُ الَّذِينَ سُلَيْمٌ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُ أَخُوهُ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا عِوَابَ ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلَدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَأَنتُمْ بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا عِوَابَ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَحِجَّتْ وَعُيُونٌ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا لِحُلُقِ الْأَوَّابِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾

١٢٤- حين قال لهم هود أخوهم في القبيلة والنسب لافي الدين: ألا تخافون عذاب الله بترك عبادة الأصنام، وتؤمنون بالله ورسوله!؟

- ١٢٥- إنني لكم رسول مرسل من الله، أمين على تبليغ رسالة ربي.
 ١٢٦- فاتقوا عذاب الله بالالتزام أوامره واجتناب نواهيه، وأطيعوني فيما أبلغكم به من التكاليف الدينية.
 ١٢٧- وما أطلب أجراً على تبليغ الرسالة، وما ثوابي وأجري إلا على الله رب العالمين.
 ١٢٨- أتبنون بكل مكان مرتفع قصرأ شامخاً كأنه جبل، لا للحاجة وإنما للعبث والتفاخر واللهو؟ والاستفهام إنكاري يدل على عدم الرضا عما بعده.
 ١٢٩- وتتخذون حصوناً منيعة، كأنكم تظنون الخلود في الدنيا.
 ١٣٠- وإذا ضربتم بشدة وعنف تعدياً، ضربتم عتاة متسلطين بلا رافة ولا شفقة.
 ١٣١- فاتقوا عذاب الله وأطيعوني فيما أمرتكم به ونهيتكم عنه.
 ١٣٢- واتقوا الله بإخلاص العبادة له، فهو الذي أنعم عليكم أو أعطاكم بما تعلمون من نعم ومواهب.
 ١٣٣، ١٣٤- أعطاكم الأنعام (المواشي) للأكل والنفع، والبنين للمعاونة، والساتين والأنهار الجارية.
 ١٣٥- إنني أخاف عليكم بعصيان عذاب يوم عظيم في الدنيا والآخرة.
 ١٣٦- قالوا: استوى عندنا وعظك وعدمه، لا نبالي في الحالين، ولن نؤمن بك، والمراد: التيبس والتعجيز.
 ١٣٧- ما هذا الذي نحن عليه إلا عادة الأقسام السابقين ودينهم، ونحن تابعون لهم ومقلدوهم.
 ١٣٨- ولستنا نحن بمعذبين بعد موتنا، إذ لا بعث ولا جزاء ولا حساب.

فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ
 مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهَوَّاءٌ لَعَزِيزٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٠﴾ كَذَبَتْ سَعْدُ
 الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَالَتَقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنْ لَكُمْ
 رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَشْكُمُ عَلَيْهِ
 مِنْ آجِرٍ إِنْ لَكُمْ رِبٌّ لَعَلَّيْنَ ﴿١٤٥﴾ أَتُرْكُونَ فِي مَا هُمْتَا
 ءَأَمِينِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّتٍ وَعَيْوُنٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعَتْهَا
 هُضْبٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَحْتُونَ مِنَ الْجِبَالِ يَوْمَ تَقْرَهُنَّ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ
 وَأَطِيعُوا ﴿١٥٠﴾ وَلَا تَطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يَفْسِدُونَ
 فِي الْأَرْضِ وَلَا يَصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ ﴿١٥٣﴾
 مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ
 هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبٌ يَوْمَ يَعْلَمُونَ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمْشُوهَا
 بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ يُوعَظِمُ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَاصْبِرُوا لِنَذِيرِ
 فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ
 ﴿١٥٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهَوَّاءٌ لَعَزِيزٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٨﴾ كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطَ
 الْمُرْسَلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦٠﴾

١٣٩ - فكذبوا هوداً، فأهلكناهم بريح صرصر جزاء على تكذيبهم، إن في ذلك لعبرة وعظة، وما كان أكثر الناس مؤمنين.

١٤٠ - وإن ربك لهو القادر القاهر المنتقم من أعدائه، الرحيم بأوليائه المؤمنين.

١٤١ - كذبت قبيلة ثمود رسولهم صالحاً، وعبر عنه بصيغة الجمع؛ لأن من كذب رسولاً فقد كذب جميع الرسل.

١٤٢ - حين قال لهم صالح أخوهم في القبيلة والنسب لا في الدين: ألا تتقون عذاب الله بترك عبادة الأصنام؟

١٤٣ - إني لكم رسول مرسل من ربكم، أمين في تبليغ رسالة الله تعالى.

١٤٤ - فأخلصوا لله العبادة والطاعة، وأطيعوني فيما أمرتكم به ونهيتمكم عنه.

١٤٥ - وما أطلب منكم أجراً على تبليغ الرسالة، ما أجري أو ثوابي إلا على رب العالمين من إنس وجن.

١٤٦ - ألمحسبون أنكم تتركون ما هنا في هذه النعم الدنيوية والخيرات آمين من العذاب والموت؟ والاستفهام إنكاري يفيد النفي.

١٤٧، ١٤٨ - آمينين في بساتين وأنهار جارية، وزروع مختلفة الأنواع، وتخل ثمرها يانع سهل الهضم، لئب لطيف.

١٤٩ - وتحتون من الجبال بيوتاً فخمة، بطرين أو ماهرين حاذقين.

١٥٠ - فاتقوا عذاب الله وأطيعوني فيما أمرتكم به ونهيتمكم عنه.

١٥١ - ولا تطيعوا أمر العصاة المتجاوزين الحدود المعتادة.

١٥٢ - الذين يفسدون في الأرض بالمعاصي، ولا يصلحون ما أفسدوه بالتوبة وبطاعة الله تعالى.

١٥٣ - قالوا له: إنما أنت من الذين فقدوا عقولهم، وغلب عليهم السحر، فصاروا مجانين.

١٥٤ - ما أنت يا صالح إلا بشر مثلنا يأكل ويشرب، فلا مزية لك علينا، فأت بمعجزة مادية محسوسة تدل على أنك رسول من عند الله، إن كنت صادقاً في ادعاء الرسالة إلينا.

١٥٥ - قال لهم صالح: هذه ناقة خلقها الله لكم، لها نصيب من الماء، ولكم نصيب مثله في اليوم التالي.

١٥٦ - ولا تصيبوها بسوء، أي شيء مؤذ، فيحل عليكم عذاب يوم عظيم هو يوم القيامة.

١٥٧ - فرموها بسهم ثم قتلوها، فعل ذلك أحدهم برضا وتحريض الآخرين، فأصبحوا نادمين على قتلها حينما رأوا أمارات العذاب، وخوفهم من صدق صالح.

١٥٨ - فأحاط بهم العذاب وهو الرجفة أو الزلزال الشديد، فأهلكهم، إن في ذلك لعبرة، ولم يكن أكثرهم مؤمنين.

١٥٩ - وإن ربك لهو القادر على الانتقام من أعدائه الكفرة، الرحيم بأوليائه التائبين.

١٦٠ - كذبت قوم لوط رسولهم لوطاً، وعبر عنه بصيغة الجمع؛ لأن من كذب رسولاً، فقد كذب جميع الرسل.

١٦١ - حين قال لهم نبيهم لوط وأخوهم في السكن والبلد لا في الدين والنسب: ألا تتقون عذاب الله بترك عبادة الأصنام، وتوحيد الله وطاعته؟! ولوط هو ابن أخي إبراهيم من بابل.

١٦٢- إني لكم رسول مرسل من الله، أمين على تبليغ الرسالة الإلهية دون زيادة ولا نقص .
 ١٦٣- فاتقوا عذاب الله بالعبادة والإخلاص والطاعة، وأطيعوني فيما أمركم به وأنهاكم عنه .
 ١٦٤- وما أطلب منكم أجراً على تبليغ الرسالة، ما أجري وثوابي إلا على الله رب العوالم كلها .
 ١٦٥- أتتعاطون الفاحشة مع الذكور من الناس؟ وكانوا يفعلون ذلك مع الغرباء .
 ١٦٦- وتتركون ما خلق الله من أجل استمتاعكم من جنس النساء في أقبالهن، بل أنتم قوم مجاوزون الحدود في المعاصي .
 ١٦٧- قالوا: لئن لم تنته يا لوط عن إنكارك علينا ما فعل، لتكونن من المطرودين المبعدين من بلدنا .
 ١٦٨- قال لوط: إني لعملكم وهو إتيان الذكور من المبغضين أشد البغض .
 ١٦٩- ربي احفظني وأهلي من سيئات أعمالهم وعقابهم .
 ١٧٠- فنجيناه وأهل بيته ومن آمن به أجمعين .
 ١٧١- إلا امرأة عجوزاً هي امرأة لوط كانت في الباقيين في العذاب من الهالكين .

إني لكم رسول أمين ﴿١٦٢﴾ فاتقوا الله وأطيعون ﴿١٦٣﴾ وما أسألكم عليه من أجر إن أجرينى إلا على رب العالمين ﴿١٦٤﴾ أتأتون الذكران من العالمين ﴿١٦٥﴾ وتذرون ما خلق لكم من أنفسكم بل الله قووم عادون ﴿١٦٦﴾ قالوا لئن لؤنته يلوط لتكونن من المخسرين ﴿١٦٧﴾ قال إني لعملكم من القالين ﴿١٦٨﴾ رب نجني وأهلي مما يعملون ﴿١٦٩﴾ فنجيناه وأهله وأجمعين ﴿١٧٠﴾ إلا عجوزاً في الغدير ﴿١٧١﴾ فودعنا الآخرين ﴿١٧٢﴾ وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المندرين ﴿١٧٣﴾ إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ﴿١٧٤﴾ وإن ربك هو العزيز الرحيم ﴿١٧٥﴾ كذب أصحاب ليلة المرسلين ﴿١٧٦﴾ إذ قال لهم شعيب ألا تستقون ﴿١٧٧﴾ إني لكم رسول أمين ﴿١٧٨﴾ فاتقوا الله وأطيعون ﴿١٧٩﴾ وما أسألكم عليه من أجر إن أجرينى إلا على رب العالمين ﴿١٨٠﴾ أو فوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين ﴿١٨١﴾ وزنوا بالقسطاس المستقيم ﴿١٨٢﴾ ولا تحسوا الناس أشياءهم ولا تغتوا في الأرض مفسدين ﴿١٨٣﴾ فاتقوا الذي خلقكم والجيل الأولين ﴿١٨٤﴾

١٧٢- ثم أهلكنا الآخرين بالخسف والحصى .

١٧٣- وأمطرنا عليهم حجارة من السماء، فبئس مطر المخوفين مطرهم، أنذرهم ربهم بالعذاب إذا عصوا الله .

١٧٤، ١٧٥- إن في تلك القصة لعبرة وعظة لكل متأمل، حيث أهلك الله العصاة ونجى المؤمنين، ولم يكن أكثرهم مؤمنين بالله ورسوله، وإن ربك لهو القاهر الذي لا يغلب، الرحيم بأوليائه التائبين .

١٧٦- كذب أصحاب الأيكة: وهي غيضة شجر كثيف قرب مدين رسولهم شعيباً، وعبر عنه بصيغة الجمع؛ لأن من كذب رسولاً فقد كذب جميع الرسل كما تقدم .

١٧٧- حين قال شعيب: ألا تتقون عذاب الله بفعل الأوامر وترك النواهي؟

١٧٨- إني لكم رسول مرسل من الله، أمين في تبليغ الرسالة دون تبديل ولا تحريف .

١٧٩- فأخلصوا العبادة لله واتقوا ما يسخطه، وأطيعوني فيما أمركم به وأنهاكم عنه .

١٨٠- وما أطلب منكم أجراً على النصيح والإرشاد، ما أجري وثوابي إلا على الله رب الإنس والجن .

١٨١- أموا الكيل، ولا تكونوا من ناقصي الحقوق بالتطفيف في الكيل والوزن .

١٨٢- وزنوا وزناً عدلاً بالميزان السوي المعتدل .

١٨٣- ولا تنقصوا الناس حقوقهم شيئاً، ولا تفسدوا في الأرض أشد الإفساد بالقتل والنهب وقطع الطريق وغير ذلك من ألوان الاعتداء .

١٨٤- وخافوا الله الذي خلقكم وخلق الخلائق أو الجماعات السابقين .

قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا
 وَإِنْ نَقُضْتَ لِمَنْ أَلْكَذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَاسْقُطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ
 السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ
 ﴿١٨٨﴾ فَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ
 عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾
 وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَرِيزِ الرَّحِيمِ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ
 ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ
 ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ لِلْأُولَىٰ ﴿١٩٦﴾ أُولَىٰ
 بَلَدِهِمْ ۖ آيَةٌ أَن يَنْزِلَ عَلَيْهِمْ خَبْرٌ ۖ بَلَّغْنَا آيَاتِنَا لِلَّذِينَ
 أُوتُوا الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ
 بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأُوا عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِيَ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾
 كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ
 يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾
 فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَعِدَّائِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾
 أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ
 مَا كَانُوا يَعِدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَخْتَلَيْنَاهُمْ شَيْئًا ۖ ذُقُوا فَلْيَعْلَمُوا
 أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴿٢٠٧﴾

١٨٥ - قالوا: إنما أنت من الذين سحرنا.

١٨٦ - وما أنت إلا مثلنا من البشر، فكيف تأتينا النبوة، فجمعوا بين الوصفين لتكذيب الرسالة: البشر المسحور، وإننا نعتقد أنك كاذب.

١٨٧ - فإن كنت صادقاً في دعواك فاسقط علينا قطعاً من عذاب السماء.

١٨٨ - قال شعيب: ربي أعلم بما تعملون من المنكرات، ومجازيكم عليها، لا يخفى عليه شيء، ولست قادراً على إزلال شيء من العذاب بكم.

١٨٩ - فأصروا على تكذيبه، فأخذهم عذاب يوم الظلة: وهو السحاب الذي أظلمهم بعد حر شديد أصابهم، فاجتمعوا تحته، فأمرتهم ناراً وأحرقتهم جميعاً، إنه كان عذاب يوم عظيم.

١٩٠ - إن في قصة أصحاب الأيكة لعظة وعبرة للمعتبر، ولم يكن أكثر قوم شعيب مؤمنين بالله.

١٩١ - وإن ربك لهو القادر على الانتقام من أعدائه، الرحيم بأوليائه المؤمنين.

١٩٢ - وإن هذا القرآن لتنزيل رب العالمين.

١٩٣ - نزل به جبريل الأمين بوحى من الله.

١٩٤ - نزل به على قلبك أيها النبي؛ لأنه مركز الوحي والإدراك، لتتحفظه ولا تنساه، لتكون من المنذرين من عصى الله بالعذاب.

١٩٥ - أنزله باللغة العربية الواضحة، لغة الرسول

العربي، لتلا يقول العرب: لا نفهم ما يقول بلسان آخر.

١٩٦ - وإن هذا القرآن المنزل على محمد ﷺ مبشر به في كتب الأنبياء السابقين كالتروة والإنجيل.

١٩٧ - أو لم يكن مشركي مكة علامة دالة على صحة القرآن ونبوة محمد ﷺ: أن يعلم بيعة محمد علماء بني إسرائيل الذين آمنوا بحمد الله بن سلام وأمثاله.

١٩٨ - ولو نزلنا القرآن على بعض الأعاجم غير العرب. والأعجمي: كل من لا يفهم العرب كلامه.

١٩٩ - فقرأه على مشركي مكة قراءة عربية صحيحة بنحو معجز خارق للعادة، لم يؤمنوا به، لفرط عنادهم واستكبارهم. وبذلك تتوافر معجزتان: إعجاز القرآن في حد ذاته وإعجاز قراءته من أعجمي.

٢٠٠ - مثل إدخالنا التكذيب به والكفر، أدخلناه في قلوب المجرمين كفار مكة بقراءة النبي ﷺ، أي أن الكفر بخلق الله تعالى، والعبد مكتسب مختار له.

٢٠١ - لا يؤمنون بالقرآن حتى يروا العذاب المؤلم في الدنيا.

٢٠٢ - فأتيتهم العذاب فجأة، والحال أنهم لا يشعرون بآتياته.

٢٠٣ - فيقولوا عند مشاهدة العذاب: هل نحن مهملون لنؤمن ونعمل صالحاً؟ والمراد بالاستفهام هنا طلب ما بعده.

٢٠٤ - أيستعجلون عذابنا بقولهم: أسقط علينا حجارة من السماء أو قطعاً من السماء كما زعمت؟

٢٠٥، ٢٠٦ - أخبرني إن تركناهم بنعيم الدنيا سنين عديدة؟ ثم جاءهم من العذاب ما كانوا يوعدون به. ورثي النبي ﷺ كأنه متحير، فسالوه عن ذلك، فقال: ولم، ورأيت عدوي يكون من أمتي بعد؟ فنزلت هذه الآية وما بعدها، فطابت نفسه.

٢٠٧ - أي شيء أفادهم لدفع العذاب ما كانوا يتمتعون به في الدنيا؟ أو لم يقدمهم تمتعهم الطويل في دفع العذاب.

٢٠٨- وما أهلكنا من أهل قرية إلا بعد إرسال الرسل
للمنذرين، وإنزال الكتب.

٢٠٩- هذا الخبر تذكرة وعظة للناس في دار الدنيا، وما كنا
ظالمين في تعذيبهم بعد إنذارهم.

٢١٠- وما تنزلت الشياطين بهذا القرآن، خلافاً لما زعم
المشركون أنه إلقاء الشياطين على الكهنة.

٢١١- وما يصح وما يتسنى لهم أن ينتزلوا به، وما يقدر
على ذلك.

٢١٢- إنهم عن السمع لكلام الملائكة لمنوعون بالشهب
النارية، مرجومون بها.

٢١٣- فلا تدع أيها النبي مع الله إلهاً آخر، فتكون من
المعذنين. هذا التوجيه في الواقع للأمة، بدئاً به النبي ﷺ لأنه
القدرة، وللتبهيح والإلهاب، أي لو فعلت ذلك لعذبتك، فكيف
بغيرك؟

٢١٤- وخوف من عذاب الله عشيرتك الأقربين، الأقرب
منهم فالأقرب، وهم بنو هاشم وبنو المطلب، وخصوا بالإنذار
أولاً اهتماماً بشأنهم. لما نزلت دعوا النبي ﷺ قريشاً،
فاجتمعوا، فبدأ بالأقارب ثم عم، فحذرهم وأنذروهم. بدأ بأهل
بيته وفصيلته، فشق ذلك على المسلمين، فأنزل الله:
﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ [٢١٥].

٢١٥- وارفق وتواضع، وأظهر الحب والتكريم لمن اتبعك من
المؤمنين حقاً.

٢١٦- فإن عصاك قومك، فقل لهم: إني بريء مما تعملون
من الشرك بالله تعالى.

٢١٧- وفوض أيها النبي أمرك إلى الله القوي القادر على الانتقام من الكفار، الرحيم بالمؤمنين.

٢١٨- الذي يرك حين تقوم إلى الصلاة تدعوه وتتضرع إليه.

٢١٩- ويرى تنقلك من حال إلى حال في مراحل الصلاة قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً مع المصلين جماعة.

٢٢٠- إنه تعالى هو السميع لدعاك، المعلم ببيتك، فلا تجزع لشيء، فأت في رعاية الله تعالى.

٢٢١- هل أخبركم يا أهل مكة وأمثالكم على من تنزل الشياطين؟

٢٢٢- إنها تنزل على كل أفك (كذاب) كثير الإثم أو الذنب والفجور، والمراد: كل من كان كاهناً.

٢٢٣- الشياطين يصفون أشد الإصغاء إلى الملا الأعلى لاستراق شيء منهم، ثم يلقونه إلى الكهنة، ويكذبون في الأكثر، فكأكثرهم
الكاذبون فيما يقولون. ويحتمل أن يكون الضمير في «يلقون» عائداً إلى الكهنة، أي يكذبون؛ لأنهم يتلقون من الشياطين ما أكثره كذب
وزور من الظنون والأمارات.

٢٢٤- والشعراء الهجاءون يتبعهم الضالون غواة الناس؛ لأن أغلب ما يقوله الشعراء تخيلات لا حقيقة لها. قال ابن عباس: تهاجى
رجلان على عهد رسول الله ﷺ، أحدهما من الأنصار، والآخر من قوم آخرين، وكان مع كل واحد منهما غواة من قومه، وهم
السفهاء، فأنزل الله هذه الآية.

٢٢٥- ألم تر أن الشعراء في كل فن من فنون الكذب يخوضون ويتكلمون، فتارة يمدحون وتارة يهجون وتارة يأتون الخلاعة والمجون
كمدح الزنى واللواط والخمر. والهائم: هو الذي يسير بلا منهج ولا قصد إلى غرض معين.

٢٢٦- وأنهم يزعمون الفعل وهم كذبة في ذلك، ويكذبون في شعرهم كثيراً.

٢٢٧- إلا من اتصف بأربع صفات: وهي الإيمان بالله ورسوله، والعمل الصالح بامتنال الأوامر واجتناب النواهي، وذكر الله كثيراً في
أشعارهم، والانتصار لدينهم من بعد ظلم أعدائهم بهجو الكفار، كما كان يفعل شعراء النبي ﷺ مثل حسان بن ثابت بهجاء المشركين
والدفاع عن النبي والإسلام، وسيعلم الذين ظلموا أنفسهم من كذبة الشعراء والذين هجوا النبي ﷺ وأصحابه، أي مرجع سيء سيكون
مصيرهم إليه. والمقلب: المرجع والمصير، ويتقلبون: يرجعون.



سورة النمل

فضلها: هذه السورة من الطواصين التي أعطيها النبي ﷺ مكان الزبور، كما تقدم في سورة الشعراء.

١- طاء، سين، للتنبية والتحدي كما تقدم، هذه الآيات المذكورة في هذه السورة هي آيات القرآن العظيم، والكتاب الذي يوضح للناس ما فيه سعادتهم من أمور الدين والشريعة، ويظهر الحق من الباطل.

٢- وتلك آيات هادية إلى الحق والاستقامة، ومبشرة للمؤمنين بالجنة عند الطاعة.

٣- المؤمنون هم الذين يؤدون الصلاة في أوقاتها بأوصافها الشرعية التامة، ويؤتون الزكاة المفروضة للمستحقين، وهم يصدقون تصديقاً تاماً بالآخرة.

٤- إن الذين لا يصدقون بالبعث والحساب وهم الكفار، زيناً لهم أعمالهم السيئة حتى رأوها حسنة، وعاقبتهم على جرهم، فهم في ضلالهم يترددون.

٥- أولئك المنكرون للبعث لهم أشد العذاب في الدنيا كالقتل والأسر، وهم في الآخرة أشد الناس خسارة.

٦- وإنك أيها النبي لتلتقى وتعطى القرآن وحياً من لدن كثير الحكمة والعلم.

٧- اذكر أيها النبي حين قال موسى لاهلته في مسيره من

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
طسُّ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ۝ هُدًى وَبُشْرَى
لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيْنَاهُمْ
أَعْمَاهُمْ فَمَهْمَ يَعْمَهُونَ ۝ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ
وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ۝ وَإِنَّا لَنَلْقَى الْقُرْآنَ أَن مِّن
لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنستُ نَارًا
سَاءَ لَكُمْ مِمَّا تَعْبَثُونَ ۝ إِن يَكُن مِّنكُمْ قَوْمٌ يَحْكُمُونَ ۝
فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسَخَّرَ اللَّهُ
رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ يَمْسُحُ إِلَهِي وَآنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ وَالْق
عَصَا أَفْعَفْنَا رَأَاهَا مَرَكًا فَجَاءَنَا وَكُلٌّ مُدْبِرُونَ ۝ وَتَرَى فِيهَا
لَأَخْسَرُ إِنِّي لِخِيفَ لَدَى الْمَرْسُولِ ۝ إِن لَّمْ يَكُن مِّنْ بَدَلٍ حُسْنًا
بَعْدَ سُوءِ فَإِنِّي أَخْشَوُكَ رَحِمٌ ۝ وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ فَمَرَحَ بِيضًا
مِّنْ عَيْرٍ سَوِيَّةٍ فِي شِعْبِ آيَاتِ الْوَعْدِ وَقَوْمِيَّةٍ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا
فَاسِقِينَ ۝ فَلَمَّا جَاءَهُمْ آيَاتُنَا مَبْصُرَةً فَالَوْ هَذَا صَحْرٌ مِّنْ

مدین إلى مصر: إني أبصرت ناراً من بعيد، سأتيكم منها بخبر يدلني على الطريق؛ لأنه قد أخطأه، أو آتاكم بشعلة من نار منها، لعلمكم تستدقون من البرد.

٨- فلما وصل موسى إلى موضع النار كما ظن، وهي في الواقع نور، نودي أو حوطف: أن بورك من في مكان النار أي بجوارها، ومن حولها، أي بارك الله موسى والبقعة المباركة من أرض الشام، وتنزه الله رب العالمين (الإنس والجن) عما لا يليق بأسمائه وصفاته، من كل سوء.

٩- يا موسى، إنه أنا الله ربك الذي يناديك، القوي القادر القاهر، الحكيم في صنعه قولاً وفعلاً.

١٠- وألق عصاك من يدك، فلما ألقاها ورأها تتحرك مضطربة كما يتحرك الجنان، وهي حية خفيفة سريعة الحركة، ولئى (فر) موسى هارياً منها من شدة الخوف، ولم يرجع على عقبه، فقال الله تعالى: يا موسى، لا تخف من الحية، لا يخاف عندى المرسلون برسائلي من حية ونحوها، فلا تخف أنت.

١١- لكن الذي يخاف هو من ظلم نفسه أو غيره بالمعصية، ثم تاب من ذنبه وجعل العمل الحسن بدل السيء، فأقبل توبته، لأنى كثير المغفرة واسع الرحمة لمن تاب وأتاب.

١٢- وأدخل يدك في فتحة القميص من جهة الرأس، تخرج ذات شعاع وإشراق خلاف لوننا الجلدي، من غير مرض أصابها كبرص ونحوه، وأيدتك بتسع معجزات: هي الطمس على الأموال، والطبع على القلوب، والجذب، والجراد، والمعمل (حشرة تصيب الزرع)، والدم (تحول الماء دماً)، والضفادع، والطوفان (الأمطار الكثيرة) ونقص الثمرات، مرسل بها إلى فرعون وقومه لدعوتهم إلى الإيمان بالله رباً واحداً لا شريك له، وإطاعة أوامره، إنهم كانوا قوماً خارجين عن الطاعة.

١٣- فلما جاءت فرعون وقومه آياتنا التسع بيّنة تدل على صحة نبوة موسى، قالوا: هذا الذي جاء به موسى سحر واضح.



١٤- وكذبوا بالآيات ولم يقرؤا بها حال كون أنفسهم متيقنة بها أنها من عند الله، ظلماً لأنفسهم وشركاً، وتكبراً وترفعاً عن الإيمان بها وبما جاء به موسى، فانظر أيها النبي وتأمل كيف كان عاقبة ومصير المفلسين في الأرض الجاحدين لرسالة موسى: وهو الإغراق في الدنيا، والإحراق في الآخرة.

١٥- ولقد أعطينا داود وسليمان علماً كثيراً هو علم الشريعة والقضاء بين الناس ومنطق الطير وغيره، فشكرا الله على فضله، وقالوا: الحمد لله الذي فضلنا وميزنا على كثير من عباده المؤمنين.

١٦- وورث سليمان من داود آية النبوة والعلم والمُلْك، وقال تحدثاً بنعمة الله: يا أيها الناس، علّمنا كلام الطير أي ما يقول الطير من خلال الأصوات المختلفة التي تختلف باختلاف أغراض الحيوان من خوف وطلب طعام ونحو ذلك، وأعطينا كل شيء نحتاج إليه في الدين والدنيا، كالنبوة والعلم والمال والطير والرياح والدواب، إن هذا المُعْطَى لهُوَ الْفَضْلُ الْبَيْنُ الظاهر.

١٧- وجمع لسليمان جنوده من أجناس الجن والإنس والطير، فهم يجمعون بإيقاف أولهم ليلحق به آخرهم، ثم يساقون. والوازع في الحرب: الموكل بالصفوف يرد من تقدم منهم، من الوزع: الكف والمنع.

١٨- حتى إذا أتى موكب سليمان على وادي النمل، قالت ملكة النمل حين رأت سليمان وجنوده: يا أيها النمل، ادخلوا مساكنكم - جعل خطاب النمل كخطاب العقلاء لفهما الخطاب - لئلا يطأكم سليمان وجنوده بالأرجل وحوافر الدواب، فيقتلوكم، وهم لا يشعرون بحظمكم، ولا يعلمون بكم، عدّرتهم قبل أن يفعلوا.

١٩- فتبسم سليمان - والتبسم: أول الضحك - ضاحكاً من قولها وتعجباً من فهمها، وقال: ربّ أَلْهَمْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ - وتفقد الطير فقال ما لي لا أرى الهدى هد أم كان من الغائبين - لأعدّته عذاباً شديداً أولاً لأذبحه أو ليأتيني بساطن مبين - فكث غير بعيد فقال أحطت بما أرتجى به ورجيتك من سبأ بنبأ يقين -

٢٠- وتفقد سليمان الطير باحثاً، فلم يجد الهدد بينها، فقال: ما لي لا أرى الهدد؟ ظنّاً منه أنه حاضر محجوب عنه لسائر أو غيره، أم كان من الغائبين. وأم: للانصراف عما قبله، والانتقال لما بعده.

٢١- لأعدّته عذاباً شديداً على غيابه من غير إذني، كتشف ريشه أو حبسه في قفص، أو لأذبحته ليكون عبرة لغيره، أو ليأتيني بحجة واضحة تسوخ عذره في الغياب.

٢٢- فبقي الهدد غائباً زمناً يسيراً ثم عاد، فقال: اطلعت على ما لم تطلع عليه، والإحاطة بالشيء: العلم به من جميع جهاته، وجنتك من مدينة سبأ في اليمن بخبر مهم موثوق.

وَجَدُوا بِهَا مَا اسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَ الْخَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلْنَا عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَإِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَخُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ مَلَكَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَبَسَّ ضَاحِكًا مِّنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرِ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدَىٰ هَدًى أَمْ كَانُ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لِأَعَدُّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوَّلًا لِأَذْبَحَهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسَاطِنٍ مَّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَكَثَّ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَآرْتَجِي بِهِ وَرَجَيْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾

٢٣- إني وجدت امرأة تحكمهم بصفة ملكة عليهم، هي بلقيس بنت شراحيل، وأعطيت من أسباب الدنيا كل ما يحتاج إليه الملك، من الآلة والعدة والجيش، ولها عرش (سرير الملك) عظيم بالنسبة لعروش أمثالها من الملوك.

٢٤- وجدتها وقومها يعبدون الشمس من دون الله، وزين لهم الشيطان عبادة الشمس وغيرها من الأعمال القبيحة، فرأوها حسنة، فصددهم عن طريق الحق والصواب، فهم لا يهتدون إليه.

٢٥- زين لهم الشيطان أعمالهم لثلاث يسجدوا لله، الذي يخرج أو يظهر المخبوء في السموات والأرض كإشراق الكواكب، وإنزال المطر، وإنبات النبات، وإظهار المعادن وغيرها من الأرزاق، ويعلم ما تسرون في قلوبكم، وما تظهرون بألسنتكم.

٢٦- الله الذي لا معبود بحق سواه، وهو رب العرش (الكرسي) العظيم؛ وخصه بالذكر لأنه أعظم المخلوقات، كما ثبت في الحديث المرفوع إلى النبي ﷺ. ونحن نؤمن به من غير تشبيه ولا تمثيل. ويطلب سجود التلاوة عند الفراغ من تلاوة العرش العظيم للقارئ والسامع المتطهرين.

إني وجدت امرأة تحكمهم وأوتيت من كل شيء وطسا عرش عظيم ﴿٢٣﴾ وجدتها وقومها يعبدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ﴿٢٤﴾ ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون ﴿٢٥﴾ الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم ﴿٢٦﴾ قال سنظر أصدقت أم كنت من الكاذبين ﴿٢٧﴾ أذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون ﴿٢٨﴾ قالت يا أيها الملوك إني إليكم كريم ﴿٢٩﴾ إني من سليمان وإني بسم الله الرحمن الرحيم ﴿٣٠﴾ ألا تعالوا على أتوني مسلمين ﴿٣١﴾ قالت يا أيها الملوك أتوني في أمري ما كنت فاطمة أمرأحتي شهدةون ﴿٣٢﴾ قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والأممر إليك فانظري ماذا تأمرين ﴿٣٣﴾ قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون ﴿٣٤﴾ وإني مرسله إليهم بهديتنا فاطرة يوم يرجع المرسلون ﴿٣٥﴾

٢٧- قال سليمان للهدد: سنظر في خبرك، لتبين أصدقت فيما قلت أم كنت من الكاذبين؟ وفيه إرشاد إلى التوثق من الأخبار وكشف الحقائق.

٢٨- ثم كتب سليمان كتاباً وختمه بخاتمه، وقال للهدد: اذهب بكتابي هذا، فألقه إلى ملكتهم أهل سبا، ثم انصرف عنهم إلى مكان قريب، فانظر ماذا يردون من الجواب؟

٢٩- قالت بلقيس لأشرف قومها: يا أيها الخاصة والزعماء والأشرف: ألقى إلي كتاب مكرم محترم؛ لأنه محتوم بختم مرسله، وهو ملك عظيم.

٣٠- إن هذا الكتاب مرسل من سليمان بن داود، وإنه مبدوء ب: بسم الله الرحمن الرحيم.

٣١- مضمون الكتاب: ألا تعالوا ولا تتكبروا علي، وأتوني مسلمين، أي خاضعين متقادين لدين الله، مؤمنين بما جئت به.

٣٢- قالت بلقيس: يا أيها القادة والأشرف، أشيروا علي بالرأي في هذا الأمر، ما كنت مبرمة أمراً حتى تحضروا وتشيروا علي.

٣٣- قالوا في الجواب: نحن أصحاب قوة في السلاح والرجال، وأصحاب شدة وشجاعة في الحرب، والتدبير متروك لك فيما ترين، فانظري ماذا تأمرين به فنطيعك.

٣٤- قالت بلقيس: إن الملوك إذا دخلوا بلدة من البلاد أفسدوها بالتخريب، وأهانوا الأشرف وجعلوهم أذلاء بالقتل والتشريد، ومثل ذلك يفعلون بنا إن تغلبوا علينا.

٣٥- وإني مرسله إلى سليمان وجنوده بهدية، أختبرهم بها، فممتطرة بم يرجع به رسلي المرسلون من قبول الهدية أو ردها، فإن كان ملكاً قبلها، وإن كان نبياً ردها، ولم يرض منا إلا اتباع دينه.



فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَ بِمَالِ آدَمَ إِنَّنِي أَنزَلْتُهُ خَيْرٌ مِّمَّا
 ءَاتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ مَهْدُوتُونَ قَرْحُونَ ﴿٣٦﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَهُمْ
 بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْهَا وَفَنُخْرِجُهُمْ مِّثْمَا أَزَلَّهُمْ وَلَوْ صَرَفْتُمْ
 قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٧﴾
 قَالَ عَفِيفٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَاءَ آيَاتِكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي
 عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٨﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا
 ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ
 قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا
 يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ كَبُرَ الْهَذَا
 عَرْشَهَا أَنْ نَنْتَظِرَ أَنْتَهِي ءَأَمُ كُونَ مِنَ الَّذِينَ لَاهْتَدُونَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا
 جَاءَتْ قِبَلِهَا قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأَوْتِنَا الْعِلْمَ مِن مَّقَامِهَا
 وَكَاَسَلِينَ ﴿٤١﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا
 كَانَتْ مِن قَوْمِ كَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ
 لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقِهَا فَالِإِنَّهُ صَرْحٌ مَُّرْدُودٌ فَمَوَّارٍ قَالَتْ رَبِّ
 إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾

٣٦- فلما جاء رسول بلقيس بالهدية إلى سليمان، قال: أترقدوني بالمال استرضاء لأترككم وشركم؟ فما أعطاني الله من النبوة والملك والمال الوفير خير وأفضل مما آتاكم وأعطاكم من الدنيا وزينتها، بل أنتم تفرحون بالهدية؛ لأنكم أهل دنيا. و (أتمدوني) استفهام توبيخي، أي هل يصح أن تعطوني مالا؟ و ﴿بل﴾ للانتقال من موضوع لآخر.

٣٧- ارجع أيها الرسول لقومك بهديتهم، فلنأتينهم بجنود لا طاقة لهم بها، ولنخرجهم من بلدكم سبأ أذلة بتجريدهم من عزتهم وملكهم، وهم خاضعون أسرى مهانون.

٣٨- قال سليمان حينما علم بقدوم بلقيس وقومها إليه: يا أيها القادة، أيكم يأتيني بعرش بلقيس، قبل أن يأتي القوم خاضعين طائعين. أراد بذلك أن يريها بعض العجائب الدالة على النبوة.

٣٩- قال مارد قوي من الجن: أنا آتيك بعرشها قبل أن تقوم من مجلسك في القضاء بين الناس في ضحوة الغد إلى نصف النهار، وإني لقوي على حملي، أمين على ما فيه.

٤٠- قال أحد علماء الكتاب الإلهي وهو من الصلحاء واسمه آصف بن برخيا، من بني إسرائيل: أنا

آتيك بالعرش قبل أن يرجع إليك بصرك في لمحة بصر، أي قبل أن تطبق جفن العين الأعلى على الأسفل، وهو كناية عن السرعة الفائقة، فلما رأى سليمان العرش قائماً أمامه، قال: هذا من فضل ربي علي، ليختبرني أشكره بالإقرار بإحسانه، أم أجدد الفضل بنسبته إلي وترك الشكر على النعمة، ومن شكر نعمة الله عليه، فإنما ثواب شكره لنفسه، ومن جحد النعمة ولم يشكرها، فإن ربي غني عن شكره، متفضل عليه بالإنعام. ولعل هذا الموقف من أعظم الاختبارات، وأنه أبلغ درس في الشكر لله المنعم.

٤١- قال سليمان لأتباعه: غيروا لها بعض أجزاء عرشها ومظاهرها بزيادة أو نقص وغير ذلك ليصبح غريباً غير معروف لديها، لنختبر عقلها، أنتهدي إلى معرفته، أم تكون من الذين لا يهتدون إلى معرفته، وما طرأ عليه من تعديلات.

٤٢- فلما جاءت بلقيس قيل لها: أمثل هذا عرشك؟ قالت: كأنه هو بذاته، فعرفته، فقال سليمان بعد إصابتها في الجواب وإظهار رجحان عقلها وعلمها: وأوتينا العلم بقدرة الله تعالى من قبل علم بلقيس، وكنا متقادين لحكم الله.

٤٣- ومنعها عن إظهار الإيمان وعبادة الله: عبادتها الشمس من غير الله، فهي من قوم كافرين لا يؤمنون بوجود الله.

٤٤- قيل لها: ادخلي القصر أو كل بناء مرتفع، سواء أكان قصراً أم غيره، فلما رأت ساحته وطرقه، فظنته ماء كثيراً كالبحر، وكشفت عن ساقها لتخوض فيه، قال سليمان: إنه بناء أملس مصنوع من زجاج، وليس بحراً، ثم دعاها إلى الإسلام، فقالت: رب إني ظلمت نفسي بعبادة غيرك، وأسلمت لك متقادة موحدة، أي خضعت، كائنة في هذا التوحيد مع سليمان، في انتياده لله رب العالمين. أخرج ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم عن ابن عباس أن سليمان تزوجها بعد ذلك. قال الشوكاني: والأرجح أن زواجه من أخبار أهل الكتاب التي لا تصدق ولا تكذب.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِهِمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِنَّا
 هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ
 بِالسِّنَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا سَفَرُونَ اللَّهَ لَمَّا كُم
 تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا أَظِيرْنَا بِكَ وَمِنْ مَعَكَ قَالَ طَبِّرْكُم
 عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنشَرَكُمْ قَوْمٌ فُتِنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ
 تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصَلُّونَ ﴿٤٨﴾
 قَالُوا تَقَا سَمُوا بِاللَّهِ لَكْبَتَةً وَأَهْلَهُمْ لَيُسَفَّهْنَ لَوْلِي لِي
 مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكْرًا
 مَكْرًا وَمَكْرًا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانظُرْ كَيْفَ
 كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ
 أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَبَالِكِ يَبُوءُهُمْ حَاوِيَةً يَأْظَلُمُونَ إِنْ فِي ذَلِكَ
 لَآيَةٌ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا
 وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ طَآ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ
 أَنَا تُونَ الْفَلْحِشَّةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَيُّكُمْ لَسَأُلُونَ
 الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنشَرَكُمْ قَوْمٌ فُتِنُوا ﴿٥٥﴾

٤٥- ولقد أرسلنا إلى قومه صالِحًا ليعبدوا الله في النسب لا في الدين صالحًا ليقول لهم: اعبدوا الله وحده، ففاجأه تفرقهم، وصاروا فريقين: مؤمنين وكفارًا، يتنازعون في شأن نبوة صالح.

٤٦- قال صالح لمن كذبه: لِمَ تتعجلون بالعذاب قبل الرحمة، هلا تتوبون إلى الله من الشرك وتطلبون المغفرة من الكفر، كي يرحمكم الله فلا يعذبكم.

٤٧- قالوا له: تشاء منا بك وبمن معك عن دخل في دينك وأمن بك، قال لهم صالح: شوكمم يأتكم من عند الله، فالخير والشر بيده، لا من عند الطير الذي تتشاهمون به، بل أنتم قوم تمتحنون وتختبرون بالخير والشر.

٤٨- وكان في مدينة صالح وهي الحِجْر تسعة رجال من أبناء الترف والشرف، يفسدون في الأرض ولا يصلحون شأنهم، وقد اتفقوا على قتل صالح وعقر الناقة.

٤٩- قال بعضهم لبعض: احلفوا بالله، لنأتين صالحًا وأهل بيته المؤمنين به بغتة في الليل، فنقتلهم ثم لنقولن لقريبه العصبية المطالب بدمه: ما حضرنا مكان هلاك أهله ولا ندرى من قتلهم، فلا نعلم هلاكه هو نفسه، وإنما لصادقون في قولنا هذا.

٥٠- ودبروا أمرًا في الخفاء بهذه الطريقة والتواطؤ على الاغتتيال، وجازيناهم بتعجيل عقوبتهم وإهلاكهم، وهم لا يشعرون بذلك.

٥١- فانظر أيها النبي كيف كان عاقبة تأمرهم أو مكرهم: أننا دمرونا الرهط التسعة المذكورين، وقومهم أجمعين، فأهلكناهم جميعًا بالصيحة: صيحة جبريل، وإلقاء الملائكة حجارة عليهم.

٥٢- فتلك بيوتهم التي بقيت آثارها خالية عن أهلها، خراباً متهدمة، بسبب ظلمهم وكفرهم، إن في ذلك التدمير لعبرة وعظة لقوم يعلمون قدرتنا، فيتعتظون.

٥٣- وأنجيننا صالحًا والمؤمنين به الذين كانوا يخافون عذاب الله، ويتقون الشرك والمعاصي.

٥٤- واذكر أيها النبي لوطاً حين قال لقومه: أتأتون فاحشة اللواط، وأنتم تعلمون فحشها، ولا تستترون حال تعاطيها استهتاراً بالفضيلة وقلة حياء.

٥٥- أنتمك معشر القوم لتأتون الرجال شهوة عارمة غير مفيدة؛ لأن القصد المعتاد هو طلب النسل، لا قضاء الشهوة، من غير النساء اللاتي خلقهن الله لذلك من طريق الزواج، بل أنتم قوم تجهلون شناعة هذه الفاحشة، والعقوبة الشديدة عليها.



فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ
لَوْ طَمَنَّا مِنْ قَوْمِكُمْ أَتَمَمْنَا أَنْفُسَنَا بِطَهْرُونِ ٥٦ فَأُنزِلَتْ
وَأَهْلُهُ إِلَّا أُمَّرَأَةً قَدَّرْنَا مِنْ الْغَابِرِينَ ٥٧ وَأَمْطَرْنَا
عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَمَا سَاءَ مَطَرُ الْمُنذِرِينَ ٥٨ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ
عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ءَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرُونَ ٥٩
أَمْ نَحْنُ خَالِقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً فَأَنْبِتُ بِهِ حَبَابَكُمْ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ
أَنْ تُلْهِتُمْ عَنْهَا ءَ أَلَمْ نَمَعِ اللَّهُ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ ٦٠
أَمْ نَجْعَلُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلْنَا خَلْقَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلْنَا
رَوَابِيهَا وَجَعَلْنَا بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ءَ أَلَمْ نَمَعِ اللَّهُ بَلْ
أَنْتُمْ زُرَّارٌ لَا يَعْلَمُونَ ٦١ أَمْ نَجْعَلُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَا
وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَنَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ءَ أَلَمْ
نَمَعِ اللَّهُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ٦٢ أَمْ نَهْدِيكُمْ
طَلْحُتِ الْبُرُوجُ وَالْبَحْرُ وَمِنْ بُرْسِلِ الرِّيحِ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ
رَحْمَتِهِ ءَ أَلَمْ نَمَعِ اللَّهُ نَعْمَ عَلَى اللَّهِ عَمَّا يَشْرُونَ ٦٣

٥٦. فما كان جواب قوم لوط إلا أن قال بعضهم لبعض: أخرجوا أهل لوط من بلدكم، إنهم أناس ينزهون أنفسهم عن أفعالنا، ولا يقروننا على صنيعنا. قالوا ذلك استهزاء وتهكماً.

٥٧. فأنجينا لوطاً وأهله المؤمنين من العذاب إلا امرأته حكمتنا أنها من الباقيين في العذاب.

٥٨. وأمطرنا عليهم حجارة من السماء، فأهلكناهم به، فبئس مطر القوم الذين أنذروهم رسولهم بعقاب الله على معاصيهم، فرفضوا.

٥٩. قل أيها النبي: الحمد لله الذي وفقنا للهداية، وأهلك الكفار الفجار من الأمم الخالية، وسلام على عباده الذين اختارهم للنبوّة وهم الأنبياء صفوة البشرية وأتباعهم، هل توحيد الله وطاعته وثوابه خير، أم شرك المشركين مع الله الأصنام والأوثان التي لا تضر ولا تنفع؟ وكلمة ﴿أَلَمْ نَمَعِ اللَّهُ﴾ بالمد أصلها الله، أي هل الله خير؟ أو الذين يشركونه معه؟

٦٠. وهل ألهمتكم خير أو خالق السموات

والأرض، ومنزل المطر من السحاب جهة السماء، فأثبتنا لكم بالمطر بساتين- والحديقة: بستان لها حائط- ذات حسن ورونق، ما كان للبشر ولا يتهياً لهم ولا يقدرّون على إنبات الشجر في الحدائق لعجزهم عن ذلك، أيصح أن يجعل إله يقرب مع الله ويتخذ شريكاً، وهو الخالق المكون؟ بل هؤلاء المشركون قوم يبعدون عن الصواب وينحرفون عن الحق وهو التوحيد، فيشركون بالله غيره.

٦١. هل ألهمتكم خير أو الذي جعل الأرض مكاناً يستقر عليه الناس، وجعل وسطها أنهاراً جارياً، وجعل لها جبالاً ثابتة، وجعل بين البحرين: العذب والملح حاجزاً فاصلاً بينهما حتى لا يختلط أحدهما بالآخر، إله آخر معبود مع الله؟ بل أكثر الناس لا يعلمون الحق وهو التوحيد، يشركون به إلهاً آخر.

٦٢. هل ألهمتكم خير أو الله الذي يجيب المكروب المجهود الواقع في شدة، الذي لا قدرة له، فيلجأ إلى التضرع، ويرفع السوء (الضرر) عنه، ويجعلكم سكان الأرض يخلف بعضكم بعضاً؟ إله آخر معبود مع الله الذي يفعل ذلك؟ كلا، بل قليلاً ما يتعظون ويرجعون إلى الحق: وهو الإقرار بنعم الله وتخصيصه بالعبادة.

٦٣. هل ألهمتكم خير أو الذي يرشدكم إلى مقاصدكم في ظلمات الليل برأً وبحراً بالنجوم ليلاً إذا أخطأتم الطريق، والذي يرسل الرياح بمبشرات بالخير أمام المطر، إله معبود مع الله يفعل ذلك؟ كلا، تعاطم وتنزه الله عما ينسبون له من الشركاء.

أَمَّنْ بَدَّدُوا الطَّلَقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكَ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
 أَوَّلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾
 قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا
 يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلْ أَدْرَكَ عَلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ
 فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ عَنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
 أَهَذَا كَذَابٌ بَأْسٌ أَبَاؤُنَا وَمِثْلَ مَا نَحْنُ لَمْ نَكُنْ بَلْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
 هَذَا كَذِبٌ عَجَبٌ ﴿٦٧﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
 الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ
 ﴿٦٩﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧٠﴾ قُلْ
 عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدْفٌ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي سْتَجِلُّونَ ﴿٧١﴾ وَإِنْ
 رَبُّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٢﴾
 وَإِنْ رَبُّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٣﴾ وَمِمَّنْ
 عَابَتِهِ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كَيْبٍ مُبِينٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ
 يَفُصِّلُ عَلَى نَجْوَى إِسْرَائِيلَ كَرَّ الَّذِي هُوَ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٥﴾

٦٤- هل آلهتكم خير أو الذي خلق الخلق ثم يميتهم ثم يحييهم بالبعث يوم القيامة، ومن يرزقكم رزقاً طيباً من السماء بالمطر، والأرض بإنبات النبات وإخراج الثمار وإيجاد الأنعام، إله معبود مع الله يخلق ويرزق؟ قل أيها النبي لهؤلاء المشركين: قدموا حججتكم على أن غير الله يقدر على شيء من ذلك إن كنتم صادقين في إشراككم.

٦٥- قل أيها النبي: لا يعلم أحد من أهل السموات والأرض الغيب الذي غاب علمه عن الخلق إلا الله وحده، فهو الذي يعلم، ولا يشعر البشر متى ينشرون أو يبعثون من قبورهم للحساب والجزاء.

٦٦- بل أتتسابع وتلاحق وتكامل علم هؤلاء في الآخرة، بل هم في الحقيقة في شك وحيرة عظيمة من حصول القيامة، بل هم قوم عمي القلوب عنها، فلا يدركون دلائلها لاختلال بصائرهم التي يدركون بها الأشياء. و ﴿بل﴾ حرف للانتقال من حال إلى حال. والمراد: لم يتكامل لديهم أسباب علمهم من الحجج والبيانات على أن القيامة كائنة لا محالة.

٦٧- وقال الذين كفروا بالله واليوم الآخر: أنذا صرنا وأبائنا تراباً، أنخرج من قبورنا أحياء للحساب والجزاء؟

٦٨- لقد وعدنا بالبعث نحن وأبائنا من قبل وعد محمد به، فلم يتحقق شيء، ما هذا الذي تخوفنا به من البعث إلا أكاذيب وأباطيل الأقدمين فيما سطره في الكتب.

٦٩- قل أيها النبي لمنكري البعث: امشوا في الأرض وشاهدوا آثار السابقين، فانظروا نظرة تأمل وتفكر، كيف كان مصير الذين أجزوا، وكذبوا بالبعث، وبما جاءت به الأنبياء.

٧٠- ولا تحزن أيها النبي على تكذيبهم لك، وإنكارهم البيعة والرسالة، ولا تكن في ضيق أو انقباض صدر مما ترى من مكروهم بك وكيدهم لك، فالله عاصمك وحافظك وناصرك عليهم.

٧١- ويقول الكفرة المكذبون: متى وعد العذاب إن كنتم صادقين في هذا الوعد؟

٧٢- قل لهم أيها الرسول: عسى أن يكون قرب بكم بعض العذاب الذي تتعجلون وقوعه في الدنيا، وعذاب الآخرة الأشد أت أيضاً لا شك فيه. وعسى ولعل وسوف من الله تفيد القطع بحصول ما بعدها.

٧٣- وإن ربك لصاحب فضل كبير على الناس بالإنعام المستمر عليهم ويتأخير العذاب عنهم، ولكن أكثرهم لا يشكرون فضله وإنعامه.

٧٤- وإن ربك أيها الرسول ليعلم ما تخفيه صدورهم من أسرار، وما يظهرون بالستهم من أقوال.

٧٥- وما من شيء خفي في غاية الخفاء في السماء والأرض إلا مدون في كتاب بين وهو اللوح المحفوظ، فكيف يخفي عليه شيء من ذلك؟ والغائبة: كل ما أخفى الله وغيبه عن خلقه. و ﴿من﴾ حرف تفيد عموم ما بعدها.

٧٦- إن هذا القرآن المنزل عليك أيها الرسول يبين لبني إسرائيل المعاصرين للنبي أكثر الأشياء التي يختلفون فيها من الحق كالتشبيه والتنزيه وأحوال الجنة والنار وعزير المسيح.

٧٧- وإن هذا القرآن لهداية للناس من الضلالة، ورحمة للمؤمنين من العذاب .

٧٨- إن ربك يقضي بين المختلفين من بني إسرائيل وغيرهم بحكمه الحق والعدل، فيعاقب البطل، ويكافئ المحسن، وهو سبحانه القوي القادر الذي لا يغلب، والعليم بأحوال خلقه .

٧٩- ففوض أمرك إلى الله وثق به ولا تبال بمعاداتهم، إنك على الدين الظاهر كونه حقاً .

٨٠- إنك أيها الرسول لا تسمع دعوتك الكفار الذين هم كالموتى الذين لا حسّ لهم، وكالصم الذين لا يسمعون شيئاً إذا عرضوا عن دعوة الحق والإيمان فارين منهزمين مبالغين في الإعراض .

٨١- ولست بوسعك بمرشد عمي القلوب والبصائر ومخرجهم من ضلالتهم إلى نور الحق والإيمان، فما تسمع إلا من يصدّق بالقرآن، فهم متقادون لأمر ربهم، مخلصون لله بتوحيده وطاعته .

٨٢- وإذا قرب حصول مضمون القول أي الكلام الإلهي الدال على وعيد الكفار، وحق العذاب الموعود به يوم القيامة، أخرجنا لهم دابة حية تدب على الأرض وهي الجساسة، الله أعلم بأوصافها، تخبرهم أن أكثر الناس كانوا آيات الله الدالة على

وَأَنَّهُ هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ لَمَوْتِي وَلَا تَسْمَعُ الدَّعَاءَ إِذَا وَلُوا مَأْدِبِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَن صَلَاتِهِمْ إِنَّ تَسْمَعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُسَلِّونَ ﴿٨١﴾ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يَكْذِبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ قَالَ أَكُنْتُمْ بِآيَاتِي أَعْتَدُوا وَإِنِّي نَذَرْتُ لَكُمْ لَعْنَةً لِّمَن كَفَرَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْظِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آيَةَ الْبَيْتِ لَيْسَ كُوفِيهِ وَالنَّهَارُ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ نَفِخُ فِي الصُّورِ فَتَسْمَعُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أُنثَىٰ ذَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدًا وَهِيَ غَرَّمٌ مَُّرْتَدًّا فَصَنَّ اللَّهُ الَّذِي آتَىٰ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾

مجيء الساعة لا يؤمنون بها. والمراد بالآيات: الآيات المنزلة في الكتب السماوية، والآيات الكونية الدالة على وجود الله ووحدانيته وصدق رسله .

٨٣- واذكر أيها النبي يوم تجتمع يوم القيامة من كل أمة جماعة ممن يكذب بآياتنا من الكتب والرسول، وهم الرؤساء المتبوعون، فهم يجمعون، يجمع أولهم ليلحق بهم آخرهم، ثم يساقون إلى موقف الحشر .

٨٤- حتى إذا حضروا إلى موقف الحساب قال الله: أكذبتم بآياتي المنزلة على رسلي، ولم تعلموها وتعرفوا معانيها ودلالاتها، بل كذبتم بها، أم أي شيء كنتم تعملون بعد ذلك، فلم تفكروا وتعملوا بها؟!

٨٥- وحق بهم العذاب بسبب ظلمهم وهو الشرك والتكذيب بآيات الله تعالى، فهم لا يتكلمون باعتذار عند العذاب .

٨٦- ألم يعلم هؤلاء المكذوبون بآياتنا أننا جعلنا الليل المظلم للسكون والاستقرار والنوم، والنهار المضيئ للعمل والمعاش وكسب الرزق، إن في ذلك لدلالات واضحات على قدرة الله وتوحيده لقوم يصدقون بالله ورسله .

٨٧- واذكر أيها النبي يوم ينفخ في البوق النفخة الأولى من إسرائيل، فخاف أشد الخوف المفضي إلى الموت جميع من في السموات والأرض إلا من شاء الله ألا ينفخ وهم الشهداء الأحياء عند ربهم يرزقون، وكل الخلاق ممن فزع أو لم ينفخ حضروا موقف الحساب بعد النفخة الثانية صاغرين خاضعين، فالنفخة الأولى للإماتة، والثانية للبعث والإحياء .

٨٨- وترى الجبال تظنها ثابتة في مواضعها وقت النفخة يوم القيامة، وهي تسير بسرعة كبير السحاب، صنع الله ذلك صنعاً، وهو الذي أحكم خلق كل شيء، على ما ينبغي من تمام الإتيان، إنه خبير بما تفعلون من خير أو شر، فمجازيكم عليه، والخبير: المطلع على الظواهر والضمائر .

مِنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُرْمٌ مِّنْ فَرَجٍ يَوْمَئِذٍ أَمِنُونَ ﴿٨٩﴾
 وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكَيْتٌ وَسُجُوهٌ فِي النَّارِ هَلْ يُخْرَجُونَ
 إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ تَعْبُدُوا رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدِ
 الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمْرُهُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾
 وَأَنْ أَسْأَلُوا الْقُرْآنَ أَنْ يَهْتَدِي بِتِلْكَ الْأَمْثِلِ لِتُنصَبَ
 وَمَنْ صَلَّى فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ
 سِيرِكُمْ ءَايَاتِهِ فَعَرَفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِفَعْلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 طَسَّرَ ﴿٩٤﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٩٥﴾ سَأَلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَّبِيِّ مُوسَى
 وَمُؤْمِنِينَ بِأَلْحِقِ الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ
 أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّنَّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يَتَّبِعُ أَبْنَاءَ هِرْمٍ وَيَسْتَحْيِي
 سَيِّئَاتِهِمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسْخَرِينَ ﴿٩٧﴾ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ
 اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٩٨﴾

٨٩- من جاء بالحسنة الحسنة وهي الإيمان والعمل الصالح، فله ثواب أفضل منها أضعافاً مضاعفة، وهم آمنون يوم القيامة من الفرع الأكبر، لرعاية الله لهم.

٩٠- ومن جاء بالحسنة السيئة وهي الإشراك بالله والمعاصي، فآلقوا بعنف على وجوههم في النار، والمراد جميع أجسامهم، واقتصر على ذكر الوجه لأنه أشرف الأعضاء، لا تجزون إلا جزاء ما كنتم تعملون من الشرك والمعاصي. والاستفهام للتوبيخ.

٩١- قل أيها النبي: إنما أمرت أن أخص بعبادتي رب هذه البلدة: مكة التي جعلها الله حراماً آمناً، لا يسفك فيها دم، ولا يظلم فيها أحد، ولا يعضد شجرها، ولا ينقر صيدها، وأمرت أن أكون من المتقدين لأمر الله، المخلصين له العبادة.

٩٢- وأمرت أن أتلو القرآن الداعي إلى الإيمان بالله وطاعته، فمن اهتدى للإيمان والعمل بالقرآن، فإنما نفع الهداية لنفسه، ومن ضل بالكفر، وأعرض عن الهدى وأخطأ الطريق إليه، فقل أيها الرسول: إنما أنا من المخوفين من عذاب الله من عصاه.

٩٣- وقل أيها الرسول: الحمد لله على ما أنعم علي من نعمة النبوة والعلم والعمل بما يرضي الله، سيريكم أيها الكفار آياته القاهرة في الدنيا كوقعة بدر، أو في الآخرة التي تجعلكم، وما ربك بغافل عن أعمالكم، بل هو مطلع عليها، ولكنه يجهل ولا يهمل.

سورة القصص

فضلها: هي من الطواسين التي حلت محل الزبور، كما جاء في أوائل سورة الشعراء.

١- ط، سين، ميم، للتبويه والتحدي وبيان إعجاز القرآن الكريم باللغة العربية كما بينا فيما سبق ذلك في السورة المقدمة.

٢- تلك الآيات المذكورة في هذه السورة هي آيات القرآن الواضح، المبين الحق من الباطل، والشرائع والأحكام.

٣- نقص عليك أيها النبي من خبر موسى وفرعون قصصاً بالحق، ليكون ما فيها من الصدق والأصالة هداية للمؤمنين، وخصوا بالذكر؛ لأنهم المتفتنون به.

٤- إن فرعون تكبر وتجب في أرض مصر، وادعى الربوبية، واستعبد أهلها، يجعل طائفة هم بنو إسرائيل ضعفاء مقهورين، يذبح أبناءهم، ويترك البنات أحياء للخدمة والمتعة، إن فرعون كان من عتاة المفسدين بالقتل والتكبر والاستعباد.

٥- ونريد أن ننعم على المستضعفين في أرض مصر، ونجعلهم قادة في الخير ودعاة إليه، ونجعلهم وارثين للأرض المقدسة في زمانهم وهي أرض مصر وبيت المقدس، وراثة الملك والقوة والسلطة.

٦- ويجعل لهم في تلك الأرض مكنة أو مكاناً يستقرون فيه، وسلطة، ونري فرعون ووزيره هامان وجنودهما من أولئك المستضعفين ما كانوا يخشون من بني إسرائيل، من زوال ملكهم، وهلاكهم، على يد رجل منهم.

٧- وألهمنا أم موسى برويا صادقة حين ولدته أن ترضعه، فإذا خفت عليه من فرعون بأن يحس به أحد، فيبلغه، فألقيه في البحر وهو هنا نهر النيل، ولا تخافي عليه من الهلاك، ولا تخزي لرفاقه، إنا رادوه إليك عن قريب، وجاعلوه من الأنبياء المرسلين. اشتملت الآية على أمرين ونهيين، وخبرين بشارتين في إيجاز محكم يدل على قمة البلاغة والفصاحة والإعجاز.

٨- فالتقط تابوت الطفل موسى آل فرعون من البحر صبيحة ليل، ليصير لهم عدواً ومحزناً أو مصدر حزن- واللام لام العاقبة (أو الصيرورة) أي لتكون عاقبة التقاطهم له أنه يصير عدواً لهم، والمحزن: المحزن أي سبب حزن، والمحزن: الغم- إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا آثمين.

٩- وقالت امرأة فرعون المؤمنة وهي آسية، التي هي من نسل ملك مصر أيام يوسف عليه السلام حين هم فرعون يقتله: إن هذا الطفل مصدر سرور وسعادة لي ولك، لا تقتلوه، عسى أن ينفعنا في كبره، فإن فيه أمارات النجاة والخير، أو نتخذه ولدًا بالتبني- وكانت لا تلد- والحال أنهم لا يشعرون بعاقبة أمرهم معه وهلاكهم على يديه.

١٠- وأصبح فؤاد أم موسى خالياً من كل المشاغل إلا الاهتمام بولدها موسى حين سمعت بالتقاط آل فرعون له، وكادت تصرح بأنه ابنها من شدة وجدها وحزنها وخوفها عليه، لولا أن قوتنا قلبها بالصبر، وثبتناها، لتكون من المصدقين بوعد الله برده إليها.

١١- وقالت أم موسى لأخته: اقتفي أثره وتتبعي خبره حتى تعلمي مصيره، فأبصرته عن بُعد اختلاصاً، وهم لا يشعرون أنها أخته.

١٢- ومنعناه من قبول الرضاع من أي مرضعة، من قبل رده إلى أمه، فقالت عندئذ: هل أدلكم على أهل بيت يتعهدون إرضاعه والقيام بشؤونه لأجلكم، وهم مخلصون في خدمته وإرضاعه وتربيته.

١٣- فأعذناه إلى أمه كي تسعد بولدها، ولا تخزن على فراقه، ولتعلم علم مشاهدة أن وعد الله برد ولدها إليها حق ثابت وصدق مؤكد، ولكن أكثر الناس لا يعلمون بأن وعد الله حق منجز.

وَمَنْ كَفَرَ فِي الْأَرْضِ وَنَرَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَجْذُرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِنْ خِفْتِ عَلَيْهِ فَاَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالْقِطْعَةَ تَرَاهُ لِفِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِبِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتْ أُمُّ رَأْسُ فِرْعَوْنَ قَرَّبْتِ ابْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا شَعْرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِحًا إِنْ كَادَتْ لِتَكْفُرَ بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَّمَ قَلْبَهَا لِيَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَرَمَتْهَا عَلَيْهِ الرَّاغِبُ مِنْ قَبْلِ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصْحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴿١٣﴾ وَلَنَعْلَمَنَّ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾



وَمَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آيَاتُهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نُحَيِّرُ
 الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا
 فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ
 فَاسْتَعْتَنَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَنُكِرَ
 مُوسَىٰ فَحَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌ
 مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ
 الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَتَمَمْتُ عَلَىٰ قَلْنٍ أَكُونَ
 ظَهيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِبًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا
 الَّذِي اسْتَنْصَرُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِحُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ
 لَنفَوِي مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا
 قَالَ يَمْوَسَىٰ أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِكَ مِثْلًا نَفَسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا
 أَنْ تَكُونَ جَارًا لِّي فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾
 وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَمْوَسَىٰ إِنَّ الْمَلَآئِ
 يَأْمُرُونَ بِكَ لِتُقْتَلُوا فَأَخْرِجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾
 فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِبًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾

١٤ - ولما بلغ غاية قوته ونموه - وبلوغ الأشد عادة من ثلاثين إلى أربعين سنة، لا اكتمال العقل حيثئذ، واكتمل خلقه الجسدي ونضجه العقلي في الأربعين، آتينا حكمة، وفهماً ومعرفة بالدين، ومثل ذلك الجزء الذي جزيناه به مع أمه، نجزي المحسنين لأنفسهم. والحكمة: معرفة أسرار الشريعة ووضع كل شيء في محله.

١٥ - ودخل موسى مدينة مصر عاصمة القراعة وهي منف مستخفياً في وقت لا يتوقع دخوله فيه، وكان ذلك قبل النبوة، فوجد فيها رجلين يقتتلان، هذا من شيعته وحزبه وتابعيه في الدين: إسرائيلي، وهذا من عدوه من القبط قوم فرعون، فطلب منه الغوث والنصرة والإعانة الذي من جماعته على الذي من أعدائه، فأغاثه موسى، فضرب القبطي بقبضة يده - وكان شديد القوة والبطش - ففضى عليه وقتله خطأ، ثم قال: هذا القتل من تزوين الشيطان الذي أغضبني؛ لأنه لم يكن مشروعاً قتله، إن الشيطان عدو للإنسان بإضلاله، ظاهر العداوة له. وكان القتل في عهد الشباب؛ لأن موسى عليه السلام أوحى إليه في سن الأربعين بعد زواجه بابنة شعيب في مدين، ورعيه الماشية عشر سنوات.

١٦ - قال: إني ظلمت نفسي بقتل النفس، فاعف عني ولا تؤاخذني بخطئي، فغفر الله له، إنه واسع المغفرة والرحمة لعباده.

١٧ - قال موسى: رب بسبب إنعامك علي بالمغفرة والعلم والحكمة، فلن أكون معيناً لمجرم على إجرامه.

١٨ - فأصبح موسى في المدينة بعد قتل القبطي خائفاً على نفسه ينتظر ما يحدث من فرج أو كرب ومكروه، فإذا بالإسرائيلي الذي استنصره بالأمس يستغيث به من قبطي آخر، قال له موسى: إنك ضال ظاهر الضلال أو الغواية.

١٩ - فلما أراد موسى أن يبطش بالقبطي المصري الذي هو عدو لموسى وللإسرائيلي المستغيث به، قال القبطي بعد علمه بالحوار الذي جرى بين موسى والإسرائيلي: أتريد أن تقتلني اليوم كما قتلت نفساً بالأمس (البارحة) ما تريد إلا أن تكون جباراً تتطاول على الناس ولا تنتظر العواقب، وما تريد أن تكون ممن يصلح بين الناس. فانتشر هذا الحديث بين الناس، وبلغ الخبر إلى فرعون وملته.

٢٠ - وقدم رجل هو مؤمن آل فرعون من آخر أطراف المدينة يسرع في مشيه من طريق أقرب من طريقهم، قال له: يا موسى، إن الوجهاء والقادة الكبار يتشاورون في شأنك، ليقتلوك، فأخرج من المدينة، إني لك من الناصحين في الأمر بالخروج.

٢١ - فخرج من المدينة حذراً من الناس، خشية القبض عليه يتلفت مترقباً لحوقهم به، وقال متضرعاً لربه: رب نجني من القوم الظالمين أنفسهم بالكفر وهم قوم فرعون.

٢٢- ولما اتجه نحو ديار مدين بلدة شعيب عليه السلام، قال: لعل ربي، أي أرجو أن يرشدني إلى الطريق القويم، فلا أخطئ الطريق الأقرب للوصول إلى مدين. وسواء السبيل في الأصل: وسط الطريق.

٢٣- ولما وصل ماء مدين: وهو بئر فيها كانوا يستقون منها، وجد على الماء جماعة كثيرة من الناس يسقون مواشيهم، ووجد بعيداً عنهم امرأتين تتمعان أغنامهما عن ورود الماء والزحام، خوفاً من التصادم مع السقاة الرجال الأقيواء، قال: ما شأنكما لا تسقيان أغنامكما مع الناس؟ قالتا: لا نسقي أغنامنا حتى ينصرف الرعاة عن الماء، حذراً من مخالطتهم، وعجزاً عن السقي معهم، وأبونا شيخ كبير السن، لا يقدر على سقاية ماشيته من الكبر. والرعاة: جمع راع.

٢٤- فسقى موسى للمراتين أغنامهما من بئر أخرى بقربهما، ثم انصرف إلى ظل شجرة ليستريح فيه، وهو جائع، فقال: رب إني بحاجة إلى أي طعام كان.

وَلَمَّا تَوَجَّهَ بِلِقَاءِ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سُبُلَ السَّبِيلِ
 ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وُورِدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ
 وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ يَذَّوْبَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا
 لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصَدَرَ الرِّعَاءُ وَأُبُونَا صَبِيحٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾
 فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَتَيْتُكَ
 إِلَيْنِ مِنْ حَيْثُ قَفَرْنَا ﴿٢٤﴾ فَجَاءَهُهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَىٰ اسْتِحْيَاءٍ
 قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرًا مَا سَقَيْتَ لَنَا قَلَمًا
 جَاءَهُمْ وَقَضَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَاتَخَفْ حَسْرَتِي
 مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ
 اسْتَشْرِبْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَشْرَبَ الْقَوْمِ الْأَمِيْنُ ﴿٢٦﴾
 قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ جَمَعْتُ إِحْدَى ابْنَتَيْ هَٰذَيْنِ عَلَىٰ أَنْ نَأْجُرَنِي
 تَمْنَىٰ جَمِيحٍ فَإِنِ اتَّخَمْتُ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ
 أَسْأَلَكَ عَلَيْهِ سَخِرْتَنِي إِذْ سَأَأَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ
 ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيِّنٌ وَبَيْنَكَ أَتَمَّا الْأَجْلَبِينَ
 قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَيَّ بِمَا نَقُولُ وَكَفِيْلٌ ﴿٢٨﴾

٢٥- فلما عادت المرأتان إلى أبيهما سريعيتين في زمن أقل من المعتاد، سألهما عن السبب، فأخبرتا بهن سقى لهما، فقال لإحدهما: ادع لي، فجاءته إحدهما تمشي مستحيبة محتشمة، قالت: إن أبي يدعوك ليكا فتك جزاء سقيك لنا، فأجابها موسى حياً برؤية الشيخ والتعرف عليه، لا طمعاً في الأجر، فلما وصل إليه، وأخبره بقصته من قتله القبطي، وخوفه من فرعون، واغتياه، قال الأب: لا تخف، فقد نجوت من القوم الظالمين: فرعون وقومه، إذ لا سلطان له على مدين.

٢٦- قالت إحدى البنتين الكبرى أو الصغرى: اتخذها أجيراً ليرعى أغنامنا، إن خير من استأجرت من تميز بالقوة والأمانة، علمت بقوته من نزع الدلو الكبير من البئر، وعرفت أمانته حين طلب منها أن تمشي خلفه، حتى لا يرى منها شيئاً، ومن غض بصره.

٢٧- قال شعيب لموسى: إني أريد أن أزوجه إحدى هاتين البنتين على أن تكون أجيراً لي ثماني سنين، ترعى غنمي، وهو مهر الزواج، فإن أتممت مدة عشر سنين فمفك تفضلاً وتطوعاً لا إلزاماً مني لك، وما أريد إيقاعك في المشقة والحرَج بإتمام العشر، ستجدني بمشيئة الله من الصالحين في الصحبة والوفاء. وفيه مشروعية عرض ولي المرأة الزواج بالرجل الكفء.

٢٨- قال موسى: ذلك الذي عاقدتني عليه قائم بيننا لا نخرج عنه، أي مدة من الثماني والعشر وقيتك إياه، فلا ظلم ولا اعتداء علي بالمطالبة بأكثر منه، سواء الأقل أو الأكثر، والله على ما نقول شاهد وراقب، فتم العقد بذلك.

٢٩- فلما أتم موسى الأجل المتفق عليه مع شعيب، وهو عشر سنين، غادر مدين وسار مع زوجته بإذن أبيها نحو مصر. فالرجل يذهب بأهله حيث شاء. أبصر من بعيد من جهة جبل الطور في سيناء ناراً، قال لأهله: ابقوا وانتظروا هنا، إني أبصرت ناراً لعلني آتيتكم منها بخبر عن الطريق، أو شعلة قطعة من الجمر الملتهب، لعلكم تستدفئون بالنار.

٣٠- فلما وصل إلى النار نودي من الشاطئ الأيمن للوادي، على يمين موسى التوجه إلى مصر، في المكان الذي بارك الله فيه لموسى، وهو المسمى بالوادي المقدس، لسماحه كلام ربه واختياره رسولاً، عند الشجرة النابتة على شاطئ الوادي، وهي شجرة عتاب أو علق: أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين. أخرج عبد ابن حميد وابن جرير عن ابن مسعود أنه سار إلى تلك الشجرة، فإذا هي سمراء خضراء ترف، فأكل منها بغيره ملء فمه، ولاكه ولم يستطع أن يسبغه.

٣١- وقال الله له في هذا الموقف: وألق

﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُؤْا إِلَيَّ آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّا أَنهَا نُودِيَ مِنْ سُطْحِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَتُوسَى ۖ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَوَيْتَ يَتُوسَى أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٣١﴾ أَسَأَلَكَ يَدُكَ فِي جَنبِكَ فَخَرَّجْ يَدَكَ مِنْ عَيْصِ سَوْءٍ وَأَضْمِمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَكَ بِرَهْمَانٍ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَارُونَ هُوَ أَضْعُفٌ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ۖ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنُنَادُّكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَ سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكَ بِمَا آتَيْنَا آتْمَاءً مِنْ آتْمَعِكَ الْفَالِسُونَ ﴿٣٥﴾

عصاك، فألقاها فصارت ثعباناً، فلما رآها تتحرك كأنها حية سريعة الحركة مع عظم الجسم والحلقة أدير هارياً منها، ولم يرجع، فتودي يا موسى، ارجع إلى مكانك، ولا تخف من هذا الشعبان، إنك من الأمنين من المخاوف.

٣٢- أدخل يدك في فتحة قميصك إلى ماتحت إبطك، ثم أخرجها منه، تخرج مشعة بيضاء من غير مرض أو عيب. وكان موسى كما ذكر البخاري آدم، أي أسمر اللون. واضمم إليك. أي إلى صدرك. يدك المبسوطتين لاتقاء الحية وإذهاب الخوف، أي لتطمئن، فهذان العصا واليد حجتان واضحتان إلى فرعون ووجهاء قومه وأعوانه، إنهم كانوا خارجين عن طاعة الله تعالى وحدوده.

٣٣- قال موسى: رب، إني قتلت منهم نفساً، وهو القبطي من قوم فرعون، فأخاف أن يقتلوني بها ناراً أو قصاصاً.

٣٤- وأخي هارون هو أين مني لساناً، فأرسله معي معيناً على تبليغ الرسالة، يؤيدني في توضيح ما قلته، وتقرير الحجة وإقامة الدليل؛ إني أخشى أن يكذبوني في رسالتي.

٣٥- قال الله تعالى مجيباً دعاءه: سنؤيدك وتقربك جعل أخيك رسولاً، ونجعل لكما حجة وبرهاناً متفوقاً على فرعون وقومه، فلا يصلون إليكما بالأذى، فاذمها بسبب قوة معجزاتنا، أئتما وأتباعكما المنتصرون على قوم فرعون. والعضد: ما بين المرفق والكتف.

٣٦- فلما جاء موسى إلى فرعون وقومه بأدلتنا القاطعة الدالة على صدق نبوته قالوا: ما هذا الذي جئت به إلا سحر مختلق مكذوب، أي افتراه موسى على الله، وما سمعنا بهذا الذي دعوتنا إليه في سيرة آباءنا الأقدمين الذين سبقونا.

٣٧- وقال موسى رداً على فرعون وملته: ربي يعلم أي محق وأنتم مبطلون، وجئت بهذه الآيات الدالة على الهدى من عنده، ويعلم من تكون له العاقبة المحمودة في الآخرة وهي الجنة، والنصر في الدنيا، إنه لا يفوز الظالمون (الكافرون) بشيء من الخير.

٣٨- وقال فرعون مغالطة لقومه وإيهاماً لهم باقتداره: يا سادة القوم، ما علمت لكم إلهاً غيري، وهذا إصرار منه على تكبره وتجبّره، ثم قال: يا هامان (وزير فرعون) اصنع لي الأجر (الطوب) بطبخ الطين على النار، فاجعل لي قصرًا عاليًا، لعلني أصعد إلى إله موسى، ثم أنظر إليه، وإني لأظن موسى من الكاذبين في ادعائه إلهاً آخر، وأنه

فَلَمَّا جَاءَهُ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرَىٰ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾
وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا لَهْدَىٰ مِنْ عِنْدِ رَبِّي وَكَفَىٰ لَهُمْ عَاقِبَةُ الَّذِينَ الظَّالِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا بَنِيَّ الْمَلَأَ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْدِي عَلَى الطَّيْنِ فَأَجْعَلَ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لأظنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَأَسْتَكْبِرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمُ الْبَائِسُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَبْنَيْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾

رسول من الله. وهذا إيهام لقومه أنه باحث ينشد الحق.

٣٩- واستكبر فرعون هو وجنوده في أرض مصر تعدياً بغير استحقاق، والاستكبار: التعظم بغير حق، بل بالعدوان؛ لأنه عجز عن دفع حجة موسى، وتوهموا أنهم لا يعودون إلينا بالبعث.

٤٠- فأخذناه وجنوده، أي أهلكتناهم، فطرحناهم في البحر حتى غرقوا، فتأمل أيها النبي، وانظر، كيف كان مصير الكافرين وآخر أمرهم.

٤١- وجعلناهم قذوة في الضلال والتكبر لكل متكبر طاغية، وصيرناهم قادة يطيعهم غيرهم في الكفر، يدعون أتباعهم إلى النار لتقليدهم إياهم، ويوم القيامة لا ينصرهم أحد بدفع العذاب عنهم.

٤٢- وأنزلنا عليهم لعنة في الدنيا، أي طرداً من رحمتنا، ويوم القيامة هم من المطرودين من الجنة المبعدين الممقوتين.

٤٣- ولقد آتينا موسى التوراة من بعد إهلاك أهل القرون الماضية الأولى (الأمم) وهم قوم نوح وعاد وثمود ولوط وغيرهم، تبصّر بني إسرائيل أمور دينهم وتنور القلوب، وتهدي إلى الشرائع الإلهية والأحكام، وهي رحمة لمن آمن به، ليتعظوا بما في ذلك الكتاب من المواعظ.

٤٤ - وما كنت حاضراً أيها الرسول بجانب الجبل الغربي من موسى عليه السلام وقت المناجاة، حيث عهدنا أو أوحينا إلى موسى التوراة وأمر الرسالة إلى فرعون وقومه، وما كنت من الحاضرين لما حدث في ذلك الزمان، فتعلم ذلك وأخبر به .

٤٥ - ولكننا أوجدنا أمماً مختلفة من بعد موسى، فامتد الزمان، وظالت المهلة، بين موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، فنسوا عهد موسى في الإيمان بمحمد ﷺ، وحرقت الأخبار، وتغيرت الشرائع، وما كنت أيها الرسول مقيماً في أهل مدين، كما أقام موسى، تذكر وتقرأ على أهل مكة آياتنا وأخبارنا، ولكننا أرسلناك إلى أهل مكة، وأوحينا إليك كتاباً فيه هذه الأخبار السابقة، ولولا ذلك لما عرفتها .

٤٦ - وما كنت أيها الرسول حاضراً بناحية جبل الطور حين نادينا موسى، ولكن علمناك وقصصنا عليك هذه الأخبار، رحمة من ربك، لتنذر أهل مكة وغيرهم، ما أتى المكيين من رسول منذ قبلك ينذرهم، لعلهم يتعظون .

٤٧ - لولا احتمال تعرض قومك لمصيبة: عذاب في الدنيا والآخرة، وافتراض اعتذارهم بالجهل عند حلول العذاب قائلين: هلا أرسلت إلينا رسولاً من عندك، فتتبع آياتك المتزلة على رسلك، ونكون من المصدقين بها، لولا ذلك لما أرسلناك أيها النبي لإقامة الحججة عليهم . والمراد أن إرسال النبي ﷺ وكل رسول قبله كان لإبطال احتجاجهم بعدم الإعلام والتبليغ . و﴿لولا﴾ في الموضعين حرف يدل على الرغبة في حصول ما بعده .

وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ آلِ فِرْعَوْنَ إِذْ قَضَيْتَ إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا فِرْعَوْنَ نَافِثًا وَلَكِ عَلَيْهِمُ الْعُقُوبُ وَمَا كُنْتَ تَأْوِيهِمْ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كَأَنَّمُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنَّا لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَنَّهُمْ مِن نَّذِيرِنَا قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَا أَن نُّصِيبَهُمْ مُّصِيبَةً بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيَهُمْ لَفُتِنُوا مِنَّا وَإِن لَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوْتِيَ مِننًا مِّثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكَلِمَاتٍ كُفْرًا لَّكُونُ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبَعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَتَّبِعُواكَ فَأَعْلَمُ أَنَّمَا يُتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَتَّبِعُ هَوَاهُ بغير هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾

٤٨ - فلما جاء أهل مكة الحق من عند الله وهو محمد ﷺ والقرآن المنزل عليه، قالوا: هلا أوتي هذا الرسول مثل ما أوتي موسى من الآيات ومنها التوراة جملة واحدة، فأجابهم الله: أولم يكفر اليهود وكفار قريش بآيات موسى كما كفروا بآيات محمد؟ حين سئل اليهود عن أمر محمد، فقالوا: إنا نجد في التوراة بنعته وصفته، وقالوا عن التوراة والقرآن: سحران تعاونا على الكذب، وصدق كل منهما الآخر، وقالوا: إنا بكل من الكتابين والرسولين موسى ومحمد كافرون .

٤٩ - قل أيها الرسول جواباً لهم بعد كفرهم بالكتابين: فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى من التوراة والقرآن وأصلح لهداية البشر، لأتبعه معكم، إن كنتم صادقين في قولكم .

٥٠ - فإن لم يفعلوا ما كلّفهم به من الإتيان بكتاب إلهي أهدى من التوراة والقرآن، ولم يؤمنوا بما جئت به، فاعلم أيها الرسول أنما يتبعون في كفرهم أهواءهم: ما تميل إليهم نفوسهم من غير حجة ولا برهان، ومن أشد ضللاً ممن اتبع هوى نفسه بغير هدى من الله؟ أي لا أحد أضل منه، إن الله لا يهدي للقوم الظالمين أنفسهم بالإصرار على الكفر والتمادي فيه .



٥١- ولقد أنزلنا القرآن متتابعاً، في الإنزال ليتصل التذكير، وأرسلنا للناس رسولاً بعد رسول، لعلمهم يتعظون، فيؤمنوا ويطيعوا.

٥٢- الذين أعطيناهم الكتاب الإلهي من قبل القرآن، هم بالقرآن والنبي محمد ﷺ يصدّقون، لمطابقة أوصافه لما جاء في كتبهم. وهؤلاء كعبد الله بن سلام ومن أسلم من الكتائين. نزلت في ناس من أهل الكتاب كانوا على الحق، حتى بعث الله محمداً ﷺ فأمنوا به، منهم سلمان الفارسي وعبد الله بن سلام.

٥٣- وإذا يتلى عليهم القرآن قالوا: آمنا به وصدقنا بأنه كلام الله تعالى، إنه الحق الثابت الذي نعرفه، المنزل من ربنا على محمد ﷺ، إنا كنا من قبل إنزاله مخلصين لله بالتوحيد والعبادة.

٥٤- أولئك يؤتون أجرهم مرتين، لإيمانهم بالكتائين: كتبهم والقرآن، والرسولين: رسولهم ومحمد عليهما السلام، بسبب صبرهم على أذى قومهم، والعمل بالكتائين والإيمان بالنبيين، ويدفعون بالكلام الحسن ما يتعرضون له من الأذى، أو بالطاعة المعصية، وينفقون أموالهم في مرضاة الله تعالى.

٥٥- وإذا سمعوا الساقط من القول، وهو الشتم والأذى

والاستهزاء من الكفار، عرضوا عنه تكراً وترفعاً، وقالوا: لنا أعمالنا من الإيمان والدين، ولكم أعمالكم من دينكم، لا يلحقنا من ضرر كفركم شيء، ولا يضيركم إيماننا، سلام عليكم سلام متاركة وأمان منا، لا نجيبكم بالسوء، لا نطلب صحبة الجاهلين ولا نريدها.

٥٦- إنك أيها النبي لا تهدي برادتك من أردت هدايته للإيمان، ولكن الله بقدرته وإرادته يهدي من يشاء هدايته، فيوفقه للإيمان، وهو أعلم بالمستعدين للهداية. نزلت كما جاء في صحيح مسلم والترمذي وغيرهما في أبي طالب لما امتنع عن الإسلام، مع شدة حرص النبي ﷺ على إيمانه، فمات على دين عبد المطلب.

٥٧- وقال مشركو قريش: إن ندخل في دينك يا محمد يتخطفنا العرب من أرضنا، أي مكة، بأن يخرجونا من بلادنا، فرد الله عليهم: أو لم نجعل لهم حرماً آمناً، تحمل إليه الثمرات والأرزاق من كل مكان، رزقاً لهم من عندنا، ولكن أكثرهم لا يعلمون أن ما نقوله حق، فهم جهلة لا يتفكرون في حقائق الأمور، والمراد: إذا كان هذا حالهم، وهم عبدة الأصنام، فكيف نعرضهم للخوف والإخراج من الديار إذا ضموا إلى حرمة البيت حرمة التوحيد؟! قال ابن عباس: إن أناساً من قريش قالوا للنبي ﷺ: إن تبعك تخطفنا الناس، فنزلت.

٥٨- وكـم- أي كثيراً ما- أهلكتنا من أهل قرية ذات رخاء في العيش وأمن، فبطروا النعمة وطغوا وتكبروا، وبطر النعمة: البغي والتجبر والتقصير في حق الله، فأصبحت مساكنهم خالية لا يسكنها أحد بعدهم إلا زمناً قليلاً، كإقامة المسافر فيها يوماً أو بضع يوم، لشؤم معاصيهم، وكنا نحن الوارثين لديارهم؛ إذ لم يخلفهم فيها أحد.

٥٩- وما كان من عادة ربك إهلاك أهل القرى الكفرة، حتى يرسل في عاصمة البلاد رسولاً يتلو عليهم آياتنا المنزلتة عليه الداعية إلى الإيمان والعمل الصالح، وما كان من شأننا إهلاك القرى إلا وأهلها مصرّون على الكفر وتكذيب الرسل.

وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ الَّذِينَ
ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ يُوْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ يَتْلَى عَلَيْهِمْ
قُلُوبُهُمْ آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾
أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ
السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا
عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ
لَا تَتَّبِعُوا الْهَيْلَانَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ
يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوا إِن نَّسِجَ
الْهُدَىٰ مَعَكَ نَحْنُطِفُ مِنْ رِضْوَانٍ أَوْ لَمْ نَكُنْ لَهُمْ حُرْمًا آمِنًا
يُجِئُ إِلَيْنَا تَوَكَّرْتُ كُلِّ شَيْءٍ رَزَقْنَا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنْ أَكْرَهْتُمْ
لَا بَعَاثُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرْتُمْ مَعِيشَتَهَا فَبَلَكَ
مَسْكَنَهُمْ لَمْ نَسْكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا
نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ
حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَمَا كُنَّا
مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾

وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمِنَّعَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا وَمَا عِنْدَ
 اللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَن وَعَدْنَاهُ وَعَدَّ حَسَنًا
 فَهَوَّلَيْنَاهُ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
 مِنَ الْمُخْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِي
 الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا
 هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا
 إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ
 فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْمَعُونَ ﴿٦٤﴾
 وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَسَمِعَتْ
 عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ نَوْعَ دُعَائِهِمْ لَدَيْنَا لَقَدْ نَبَأْنَا أَن تَابَ
 وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا مِمَّا كُنتُمْ مِنَ الْمُظْلِمِينَ ﴿٦٦﴾ وَرَبُّكَ
 يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ
 اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تَكْتُمُ
 صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٨﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
 فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٦٩﴾

٦٠- وما أعطيتكم من شيء من نعم الدنيا، فهو مجرد متاع قليل وزينة ظاهرة تتمتعون به في حياتكم الدنيوية ثم يزول عنكم، وما عند الله من الثواب والجزاء الأخروي في الجنة خيسر من المتاع الزائل؛ لأنه يدوم أبداً، أفلا تفكرون أن الباقي أفضل من الفاني الزائل؟!

٦١- أفمن وعدناه بالجنة ونعيمها وعداً خالصاً مُحَقَّقاً، جزاء حسن عمله، فهو واصل إليه ومدركه لا محالة؛ لأن الله لا يخلف الميعاد، كمن متعناه متاع الحياة الدنيا الذي يزول عن قريب، ويختلط بالآلام والمتاع، ثم هو يوم القيامة من الذين أحضروا للحساب والعذاب بالنار، فهل يستويان؟! نزلت في النبي ﷺ وفي أبي جهل بن هشام، أو في الحمزة وأبي جهل.

٦٢- واذكر أيها النبي يوم ينادي الله هؤلاء المشركين يوم القيامة نداء توبيخ، فيقول لهم: أين شركائي الذين كنتم تزعمون أنهم شركائي؟

٦٣- قال الذين وجب لهم العذاب يوم الحشر، وهم رؤساء الكفر: ربنا هؤلاء الذين دعوناهم إلى الغواية والشرك وهم الأتباع، أضللناهم كما ضللنا، تبرأنا إليك منهم ومن كفرهم، ما كانوا يعبدوننا، بل كانوا يعبدون أهواءهم.

٦٤- وقيل للكفار: نادوا أصنامكم الذين تزعمون أنهم شركاء الله، لينصروكم وينقذوكم، فنادوهم، فلم يجيبوهم لعجزهم عن الجواب، ورأى الفريقان التابع والمتبوع العذاب الواقع بهم، فتمنوا أن لو كانوا مهتدين في الدنيا إلى الحق والصواب، لنجوا من هذا العذاب، ولما راوه في الآخرة. وجواب ﴿لو﴾ مفهوم من سياق الكلام، وهو ﴿ورأوا العذاب﴾.

٦٥- ويوم ينادي الله الكفار نداء توبيخ، فيقول لهم: ماذا كان جوابكم للأنبياء المرسلين؟!

٦٦- فخفيت عليهم من شدة الحيرة الأخبار والحجج التي تنجيهم يوم القيامة، فهم لا يسأل بعضهم بعضاً عن شيء ولا عن الجواب، ولا يدرون بما يجيبون، لفرط الدهشة. والمراد لم يجدوا خيراً لهم فيه نجاة، فصارت الأنبياء كالعمى عليهم لا تهتدي إليهم، ولا يجدون جواباً من غيرهم يسعفهم.

٦٧- فأما من تاب من الشرك والمعاصي، وأمن بالله ورسله، وعمل صالحاً بالتزام المأمورات، فهو عند الله من الفائزين بمطلوبهم من الجنة والرضوان. (وعسى) تحقيق على عادة الكرام.

٦٨- وربك يخلق ما يشاء أن يخلقه، ويختار ما يشاء أن يختاره. وفي هذا إثبات حرية الخلق والاختيار لله تعالى. ليس الاختيار باصطفاء بعض الأشياء وترك بعض لأحد من الخلق، بل الاختيار هو إلى الله تعالى، تنزه الله عن منازعة أحد في اختياره، وتعاطف وتقدير عن إشراكهم. والمراد: لم يكن اختيار الرسول موكولاً لهم حتى يختاروا الأغنياء.

٦٩- وربك وحده أيها النبي يعلم ما تخفي صدور خلقه، وما يظهرونه بألستهم من الطعن بالنبي وغير ذلك.

٧٠- وهو الله الذي لا معبود سواه، له الحمد على ما أنعم، وله القضاء النافذ في كل شيء، وإليه ترجعون بعد الموت.

٧١- قل: أخبروني، إن جعل الله عليكم الليل دائماً متصلاً متتابعاً إلى يوم القيامة، لا نهار فيه، من إله غير الله يأتيكم بنهار فيه ضياء، أفلا تسمعون ذلك سماع تفهم وتفكر؟!

٧٢- قل أيضاً: أخبروني، إن جعل الله عليكم النهار دائماً مستمراً إلى يوم القيامة، من إله غير الله يأتيكم ليل تستقرون فيه وتستريحون من التعب والعناء وطلب الرزق؟ أفلا تبصرون هذه المنفعة وما أنتم عليه من الخطأ في الإشراف، فترجعوا عنه؟!

٧٣- ومن رحمته تعالى بالناس أنه جعل الليل والنهار يتعاقبان، لتستقروا وتستريحوا من التعب ليلاً، ولتطلبوا الرزق من فضل الله نهاراً بأنواع المكاسب، ولتشكروا الله على ما أنعم.

٧٤- واذكر أيها النبي يوم بنادي الله المشركين يوم القيامة نداء توبيخ، فيقول لهم: أين شركائي الذين كنتم تزعمون في الدنيا أنهم أنصار لكم وشفعاء؟!

٧٥- وأخرجنا من كل أمة شاهداً عليهم هو نبينهم يشهد عليهم بما كانوا عليه، فقلنا لهم: أحضروا برهانكم على صحة ما قلتم من الإشراف وما كنتم تدعون به، فعلموا وقتئذ أن الحق في الألوهية لله، لا يشاركه فيها أحد، وغاب عنهم غيبة الضائع ما كانوا يختلقون في الدنيا من الباطل: وهو أن مع الله شريكاً آخر.

٧٦- إن قارون كان ابن عم موسى، من بني إسرائيل، فتكبر عليهم بكثرة المال وطلب أن يتزعمهم، وأعطيتاه من الأموال الوفيرة المدخرة، ما إن مفاتيح خزائنه ليثقل حملها على الجماعة الكثيرة الأقياء، حين قال له قومه: لا تفرح فرح بطر بكثرة المال، إن الله لا يرضى عن البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم، ويسخط عليهم ويعاقبهم.

٧٧- واطلب فيما أعطاك الله من المال ثواب الآخرة، بإنفاقه في مرضاة الله وطاعته، لا في التجبر والبغي، ولا تنس الإنفاق فيما أحل الله لك، وأحسن إلى عباد الله بالصدقة، كما أحسن وأنعم الله عليك بالمال والجاه، ولا تعمل بالمال في معاصي الله، إن الله لا يرضى عن المفسدين بالعصيان في الأرض ويجازيهم على عملهم.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِاللَّيْلِ تَسْكُونُونَ فِيهِ أَفَلَا تَبْصُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَتَرَعَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ إِنْ تَقْرُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَعْبَاهُ وَآيَاتِهِ مِنْ الْكُوفِرِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَاتَّبِعْ فِتْيَانَ اللَّهِ الَّذِينَ الْأَرْضَ الْأَحْمَرُ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَسْجُ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٧٦﴾



قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي وَأُوَلِّعَلَّ أَنْ اللَّهُ قَدْ أَهْلَكَ
 مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مَهْمَةً وَأَكْرَجْمًا وَلَا يَسْأَلُ
 عَنْ ذُنُوبِهِمْ أَجْرٌ مُوَبَّكٌ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي
 زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِنَّا لِلَّهِ كَانِمٌ
 مَا أَوْفَىٰ قُرُونٌ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا
 الْعِلْمَ وَيَلِكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا
 وَلَا يَلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ
 فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ
 النَّاصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ
 وَيَكَانُ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا
 أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيُكَافَهُ لَأَبْغَىٰ الْكٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾
 يٰلَيْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ
 وَلَا فَسَادًا وَالْعَلِيَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ
 فَلَهُ خَيْرٌ مِمَّا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يَجْزِي
 الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾

٧٨- قال قارون في الجواب على قومه: إنما أوتيت هذا المال بمعرفة مني ومهارة في الاكتساب والتجارة، أو لم يعلم أن الله قد أهلك بالعذاب من قبل قارون من الأمم الخالية من هو أشد منه قوة، وأكثر جمعاً للمال- مما يدل على أن القوة والمال ليسا فضيلة- ولا يسأل المجرمون العصاة عن ذنوبهم يوم القيامة سؤال عتاب واستعلام؛ لأن الله تعالى مطلع عليها، وإنما يسألون سؤال توبيخ.

٧٩- فخرج قارون على قومه ذات يوم في موكب مهيب متميز بمظاهر الزينة من المتاع وملابس الذهب والحريير والخيول والأثباع، فلما رآه الناس، قال أهل الدنيا المخدوعون بزيتها: يا ليت لنا من المال والمتاع مثلما أوتي قارون من الشراء والجاه، إن قارون لصاحب نصيب وافٍ في الدنيا.

٨٠- وقال أهل العلم بأحوال الآخرة وما وعد الله فيها وهم أجبار بني إسرائيل: ويلكم- المراد بها هنا الزجر والتأنيب، أي لا تقولوا هذا الخطأ، والأصل فيها أنها كلمة تدل على الهلاك- ثواب الله ونعيمه في الجنة خير مما تتمنونه، لمن آمن بالله ورسله والتزم المأمورات وعمل صالحاً فيما آتاه الله من المال، ولا يتلقى الجنة المثاب بها إلا الصابرون على الطاعات وعن المعاصي.

٨١- ولما اغتر قارون بكثرة المال، خسف الله به وكنوزه وبداره ومنطقته التي كان فيها الأرض، أي غورها وغيبها وجعل عاليها سافلها، فما كان له جماعة أعوان ينصرونه من غير الله، بأن يدفعوا أو يمنعوا عنه العذاب والهلاك، وما كان من الممتنعين مما نزل به من الخسف.

٨٢- وأصبح الذين تمننوا منزلته وثورته منذ زمان قريب يقولون: يا أسفاً ألم تر أن الله، والمراد: بل إن الله يوسع ويعطي الرزق لمن يشاء من عباده، ويضيّق ويقتّر الرزق على من يشاء، اختباراً وابتلاء، بمقتضى مشيئته وحكمته، لولا أن من الله علينا باللطف والرحمة والإحسان، ولم يؤاخذنا بما وقع منا، لخسف بنا الأرض كما خسف بقارون، بل إنه لا يفوز الكفار بمطلب لهم، مثل قارون.

٨٣- تلك الجنة ونعيمها- والإشارة إليها لقصد التعظيم والتفخيم لها، في مقابل تحقير ما أوتيه قارون وأمثاله من متاع الدنيا- نجعلها للذين لا يريدون رفعة بغير حق وتكبراً في الأرض وتطاولاً على الناس، ولا ظملاً للناس وعملاً بالمعاصي، والمصير المحمود لمن خاف عذاب الله، بفعل الطاعات وترك المنكرات.

٨٤- من جاء يوم القيامة بالفعل الطيبة: وهي الإيمان والعمل الصالح، فله أفضل منها بمجازاته بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، ومن جاء بالفعل المنكرة الخبيثة وهي الكفر والمعصية، فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا بمثل ما كانوا يعملون في الدنيا دون مضاعفة أو زيادة.

٨٥- إن الذي أنزل عليك القرآن، وأوجب عليك العمل به، لرائك إلى بلدك مكة- وهذا إشارة إلى الهجرة من مكة، ثم الإعادة إليها غالباً منتصراً، علماً بأن السورة مكية- قل أيها الرسول للمشركين: ربي أعلم مني ومنكم من جاء بالهدى- وهو النبي ﷺ- ومن هو في ضلال واضح- وهم المشركون- قال الضحاك: لما خرج النبي ﷺ من مكة، فبلغ الجحفة، اشتاق إلى مكة، فأنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ...﴾.

٨٦- وما كنت أيها الرسول تتأمل قبل النبوة أن يُوحى إليك القرآن، لكن أوحى إليك رحمة من ربك، أي لأجل الترحم، فلا تكونن معينا للكافرين على دينهم الذي دعوك إليه، بمداراتهم وإجابة طلبهم.

٨٧- ولا يصرفنك الكافرون بأذاهم عن تلاوة آيات الله والعمل بها وتبليغها بعد أن أنزلها الله إليك وفرضت عليك، وادع الناس إلى توحيد ربك وعبادته والعمل بشريعته، ولا تكونن من المشركين بالله بإعاتتهم، فإنك إن جاملتهم في شيء تكن منهم. وفي ذلك تعريض بغيره، ومثله الآية التالية:

إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدِكَ إِلَيْنَا مَعَادٍ قُلْ رَبِّ أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَرَبِّنَا هُوَ فِي صَلَاتِهِمْ يُبَيِّنُ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهيرًا لِّلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُسْرِئِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الرَّحِيمِ ﴿٨٥﴾ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَبْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴿٨٧﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٨٨﴾ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٨٩﴾

٨٨- ولا تعبد مع الله إلهاً آخر، لا إله معبود بحق إلا الله وحده لا شريك له، كل شيء في هذا الوجود هالك إلا ذاته تعالى، فهو الدائم الباقي، له القضاء النافذ، وإليه ترجعون عند البعث بالثبور من قبوركم، فيجازيكم بعملكم.

سورة العنكبوت

- ١- ألف، لام، ميم، هذه الأحرف للتنبيه لما يتلى بعدها، وللدلالة على إعجاز القرآن وتحدي العرب بالإتيان بمثله مع أنهم أساطين البيان، والعربية لغتهم مكونة من هذه الحروف.
- ٢- أظن الناس أن يتركوا بغير اختبار بالتكاليف، لمجرد قولهم بأفواههم: آمنا بالله ورسوله، وهم لا يُبْتَلون في أنفسهم وأموالهم، ولا يُمْتَحَنون بالتكاليف والشاق. نزلت في عمار بن ياسر، إذ كان يعذب في الله: ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ...﴾ [٢].
- ٣- ولقد اختبرنا الذين من قبلهم من الأمم بأنواع البلياء والمحن، فليظهروا أن الله صدق الصادقين وكذب الكاذبين، ويجازي كل فريق بعمله. وهذا علم مشاهدة لا ينافي في علم الله القديم بكل شيء قبل الخلق.
- ٤- بل هل ظن الذين يعملون السيئات وهم العصاة والكفار أن يفوتونا ويعجزونا، أو يفلتوا من عقابنا، فلا تتمكن من عقابهم؟ إن ظنوا ذلك قبح أو بش الحکم الذي يحكمونه.
- ٥- من كان يأمل ويطمع بلقاء الله يوم القيامة، أي يؤمن به، فإن الوقت المحدد للبعث والخروج من القبور والحساب آتٍ في حينه لا محالة، والله هو السميع لأقوال العباد، العليم بأفعالهم وبالمستعدين للقاء الله تعالى.

وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ
 ﴿٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ
 عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا
 يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا
 وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا
 إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ
 آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾
 وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ
 فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنَ رَبِّكَ
 لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْلَىٰ وَإِنَّ اللَّهَ بِأَعْمَارِنَا فِي ضَلُوبٍ
 الْعَالِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ
 ﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا
 وَلْنَحْمِلْ خَطِيئَتَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ
 إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْتَا لَا تَعْمَلُ
 أَثْقَالَهُمْ وَلَيَسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾

٦- ومن جاهد لإعلاء كلمة الله، فإن ثواب جهاده لنفسه، إن الله لغني عن عباده من الإنس والجن والملائكة، غير محتاج لطاعتهم.

٧- والذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا صالح الأعمال التي أمروا بها، لنمحو عنهم ذنوبهم التي تورطوا بها، بإسقاط العقاب عنهم، ما داموا غير مصرتين عليها، ولنجزينهم بأحسن جزاء لأعمالهم الصالحة، الحسنة بعشر أمثالها وزيادة.

٨- وأمرنا كل إنسان أن يحسن لوالديه بإطاعتها وبرهما والعطف عليهما، وإن حاولا حمله على الشرك، وطلبوا ذلك منه، بما ليس عليه دليل علمي على كونه إلهاً، فلا تطعهما في ذلك؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وتلحق سائر المعاصي بالشرك فلا طاعة فيها، إلي مصيركم جميعاً يوم القيامة، فأخبركم بما كنتم تعملون وأجازيكم على عملكم. وعبر بكلمة ﴿حسناً﴾ للدلالة على الإحسان العظيم جداً، حتى كأنه هو الحسن نفسه. نزلت حينما علمت أم سعد بن أبي وقاص بإيمانه، فحلقت ألا تأكل ولا تشرب حتى تموت أو يكفر، فنزلت.

٩- والذين صدقوا بالله ورسوله، وعملوا صالح الأعمال التي أمروا بها لنجعلتهم ونحشرنهم في زمرة العباد الصالحين في الجنة، وهم الأنبياء والأولياء.

١٠- ومن الناس وهم المنافقون من يقول بلسانه. صدقنا بالله، وقلبه فارغ من الإيمان، فإذا أُوذِيَ في الله أي من أجل إيمانه بالله، من قبل المشركين، جعل أذى الناس في الدنيا، كعذاب الله الحاصل له في نار جهنم في الآخرة، والمعنى: جزع من اليسير كما يجزع من العذاب الشديد، فيتزعزع إيمانه لأدنى ابتلاء، وينافق، ولئن تحقق نصر من الله للمؤمنين، قال المنافقون: إنا كنا معكم في الإيمان والدين، فأشركونا في الغنيمة، فرد الله عليهم بقوله: أو ليس الله بعالم بما في قلوب عباده من الإخلاص والنفاق؟ بلى. نزلت في أناس من المنافقين كانوا يؤمنون بالسنتهم، فإذا أصابهم بلاء من الله ومصيبة في أنفسهم افتتنوا.

١١- ولظهروا لله كلاً من المؤمنين والمنافقين، ويميز بين الفريقين، فالؤمن المخلص صابر على الطاعة والأذى، والمنافق متذبذب في موقفه، إن أصابه أذى الكافرين وافقهم وكفر بالله تعالى، وإن انتصر المسلمون أعلن الإسلام وزعم أنه مسلم.

١٢- وقال الكفار للمؤمنين: اتبعوا ديننا، ونحمل عنكم أثم خطاياكم، فتواخذ به دونكم، وليسوا بحاملين شيئاً من خطاياهم، إنهم لكاذبون في وعدهم. قال مجاهد: إن الآية نزلت في كفار قريش قالوا لمن آمن منهم: لا نبعث نحن ولا أنتم، فاتبعونا، فإن كان عليكم إثم فعلينا.

١٣- وليحملن هؤلاء الكفار يوم القيامة أوزارهم أو ذنوبهم التي اقترفوها، وأوزاراً وذنوباً أخرى مع أوزارهم: وهي أوزار من أضلواهم، وليسألن يوم القيامة سؤال توبيخ وتفرغ عما كانوا يخلقونه من الأكاذيب والأباطيل التي أضلوا بها غيرهم.

١٤ - ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه، فمكث معهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، يدعوهم إلى توحيد الله، فكذبوه، وفيه تثبيت للنبي ﷺ وتصبير له على متابعة دعوته، فقد سبقه إلى الصبر على الدعوة نوح عليه السلام طوال هذه المدة، فهو أولى بالصبر، فكان جزاء المكذبين أن غمرهم طوفان الماء النازل بغزارة من السماء، ونبت من الأرض، وهم ظالمون أنفسهم بالكفر.

١٥ - فأنجيناً نوحاً ومن ركب معه في السفينة من أولاده وأتباعه المؤمنين، وكانوا ثمانين أو أقل، وجعلنا السفينة عبرة بالغة للعالم أجمع الذين أتوا بعدهم.

١٦ - واذكر أيها النبي أيضاً حين قال إبراهيم الخليل عليه السلام لقومه: اعبدوا الله وحده لا شريك له، وخافوا عقابه بامتنال أوامره واجتناب الشرك، تلك العبادة والتقوى خير وأصح لكم من الشرك. وبما أنه لا خير في الشرك فإنه خاطبهم بحسب اعتقادهم. إن كنتم تعلمون الخير وتميزون بينه وبين الشر.

١٧ - إنما تعبدون أيها القوم من غير الله أوثاناً لا تضر ولا تنفع، - والوثن: ما اتخذ من جص أو حجر، والصنم: ما كان من معدن كتحاس وغيره، والتمثال: ما هو مثال لكائن حي - وتصنعون أصناماً تسمونها آلهة كذباً وزوراً، إن الذين تعبدون من غير الله لا يقدر

على أن يرزقكم شيئاً، فاطلبوا عند الله الرزق، فهو الرزاق وحده، وهو المالك للرزق، واعبدوه وحده بإخلاص، واشكروا له النعم التي أنعم بها عليكم، إليه ترجعون يوم القيامة للجزاء والحساب.

١٨ - وإن تكذبوا برسالتي، فقد كذب أم كثيرة من قبلي وقبلكم رسلكم، وليس على الرسول إلا التبليغ الواضح لدعوته، يبلغها قومه، وليس في وسعه هدايتهم.

١٩ - أو لم ينظروا ويعلموا كيف يبدأ الله خلق الإنسان والحيوان والنبات، ثم يعيد الإنسان إلى الحياة بعد الموت والفناء، إن ذلك سهل يسير على الله، فمن قدر على الإيجاد أول مرة، فهو قادر على الإعادة، والأمران سواء عليه. و﴿يروا﴾ بمعنى يعلموا هنا، وهمزة الاستفهام للإنكار والنفي، فإذا انضم إليه النفي المفهوم من ﴿لم﴾ أفاد التقرير، أي إنبات أنهم رأوا، ومثل ذلك ﴿الم نشرح﴾ [الشرح ١/٩٤].

٢٠ - قل أيها النبي لمكذبي رسالتك: سافروا في الأرض، فانظروا كيف بدأ خلق من كان قبلكم بأشكال مختلفة وطبائع وأخلاق متغايرة، لتعلموا تمام قدرة الله، وأثارهم تدل عليهم، ثم الله يعيد الخلق أحياء مرة أخرى، بعد النشأة الأولى التي هي الإبداء، فإنه والإعادة نشأتان، إن الله قادر على كل شيء، لا يعجزه أمر، ومنه البدء والإعادة. وبدأ وأبدأ بمعنى واحد هو الإيجاد ابتداءً، أي إيجاد شيء لم يكن. والنشأة الآخرة: إحياء الخلق يوم القيامة.

٢١ - يعذب من يشاء تعذيبه، ويرحم من يشاء رحمته، وإليه تردون بعد موتكم.

٢٢ - ولستم أيها المكذبون الجاحدون بمعجزتي الله عن إدراككم، في الأرض ولا في السماء، وليس لكم من غير الله ولي يتولى أموركم ويمنعكم منه، ولا معين ينصركم من عذابه.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾
فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾
وَأَبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَانصُوتُوا لِكُلِّ حَيْرٍ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ يَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ رَبِّهِ أَلَيْسَ بِأَبَدًا لِكُلِّ كَذَّابٍ مُمِرٍّ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَنْ يَبْلُغَ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾
أَوْ لِيُرِيوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٨﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢١﴾

٢٣- والذين كفروا بآيات الله المنزلة في الكتب السماوية، والآيات التكوينية الدالة على وحدانية الخالق، ووجدوا بقاء الله أي بالبعث بعد الموت، أولئك يأسون من رحمتي يوم القيامة، وأولئك لهم عذاب مؤلم في نار جهنم بسبب كفرهم.

٢٤- فما كان جواب قوم إبراهيم بعد دعوتهم لتوحيد الله إلا أن قال بعضهم لبعض: اقتلوه أو حرّموه تحريقاً بالنار، فأنجاه الله من نارهم، وجعلها عليه برداً وسلاماً، إن في إنجاء الله إبراهيم للدلالات قاطعة على وجود الله وتوحيده لقوم يُصدّقون بالله وقدرته، وخص المؤمنون بالذكر؛ لأنهم المتفقون بذلك.

٢٥- وقال إبراهيم: يا قوم إنما اتخذتم من غير الله أولئنا آلهة، للتوابع دينكم، والاتساق على عبادتها في الحياة الدنيا، ثم يوم القيامة يتبرأ بعضكم من بعض، فيتبرأ العابدون من الأوثان، وتبرأ الأوثان من العابدين لها، ويلعن الأتباع القادة، والقادة الأتباع، ومقرّمكم النار، وليس لكم من أنصار يتقدونكم من النار.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَسُوءُونَ زَعْمِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَكَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ بَعْضٌ بَرَدٌ وَبَعْضٌ نَارٌ مِنْ نَارِهِمْ، وَجَعَلَهَا عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا، إِنَّ فِي إِنْجَاءِ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ لِدَلَالَاتٍ قَاطِعَةٌ عَلَى وُجُودِ اللَّهِ وَتَوْحِيدِهِ لِقَوْمٍ يُصَدِّقُونَ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ، وَخَصَّ الْمُؤْمِنِينَ بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهُمُ الْمُتَّفَقُونَ بِذَلِكَ.

٢٥- وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: يَا قَوْمِ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ أَوْلِيَانًا آلِهَةً، لِلتَّوَادِعِ دِينِكُمْ، وَالتَّسَاقُ عَلَى عِبَادَتِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَتَبَرَّأُ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ، فَيَتَبَرَّأُ الْعَابِدُونَ مِنَ الْاَوْثَانِ، وَتَتَبَرَّأُ الْاَوْثَانُ مِنَ الْعَابِدِينَ لَهَا، وَيَلْعَنُ الْاَتِّبَاعُ الْقَادَةَ، وَالْقَادَةُ الْاَتِّبَاعَ، وَمَقْرَّمُكُمْ النَّارُ، وَلا يَسْ لَكُمْ مِنْ اَنْصَارٍ يَتَقَدُّونَكُمْ مِنَ النَّارِ.

٢٦- فَصَدَّقَ لُوطٌ بِرِسَالَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: إِنِّي مَهَاجِرٌ مِنْ بَلَدِي (كوثى - قرية من سواد الكوفة بالعراق) إِلَى حِرَّانَ، ثُمَّ إِلَى الشَّامِ، أَي مَهَاجِرٌ مِنْ دِيَارِي إِلَى حَيْثُ أَمَرَنِي رَبِّي لِأَعْبُدَهُ، إِنَّ رَبِّي هُوَ الْقَوِيُّ الْغَالِبُ الَّذِي يَمْنَعُنِي مِنْ أَعْدَائِي، الْحَكِيمُ فِي صَنْعِهِ وَتَدْبِيرِهِ. وَكَانَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ امْرَأَتُهُ سَارَةُ وَلُوطُ ابْنُ أَخِيهِ، فَنَزَلَ فِلَسْطِينَ، وَنَزَلَ لُوطٌ سَدُومَ.

٢٧- وَوَهَبْنَا لِإِبْرَاهِيمَ إِسْحَاقَ بَعْدَ بَكْرِهِ إِسْمَاعِيلَ، وَيَعْقُوبَ مِنْ إِسْحَاقَ، وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ النُّبُوَّةَ، فَكُلُّ الْأَنْبِيَاءِ بَعْدَهُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ، وَالْكِتَابَ: التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَالزَّبُورَ وَالْقُرْآنَ، وَأَعْطَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا: وَهُوَ الرِّزْقُ الْوَاسِعُ وَالْأَوْلَادُ وَالشَّاءُ الْجَمِيلُ بَيْنَ أَهْلِ الْأَدْيَانِ جَمِيعًا، وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ فِي زَمْرَةِ الْكَامِلِينَ فِي الصَّلَاحِ.

٢٨- وَادَّكَّرَ أَيْضًا أَيُّهَا النَّبِيُّ لُوطًا عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ قَالَ لِقَوْمِهِ: إِنَّكُمْ تَعَاطُونَ الْفِعْلَةَ الْقَيْصِحَةَ الَّتِي تَنْفَرُ مِنْهَا النُّفُوسُ الْكَرِيمَةُ وَهِيَ اللَّوَاطُ: إِيثَانُ أَدْبَارِ الرِّجَالِ، لَمْ يَسْبِقْكُمْ إِلَى فِعْلِهَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ.

٢٩- أَتَيْتُكُمْ - وَالاسْتِفْهَامُ لِلتَّوْبِيخِ - لِتَلُوطُونَ بِالرِّجَالِ، وَتَقْطَعُونَ الطَّرِيقَ عَلَى الْمَارَةِ بِالْقَتْلِ وَأَخْذِ الْمَالِ وَالْفَاحِشَةِ، وَتَأْتُونَ فِي مَجَالِسِكُمْ الَّتِي تَجْتَمِعُونَ فِيهَا مَا يَسْتَكْرَهُ الشَّرْعُ وَالْعَقْلُ وَالطَّبِيعُ السَّلِيمُ، كَاللَّوَاطِ وَأَنْوَاعِ الْفَحْشِ قَوْلًا وَفِعْلًا، فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا مُسْتَهْزِئِينَ: إِنَّا نَعْبُدُ اللَّهَ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فِيمَا تَهْدِدُنَا بِهِ، فَعَادُوا بِهَذَا الْقَوْلِ إِلَى التَّكْذِيبِ وَالْعِنَادِ.

٢٦- فَصَدَّقَ لُوطٌ بِرِسَالَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: إِنِّي مَهَاجِرٌ مِنْ بَلَدِي (كوثى - قرية من سواد الكوفة بالعراق) إِلَى حِرَّانَ، ثُمَّ إِلَى الشَّامِ، أَي مَهَاجِرٌ مِنْ دِيَارِي إِلَى حَيْثُ أَمَرَنِي رَبِّي لِأَعْبُدَهُ، إِنَّ رَبِّي هُوَ الْقَوِيُّ الْغَالِبُ الَّذِي يَمْنَعُنِي مِنْ أَعْدَائِي، الْحَكِيمُ فِي صَنْعِهِ وَتَدْبِيرِهِ. وَكَانَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ امْرَأَتُهُ سَارَةُ وَلُوطُ ابْنُ أَخِيهِ، فَنَزَلَ فِلَسْطِينَ، وَنَزَلَ لُوطٌ سَدُومَ.

٢٧- وَوَهَبْنَا لِإِبْرَاهِيمَ إِسْحَاقَ بَعْدَ بَكْرِهِ إِسْمَاعِيلَ، وَيَعْقُوبَ مِنْ إِسْحَاقَ، وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ النُّبُوَّةَ، فَكُلُّ الْأَنْبِيَاءِ بَعْدَهُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ، وَالْكِتَابَ: التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَالزَّبُورَ وَالْقُرْآنَ، وَأَعْطَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا: وَهُوَ الرِّزْقُ الْوَاسِعُ وَالْأَوْلَادُ وَالشَّاءُ الْجَمِيلُ بَيْنَ أَهْلِ الْأَدْيَانِ جَمِيعًا، وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ فِي زَمْرَةِ الْكَامِلِينَ فِي الصَّلَاحِ.

٢٨- وَادَّكَّرَ أَيْضًا أَيُّهَا النَّبِيُّ لُوطًا عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ قَالَ لِقَوْمِهِ: إِنَّكُمْ تَعَاطُونَ الْفِعْلَةَ الْقَيْصِحَةَ الَّتِي تَنْفَرُ مِنْهَا النُّفُوسُ الْكَرِيمَةُ وَهِيَ اللَّوَاطُ: إِيثَانُ أَدْبَارِ الرِّجَالِ، لَمْ يَسْبِقْكُمْ إِلَى فِعْلِهَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ.

٢٩- أَتَيْتُكُمْ - وَالاسْتِفْهَامُ لِلتَّوْبِيخِ - لِتَلُوطُونَ بِالرِّجَالِ، وَتَقْطَعُونَ الطَّرِيقَ عَلَى الْمَارَةِ بِالْقَتْلِ وَأَخْذِ الْمَالِ وَالْفَاحِشَةِ، وَتَأْتُونَ فِي مَجَالِسِكُمْ الَّتِي تَجْتَمِعُونَ فِيهَا مَا يَسْتَكْرَهُ الشَّرْعُ وَالْعَقْلُ وَالطَّبِيعُ السَّلِيمُ، كَاللَّوَاطِ وَأَنْوَاعِ الْفَحْشِ قَوْلًا وَفِعْلًا، فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا مُسْتَهْزِئِينَ: إِنَّا نَعْبُدُ اللَّهَ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فِيمَا تَهْدِدُنَا بِهِ، فَعَادُوا بِهَذَا الْقَوْلِ إِلَى التَّكْذِيبِ وَالْعِنَادِ.

